مِنْ رَوائِعِ البَيانِ فِي سُوَرِ القُرآنِ

في البلاغة واللغة والنحو والتفسير وغير ذلك

جمع وإعداد وتصنيف

المهندس مثنّى محمد هبيان

قدّم له:

د. زكريا توفيق إسماعيل

المجلد الرابع

من بداية آية سورة النساء (٨٦) حتى آخر سورة الأنعام

دار الفكر

للطباعة والنشر والتوزيع

بيروت - لبنان

1435 - 1436 هـ

2014 م

E-mail: info@darlfikr.com
Email: darlfikr@cyberia.net.lb
E-mail: dar.elfikr@yahoo.com
Home Page: www.darlfikr.com

دار الفكر

الفرع الأول: حارة حريك - شارع عبد النور - برقياً: فكسي - ص ب:11/7061
هاتف: 559900 - 559901 - 559902 - 01-559903 فاكس: 00961 1 559904
الفرع الثاني - ضهر المغارة - الشارع العام - الشوف - لبنان؛
هاتف: 985675 - 985674 - 985673 - 985672 - 985671 - 00961 7 985888

بيروت لبنان

﴿ وَإِذَا حُيِّيتُم بِتَحِيَّةٍ فَحَيُّواْ بِأَحْسَنَ مِنْهَآ أَوْ رُدُّوهَآ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ حَسِيبًا ﴿٨٦﴾ ﴾

السؤال الأول:

لماذا جاءت كلمة ﴿بِأَحْسَنَ﴾ محركة بالفتح مع سبقها بحرف الجر في قوله تعالى ﴿وَإِذَا حُيِّيتُم بِتَحِيَّةٍ فَحَيُّواْ بِأَحْسَنَ مِنْهَآ أَوْ رُدُّوهَآ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ حَسِيبًا ﴿٨٦﴾﴾؟

الجواب:

١ـ كلمة ﴿بِأَحْسَنَ﴾ جاءت مجرورة، ومع ذلك حركت بالفتح؛ لأنها ممنوعة من الصرف، فهي صيغة على وزن أفعل، (أحسن): اسم تفضيل على وزن الفعل، والقاعدة تقول: إنّ الوصفية إذا كانت على وزن الفعل تمنع من الصرف.

٢ـ وكذلك في قوله تعالى: ﴿إِذْ جَآءُوكُم مِّن فَوْقِكُمْ وَمِنْ أَسْفَلَ مِنكُمْ وَإِذْ زَاغَتِ ٱلْأَبْصَـٰرُ وَبَلَغَتِ ٱلْقُلُوبُ ٱلْحَنَاجِرَ وَتَظُنُّونَ بِٱللَّهِ ٱلظُّنُونَا۠ ﴿١٠﴾﴾ [الأحزاب:١٠] (أسفلَ): مجرورة بالفتحة؛ لأنها ممنوعة من الصرف، ومثلها: أصفر وأخضر وأحمر.

السؤال الثاني:

ما دلالة آية النساء ٨٦ في التعامل مع التحية؟

الجواب:

انظر كيف يعلّم الله تعالى الناس التسابق إلى الخيرات ويخلّقهم بأخلاق الإسلام فقال: فحيوا بأحسن منها، فقدّم الرد بالأحسن وعطف عليه ما يماثله، ليعلمنا أنّ رد السلام بالأفضل هو المقدّم، ألا ترى أنك تقول لمن سلم عليك (وعليكم السلام)

فقدمت (عليكم) على المبتدأ السلام، وهذا تقديم يفيد التخصيص للمخاطب فكان أحسن من (السلام عليكم).

❁❁❁❁

﴿ وَدُّواْ لَوْ تَكْفُرُونَ كَمَا كَفَرُواْ فَتَكُونُونَ سَوَآءً فَلَا تَتَّخِذُواْ مِنْهُمْ أَوْلِيَآءَ حَتَّىٰ يُهَاجِرُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِۚ فَإِن تَوَلَّوْاْ فَخُذُوهُمْ وَٱقْتُلُوهُمْ حَيْثُ وَجَدتُّمُوهُمْۖ وَلَا تَتَّخِذُواْ مِنْهُمْ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا ﴿٨٩﴾ ﴾

السؤال الأول:

ما الفرق بين (ثقفتموهم) و(وجدتموهم) في الآيات ﴿فَخُذُوهُمْ وَٱقْتُلُوهُمْ حَيْثُ ثَقِفْتُمُوهُمْۚ﴾ [النساء:٩١] ﴿فَخُذُوهُمْ وَٱقْتُلُوهُمْ حَيْثُ وَجَدتُّمُوهُمْۖ﴾ [النساء:٨٩]؟

الجواب:

(ثقف) هي بمعنى ظفر به وأخذه، ولا تستعمل: (ثقفتموهم) إلا في الحرب والقتال والخصومة، ومعناها أشمل من (وجد)، وعندما لا يكون السياق في مقام الحرب يستعمل ﴿وَجَدتُّمُوهُمْۖ﴾ وهي عامة، وليست متعلقة بالحرب فقط .

❁ شواهد قرآنية:

ـ ﴿فَإِن لَّمْ يَعْتَزِلُوكُمْ وَيُلْقُوٓاْ إِلَيْكُمُ ٱلسَّلَمَ وَيَكُفُّوٓاْ أَيْدِيَهُمْ فَخُذُوهُمْ وَٱقْتُلُوهُمْ حَيْثُ ثَقِفْتُمُوهُمْۚ وَأُوْلَٰٓئِكُمْ جَعَلْنَا لَكُمْ عَلَيْهِمْ سُلْطَٰنًا مُّبِينًا ﴿٩١﴾﴾ [النساء:٩١] هذه حرب .

- ﴿وَدُّواْ لَوۡ تَكۡفُرُونَ كَمَا كَفَرُواْ فَتَكُونُونَ سَوَآءٗۖ فَلَا تَتَّخِذُواْ مِنۡهُمۡ أَوۡلِيَآءَ حَتَّىٰ يُهَاجِرُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِۚ فَإِن تَوَلَّوۡاْ فَخُذُوهُمۡ وَٱقۡتُلُوهُمۡ حَيۡثُ وَجَدتُّمُوهُمۡۖ وَلَا تَتَّخِذُواْ مِنۡهُمۡ وَلِيّٗا وَلَا نَصِيرًا ﴿٨٩﴾﴾ [النساء:٨٩] هذه ليس فيها حرب.

السؤال الثاني:

قوله تعالى في الآية ٨٩ ﴿وَدُّواْ لَوۡ تَكۡفُرُونَ كَمَا كَفَرُواْ فَتَكُونُونَ سَوَآءٗۖ﴾ انظر إلى هذه البلاغة في التعبير، فقد عبّر الله تعالى عن رغبة المنافقين في تكفير المؤمنين بالفعل (ودّ)، بينما عبّر عن فعل المؤمنين بإدخال الإيمان إلى قلوب المنافقين بالفعل (أتريدون)، وذلك في قوله تعالى في الآية التي سبقتها ٨٨ ﴿أَتُرِيدُونَ أَن تَهۡدُواْ مَنۡ أَضَلَّ ٱللَّهُۖ﴾ فما وجه البلاغة في هذا الاختيار؟

الجواب:

عبّر الله تعالى عن محاولة المؤمنين بالإرادة؛ لأنه ينشأ عنها الفعل فالمؤمنون يريدون حصول الإيمان من المنافقين؛ لأنّ الإيمان قريب من فطرة الإنسان.

بينما عبّر عن محاولة المنافقين بالودّ؛ لأنّ المنافقين يعلمون أنّ المؤمنين لا يرتدون عن دينهم فلم يكن طلبهم تكفير المؤمنين إلا تمنّياً ووداً، ولذلك عبّر عنه بقوله: ﴿وَدُّواْ لَوۡ تَكۡفُرُونَ كَمَا كَفَرُواْ فَتَكُونُونَ سَوَآءٗۖ﴾ [النساء:٨٩].

﴿إِلَّا ٱلَّذِينَ يَصِلُونَ إِلَىٰ قَوۡمِۭ بَيۡنَكُمۡ وَبَيۡنَهُم مِّيثَٰقٌ أَوۡ جَآءُوكُمۡ حَصِرَتۡ
صُدُورُهُمۡ أَن يُقَٰتِلُوكُمۡ أَوۡ يُقَٰتِلُواْ قَوۡمَهُمۡۚ وَلَوۡ شَآءَ ٱللَّهُ لَسَلَّطَهُمۡ عَلَيۡكُمۡ
فَلَقَٰتَلُوكُمۡۚ فَإِنِ ٱعۡتَزَلُوكُمۡ فَلَمۡ يُقَٰتِلُوكُمۡ وَأَلۡقَوۡاْ إِلَيۡكُمُ ٱلسَّلَمَ فَمَا جَعَلَ ٱللَّهُ لَكُمۡ
عَلَيۡهِمۡ سَبِيلٗا ٩٠﴾

السؤال الأول:

ما [السَّلْم و السِّلْم و السَّلَم]؟

الجواب:

السِّلْم: (بكسر السين وتشديدها وسكون اللام) هو الإسلام، وكل الناس مأمورون بالدخول فيه، وهو السلام .

السَّلْم: (بفتح السين وكسرها) يُذكّر ويؤنث، وهو الصلح أوهو الميل إلى الاستسلام والمسالمة وترك القتال والحرب، وهذه دعوة موجهة إلى الكفار ليجنحوا إليه، وهو محرم على المسلمين.

السَّلَم: (بفتح السين وتشديدها وفتح اللام) هوالسّلف، وهوأيضاً الاستسلام الذليل المهين، حيث يُلقي الكفار للمسلمين السَّلَم في الدنيا.

﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ أَن يَقْتُلَ مُؤْمِنًا إِلَّا خَطَـًٔا ۚ وَمَن قَتَلَ مُؤْمِنًا خَطَـًٔا
فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُّؤْمِنَةٍ وَدِيَةٌ مُّسَلَّمَةٌ إِلَىٰٓ أَهْلِهِۦٓ إِلَّآ أَن يَصَّدَّقُوا۟ ۚ فَإِن
كَانَ مِن قَوْمٍ عَدُوٍّ لَّكُمْ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُّؤْمِنَةٍ ۖ وَإِن
كَانَ مِن قَوْمٍۭ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُم مِّيثَـٰقٌ فَدِيَةٌ مُّسَلَّمَةٌ إِلَىٰٓ
أَهْلِهِۦ وَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُّؤْمِنَةٍ ۖ فَمَن لَّمْ يَجِدْ فَصِيَامُ شَهْرَيْنِ
مُتَتَابِعَيْنِ تَوْبَةً مِّنَ ٱللَّهِ ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴿٩٢﴾﴾

السؤال الأول:

في الآية الكريمة قدّم التحرير على الدية أولاً، ثم أخّر التحرير على الدية، فما الحكمة من التقديم والتأخير في الآية؟

الجواب:

١ـ الأولى في قوم مؤمنين، فقدّم التحرير على الدية .

٢ـ الثانية مع قوم أعداء يريدون الدية ويريدون أموالاً، وليس لديهم علاقة بالتحرير، والتآلف بينهم يكون بالدية وليس بالتحرير.

وكيف تزيل العداوة وهم يتقاتلون؟ تعطيهم الفدية حتى تهدأ النفوس؛ لأنّ هؤلاء أعداء ويحتمل أنْ تحصل ضغائن، وقد ينقضون الميثاق بينهم.

السؤال الثاني:

ما دلالة الابتداء في الآية بقوله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ لِمُؤۡمِنٍ﴾؟

الجواب:

قوله تعالى في الآية: ﴿وَمَا كَانَ لِمُؤۡمِنٍ أَن يَقۡتُلَ مُؤۡمِنًا إِلَّا خَطَـٔٗا﴾ انظر إلى هذا الابتداء الذي يهوّل به الله سبحانه وتعالى أمر قتل المسلم أخاه المسلم، ولذلك جعله في حيّز ما لا يكون فبدأه بالنفي والحصر في الخطأ بـ﴿إِلَّا﴾ فقال: ﴿وَمَا كَانَ لِمُؤۡمِنٍ أَن يَقۡتُلَ مُؤۡمِنًا إِلَّا خَطَـٔٗا﴾ .

السؤال الثالث:

في الآية الكريمة لعلّ سائلاً يقول: لِمَ جعل تحرير رقبة العبد ديّة للقاتل، وهذا لا يعود على أهل الميت؟

الجواب:

إنّ تحرير الرقبة جعله الله تعالى بدلاً من تعطيل حق الله تعالى في ذات القتيل، فإنّ القتيل عبدٌ من عباد الله تعالى ويُرجى من نسله من يقوم بعبادة الله وطاعة دينه، فلم يخل القاتل من أنْ يكون فوّت بقتله هذا الوصف.

وأمر آخر نبّهت عليه هذه الآية هو أنّ الحريّة حياة والعبودية موت، فمن تسبب في موت نفس حيّة كان عليه السعي في إحياء نفس كالميتة وهي المستعبدة.

السؤال الرابع:

قوله تعالى في الآية: ﴿فَإِن كَانَ مِن قَوۡمٍ عَدُوٍّ لَّكُمۡ وَهُوَ مُؤۡمِنٞ فَتَحۡرِيرُ رَقَبَةٖ مُّؤۡمِنَةٖۖ﴾ لِمَ اقتصرت الكفارة هنا على تحرير الرقبة دون دفع الديّة لهم؟

الجواب:

لأنّ الدية جبر لخاطر أولياء الدم، فلما كانوا أعداء الله تعالى لم تكن حكمة في جبر خواطرهم.

السؤال الخامس:

قوله تعالى ﴿مُتَتَابِعَيۡنِ﴾ ما كلمات منظومة التتابع؟

الجواب:

كلمات منظومة التتابع:

تترا: ليس لها مرادف في القرآن الكريم إلا كلمة (متتابع)، وهي كناية عن الترتيب العددي واحداً بعد الآخر [المؤمنون ٤٤].

متتابع: هو ترتيب زمني بغض النظر عن العدد، أي: لا يفصل بينهما فاصل زمني، وجاء في كفارة القتل الخطأ والظهار والجماع في نهار رمضان، وهي ستون يوما متتباعة بدون فطر، فإنْ أفطر وجب عليه إعادة صوم الشهرين من جديد مع التتابع .[النساء ٩٢، المجادلة ٤].

﴿ وَمَن يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُّتَعَمِّدًا فَجَزَآؤُهُۥ جَهَنَّمُ خَٰلِدًا فِيهَا وَغَضِبَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَلَعَنَهُۥ وَأَعَدَّ لَهُۥ عَذَابًا عَظِيمًا ﴿٩٣﴾ ﴾

السؤال الأول:

ما الفرق بين استخدام صيغة (الماضي والمضارع) في قوله تعالى في سورة النساء في الآية ٩٢: ﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ أَن يَقْتُلَ مُؤْمِنًا إِلَّا خَطَـًٔا ۚ وَمَن قَتَلَ مُؤْمِنًا خَطَـًٔا فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُّؤْمِنَةٍ وَدِيَةٌ مُّسَلَّمَةٌ إِلَىٰٓ أَهْلِهِۦٓ إِلَّآ أَن يَصَّدَّقُوا۟﴾ وفي الآية ٩٣ ﴿ وَمَن يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُّتَعَمِّدًا فَجَزَآؤُهُۥ جَهَنَّمُ خَٰلِدًا فِيهَا وَغَضِبَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَلَعَنَهُۥ وَأَعَدَّ لَهُۥ عَذَابًا عَظِيمًا ﴿٩٣﴾﴾ ؟

الجواب:

بشكل عام فإن صيغة الفعل المضارع تفيد التكرار، بينما الفعل الماضي يفيد حدوث الفعل قليلاً أو مرة واحدة على الأغلب .

واستخدام صيغة الماضي والمضارع كثير في القرآن، مثل قوله تعالى في الآية ٩٢: ﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ أَن يَقْتُلَ مُؤْمِنًا إِلَّا خَطَـًٔا ۚ وَمَن قَتَلَ مُؤْمِنًا خَطَـًٔا فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُّؤْمِنَةٍ وَدِيَةٌ مُّسَلَّمَةٌ إِلَىٰٓ أَهْلِهِۦٓ إِلَّآ أَن يَصَّدَّقُوا۟ ۚ فَإِن كَانَ مِن قَوْمٍ عَدُوٍّ لَّكُمْ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُّؤْمِنَةٍ ۖ وَإِن كَانَ مِن قَوْمٍ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُم مِّيثَٰقٌ فَدِيَةٌ مُّسَلَّمَةٌ إِلَىٰٓ أَهْلِهِۦ وَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُّؤْمِنَةٍ ۖ فَمَن لَّمْ يَجِدْ فَصِيَامُ شَهْرَيْنِ مُتَتَابِعَيْنِ تَوْبَةً مِّنَ ٱللَّهِ ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا﴾ وقوله تعالى في الآية ٩٣: ﴿ وَمَن يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُّتَعَمِّدًا فَجَزَآؤُهُۥ جَهَنَّمُ خَٰلِدًا فِيهَا وَغَضِبَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَلَعَنَهُۥ وَأَعَدَّ لَهُۥ عَذَابًا عَظِيمًا ﴿٩٣﴾﴾ أي: كلما سنحت له الفرصة قتل، وهذا دليل التكرار؛ لذا جاء الفعل بصيغة المضارع.

وكذلك في قوله تعالى ﴿وَمَن يَشْكُرْ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِۦ﴾ [لقمان:١٢] جاء بصيغة المضارع؛ لأنّ الشكر يكون في كل لحظة على كل نعم الله، وأما ﴿وَمَن كَفَرَ﴾ [لقمان:١٢] فجاء بصيغة الماضي؛ لأنّ الكفر يحصل مرة واحدة فقط.

وقال تعالى: ﴿إِن يَسْـَٔلْكُمُوهَا فَيُحْفِكُمْ تَبْخَلُوا۟ وَيُخْرِجْ أَضْغَـٰنَكُمْ ﴿٣٧﴾﴾[محمد:٣٧] وهو سؤال متكرر؛ لأنّ سؤال الأموال متكرر، فجاء الفعل بصيغة المضارع.

وقال تعالى: ﴿قَالَ إِن سَأَلْتُكَ عَن شَىْءٍۭ بَعْدَهَا فَلَا تُصَـٰحِبْنِى ۖ قَدْ بَلَغْتَ مِن لَّدُنِّى عُذْرًا ﴿٧٦﴾﴾ [الكهف:٧٦] السؤال حصل مرة واحدة بعد الآية ٧٦ فجاء بصيغة الماضي.

السؤال الثاني:

قوله تعالى في الآية ﴿وَأَعَدَّ لَهُۥ عَذَابًا عَظِيمًا ﴿٩٣﴾﴾ ما الفرق بين ﴿أعدّ وأعتدنا﴾؟

الجواب:

انظر الجواب في آية النساء رقم ١٨.

﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا ضَرَبْتُمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ فَتَبَيَّنُواْ وَلَا تَقُولُواْ لِمَنْ أَلْقَىٰٓ إِلَيْكُمُ ٱلسَّلَـٰمَ لَسْتَ مُؤْمِنًا تَبْتَغُونَ عَرَضَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا فَعِندَ ٱللَّهِ مَغَانِمُ كَثِيرَةٌ ۚ كَذَٰلِكَ كُنتُم مِّن قَبْلُ فَمَنَّ ٱللَّهُ عَلَيْكُمْ فَتَبَيَّنُوٓاْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا ﴿٩٤﴾ ﴾

السؤال الأول:

ما الفرق بين (خبير) و(بصير)؟

الجواب:

١ـ البصير: البصر يأتي بمعنيين في اللغة:

أـ إمّا البصربمعنى الحاسة التي ينظر بها الباصرة، أي: النظر، وهو ضد الأعمى،كما في الآيات: ﴿وَإِذْ زَاغَتِ ٱلْأَبْصَـٰرُ وَبَلَغَتِ ٱلْقُلُوبُ ٱلْحَنَاجِرَ﴾ [الأحزاب:١٠]. ﴿قُلْ هَلْ يَسْتَوِى ٱلْأَعْمَىٰ وَٱلْبَصِيرُ﴾ [الرعد:١٦] .

ب ـ الإبصار بالقلب أو المعرفة القلبية، وربنا يسميه بصيرة ﴿ بَلِ ٱلْإِنسَـٰنُ عَلَىٰ نَفْسِهِۦ بَصِيرَةٌ ﴿١٤﴾﴾ [القيامة:١٤] ﴿ قُلْ هَـٰذِهِۦ سَبِيلِىٓ أَدْعُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ ۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ ﴾ [يوسف:١٠٨] .

٢ـ الخبير: هوالعليم ببواطن الأمور، ويعني أنه محيط ببواطن الأمور وظواهرها، كما في قوله تعالى:

ـ ﴿إِنَّ ٱللَّهَ بِعِبَادِهِۦ لَخَبِيرٌۢ بَصِيرٌ ﴿٣١﴾﴾ [فاطر:٣١] .

- ﴿إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِمَا تَعۡمَلُونَ خَبِيرٗا ﴿٩٤﴾﴾ [النساء:٩٤].

لذلك يكون (الخبير) هو العالم ببواطن الأمور وظواهرها، و(البصير) من الإبصار ومن قوة القلب (البصيرة).

❁❁❁❁

﴿لَّا يَسۡتَوِي ٱلۡقَٰعِدُونَ مِنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ غَيۡرُ أُوْلِي ٱلضَّرَرِ وَٱلۡمُجَٰهِدُونَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ بِأَمۡوَٰلِهِمۡ وَأَنفُسِهِمۡۚ فَضَّلَ ٱللَّهُ ٱلۡمُجَٰهِدِينَ بِأَمۡوَٰلِهِمۡ وَأَنفُسِهِمۡ عَلَى ٱلۡقَٰعِدِينَ دَرَجَةٗۚ وَكُلّٗا وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلۡحُسۡنَىٰۚ وَفَضَّلَ ٱللَّهُ ٱلۡمُجَٰهِدِينَ عَلَى ٱلۡقَٰعِدِينَ أَجۡرًا عَظِيمٗا ﴿٩٥﴾﴾

السؤال الأول:

قوله تعالى في الآية ﴿لَّا يَسۡتَوِي﴾ بالنفي بـ (لا)، ما دلالة استعمال أداة النفي (ما) و(لا) مع الفعل المضارع؟

الجواب:

١ـ (ما) عندما تدخل على الفعل المضارع قد تكون لنفي الحال وهذا هو الأكثر، نحو قوله تعالى: ﴿قَالُواْ يَٰشُعَيۡبُ مَا نَفۡقَهُ كَثِيرٗا مِّمَّا تَقُولُ﴾ [هود:٩١] وقد تدل على الاستمرار نحو قوله تعالى: ﴿مَآ أُرِيكُمۡ إِلَّا مَآ أَرَىٰ وَمَآ أَهۡدِيكُمۡ إِلَّا سَبِيلَ ٱلرَّشَادِ ﴿٢٩﴾﴾ [غافر:٢٩] وقوله: ﴿وَمَا يَعۡلَمُ تَأۡوِيلَهُۥٓ إِلَّا ٱللَّهُۗ﴾ [آل عمران:٧].

٢ـ بينما (لا) مع الفعل المضارع تكون لنفي للاستقبال وهو الأكثر، وقسم من النُحاة يقول: قد تكون للحال وللاستقبال نحو قوله تعالى: ﴿وَٱتَّقُواْ يَوۡمٗا لَّا تَجۡزِي نَفۡسٌ عَن نَّفۡسٖ شَيۡـٔٗا﴾

[البقرة:٤٨] فهذا استقبال، لكنّ قسماً يقول قد تكون للحال، بدليل قوله تعالى: ﴿فَقَالَ مَا لِيَ لَآ أَرَى ٱلۡهُدۡهُدَ﴾ [النمل:٢٠] فهذه حال وليس استقبالاً، لكنّ الأكثرهو للاستقبال .

٣ـ ننظر كيف تستعمل في القرآن:

يستعمل القرآن الكريم (ما) مع الفعل المضارع في نفي الأمور المُشاهدة في الدنيا، بينما يستعمل (لا) مع الفعل المضارع في نفي الأمور غير المُشاهدة في الدنيا وستكون مُشاهدة في الآخرة .

* شواهد قرآنية:

ـ ﴿وَمَا يَسۡتَوِي ٱلۡأَعۡمَىٰ وَٱلۡبَصِيرُ ١٩﴾ [فاطر:١٩] هذا مشاهَد في الدنيا .

ـ ﴿وَمَا يَسۡتَوِي ٱلۡبَحۡرَانِ﴾ [فاطر:١٢] هذا مُشاهَد .

ـ ﴿وَمَا يَسۡتَوِي ٱلۡأَحۡيَآءُ وَلَا ٱلۡأَمۡوَٰتُۚ﴾ [فاطر:٢٢] هذا مُشاهَد.

ـ ﴿لَّا يَسۡتَوِي ٱلۡقَٰعِدُونَ مِنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ غَيۡرُ أُوْلِي ٱلضَّرَرِ وَٱلۡمُجَٰهِدُونَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾ [النساء:٩٥] عدم الاستواء هذا في الآخرة غير مشاهَد فقال ﴿لَّا يَسۡتَوِي﴾ [النساء:٩٥] .

ـ ﴿لَا يَسۡتَوِي مِنكُم مَّنۡ أَنفَقَ مِن قَبۡلِ ٱلۡفَتۡحِ وَقَٰتَلَۚ﴾ [الحديد:١٠] عدم الاستواء هذا في الآخرة.

ـ ﴿لَا يَسۡتَوِيٓ أَصۡحَٰبُ ٱلنَّارِ وَأَصۡحَٰبُ ٱلۡجَنَّةِۚ أَصۡحَٰبُ ٱلۡجَنَّةِ هُمُ ٱلۡفَآئِزُونَ ٢٠﴾ [الحشر:٢٠] هذا في الآخرة غير مُشاهَد.

ـ ﴿وَلَا تَسۡتَوِي ٱلۡحَسَنَةُ وَلَا ٱلسَّيِّئَةُۚ﴾ [فصلت:٣٤] عدم الاستواء هذا في الآخرة.

لذلك (لا) تدل على النفي في الاستقبال (نفي غير مشاهد)، وقسم يقول: قد تكون للحال، وأكثر النحاة يقولون: هي للاستقبال، لكنّ قسماً يقول قد تكون للحال والأكثر

للاستقبال، وهم متفقون على أنها للاستقبال، والأصل أن تكون للاستقبال. ويقول الزمخشري: (لا) و(لن) أُختان في نفي المستقبل إلا أنّ في (لن) تأكيداً.

السؤال الثاني:

ما الفرق بين الضُرّ ﴿وَإِن يَمْسَسْكَ ٱللَّهُ بِضُرٍّ﴾ [الأنعام:١٧] والضَرِّ ﴿قُل لَّآ أَمْلِكُ لِنَفْسِى ضَرًّا وَلَا نَفْعًا﴾ [يونس:٤٩] والضَّرَرِ ﴿لَّا يَسْتَوِى ٱلْقَٰعِدُونَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ غَيْرُ أُوْلِى ٱلضَّرَرِ﴾ [النساء:٩٥] والحديث الشريف «**لا ضرر ولا ضرار**»؟

الجواب:

١ـ الضُّر: بـ(الضم) يكون في البدن من مرض وغيره ﴿أَنِّى مَسَّنِىَ ٱلضُّرُّ﴾ [الأنبياء:٨٣].

٢ـ الضَّر: بـ(الفتح) مصدر لما يقابل النفع ﴿قُل لَّآ أَمْلِكُ لِنَفْسِى نَفْعًا وَلَا ضَرًّا﴾ [الأعراف:١٨٨].

٣ـ الضَّرَر: هو الاسم العامُّ، أي: النقصان يدخل في الشيء، يقال: دخل عليه ضرر ﴿لَّا يَسْتَوِى ٱلْقَٰعِدُونَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ غَيْرُ أُوْلِى ٱلضَّرَرِ﴾ [النساء:٩٥] أي الذين فيهم عِلّة.

٤ـ أحياناً يكون التغيير في المصدر بحركة أو بشيء آخر يسمى اسماً، مثلاً: (الوَضوء) هو الماء و(الوُضوء) هو عملية التوضؤ نفسها، وهذا تغيير بالحركة.(الضَّرُّ) هو المصدر، و(الضَّرَرُ) هو العلّة.

السؤال الثالث:

قوله تعالى في الآية ﴿وَكُلًّا وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلْحُسْنَىٰ﴾ ما الفرق بين (ما أسند الوعد فيه إلى الله) و(ما أسند الوعد فيه إلى الرحمن)؟

الجواب:

١ـ نلاحظ في القرآن الكريم أنّ كل سورة أُسند فيها الفعل الماضي (وَعَد) إلى (الله) لم يذكر في السورة اسم الرحمن وإن كانت طويلة، وذلك في عشر سور من القرآن كسورة النساء والمائدة والتوبة وغيرها.

٢ـ وكل سورة أسند الفعل (وَعَدَ) إلى (الرحمن) تكرر اسم الرحمن في السورة، وهذا في سورتي يس ومريم، وقد تكرر اسم (الرحمن) في يس (٤) مرات، وفي مريم (١١) مرة.

٣ ـ والفرق بين ما أسند الوعد فيه إلى الله، وما أسند إلى الرحمن، أنه فيما أسند الوعد فيه إلى الله فهو مخصص للمؤمنين أو بالكافرين، فيقول مثلاً: ﴿وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ [التوبة:٧٢] و ﴿وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلْمُنَٰفِقِينَ وَٱلْمُنَٰفِقَٰتِ﴾ [التوبة:٦٨] فهو وعد خاص .

وأما ما أسند الوعد فيه إلى الرحمن فهو وعد عام يشمل عموم العباد، وذلك تحقيقاً للرحمة التي يحققها اسم (الرحمن)، كما قال تعالى: ﴿ جَنَّٰتِ عَدْنٍ ٱلَّتِى وَعَدَ ٱلرَّحْمَٰنُ عِبَادَهُۥ بِٱلْغَيْبِ﴾ [مريم:٦١]، فقد ذكر أنه وعد عباده على الإطلاق مع أن المقصود بعباده هؤلاء: من تاب وآمن وعمل صالحاً. والله أعلم.

﴿ دَرَجَٰتٖ مِّنۡهُ وَمَغۡفِرَةٗ وَرَحۡمَةٗۚ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورٗا رَّحِيمًا ﴿٩٦﴾ ﴾

السؤال الأول:

قوله تعالى في آية النساء ٩٥ ﴿فَضَّلَ ٱللَّهُ ٱلۡمُجَٰهِدِينَ بِأَمۡوَٰلِهِمۡ وَأَنفُسِهِمۡ عَلَى ٱلۡقَٰعِدِينَ دَرَجَةٗۚ﴾ ثم قال في الآية ٩٦ ﴿دَرَجَٰتٖ مِّنۡهُ وَمَغۡفِرَةٗ وَرَحۡمَةٗۚ﴾ لِمَ ذكر ربنا سبحانه وتعالى منزلة المجاهدين جمعاً بقوله ﴿دَرَجَٰتٖ﴾ بعد أن ذكره مفرداً ﴿دَرَجَةٗۚ﴾؟

الجواب:

جمع ربنا سبحانه وتعالى منزلة المجاهدين وفضّلهم على القاعدين عقب قوله ﴿وَفَضَّلَ ٱللَّهُ ٱلۡمُجَٰهِدِينَ عَلَى ٱلۡقَٰعِدِينَ أَجۡرًا عَظِيمٗا ﴿٩٥﴾﴾ ليبيّن عظمة منزلتهم ودرجتهم ولئلا يظن المرء عندما يسمع تفضيلهم بدرجة أنهم علوا عليهم درجة واحدة وحسب، بل هي درجات ومنازل وأجر عظيم.

السؤال الثاني:

قوله تعالى في الآية ﴿وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورٗا رَّحِيمٗا ﴿٩٦﴾﴾ ما دلالة الفعل الناقص (كان)؟

الجواب:

انظر الجواب في آية آل عمران ٧٩ .

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ تَوَفَّىٰهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ ظَالِمِىٓ أَنفُسِهِمْ قَالُوا۟ فِيمَ كُنتُمْ ۖ قَالُوا۟ كُنَّا مُسْتَضْعَفِينَ فِى ٱلْأَرْضِ ۚ قَالُوٓا۟ أَلَمْ تَكُنْ أَرْضُ ٱللَّهِ وَٰسِعَةً فَتُهَاجِرُوا۟ فِيهَا ۚ فَأُو۟لَٰٓئِكَ مَأْوَىٰهُمْ جَهَنَّمُ ۖ وَسَآءَتْ مَصِيرًا ﴿٩٧﴾﴾

السؤال الأول:

ما الفرق بين ﴿تَوَفَّىٰهُمُ﴾ [النساء:٩٧] في آية النساء ٩٧و ﴿تَتَوَفَّىٰهُمُ﴾ [النحل:٢٨] في آية النحل ٢٨؟

الجواب:

١ـ قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ تَوَفَّىٰهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ ظَالِمِىٓ أَنفُسِهِمْ قَالُوا۟ فِيمَ كُنتُمْ ۖ قَالُوا۟ كُنَّا مُسْتَضْعَفِينَ فِى ٱلْأَرْضِ ۚ﴾ [النساء:٩٧] وقال: ﴿ٱلَّذِينَ تَتَوَفَّىٰهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ ظَالِمِىٓ أَنفُسِهِمْ ۖ فَأَلْقَوُا۟ ٱلسَّلَمَ مَا كُنَّا نَعْمَلُ مِن سُوٓءٍۭ ۚ بَلَىٰٓ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌۢ بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٢٨﴾﴾ [النحل:٢٨] .

٢ـ قال في آية النساء: ﴿تَوَفَّىٰهُمُ﴾ [النساء:٩٧] بحذف إحدى التاءين، وقال في سورة النحل: ﴿تَتَوَفَّىٰهُمُ﴾ [النحل:٢٨] من دون حذف، وذلك أنّ المتوفين في سورة النساء، وهم المستضعفون من الذين ظلموا أنفسهم من الكافرين، هم جزءٌ من الذين في سورة النحل، وهم الذين ظلموا أنفسهم من الكافرين على وجه العموم .

فقال في القسم الأكبر: ﴿تَتَوَفَّىٰهُمُ﴾، وفي القسم القليل ﴿تَوَفَّىٰهُمُ﴾ بحذف إحدى التاءين فناسب بين الفعل وكثرة الحدث .

السؤال الثاني:

قوله تعالى في الآية ﴿تَوَفَّىٰهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ﴾ أي: تقبض أرواحهم، فلِمَ عدل ربنا سبحانه وتعالى عن التعبير بـ (يموتون) إلى ﴿تَوَفَّىٰهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ﴾؟

الجواب:

عبّر الله تعالى عن وفاة الظالمين بقوله ﴿تَوَفَّىٰهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ﴾ لما في هذه الصورة من مهابة الموقف والرهبة منه، فقبض الملائكة وسيلة تبين شناعة فتنتهم عند الموت.

السؤال الثالث:

ما دلالة قوله تعالى في الآية ﴿قَالُواْ فِيمَ كُنتُمْۖ قَالُواْ كُنَّا مُسْتَضْعَفِينَ فِي ٱلْأَرْضِۚ﴾؟

الجواب:

سؤال الملائكة لمن لم يهاجر فيه توبيخ، ومعنى سؤالهم ﴿فِيمَ كُنتُمْۖ﴾ أي: لماذا لم تهاجروا؟

فجاء الجواب: ﴿قَالُواْ كُنَّا مُسْتَضْعَفِينَ فِي ٱلْأَرْضِۚ﴾ اعتذاراً وتعليلاً، فردّت عليهم الملائكة ﴿قَالُوٓاْ أَلَمْ تَكُنْ أَرْضُ ٱللَّهِ وَٰسِعَةً فَتُهَاجِرُواْ فِيهَاۚ﴾ أي: إن كنتم عاجزين عن الهجرة إلى المدينة لبعدها عليكم فعلى الأقل على الخروج من مكة إلى بعض البلاد القريبة منكم التي تقدرون فيها على إظهار دين الإسلام.

﴿۞ وَمَن يُهَاجِرۡ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ يَجِدۡ فِي ٱلۡأَرۡضِ مُرَٰغَمٗا كَثِيرٗا وَسَعَةٗۚ وَمَن يَخۡرُجۡ مِنۢ بَيۡتِهِۦ مُهَاجِرًا إِلَى ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ثُمَّ يُدۡرِكۡهُ ٱلۡمَوۡتُ فَقَدۡ وَقَعَ أَجۡرُهُۥ عَلَى ٱللَّهِۗ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورٗا رَّحِيمٗا ﴿١٠٠﴾﴾

السؤال الأول:

ما معنى (المراغم) في الآية؟

الجواب:

المراغَم: هي المشقات، وهو من الرغام وهو التراب، ويقولون: رغم أنفه؛ لأنّ الأنف في غاية العزة والتراب في غاية الذلة .

السؤال الثاني:

ما معنى الآية بشكل عام؟

الجواب:

١ـ المعنى من الآية: يا أيها الإنسان إنك إنْ كنت تكره الهجرة عن وطنك في سبيل الله خوفاً من أنْ تقع في المشقة، فلا تخف فإن الله يعطيك من النعم ورغد العيش في هجرتك ما يغيظ أعداءك، فترغم أنوفهم ويخجلوا من سوء معاملتهم معك. وقدّم المراغم على السعة؛ لأنه في الأغلب لا تأتي السعة إلا بعد المشقة.

٢ـ وقد لا تصل إلى المراغم بسبب إدراك الموت لك قبل بلوغك الهدف من الهجرة في سبيل الله، فاعلم أنه في هذه الحالة قد وقع أجرك على الله.

السؤال الثالث:

قوله تعالى في الآية ﴿فَقَدْ وَقَعَ أَجْرُهُۥ عَلَى ٱللَّهِ﴾ والوقوع معناه السقوط، فلماذا استخدم الحق هنا ﴿وَقَعَ﴾ بمعنى: سقط؟

الجواب:

آ ـ ذكر لفظ (الأجر) والأجر عبارة عن المنفعة المستحقة، فإن لم يكن مستحقاً، فذاك يسمى هبة .

ب ـ قوله: ﴿عَلَى ٱللَّهِ﴾ تفيد الوجوب بحكم الوعد والتفضل والكرم من الله تعالى .

ولذلك إذا ما أدرك العبدَ الموتُ فالجزاء يسعى إليه وهو عند الله، والجزاء يعرف من يذهب إليه معرفة كاملة .

السؤال الرابع:

ما دلالة (كان) في قوله تعالى في الآية ﴿وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿١٠٠﴾﴾؟

الجواب:

قوله تعالى: ﴿وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿١٠٠﴾﴾ تعني أنه غفور رحيم، حتى لمن توانى قليلاً، و(كان) هنا تفيد الزمن الماضي المستمر .

﴿ وَإِذَا ضَرَبْتُمْ فِي ٱلْأَرْضِ فَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَن تَقْصُرُوا۟ مِنَ ٱلصَّلَوٰةِ إِنْ خِفْتُمْ أَن يَفْتِنَكُمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ ۚ إِنَّ ٱلْكَٰفِرِينَ كَانُوا۟ لَكُمْ عَدُوًّا مُّبِينًا ﴿١٠١﴾ ﴾

السؤال الأول:

جاء في نفس الآية أداة الشرط ﴿وَإِذَا﴾ في قوله تعالى: ﴿وَإِذَا ضَرَبْتُمْ﴾ وأداة الشرط - ﴿إِنْ خِفْتُمْ﴾، فما دلالة اجتماعهما معاً؟

الجواب:

(إذا): تستعمل للمقطوع بحدوثه والكثير الوقوع، مثل آيات:[البقرة ١٨٠- النساء ٦ - الجمعة ١٠ - النساء ٨٦ - الأعراف ٢٠٤].

(إنْ): تستعمل في القرآن الكريم في المعاني المحتملة الوقوع أو المشكوك في حصولها أو المستحيلة أو المفترضة:

أمثلة للمعاني المشكوك في حصولها: [الأعراف ١٤٣].

أمثلة للمعاني المحتملة: [البقرة ١٩١- المائدة ٦].

أمثلة للمعاني المستحيلة: [الزخرف ٨١ - الرحمن ٣٣].

أمثلة للمعاني المفترضة:[القصص ٧١].

أمثلة مشتركة تتضمن (إذا) و(إنْ) معا:

[التوبة ٥- البقرة ١٩٦- البقرة ٢٣٩- البقرة ٢٨٢- النساء ٢٥ - النساء ١٠١- البقرة ١٨٠].

السؤال الثاني:

ما الفرق بين قوله تعالى في آية النساء ١٠٢ ﴿وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ﴾ و ﴿فَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ﴾ في آية النساء ١٠١؟

الجواب:

١ـ ﴿وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ﴾ جملة اسمية، بينما ﴿فَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ﴾ جملة فعلية، والجملة الاسمية آكد وأقوى وأثبت من الجملة الفعلية .

٢ ـ النحاة يقولون إن (لا) في النفي هي بمثابة (إنّ) في الإثبات.

٣ـ في الاستعمال القرآني نجد ما يلي:

لا جناح عليكم:

تستعمل فيما يتعلق بالعبادات بما فيها الصلاة والعمرة والحج والجهاد، وكذلك تستعمل في تنظيم شؤون الأسرة والحقوق والواجبات الزوجية والأمور المهمة .

* شواهد قرآنية:

سورة البقرة [١٥٨ ـ ٢٢٩ـ ٢٣٠ـ ٢٣٣ ـ ٢٣٤ـ ٢٣٥ ـ ٢٣٦ ـ ٢٤٠] الآية الأولى ١٥٨ في العبادة، أمّا باقي الآيات فهي في حقوق وشؤون الأسرة.

﴿ وَإِذَا كُنتَ فِيهِمْ فَأَقَمْتَ لَهُمُ ٱلصَّلَوٰةَ فَلْتَقُمْ طَآئِفَةٌ مِّنْهُم مَّعَكَ وَلْيَأْخُذُوٓا۟ أَسْلِحَتَهُمْ فَإِذَا سَجَدُوا۟ فَلْيَكُونُوا۟ مِن وَرَآئِكُمْ وَلْتَأْتِ طَآئِفَةٌ أُخْرَىٰ لَمْ يُصَلُّوا۟ فَلْيُصَلُّوا۟ مَعَكَ وَلْيَأْخُذُوا۟ حِذْرَهُمْ وَأَسْلِحَتَهُمْ ۗ وَدَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَوْ تَغْفُلُونَ عَنْ أَسْلِحَتِكُمْ وَأَمْتِعَتِكُمْ فَيَمِيلُونَ عَلَيْكُم مَّيْلَةً وَٰحِدَةً ۚ وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ إِن كَانَ بِكُمْ أَذًى مِّن مَّطَرٍ أَوْ كُنتُم مَّرْضَىٰٓ أَن تَضَعُوٓا۟ أَسْلِحَتَكُمْ ۖ وَخُذُوا۟ حِذْرَكُمْ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ أَعَدَّ لِلْكَٰفِرِينَ عَذَابًا مُّهِينًا ﴿١٠٢﴾ ﴾

السؤال الأول:

قوله تعالى في الآية ﴿وَلْيَأْخُذُوٓا۟ أَسْلِحَتَهُمْ﴾ والأمر الطبيعي للمجاهد أنْ يكون مستلاً سلاحه حاملاً له، فكيف جاء الأمر للمجاهدين بأخذ السلاح حين شروعهم بالصلاة، مع أنّ الأمر أُريد به النهي عن طرح الأسلحة؟

الجواب:

عبّر الله تعالى عن عدم طرح الأسلحة للمجاهدين حين يشرعون بالصلاة بقوله ﴿وَلْيَأْخُذُوٓا۟ أَسْلِحَتَهُمْ﴾ للإيذان بضرورة الحذر من الكافرين، وللتنبيه على ضرورة اليقظة وعدم التساهل في الأخذ بالأسباب.

السؤال الثاني:

قوله تعالى في الآية ﴿وَدَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَوْ تَغْفُلُونَ عَنْ أَسْلِحَتِكُمْ وَأَمْتِعَتِكُمْ فَيَمِيلُونَ عَلَيْكُم مَّيْلَةً وَاحِدَةً﴾ شأن كل محارب أنْ يتمنى الغفلة من عدوّه، فلِمَ خصّ الله تعالى (ودّهم) في هذا الموقع؟

الجواب:

أراد الله تعالى أن ينبّه المؤمنين على أنّ أعداءهم لديهم ودٌّ وأمل قريب في وقوع الغفلة منهم، ظانّين أنّ اشتغال المسلمين بأمور دينهم يباعد بينهم وبين صالح دنياهم، فطمعوا أنْ تلهيهم الصلاة عن الاستعداد لأعدائهم، فنبّه الله تعالى المؤمنين إلى ذلك كي لا يكونوا عند ظنّ المشركين.

❁❁❁❁

﴿فَإِذَا قَضَيْتُمُ ٱلصَّلَوٰةَ فَٱذْكُرُواْ ٱللَّهَ قِيَٰمًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِكُمْۚ فَإِذَا ٱطْمَأْنَنتُمْ فَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَۚ إِنَّ ٱلصَّلَوٰةَ كَانَتْ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ كِتَٰبًا مَّوْقُوتًا (١٠٣)﴾

السؤال الأول:

قوله تعالى في الآية ﴿وَقُعُودًا﴾ ما دلالتها في القرآن؟ وما دلالة كلمة ﴿ٱلْقَٰعِدِينَ﴾ كذلك؟ وكم مرة ورد كل من اللفظتين؟

الجواب:

١ـ وردت كلمة ﴿قُعُودٗا﴾ ثلاث مرات في القرآن الكريم، كلها بمعنى (القعود الحقيقي)، كما في الآيات: [البروج ٦ـ آل عمران ١٩١ـ النساء ١٠٣].

٢ـ ووردت كلمة ﴿قَٰعِدُونَ﴾ في ستة مواضع، كلها بمعنى (القعود عن الجهاد)، كما في: [المائدة ٢٤ـ التوبة ٤٦ـ ٨٦ـ النساء ٩٥].

السؤال الثاني:

قوله تعالى في الآية ﴿قِيَٰمٗا﴾ ما دلالتها في القرآن؟ وما دلالة كلمة ﴿قَآئِمُونَ﴾ كذلك؟ وكم مرة ورد كل من اللفظتين؟

الجواب:

١ـ وردت كلمة ﴿قِيَامٌ﴾ في القرآن الكريم في أربعة مواطن كلها بمعنى (القيام الحقيقي)، كما في:[آل عمران ١٩١ـ النساء ١٠٣ـ الفرقان ٦٤ـ الزمر ٦٨].

٢ـ ووردت كلمة ﴿قَآئِمُونَ﴾ في موطنين فقط بمعنى (القيام بالأمر والعكوف)، كما في الآيات: [المعارج ٣٣ـ الحج ٢٦]، حيث القائمون فيها بمعنى (العاكفين)، بدلالة قوله تعالى: ﴿أَن طَهِّرَا بَيۡتِيَ لِلطَّآئِفِينَ وَٱلۡعَٰكِفِينَ وَٱلرُّكَّعِ ٱلسُّجُودِ ١٢٥﴾ [البقرة:١٢٥].

السؤال الثالث:

ما دلالة استخدام صيغة الماضي(كانت) في آية النساء ١٠٣؟

الجواب:

(كان) في اللغة قد تكون للماضي أو الماضي المستمر، وقد تأتي للاستقبال، وفي كل صيغة تفيد معنى خاصا:

١ـ بمعنى (مازال) بأزمنة مؤكدة، وهذه في صفات الله تعالى: ﴿وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿١٠٠﴾﴾ [النساء:١٠٠] .

٢ـ تأتي (للحال)، كقوله تعالى: ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ﴾ [آل عمران:١١٠] وقوله: ﴿إِنَّ ٱلصَّلَوٰةَ كَانَتْ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ كِتَـٰبًا مَّوْقُوتًا ﴿١٠٣﴾﴾ [النساء:١٠٣].

٣ـ قد تكون (للمستقبل) كقوله تعالى: ﴿فَكَانَتْ هَبَآءً مُّنۢبَثًّا ﴿٦﴾ وَكُنتُمْ أَزْوَٰجًا ثَلَـٰثَةً ﴿٧﴾﴾ [الواقعة:٦-٧] .

٤ـ قد تكون بمعنى صار للمستقبل، كقوله تعالى: ﴿وَسُيِّرَتِ ٱلْجِبَالُ فَكَانَتْ سَرَابًا ﴿٢٠﴾﴾ [النبأ:٢٠].

٥ـ وقد تكون بمعنى (ينبغي) .

السؤال الرابع:

قوله تعالى في الآية: ﴿مَّوْقُوتًا ﴿١٠٣﴾﴾ أي: الزمن المخصص، فما كلمات منظومة الزمن الواردة في القرآن؟

الجواب:

انظر الجواب في آية آل عمران ٣٠.

﴿وَلَا تَهِنُوا۟ فِى ٱبْتِغَآءِ ٱلْقَوْمِ ۖ إِن تَكُونُوا۟ تَأْلَمُونَ فَإِنَّهُمْ يَأْلَمُونَ كَمَا تَأْلَمُونَ ۖ وَتَرْجُونَ مِنَ ٱللَّهِ مَا لَا يَرْجُونَ ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴿١٠٤﴾﴾

السؤال الأول:

ما دلالة قوله تعالى في الآية ﴿وَلَا تَهِنُوا۟ فِى ٱبْتِغَآءِ ٱلْقَوْمِ ۖ﴾؟

الجواب:

ينخدع بعض المسلمين بدعاوى أعداء الإسلام الذين يقولون: إنّ الإسلام لم يشرّع الحرب إلا لرد العدوان.

وليس هذا صحيحاً، فإنّ الإسلام جاء بالقتال ليحرر حق الإنسان في الاعتقاد، ومطلوبٌ من المسلم أنْ يعلن كلمة الله وأنْ يقف في وجه من يقاوم إعلانها، فطلب منا أنْ لا نضعف في طلب القوم الذين يحاربون الإسلام.

وعلى المسلمين أنْ يُعلوا كلمة الله ويدعوا الناس كافة إلى الإيمان بالله، وهم في هذه الدعوة لا يفرضون كلمة الله، ولكنهم يرفعون السيف في وجه الجبروت الذي يمنع الإنسان من حرية الاعتقاد، حتى لو كان في ذلك مشقة عليهم؛ لأنّ الحق يقول: ﴿كُتِبَ عَلَيْكُمُ ٱلْقِتَالُ وَهُوَ كُرْهٌ لَّكُمْ ۖ﴾ [البقرة:٢١٦].

﴿إِنَّآ أَنزَلۡنَآ إِلَيۡكَ ٱلۡكِتَٰبَ بِٱلۡحَقِّ لِتَحۡكُمَ بَيۡنَ ٱلنَّاسِ بِمَآ أَرَىٰكَ ٱللَّهُۚ وَلَا تَكُن لِّلۡخَآئِنِينَ خَصِيمٗا ﴿١٠٥﴾﴾

السؤال الأول:

قوله تعالى في الآية: ﴿بِمَآ أَرَىٰكَ ٱللَّهُۚ﴾ أي: بما عرّفك وأوحى إليك، فلِمَ عدل عن اللفظ الحقيقي؟

الجواب:

لقد سمّى الله تعالى معرفة النبي ﷺ للمسألة رؤية؛ لأنه علمٌ يقيني لا ريب فيه ولا شك، وكأنّ هذا العلم مُشاهَد له، ولذلك أجراه مجرى الرؤية في القوة والظهور.

* لطيفة:

كان عمر رضي الله عنه يقول: لا يقولنّ أحدٌ قضيت بما أراني الله تعالى، فإن الله تعالى لم يجعل ذلك إلا لنبيّه ﷺ وأما الواحد فينا فرأيه يكون ظنّاً ولا يكون علماً.

السؤال الثاني:

ما دلالة قوله تعالى في الآية ﴿وَلَا تَكُن لِّلۡخَآئِنِينَ خَصِيمٗا ﴿١٠٥﴾﴾؟

الجواب:

لمّا أمر الله مجاهدة الكفار بيّن أنه بالرغم من مجاهدتهم، لا تجوز الخيانة معهم ولا يجوز تحميلهم ما لم يفعلوه.

لذلك لا يجوز أنْ نلصق جريمة بكافر ارتكبها مسلم، ومن الشرف للإسلام أنْ يعاقب أي إنسان مسلم ارتكب خطأً؛ لأنه ما دام قد انتسب للإسلام فعليه أنْ يصون هذا الانتساب.

واللام في ﴿لِّلْخَآئِنِينَ﴾ هي للملكية، أي: أنّ الحق يأمر رسوله ﷺ ألا يقف موقفاً لصالح الخائن، بل عليه أن يُخاصم لمصلحة الحق، واللام هنا بمعنى (عن) كأنّ الحق يقول: ولا تكن عن الخائنين خصيماً .

ولم يقل الحق (عن) بدل (اللام)؛ لأنّ الغاية من الدفاع عن الخصم أنْ تكون له لا عليه، لذلك (اللام) هنا تفيد بأنْ لا ينفع المسلم خائناً فلا تكون المسألة له. والله أعلم

❊❊❊❊

﴿ وَلَا تُجَادِلْ عَنِ ٱلَّذِينَ يَخْتَانُونَ أَنفُسَهُمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ مَن كَانَ خَوَّانًا أَثِيمًا ﴿١٠٧﴾ ﴾

السؤال الأول:

قوله تعالى في الآية ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ﴾، فلماذا لم يقل: (يبغض) مثلاً؟

الجواب:

انظر الجواب في آية النساء رقم ٣٦.

﴿ هَٰٓأَنتُمۡ هَٰٓؤُلَآءِ جَٰدَلۡتُمۡ عَنۡهُمۡ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا فَمَن يُجَٰدِلُ ٱللَّهَ عَنۡهُمۡ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ أَم مَّن يَكُونُ عَلَيۡهِمۡ وَكِيلٗا ١٠٩ ﴾

السؤال الأول:

قوله تعالى في الآية ﴿أَم مَّن﴾ هل تكتب موصولة أم منفصلة؟

الجواب:

جاءت ﴿أَمَّن﴾ موصولة في القرآن في (١١) موطناً، وهي: [يونس ٣١ـ٣٥، النمل ٦٠ـ ٦١ـ ٦٢ـ ٦٣ـ ٦٤، الزمر ٩، الملك ٢٠ـ٢١ـ٢٢].

وفي أربعة مواضع أخرى جاءت مفصولة اتفاقاً، وهي:[النساء ١٠٩ـ التوبة ١٠٩ـ الصافات ١١ـ فصلت ٤٠].

السؤال الثاني:

قال في آية آل عمرن ٦٦: ﴿ هَٰٓأَنتُمۡ هَٰٓؤُلَآءِ ﴾، وكذلك في آية النساء ١٠٩، بينما قال: ﴿هَٰٓأَنتُمۡ أُوْلَآءِ ﴾ في آية آل عمران ١١٩، وآية طه ٨٤، فما الهدف من تكرير هاء التنبيه أو حذفها؟

الجواب:

١ـ الخطاب في آل عمران ٦٦ في أهل الكتاب، وفي النساء ١٠٩ في الذين يختانون أنفسهم، فأراد الله أنْ يقرّعهم ويزيد في تنبيههم ولومهم؛ لأنهم جادلوا بالباطل وهم يعلمون، فكرّر التنبيه مرة قبل الضمير، ومرة قبل اسم الإشارة فقال: ﴿ هَٰٓأَنتُمۡ هَٰٓؤُلَآءِ ﴾ [آل عمران:٦٦] زيادة في التنبيه والوعظ .

بخلاف آية آل عمران(١١٩)، فإنه خطاب للمؤمنين لا يحتاج إلى زيادة في التنبيه واللوم، فالموقف هنا مختلف، وليس فيه تقريع ولا لوم.

٢ـ وقد لا يحتاج الموقف إلى التنبيه فلا يذكره، نحو قوله تعالى على لسان موسى عليه السلام مخاطبا ربه في آيات طه ٨٣ـ٨٤ ﴿ وَمَآ أَعۡجَلَكَ عَن قَوۡمِكَ يَٰمُوسَىٰ (٨٣) قَالَ هُمۡ أُوْلَآءِ عَلَىٰٓ أَثَرِي وَعَجِلۡتُ إِلَيۡكَ رَبِّ لِتَرۡضَىٰ (٨٤)﴾ فلم يأت بالتنبيه لأنهم غير حاضرين.

فالتنبيه هو بالقدر المناسب، فقد يكرر أو لا يكرر، أو لا يذكر التنبيه بحسب الحاجة إليه.

السؤال الثالث:

ما دلالة زيادة التوكيد في الآية في قوله تعالى: ﴿ هَٰٓأَنتُمۡ هَٰٓؤُلَآءِ جَٰدَلۡتُمۡ ﴾؟

الجواب:

قد يتكرر التنبيه إذا استدعى الأمر، ويكون ذلك زيادة في توكيد التنبيه، وفي آيات سورة النساء[١٠٧ـ ١٠٩] كرر تنبيههم ولومهم ليتعظوا فلا يقفوا مثل هذا الموقف، لذا ترى أنّ هذا الموقف يتطلب الزيادة في تنبيههم، فقال: ﴿ هَٰٓأَنتُمۡ هَٰٓؤُلَآءِ جَٰدَلۡتُمۡ ﴾

❁❁❁❁

﴿ وَمَن يَعۡمَلۡ سُوٓءًا أَوۡ يَظۡلِمۡ نَفۡسَهُۥ ثُمَّ يَسۡتَغۡفِرِ ٱللَّهَ يَجِدِ ٱللَّهَ غَفُورٗا رَّحِيمٗا (١١٠) ﴾

السؤال الأول:

في هذه الآية الكريمة كيف يجد المستغفر الرحمة والمغفرة، حتى قال الله تعالى عنها: ﴿يَجِدِ ٱللَّهَ غَفُورٗا رَّحِيمٗا (١١٠)﴾؟

الجواب:

هذا من باب التوكيد، فأنت تقول عن شيء: وجدته، إذا ظفرت به وشاهدته. ولذلك عبّر الله تعالى عن تيقّن مغفرته للمستغفر بقوله ﴿يَجِدِ﴾ ليكون المؤمن واثقاً من رحمة الله تعالى ومغفرته لطالبِها بحقّ.

❊❊❊❊

﴿ وَمَن يَكْسِبْ خَطِيٓـَٔةً أَوْ إِثْمًا ثُمَّ يَرْمِ بِهِۦ بَرِيٓـًٔا فَقَدِ ٱحْتَمَلَ بُهْتَٰنًا وَإِثْمًا مُّبِينًا ﴿١١٢﴾ ﴾

السؤال الأول:

ما دلالة هذه الصورة في الآية من حمل العصيان ثم رميه على الآخرين؟

الجواب:

تأمل كيف صوّر ربنا تعالى في الآية ذاك المرء الذي يلقي مخالفاته وعصيانه على الآخر، صورة شخص يحمل الإثم والبهتان، وهذا تمثيل لهيئة مرتكب الإثم، وكأنه مثقلٌ مُنهك من عناء الحِمل والثقل الذي يحمله، وهذا يوضح لك عظمة هذا الوزر والبهتان الذي حاق به.

السؤال الثاني:

ما الفرق بين (الخطيئة) و(الإثم) و(البهتان) في قوله تعالى: ﴿وَمَن يَكْسِبْ خَطِيٓـَٔةً أَوْ إِثْمًا﴾؟

الجواب:

١ـ الخطيئة: هي الخطأ غير المتعمد.

٢ـ الإثم: فهو الأمر المتعمد.

٣ـ البهتان: هو الأمر الذي يُتعجب صدوره من فاعله، وهو مذموم في الدنيا، ومعاقب عليه في الآخرة.

السؤال الثالث:

ما دلالة قوله تعالى: ﴿فَقَدِ ٱحْتَمَلَ بُهْتَٰنًا وَإِثْمًا مُّبِينًا ﴿١١٢﴾﴾ ؟

الجواب:

١ـ من يرتكب خطيئة أو إثماً ثم يرمي بها بريئاً فإنّ إثمه مركّب، ولذلك يقول الحق: ﴿فَقَدِ ٱحْتَمَلَ بُهْتَٰنًا وَإِثْمًا مُّبِينًا ﴿١١٢﴾﴾

٢ـ قال الحق: ﴿ٱحْتَمَلَ﴾ وليس (حَمَلَ)؛ لأن التاء تفيد الشعور بالمكابدة والمشقة، فهي تؤكد أنّ هذا الإنسان قد حمل بصعوبة ومكابدة نتائج عمله برمي البريء، فهو يتحمل مشقة شعور نفسه بالندم ومشقة شعور نفسه بالتأنيب؛ لأنه رمى بريئاً بالجريمة.

﴿ وَلَوْلَا فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكَ وَرَحْمَتُهُۥ لَهَمَّت طَّآئِفَةٌ مِّنْهُمْ أَن يُضِلُّوكَ وَمَا يُضِلُّونَ إِلَّآ أَنفُسَهُمْ ۖ وَمَا يَضُرُّونَكَ مِن شَيْءٍ ۚ وَأَنزَلَ ٱللَّهُ عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَعَلَّمَكَ مَا لَمْ تَكُن تَعْلَمُ ۚ وَكَانَ فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكَ عَظِيمًا ﴿١١٣﴾ ﴾

السؤال الأول:

قوله تعالى في الآية ﴿لَهَمَّت طَّآئِفَةٌ﴾ هل هو جواب (لولا) في الآية؟

الجواب:

قوله: ﴿لَهَمَّت﴾ ليس جواب (لولا)، بل هو كلام مقدم على لولا، وجواب لولا محذوف وتقديره: لقد همت طائفة منهم أنْ يضلوك ولولا فضل الله عليك ورحمته لأضلوك. والله أعلم .

السؤال الثاني:

ما معنى (الحكمة)؟

الجواب:

١ـ الحكمة هي وضع الشيء في محله قولاً وعملاً، أو هي توثيق العلم بالعمل، فلا بدّ من الأمرين معاً: القول والعمل، فمن أحسن القول ولم يحسن العمل فليس بحكيم، ومن أحسن العمل ولم يحسن القول فليس بحكيم.

فالحكمة لها جانبان: جانب يتعلق بالقول، وجانب يتعلق بالعمل. والحكمة خير كثير، كما قال الله تعالى: ﴿وَمَن يُؤْتَ ٱلْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا﴾ [البقرة:٢٦٩].

٢ـ الله تعالى هو مؤتي الحكمة، كما قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا لُقْمَٰنَ ٱلْحِكْمَةَ﴾ [لقمان:١٢].

❀❀❀❀

﴿ وَمَن يُشَاقِقِ ٱلرَّسُولَ مِنۢ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ ٱلْهُدَىٰ وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ ٱلْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِۦ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصْلِهِۦ جَهَنَّمَ وَسَآءَتْ مَصِيرًا (١١٥) ﴾

السؤال الأول:

ورد في آية النساء ١١٥، وفي آية الأنفال ١٣ قوله تعالى: ﴿يُشَاقِقِ﴾ وورد في آية الحشر ٤ الفعل ﴿يُشَآقِّ﴾ ما الفرق بين (يشاقق) و(يشاق)؟

الجواب:

١ـ الإدغام وفك الإدغام، منه ما هو جائز نحوياً، ومنه ما هو واجب الإدغام ولا يصح فكه، والكلام هنا عن الجزء الأول أي (جائز لغوياً)، نحو: (يرتد ويرتدد).

٢ـ الفعل ﴿يُشَاقِقِ﴾ وحيث ورد معه ذكر الرسول الكريم محمد ﷺ في القرآن يُفك الإدغام.

٣ـ وحيث أُفرد الله تعالى في الآية يستخدم القرآن ﴿يُشَآقِّ﴾، كما في آية الحشر رقم ٤.

٤ـ في قوله تعالى في آيتي الأنفال والحشر:

ـ ﴿ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ شَآقُّوا۟ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ ﴾ [الأنفال:١٣].

ـ ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ شَآقُّوا۟ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَمَن يُشَآقِّ ٱللَّهَ﴾ [الحشر:٤].

آ ـ أنّ لفظة ﴿شَآقُّواْ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ﴾ [الحشر:٤] هنا واجب الإدغام وليس فيها جزم، ولا يمكن فك الإدغام.

ب ـ وأنه في آية الأنفال ذُكر الله ورسوله، فاستعمل ﴿يُشَاقِقِ﴾، بينما في آية الحشر أُفرد الله وحده، فاستخدم ﴿يُشَآقِّ﴾. والله أعلم.

السؤال الثاني:

ما دلالة قوله تعالى في الآية: ﴿وَيَتَّبِعۡ غَيۡرَ سَبِيلِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ﴾؟

الجواب:

روي أنّ الشافعي رضي الله عنه سئل عن آية في كتاب الله تدل على أنّ الإجماع حجة فقرأ القرآن ثلاث مئة مرة حتى وجد هذه الآية، وفيها أنّ اتباع غير سبيل المؤمنين حرامٌ، فوجب أنْ يكون اتباع سبيل المؤمنين واجباً.

كما دلت هذه الآية على عصمة النبي ﷺ؛ لأنه لو صدر الذنب عن الرسول لوجبت مشاقته، لكن مشاقته محرمة بهذه الآية، فوجب ألا يصدر الذنب عنه.

ولذلك يجب الاقتداء بالرسول ﷺ في أفعاله وأقواله كلها.

وقوله تعالى: ﴿مِنۢ بَعۡدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ ٱلۡهُدَىٰ﴾ دال على أنّ النظر والاستدلال هام لمعرفة الدين الصحيح وتبين أحكامه، وإلا لم يكن لهذا الشرط معنى.

السؤال الثالث:

انظر إلى قوله تعالى في الآية ﴿وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ حيث عطف هذا الاتباع على مشاقة الرسول؟ مع أنه من شاقّ الرسول فقد اتبع غير سبيل المؤمنين، فما فائدة هذا العطف؟

الجواب:

في هذا العطف تأكيد على روابط الآصرة الإسلامية، وفي عطف اتباع غير سبيل المؤمنين على مشاقة الرسول ﷺ الحيطة لحفظ الجامعة الإسلامية بعد الرسول ﷺ. فقد ارتدّ بعض العرب بعد الرسول ﷺ فكانوا ممن اتبع غير سبيل المؤمنين ولم يشاقوا الرسول ﷺ .

****

﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ ۚ وَمَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَٰلًۢا بَعِيدًا ﴿١١٦﴾﴾

السؤال الأول:

لو وقفنا في الآية عند قوله تعالى ﴿فَقَدْ ضَلَّ﴾ لعلمنا جزاء المشرك، وهو الضلال المستحق للعذاب، فلِمَ أكّده بقوله تعالى ﴿ضَلَٰلًۢا بَعِيدًا ﴿١١٦﴾﴾؟

الجواب:

إنّ غاية هذا التأكيد هي تحذير المؤمنين من مغبة الضلال، ولذلك عبّر عن الضلال بالبعيد دون الكبير أو العظيم؛ للدلالة على قوة هذا الضلال حتى لا يُرجى لصاحبه

الاهتداء، فكلمة (بعيد) توحي بإبعاد المرء عن غايته وتقصيه عن الرجوع إلى حيث صدر.

السؤال الثاني:

ما دلالة الاختلاف بين فاصلتي آية النساء ٤٨ ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ ۚ وَمَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَقَدِ ٱفْتَرَىٰٓ إِثْمًا عَظِيمًا ﴿٤٨﴾﴾ وآية النساء ١١٦ ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ ۚ وَمَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَٰلًۢا بَعِيدًا ﴿١١٦﴾﴾؟

الجواب:

انظر الجواب في آية النساء ٤٨.

السؤال الثالث:

قوله تعالى في الآية ﴿فَقَدْ ضَلَّ ضَلَٰلًۢا بَعِيدًا ﴿١١٦﴾﴾ لِمَ لم يقل: (إضلالاً) حسب القياس؟

الجواب:

انظر الجواب في آية النساء ٦٠.

❀❀❀❀

﴿إِن يَدْعُونَ مِن دُونِهِۦٓ إِلَّآ إِنَٰثًا وَإِن يَدْعُونَ إِلَّا شَيْطَٰنًا مَّرِيدًا ﴿١١٧﴾﴾

السؤال الأول:

ما معنى (إناثاً) في قوله تعالى في الآية ﴿إِن يَدْعُونَ مِن دُونِهِۦٓ إِلَّآ إِنَٰثًا﴾؟

الجواب:

١ ـ العلماء يقولون: بأنّ الموجودات إمّا:

آ ـ فاعلة غير منفعلة، وهو الله سبحانه ولا يقع عليه فعل.

ب ـ منفعلة غير فاعلة: كالجمادات.

ج ـ فاعلة ومنفعلة، كالإنس والجن والملائكة .

والعرب تشير دائماً إلى الأشياء المنفعلة غير الفاعلة بالتأنيث، أي: يشيرون إلى الشيء الضعيف بالتأنيث .

٢ـ القرآن الكريم جاء على لغة العرب، وبالتالي يصبح معنى الآية ﴿ إِن يَدْعُونَ مِن دُونِهِۦٓ إِلَّآ إِنَٰثًا﴾ أحد قولين:

آ ـ أي يدعون أشياء صغيرة لا تستطيع أن تقدم شيئاً .

ب ـ اللفظ على التأنيث؛ لأنّ أكثر أصنامهم أسماؤها على التأنيث: [اللات ـ مناة ـ العزى].

٣ـ حتى اللغة استعملت الواو مع جمع المذكر السالم: (مهندسون) واستعملت الضمة (الواو الصغيرة أي الضمة) مع جمع المؤنث السالم: (مهندساتُ) وكذلك بالياء، فتقول مع جمع المذكر: مهندسين (بالياء) ومع جمع المؤنث (مهندساتِ) بالكسرة، أي: الياء الصغيرة. والله أعلم .

السؤال الثاني:

لِمَ خصّ دعوة المشركين للإناث من الآلهة ولم يقل: إن يدعون من دونه إلا أصناماً؟

الجواب:

انظر إلى هذه السخرية والتهكم بمعتقدهم؛ فقد خاطبهم الله تعالى بما يعتقدون ويتصرفون، فهم ينظرون إلى الإناث نظرة دون، وكل الناس يعلم حالة المرأة بينهم فقد حرموها من حقوق كثيرة واستضعفوها، ومع ذلك اتخذوا من الأنثى آلهة، بل هي أكبر آلهتهم اللات والعزى ومناة، ولذلك نعى على العرب أنْ يصدر منهم مثل هذه التصرفات.

❁❁❁❁

﴿ لَّيْسَ بِأَمَانِيِّكُمْ وَلَآ أَمَانِيِّ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ ۗ مَن يَعْمَلْ سُوٓءًا يُجْزَ بِهِۦ وَلَا يَجِدْ لَهُۥ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا ﴿١٢٣﴾ ﴾

السؤال الأول:

ما الفرق بين (السوء) و(السيئات)؟

الجواب:

١ـ السيئة: هي فعل القبيح مقابل الحسنة، وقد تُطلق على الصغائر أو الكبائر، وتجمع على (سيئات).

٢ـ السوء: كلمة عامة سواء في الأعمال أو في غير الأعمال كالمعاصي، وفيما يُغَمّ الإنسان يقال له أصابه سوء(آفة، مرض،....إلخ).

* شواهد قرآنية:

- ﴿وَاضْمُمْ يَدَكَ إِلَىٰ جَنَاحِكَ تَخْرُجْ بَيْضَاءَ مِنْ غَيْرِ سُوءٍ آيَةً أُخْرَىٰ ﴿٢٢﴾﴾ [طه:٢٢] أي من غير مرض، من غير عِلّة، من غير آفة.

- ﴿أُولَٰئِكَ الَّذِينَ لَهُمْ سُوءُ الْعَذَابِ﴾ [النمل:٥] كلمة (سوء) عامة.

- ﴿لَيْسَ بِأَمَانِيِّكُمْ وَلَا أَمَانِيِّ أَهْلِ الْكِتَابِ ۗ مَنْ يَعْمَلْ سُوءًا يُجْزَ بِهِ﴾ [النساء:١٢٣].

- ﴿فَوَقَاهُ اللَّهُ سَيِّئَاتِ مَا مَكَرُوا ۖ وَحَاقَ بِآلِ فِرْعَوْنَ سُوءُ الْعَذَابِ ﴿٤٥﴾﴾ [غافر:٤٥].

٣ـ كلمة (سوء) هي اسم المصدر، والمصدر لا يُجمع إلا إذا تعددت أنواعه، وهذا حكم عام.

ولكنهم قالوا في غير الثلاثي: يمكن أن يُجمع على مؤنث سالم، مثل: المشي والنوم، هذا عام ويطلق على القليل والكثير، وإذا تعددت أنواعه: (ضرب) تصير(ضروب)، لكن المصدر وحده لا يُجمع. وهذه قاعدة.

السؤال الثاني:

ما المقصود من قوله تعالى في الآية ﴿مَنْ يَعْمَلْ سُوءًا يُجْزَ بِهِ﴾؟

الجواب:

المُراد أنه من يعمل سوءاً ويمتْ مصرّاً عليه؛ لأنه إنْ تاب من الذنب لم يُجز به، وقيل: إنّ المؤمن يُجازى في الدنيا بما يصيبه فيها من المرض وأنواع المصائب والمحن كما جاء في الحديث، وأمّا الكافر فيُمْكن أن يجازى في الدنيا أو في الآخرة أو في كليهما .

﴿ وَمَن يَعْمَلْ مِنَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ مِن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُوْلَٰٓئِكَ يَدْخُلُونَ ٱلْجَنَّةَ وَلَا يُظْلَمُونَ نَقِيرًا ﴿١٢٤﴾ ﴾

السؤال الأول:

ما دلالة ذكر (الذكر والأنثى) في الآية ﴿ وَمَن يَعْمَلْ مِنَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ مِن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ ﴾؟ وما أهم دلالات هذه الآية؟

الجواب:

١ـ جاءت كلمة (ذكر وأنثى) هنا في الآية؛ حتى لا يفهم أحد أنّ مجيء الفعل بصيغة التذكير في قوله تعالى: ﴿يَعْمَلْ﴾ يعني أنّ المرأة معفية منه؛ لأنّ المرأة في كثير من الأحكام نجد حكمها مطموراً في مسألة الرجل، وفي ذلك إيحاء بأنّ أمرها مبني على الستر.

٢ـ قوله تعالى: ﴿مِنَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ﴾ (من) هنا للتبعيض، أي: على بعض الصالحات، لذلك لم يقل الحق: (ومن يعمل الصالحات)؛ لأنه لا يوجد إنسان يعمل جميع الصالحات، والمطلوب من المؤمن أنْ يعمل من الصالحات حسب جهده ومواهبه وإمكاناته ليستحق الثواب، وهو الجنة بفضل الله.

٣ـ لا بدّ من شرط الإيمان، وإلا يمكن أن يأخذ جزاءه من الإنسانية التي عملوا لها، وليس لهم جزاء عند الله.

٤ـ النقير: هو نقرة في ظهر النواة منها تنبت النخلة .

﴿ وَمَنْ أَحْسَنُ دِينًا مِّمَّنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُۥ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ وَٱتَّبَعَ مِلَّةَ إِبْرَٰهِيمَ حَنِيفًاۗ وَٱتَّخَذَ ٱللَّهُ إِبْرَٰهِيمَ خَلِيلًا ﴿١٢٥﴾ ﴾

السؤال الأول:

ما دلالة هذا الاستفهام الذي يهز النفوس في الآية؟

الجواب:

انظر إلى هذا الاستفهام الذي يهز ضمائر المنحرفين الشاذّين عن هدى الله تعالى، فهو استفهام إنكاري أراد الله تعالى أنْ يوجه من خلاله أنظار الناس إلى سبب اتخاذ الإسلام دون غيره ديناً، فهل ثمة دين أحسن من الإسلام الذي يأمر أتباعه بالإحسان والتقوى.

السؤال الثاني:

قوله تعالى في الآية: ﴿ وَمَنْ أَحْسَنُ دِينًا مِّمَّنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُۥ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ ﴾، لِمَ خصّ الله تعالى إسلام الوجه وهو جزء من الإنسان، ولم يحذف كلمة ﴿وَجْهَهُۥ﴾ ليشمل المرء ومنه الوجه؟ وما دلالات هذه الآية؟

الجواب:

١ـ تأمل هذه الكناية في كلمة ﴿وَجْهَهُۥ﴾ ؛ فقد صورت تمام الطاعة والاعتراف بالعبودية؛ لأنّ الوجه أشرف الأعضاء، وبه كان الإنسان إنساناً، فعبّر الله تعالى عن إذعانك لأوامره بامتثال وجهك الذي هو أشرف أعضاء جسدك.

٢ـ جاء بالوجه؛ لأنه أشرف الأعضاء، ولذلك جعل الله السجود على أشرف موقع للعبد.

٣ـ قول الحق: ﴿أَسْلَمَ﴾ أي: سلّم زمام أمره لواحد، والمؤمن يسلم أمره لله فقط، وقوله تعالى: ﴿أَسْلَمَ وَجْهَهُۥ لِلَّهِ﴾ يفيد الحصر.

٤ـ قوله: ﴿وَهُوَ مُحْسِنٌ﴾ يفيد أنه من أهل الصلاح، وأنه في لقاء دائم مع الله؛ لأنّ المؤمن الحق يستحضر في نفسه أنه لا يغيب عن الله طرفة عين فيستحي أن يعصيه.

٥ـ قوله: ﴿حَنِيفًا﴾ أي: مائلاً عن الباطل إلى الحق، والمعنى اللغوي لكلمة (حنيف) أنه هو المائل، والله تعالى يرسل الرسل عند انتشار الفساد والاعوجاج في المجتمع فتكون مهمة الرسول والمؤمنين معه أنْ يميلوا عن الفساد، وبهذا يكون الميل عن الاعوجاج اعتدالاً.

السؤال الثالث:

ما دلالة قوله تعالى في الآية: ﴿وَاتَّخَذَ اللَّهُ إِبْرَاهِيمَ خَلِيلًا ﴿١٢٥﴾﴾؟

الجواب:

١ـ كلمة ﴿خَلِيلًا ﴿١٢٥﴾﴾ مأخوذة من (الخَلّ) بفتح الخاء، وهو الطريق الضيق، وعادة حينما يسير فيه اثنان فهما يتكاتفان إنْ كان بينهما ود عالٍ، وإلا فواحد يمشي خلف الآخر.

ولذلك سموا الاثنين اللذين يسيران متكاتفين (خليلين)، فكلاهما متخلل في الآخر، أي: متداخل فيه .

والخليل أيضاً هو من يسد خلل صاحبه، ويتوافق معه في الخِلال والصفات والأخلاق.

٢ـ الله سبحانه يقول: ﴿وَٱتَّخَذَ ٱللَّهُ إِبۡرَٰهِيمَ خَلِيلٗا ﴿١٢٥﴾﴾ أي: لا مشاركة لأحد في مكانته، أمّا الحب فيعم ولكن الخلة لا مشاركة فيها .

قال ﷺ : «**أيها الناس لو كنت متخذاً من أهل الأرض خليلاً لاتخذت أبا بكر بن أبي قحافة خليلاً، وإنّ صاحبكم خليل الله تعالى**» يعني نفسه ﷺ .

قال الشاعر:

ولما التقينا قرّبَ الشوقُ جهده … خليلين زادا لوعة وعتابا
كأنّ خليلاً في خلال خليله … تسرب أثناء العناق وغابا

❁❁❁❁

﴿ وَلِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِۚ وَكَانَ ٱللَّهُ بِكُلِّ شَيۡءٖ مُّحِيطٗا ﴿١٢٦﴾ ﴾

السؤال الأول:

قال تعالى في الآية: ﴿ وَلِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِۚ﴾ لم يقل (من)، فلماذا؟

الجواب:

١ـ قال تعالى: ﴿ وَلِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِۚ﴾ ، ولم يقل (من)؛ لأنه ذهب مذهب الجنس، والذي يعقل إذا أريد به الجنس ذُكر بـ(ما) .

٢ ـ (ما) تستعمل لغير العاقل، وهي أيضاً لصفات العقلاء في الشرط كقوله تعالى: ﴿فَمَا ٱسۡتَمۡتَعۡتُم بِهِۦ مِنۡهُنَّ﴾ [النساء:٢٤] .

٣ـ و تستعمل في غير الشرط، كقوله تعالى: ﴿فَٱنكِحُواْ مَا طَابَ لَكُم مِّنَ ٱلنِّسَآءِ﴾ [النساء:٣] وقوله: ﴿إِنِّي نَذَرۡتُ لَكَ مَا فِي بَطۡنِي مُحَرَّرٗا﴾ [آل عمران:٣٥] .

٤ـ و(ما) تفيد الزمان، كقوله تعالى: ﴿فَمَا ٱسْتَقَٰمُوا۟ لَكُمْ فَٱسْتَقِيمُوا۟ لَهُمْ﴾ [التوبة:٧] أي: مدة استقامتهم لكم .

٥ـ وتفيد أيضاً غير الزمان، كقوله تعالى: ﴿وَمَا تُقَدِّمُوا۟ لِأَنفُسِكُم مِّنْ خَيْرٍ تَجِدُوهُ عِندَ ٱللَّهِ﴾ [البقرة:١١٠].

السؤال الثاني:

ما دلالة قوله تعالى: ﴿وَكَانَ ٱللَّهُ بِكُلِّ شَىْءٍ مُّحِيطًا ﴿١٢٦﴾﴾؟

الجواب:

١ـ قوله تعالى: ﴿وَكَانَ ٱللَّهُ بِكُلِّ شَىْءٍ مُّحِيطًا ﴿١٢٦﴾﴾ أي: إحاطة علم وقدرة.

٢ـ أصل المحيط الإحاطة بالشيء من حوله كالسور الدائر عليه يمنعه أن يخرج عنه ما هو منه و ويدخل فيه ما ليس فيه، ويكون من قبيل العلم وقبيل القدرة مجازاً.

* شواهد قرآنية :

ـ ﴿وَكَانَ ٱللَّهُ بِكُلِّ شَىْءٍ مُّحِيطًا ﴿١٢٦﴾﴾ [النساء:١٢٦] أي: يعلم جميع الأشياء من جميع وجوهها، وهي تحت مقدوره وتصرفه.

ـ ﴿قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَىْءٍ عِلْمًۢا ﴿١٢﴾﴾ [الطلاق:١٢] أي: علمه من جميع وجوهه.

ـ ﴿وَأَحَاطَ بِمَا لَدَيْهِمْ﴾ [الجن:٢٨] أي: في العلم والقدرة.

ـ ﴿قَدْ أَحَاطَ ٱللَّهُ بِهَا﴾ [الفتح:٢١] أي: أحاط الله بها لكم لتمليكها إياكم.

ـ ﴿وَٱللَّهُ مُحِيطٌۢ بِٱلْكَٰفِرِينَ ﴿١٩﴾﴾ [البقرة:١٩] أي: يعلم أعمالهم كلها ولا يفوتونه، وهو نوع من التخويف.

٣ـ إذا أطلق لفظ الإحاطة يكون من جهة المقدور أو من جهة العلم والقدرة، أمّا إذا قيد بالعلم فهو من جهة المعلوم لا غير.

❁❁❁❁

﴿ وَيَسْتَفْتُونَكَ فِي ٱلنِّسَآءِ ۖ قُلِ ٱللَّهُ يُفْتِيكُمْ فِيهِنَّ وَمَا يُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ فِي ٱلْكِتَٰبِ فِي يَتَٰمَى ٱلنِّسَآءِ ٱلَّٰتِي لَا تُؤْتُونَهُنَّ مَا كُتِبَ لَهُنَّ وَتَرْغَبُونَ أَن تَنكِحُوهُنَّ وَٱلْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ ٱلْوِلْدَٰنِ وَأَن تَقُومُوا۟ لِلْيَتَٰمَىٰ بِٱلْقِسْطِ ۚ وَمَا تَفْعَلُوا۟ مِنْ خَيْرٍ فَإِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِهِۦ عَلِيمًا ﴿١٢٧﴾ ﴾

السؤال الأول:

قوله تعالى في الآية: ﴿ وَيَسْتَفْتُونَكَ فِي ٱلنِّسَآءِ ۖ قُلِ ٱللَّهُ يُفْتِيكُمْ فِيهِنَّ ﴾ ما دلالة تقديم اسم الجلالة (الله) في قوله: ﴿قُلِ ٱللَّهُ﴾؟

الجواب:

انظر إلى هذا التبشير للسائل المتحيّر ﴿قُلِ ٱللَّهُ يُفْتِيكُمْ فِيهِنَّ ﴾، وكأنّ الله تعالى يقول له: قد وجدت طلبك فكن مستبشراً، ولذلك قدّم اسمه الشريف ﴿قُلِ ٱللَّهُ﴾ ولم يقل: قل يفتيكم الله، للتنويه بشأن هذه الفُتية وعِظمها.

السؤال الثاني:

ما الفرق بين ﴿يَسْتَفْتُونَكَ ﴾ و﴿ وَيَسْتَفْتُونَكَ﴾؟

الجواب:

١ ـ ﴿يَسۡتَفۡتُونَكَ﴾ وردت مرة واحدة في القرآن، وكان في بداية موضوع جديد في آية النساء ١٧٦ ﴿يَسۡتَفۡتُونَكَ قُلِ ٱللَّهُ يُفۡتِيكُمۡ فِي ٱلۡكَلَٰلَةِۚ إِنِ ٱمۡرُؤٌاْ هَلَكَ لَيۡسَ لَهُۥ وَلَدٞ وَلَهُۥٓ أُخۡتٞ فَلَهَا نِصۡفُ مَا تَرَكَۚ وَهُوَ يَرِثُهَآ إِن لَّمۡ يَكُن لَّهَا وَلَدٞۚ فَإِن كَانَتَا ٱثۡنَتَيۡنِ فَلَهُمَا ٱلثُّلُثَانِ مِمَّا تَرَكَۚ وَإِن كَانُوٓاْ إِخۡوَةٗ رِّجَالٗا وَنِسَآءٗ فَلِلذَّكَرِ مِثۡلُ حَظِّ ٱلۡأُنثَيَيۡنِۗ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمۡ أَن تَضِلُّواْۗ وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَيۡءٍ عَلِيمُۢ﴾

٢ ـ ﴿وَيَسۡتَفۡتُونَكَ﴾ وردت مرة واحدة أيضاً في بداية آية اكتنفتها الآيات المبدوءة بـ (الواو) من قبلها ومن بعدها، يعني أحاطت بها الآيات المبدوءة بالواو، وهي في سورة النساء من الآية ١٢٤ إلى الآية ١٣٢، فكان من المناسب أن تأتي هي بالواو أيضاً، ولا تشذ عن سياق الآيات كلها.

السؤال الثالث:

قوله تعالى في الآية: ﴿وَتَرۡغَبُونَ أَن تَنكِحُوهُنَّ﴾ ما دلالة حذف حرف الجر الافتراضي: رغبت في زيد، أم رغبت عنه؟

الجواب:

من المعلوم أنه لا يجوز حذف حرف الجر إلا إذا أُمن اللبْسُ وتعيّن المقصودُ، فلا يقال: رغبت زيداً؛ لأنه لا يدرى المقصود أهو: رغبت في زيد، أم: رغبت عنه، ولكنه حذف حرف الجر مع أنه لم يتعين في الآية أهو (في) أم (عن)؛ وذلك لأنه يجوز الحرفان معاً.

فالحكم واحد سواء في الرغبة فيهن لجمالهن أو عنهن لدمامتهن، والحكم واحد في الحالتين، فلو قال: (في) لظُنَّ أنه يُراد في حالة الرغبة فقط، ولو قال: (عن) لظُنَّ أنه يُراد في حالة العزوف عنهن، فأطلق لإطلاق الرغبة .

وهذا تعبير جليل عظيم، فمعنى الآية يحتمل في ﴿أَن تَنكِحُوهُنَّ﴾ لجمالهن، وعن ﴿أَن تَنكِحُوهُنَّ﴾ لدمامتهن .

❁❁❁❁

﴿وَإِنِ ٱمْرَأَةٌ خَافَتْ مِنۢ بَعْلِهَا نُشُوزًا أَوْ إِعْرَاضًا فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَآ أَن يُصْلِحَا بَيْنَهُمَا صُلْحًا ۚ وَٱلصُّلْحُ خَيْرٌ ۗ وَأُحْضِرَتِ ٱلْأَنفُسُ ٱلشُّحَّ ۚ وَإِن تُحْسِنُوا۟ وَتَتَّقُوا۟ فَإِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا ﴿١٢٨﴾ وَلَن تَسْتَطِيعُوٓا۟ أَن تَعْدِلُوا۟ بَيْنَ ٱلنِّسَآءِ وَلَوْ حَرَصْتُمْ ۖ فَلَا تَمِيلُوا۟ كُلَّ ٱلْمَيْلِ فَتَذَرُوهَا كَٱلْمُعَلَّقَةِ ۚ وَإِن تُصْلِحُوا۟ وَتَتَّقُوا۟ فَإِنَّ ٱللَّهَ كَانَ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿١٢٩﴾﴾

السؤال الأول:

ما إعراب الشح في قوله تعالى ﴿وَأُحْضِرَتِ ٱلْأَنفُسُ ٱلشُّحَّ ۚ﴾؟

الجواب:

الشح: مفعول به ثان منصوب، والأنفسُ: نائب فاعل. والفعل (حضر) يتعدى إلى مفعول واحد، و(أحضر) يتعدى إلى مفعولين.

السؤال الثاني:

ما معنى (الشح)؟ وما معنى قوله تعالى: ﴿وَأُحۡضِرَتِ ٱلۡأَنفُسُ ٱلشُّحَّۚ﴾ ؟

الجواب:

١ـ الشح هو البخل .

٢ـ عندما خلق ربنا الأنفس جعل معها الشح، كما قال تعالى: ﴿وَكَانَ ٱلۡإِنسَٰنُ قَتُورٗا ١٠٠﴾ [الإسراء:١٠٠] وقتوراً خبر كان، وتعني بخيلاً.

لذلك الإنسان بخيل خِلقةً، فلمّا خلق تعالى الأنفس جاء بالشح. وفي الأصل أحضرنا الأنفس الشح، أي: أحضرناها الشحَّ.أي: جيء بالشح وأُحضر للأنفس، وكأنّ الله تعالى أحضر الأنفس عندما خلقها وخلق الشحّ وجعله فيها.

وما قال: (أحضرنا) وإنما قال: ﴿وَأُحۡضِرَتِ﴾ ؛ لأنّ الله تعالى ينسب الخير لنفسه.

السؤال الثالث:

المطلوب بيان الفروق بين آيتي النساء ١٢٨ و ١٢٩؟

الجواب:

هناك فروق بين الآيتين نوجزها في الجدول التالي:

الآيـــــة ١٢٨	الآيـــــة ١٢٩
﴿وَإِن تُحْسِنُوا﴾	﴿وَإِن تُصْلِحُوا﴾
﴿بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا ﴿١٢٨﴾﴾	﴿غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿١٢٩﴾﴾

* البيان:

١ـ الآية الأولى المراد بها أنْ يتصالحا على مال تبذله المرأة من مهر أو غيره ليطلقها؛ فإنه خير من دوام العشرة بالنشوز، ثم عذر النساء بقوله تعالى: ﴿وَأُحْضِرَتِ الْأَنفُسُ الشُّحَّ﴾، ثم بيّن: وإنْ تحسنوا معاشرتهن بترك النشوز والإعراض، فإن الله خبير بذلك فيجازيكم عليه .

٢ـ الآية الثانية تبين أنّ العدل بين النساء عزيز ،ولو حرصتم؛ لأنّ الميل إلى بعضهن يتعلق بالقلب، وهو غير مملوك للإنسان، وإذا كان كذلك فلا تميلوا كل الميل فتصير المرأة كالمعلقة التي لا متزوجة ولا مطلقة، ثم قال:﴿وَإِن تُصْلِحُوا﴾ معاشرتهن بقدر الإمكان، فإنّ الله يتجاوز عما لا تملكونه من الميل بمغفرته ورحمته.

﴿ وَإِن يَتَفَرَّقَا يُغْنِ ٱللَّهُ كُلًّا مِّن سَعَتِهِۦۚ وَكَانَ ٱللَّهُ وَٰسِعًا حَكِيمًا
(١٣٠) وَلِلَّهِ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِۗ وَلَقَدْ وَصَّيْنَا ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟
ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلِكُمْ وَإِيَّاكُمْ أَنِ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَۚ وَإِن تَكْفُرُوا۟ فَإِنَّ لِلَّهِ مَا فِى
ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِۚ وَكَانَ ٱللَّهُ غَنِيًّا حَمِيدًا (١٣١) وَلِلَّهِ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ
وَمَا فِى ٱلْأَرْضِۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ وَكِيلًا (١٣٢) ﴾

السؤال الأول:

ما الارتباط والتناسب بين الآيتين ١٣٠و ١٣١؟

الجواب:

قال تعالى: ﴿ وَإِن يَتَفَرَّقَا يُغْنِ ٱللَّهُ كُلًّا مِّن سَعَتِهِۦۚ وَكَانَ ٱللَّهُ وَٰسِعًا حَكِيمًا (١٣٠) وَلِلَّهِ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِۗ ﴾

انظر إلى هذا التناسب بين آي القرآن، فالآية الأولى فيها إشارة إلى إغناء الله تعالى كُلاً عن صاحبه فناسب أنْ تبدأ الآية الثانية بإظهار ملكوت الله سبحانه وتعالى، فمن له ما في السموات وما في الأرض قادر على أنْ يغني كل أحد من سعته، وهذا كناية عن عظيم سلطانه واستحقاقه للتقوى.

السؤال الثاني:

قوله تعالى في آية النساء ١٣١ ﴿وَلَقَدْ وَصَّيْنَا ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلِكُمْ وَإِيَّاكُمْ أَنِ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَۚ﴾، لِمَ ذكر ربنا سبحانه وتعالى أمره لأهل الكتاب بالتقوى، ثم عطف المسلمين

عليهم؟ وما قال مثلاً: ولقد وصينا المؤمنين أن اتقوا الله، ليشمل كل مؤمن منذ أن وُجِد الإنسان على الأرض إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها؟

الجواب:

إنّ الإخبار بأن الله تعالى أوصى الذين أوتوا الكتاب من قبل مقصود منه إلهاب هِمم المسلمين وحثّهم على بلوغ تقوى الله تعالى؛ لئلا تَفْضُلهم الأمم التي من قبلهم من أهل الكتاب، وبديهي أنّ الإنسان إنْ وُضِع ميزان التفاضل لا يقبل أنْ يسبقه أحد إلى خير أبداً.

السؤال الثالث:

كرر الحق قوله: ﴿ وَلِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلْأَرْضِۗ ﴾ ثلاث مرات في آيتين متتاليتين في سورة النساء[١٣١و ١٣٢]، فما الحكمة؟

الجواب:

١ـ الأولى في الآية ١٣١ جاءت بعد قوله تعالى في الآية ١٣٠ ﴿يُغْنِ ٱللَّهُ كُلًّا مِّن سَعَتِهِۦۚ﴾ أي: من يملك السماوات والأرض هو قادر على ذلك. ؛

٢ـ الثانية في نفس الآية ١٣١ جاءت بعد أمر الله بالتقوى، والتقوى تفيد الإنسان نفسه، ولا تفيد الله تعالى؛ لأن﴿ وَلِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلْأَرْضِۗ ﴾ وبيّن أنه لو كفرتم فإن ذلك لا يؤثر في ملكه شيء؛ لأنّ الله غني حميد في ذاته، وأنه منزه عن طاعات المطيعين وعن ذنوب المذنبين.

٣ـ الثالثة في الآية ١٣٢ فقد بيّن فيها أنّ الله تعالى قادر على الإفناء والإيجاد، فإنْ عصيتموه فإنه قادر على إفنائكم وعلى إيجاد آخرين يقومون بعبوديته وتعظيمه؛ فهو الذي له ما في السماوات وما في الأرض .

ومن هنا يتبين أنّ الحق أعاد قوله: ﴿وَلِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلْأَرْضِ﴾ ثلاث مرات ليبين في كل مرة إحدى صفات جلاله؛ ليستغرق الذهن والعقل في خلق السماوات والأرض ويستدل من صفاتها على صفات الخالق عز وجل.

ثم بيّن الله تعالى أنه لم يزل ولا يزال موصوفاً بالقدرة على جميع المقدورات بقوله ﴿وَكَانَ ٱللَّهُ عَلَىٰ ذَٰلِكَ قَدِيرًا ﴿١٣٣﴾﴾

****

﴿۞ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُونُواْ قَوَّٰمِينَ بِٱلْقِسْطِ شُهَدَآءَ لِلَّهِ وَلَوْ عَلَىٰٓ أَنفُسِكُمْ أَوِ ٱلْوَٰلِدَيْنِ وَٱلْأَقْرَبِينَ ۚ إِن يَكُنْ غَنِيًّا أَوْ فَقِيرًا فَٱللَّهُ أَوْلَىٰ بِهِمَا ۖ فَلَا تَتَّبِعُواْ ٱلْهَوَىٰٓ أَن تَعْدِلُواْ ۚ وَإِن تَلْوُۥٓاْ أَوْ تُعْرِضُواْ فَإِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا ﴿١٣٥﴾﴾

السؤال الأول:

ما دلالة التقديم والتأخيرفي قوله تعالى في آية سورة النساء ١٣٥ ﴿قَوَّٰمِينَ بِٱلْقِسْطِ شُهَدَآءَ لِلَّهِ﴾ و ﴿قَوَّٰمِينَ لِلَّهِ شُهَدَآءَ بِٱلْقِسْطِ﴾ في آية سورة المائدة رقم ٨؟

الجواب:

١ـ قال تعالى في سورة النساء ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُونُواْ قَوَّٰمِينَ بِٱلْقِسْطِ شُهَدَآءَ لِلَّهِ وَلَوْ عَلَىٰٓ أَنفُسِكُمْ أَوِ ٱلْوَٰلِدَيْنِ وَٱلْأَقْرَبِينَ ۚ إِن يَكُنْ غَنِيًّا أَوْ فَقِيرًا فَٱللَّهُ أَوْلَىٰ بِهِمَا ۖ فَلَا تَتَّبِعُواْ ٱلْهَوَىٰٓ أَن تَعْدِلُواْ ۚ وَإِن تَلْوُۥٓاْ أَوْ تُعْرِضُواْ فَإِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا ﴿١٣٥﴾﴾ وقال تعالى في سورة المائدة ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُونُواْ قَوَّٰمِينَ لِلَّهِ شُهَدَآءَ بِٱلْقِسْطِ ۖ وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَـَٔانُ قَوْمٍ عَلَىٰٓ أَلَّا تَعْدِلُواْ ۚ ٱعْدِلُواْ هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ ۖ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ خَبِيرٌۢ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿٨﴾﴾ .

٢ـ ولو أخذنا سياق الآيات في سورة النساء نلاحظ أنّ السورة كلها في الأمر بالعدل والقسط وإيتاء كل ذي حق حقه، كما في الآيات: ﴿وَءَاتُواْ ٱلْيَتَـٰمَىٰٓ أَمْوَٰلَهُمْ ۖ وَلَا تَتَبَدَّلُواْ ٱلْخَبِيثَ بِٱلطَّيِّبِ ۖ وَلَا تَأْكُلُوٓاْ أَمْوَٰلَهُمْ إِلَىٰٓ أَمْوَٰلِكُمْ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ حُوبًا كَبِيرًا ﴿٢﴾﴾ [النساء:٢] ﴿وَءَاتُواْ ٱلنِّسَآءَ صَدُقَـٰتِهِنَّ نِحْلَةً ۚ فَإِن طِبْنَ لَكُمْ عَن شَىْءٍ مِّنْهُ نَفْسًا فَكُلُوهُ هَنِيٓـًٔا مَّرِيٓـًٔا ﴿٤﴾﴾ [النساء:٤] فلذلك اقتضى السياق في سورة النساء تقديم (قوّامين بالقسط).

٣ـ أمّا في سورة المائدة، فسياق الآيات في حقوق الله تعالى وفي الولاء والبراء، كما في الآيات: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تُحِلُّواْ شَعَـٰٓئِرَ ٱللَّهِ وَلَا ٱلشَّهْرَ ٱلْحَرَامَ وَلَا ٱلْهَدْىَ وَلَا ٱلْقَلَـٰٓئِدَ وَلَآ ءَآمِّينَ ٱلْبَيْتَ ٱلْحَرَامَ يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّن رَّبِّهِمْ وَرِضْوَٰنًا ۚ وَإِذَا حَلَلْتُمْ فَٱصْطَادُواْ ۚ وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَـَٔانُ قَوْمٍ أَن صَدُّوكُمْ عَنِ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ أَن تَعْتَدُواْ ۘ وَتَعَاوَنُواْ عَلَى ٱلْبِرِّ وَٱلتَّقْوَىٰ ۖ وَلَا تَعَاوَنُواْ عَلَى ٱلْإِثْمِ وَٱلْعُدْوَٰنِ ۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ﴿٢﴾﴾ [المائدة:٢] ﴿وَٱذْكُرُواْ نِعْمَةَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ وَمِيثَـٰقَهُ ٱلَّذِى وَاثَقَكُم بِهِۦٓ إِذْ قُلْتُمْ سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا ۖ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ﴿٧﴾﴾ [المائدة:٧] فالكلام في القيام بأمر الله تعالى؛ لذا اقتضى قول (قوّامين لله) ؛ لأن السياق في القيام لله تعالى وفي حقوق الله تعالى.

السؤال الثاني:

قال تعالى في سورة النحل:﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَأۡمُرُ بِٱلۡعَدۡلِ وَٱلۡإِحۡسَٰنِ وَإِيتَآيِٕ ذِي ٱلۡقُرۡبَىٰ﴾ [النحل:٩٠]، وفي النساء ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُونُواْ قَوَّٰمِينَ بِٱلۡقِسۡطِ شُهَدَآءَ لِلَّهِ﴾ [النساء:١٣٥] ما خصوصية استعمال القرآن لكلمتي (العدل والقسط)؟

الجواب:

١ـ أصل (القسط) الحظ والنصيب، ولذلك في القرآن الكريم لم يستعمل مع الوزن إلا القسط، وهذا من خصوصية الاستعمال القرآني. ﴿وَأَقِيمُواْ ٱلۡوَزۡنَ بِٱلۡقِسۡطِ﴾ [الرحمن:٩] ﴿وَيَٰقَوۡمِ أَوۡفُواْ ٱلۡمِكۡيَالَ وَٱلۡمِيزَانَ بِٱلۡقِسۡطِۖ﴾ [هود:٨٥] .

٢ـ و(القسط) يستعمل مع غير الميزان، لكن القرآن يستعمله مع الميزان ولا يستعمل العدل مع الميزان.

٣ـ و(القسط) قد يكون في القسمة، وفيه ارتباط بالآلة (قسطاس).قال تعالى: ﴿وَأَوۡفُواْ ٱلۡكَيۡلَ إِذَا كِلۡتُمۡ وَزِنُواْ بِٱلۡقِسۡطَاسِ ٱلۡمُسۡتَقِيمِۚ﴾ [الإسراء:٣٥]

والقسطاس هو ميزان العدل، وأصل كلمة (قسطاس):عدل، فسموا الميزان (قسطاس)؛ لأنه عدل.

٤ـ (العدل) معناه المساواة في الأحكام. وعندنا (عَدل) و(عِدل):

آ ـ العِدل: فيما يُبصر من الأشياء. تقول: هذا عِدل هذا. أي مثل حملين متساويين، فيقال هذا عِدل هذا .

ب ـ العَدل: هو أحكام ومساواة في الحكم وفيما لا يبصر من الأشياء.

* شواهد قرآنية:

ـ ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَقۡتُلُواْ ٱلصَّيۡدَ وَأَنتُمۡ حُرُمٞۚ وَمَن قَتَلَهُۥ مِنكُم مُّتَعَمِّدٗا فَجَزَآءٞ مِّثۡلُ مَا قَتَلَ مِنَ ٱلنَّعَمِ يَحۡكُمُ بِهِۦ ذَوَا عَدۡلٖ مِّنكُمۡ ﴾ [المائدة:٩٥] ذوا قسط .

ـ ﴿أَوۡ عَدۡلُ ذَٰلِكَ صِيَامٗا ﴾ [المائدة:٩٥] الصيام لا يُبصر .

ـ ﴿وَإِن تَعۡدِلۡ كُلَّ عَدۡلٖ لَّا يُؤۡخَذۡ مِنۡهَآۗ ﴾ [الأنعام:٧٠] ولم يقل كل قسط.

ـ ﴿وَلَا يُقۡبَلُ مِنۡهَا عَدۡلٞ﴾ [البقرة:١٢٣].

السؤال الثالث:

ما دلالة كلمة ﴿قَوَّٰمِينَ ﴾ في الآية؟

الجواب:

في قوله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُونُواْ قَوَّٰمِينَ بِٱلۡقِسۡطِ ﴾ تأمل قوله تعالى ﴿قَوَّٰمِينَ بِٱلۡقِسۡطِ ﴾، حيث جاءت كلمة (قوّامين) بصيغة مبالغة؛ لتدل على الكثرة، ولم يقل: (كونوا قائمين بالقسط)؛ ليحضّنا على عدم الإخلال بهذا القيام بالعدل في حال من الأحوال.

﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ ءَامِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَٱلْكِتَـٰبِ ٱلَّذِى نَزَّلَ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ وَٱلْكِتَـٰبِ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ مِن قَبْلُ ۚ وَمَن يَكْفُرْ بِٱللَّهِ وَمَلَـٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ وَٱلْيَوْمِ ٱلْـَٔاخِرِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَـٰلًۢا بَعِيدًا ﴿١٣٦﴾ ﴾

السؤال الأول:

في قوله تعالى في الآية ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ ءَامِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ﴾ بماذا آمن هؤلاء؟

الجواب:

العلماء لهم ثلاثة أقوال هنا:

١ـ الخطاب لأهل الكتاب؛ لأنّ الكلام قبله كان مع أهل الكتاب، أي: يا أيها الذين آمنوا بموسى والتوراة وعيسى والإنجيل آمنوا بمحمد والقرآن.

٢ـ الخطاب مع المؤمنين: أي يا من آمنتم اثبتوا على إيمانكم.

٣ـ الخطاب مع المنافقين: والمعنى يا أيها الذين آمنوا بألسنتهم آمنوا بقلوبكم، أي: آمِنوا بالله ورسوله والكتاب الذي أنزل على رسوله، ولم يقل لهم: يا أيها الذين (نافقوا) أبداً.

والقرآن لم يستفز المنافقين، وإنما كان يخاطبهم كما يخاطب المؤمنين ولم يكن يريد أنْ يثيرهم، ولم يكن يريد أنْ يبعدهم، فخاطبهم: يا أيها الذين آمنوا عليكم أن تؤمنوا بهذه الأشياء طالما كنتم مؤمنين.

ولربما كان هذا القول هو الأصوب قياساً على سياق الآية. والله أعلم .

السؤال الثاني:

ما دلالة قوله تعالى: ﴿ءَامِنُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ﴾ [النساء:١٣٦] بدون (الباء)، وقوله في آية سورة التوبة ٥٤ ﴿بِٱللَّهِ وَبِرَسُولِهِۦ﴾بدون الباء؟

الجواب:

١ـ في قضية الإيمان نحو الآيات: ﴿لِّتُؤۡمِنُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ﴾ وردت مثل هذه الجملة في حوالي (١٠) آيات، وهي: [النساء ١٣٦ـ الأعراف ١٥٨ـ النور٦٢ ـ الفتح ٩ـ١٣ـ الحجرات ١٥ـ الحديد ٧ـ المجادلة٤ـ الصف١١ـ التغابن٨]، ولم تدخل الباء على أي منها، فلم يرد: (آمن بالله وبرسوله) وإنما وردت (بالله ورسوله)، وعدم دخول الباء يشير إلى أنّ الإيمان بالرسول تابع، وهو امتداد لإيماننا بالله ،أي أنّ ما بُعث به محمد ﷺ إنما هو من عند الله؛ ولذلك لم تدخل الباء على كلمة (رسوله)، لهذا جمع الله تعالى بين لفظ الجلالة ورسوله بحرف الواو دون حرف (الباء).

٢ـ بينما في قضية الكفر، نجد أنّ حرف الباء قد دخل على كلمة (الرسول)، كما في قوله تعالى: ﴿ وَمَا مَنَعَهُمۡ أَن تُقۡبَلَ مِنۡهُمۡ نَفَقَٰتُهُمۡ إِلَّآ أَنَّهُمۡ كَفَرُواْ بِٱللَّهِ وَبِرَسُولِهِۦ ﴾ [التوبة: ٥٤].

وهنا دخول الباء ضروري؛ لأنّ الكفر بالله مختلف عن الكفر برسول الله، فالكفار لم يؤمنوا بوجود إله واحد قادر على البعث والنشور، وهذا كفرهم بالله. وأمّا كفرهم برسول الله فهو أنهم كانوا يلقبون الرسول محمداً ﷺ قبل أنْ يُبعث بالصادق الأمين، وكان معروفاً بينهم بخلقه الكريم، فلمّا بُعث فيهم قالوا عنه: ساحر أو مجنون ﴿وَيَقُولُونَ

أَئِنَّا لَتَارِكُوٓاْ ءَالِهَتِنَا لِشَاعِرٍ مَّجْنُونٍ ﴿٣٦﴾ ﴾[الصافات: ٣٦] ﴿وَقَالَ ٱلْكَٰفِرُونَ هَٰذَا سَٰحِرٌ كَذَّابٌ ﴿٤﴾ ﴾ [ص: ٤] وهذا كفرهم برسول الله. وفي هذا يقول الله تعالى: ﴿ قَدْ نَعْلَمُ إِنَّهُۥ لَيَحْزُنُكَ ٱلَّذِى يَقُولُونَ ۖ فَإِنَّهُمْ لَا يُكَذِّبُونَكَ وَلَٰكِنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ يَجْحَدُونَ ﴿٣٣﴾ ﴾ [الأنعام: ٣٣].

وعندما تأتي ﴿كَفَرُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ﴾ كما في آيتي سورة التوبة [٨٠-٨٤] فهذا يشير إلى أنّ كفرهم بالرسول في هذه الحالة تابع وهو امتداد لكفرهم بالله، فالقرآن هنا أثبت الكفر بالجمع بين الجهتين، بينما في آية التوبة ٥٤ أثبت الكفر على سبيل الجمع والإفراد ؛ لأنّ من الكفار من يؤمن بالله فقط دون أن يؤمن بالرسول عليه السلام مثل كفار قريش، ومنهم من يكفر بالله ويكفر برسوله مثل حال الشيوعين وأمثالهم وكلا الفريقين كافر، بينما الإيمان الصحيح هو فقط من يؤمن بالله ورسوله عليه السلام إضافة إلى باقي أركان الإيمان المعروفة. والله أعلم.

السؤال الثالث:

قوله تعالى في آية النساء ١٣٦ ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ ءَامِنُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَٱلْكِتَٰبِ ٱلَّذِى نَزَّلَ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ وَٱلْكِتَٰبِ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ مِن قَبْلُ ۚ﴾ جاء في صلة وصف الكتاب المنزّل على محمد ﷺ بصيغة التفعيل ﴿نَزَّلَ﴾، بينما جاء في صلة وصف الكتاب المنزّل من قبل خالياً من التضعيف ﴿أَنزَلَ﴾، فلِمَ خصّ القرآن بالتضعيف؟

الجواب:

إنما خصّ الله تبارك وتعالى القرآن بصيغة (نزّل) التي تدل على التضعيف؛ لأن القرآن حينئذ كان يتنزّل على قلب محمد ﷺ منجماً، فناسب ﴿نَزَّلَ﴾ بالتضعيف التي تفيد التكرار، بينما التوراة يومئذ كانت قد انقضى نزولها، وقد نزلت دفعة واحدة فناسب ﴿أَنزَلَ﴾.

السؤال الرابع:

ما الفرق بين (نزّل) و(أنزل)؟

الجواب:

انظر الجواب في آية آل عمران رقم ٣.

❋❋❋❋

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ثُمَّ كَفَرُواْ ثُمَّ ءَامَنُواْ ثُمَّ كَفَرُواْ ثُمَّ ٱزْدَادُواْ كُفْرًا لَّمْ يَكُنِ ٱللَّهُ لِيَغْفِرَ لَهُمْ وَلَا لِيَهْدِيَهُمْ سَبِيلًا ﴿١٣٧﴾﴾

السؤال الأول:

ما سبب حذف الفاء في آية النساء في قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ثُمَّ كَفَرُواْ ثُمَّ ءَامَنُواْ ثُمَّ كَفَرُواْ ثُمَّ ٱزْدَادُواْ كُفْرًا لَّمْ يَكُنِ ٱللَّهُ لِيَغْفِرَ لَهُمْ وَلَا لِيَهْدِيَهُمْ سَبِيلًا ﴿١٣٧﴾﴾ وذكرها في قوله تعالى في سورة محمد: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَصَدُّواْ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ ثُمَّ مَاتُواْ وَهُمْ كُفَّارٌ فَلَن يَغْفِرَ ٱللَّهُ لَهُمْ ﴿٣٤﴾﴾ [محمد:٣٤]؟

الجواب:

١ـ الواو لمطلق الجمع، وقد يكون عطف جملة على جملة، نحو قوله تعالى في سورة الأنعام: ﴿ فَالِقُ ٱلۡإِصۡبَاحِ وَجَعَلَ ٱلَّيۡلَ سَكَنًا وَٱلشَّمۡسَ وَٱلۡقَمَرَ حُسۡبَانًاۚ ذَٰلِكَ تَقۡدِيرُ ٱلۡعَزِيزِ ٱلۡعَلِيمِ ﴿٩٦﴾ وَهُوَ ٱلَّذِي جَعَلَ لَكُمُ ٱلنُّجُومَ لِتَهۡتَدُواْ بِهَا فِي ظُلُمَٰتِ ٱلۡبَرِّ وَٱلۡبَحۡرِۗ قَدۡ فَصَّلۡنَا ٱلۡأٓيَٰتِ لِقَوۡمٖ يَعۡلَمُونَ ﴿٩٧﴾ ﴾ [الأنعام:٩٦-٩٧].

٢ـ الفاء تفيد السبب، وهذا المشهور في معناها (درس فنجح) .

فإذا كان ما قبلها سبباً لما بعدها، أي: أنّ الذي قبلها يفضي لما بعدها فإنه يأتي بالفاء ولا يأتي بالواو؛ لأن الواو لمطلق الجمع، وهذا حكم عام .

٣ـ ثم إن الفاء يؤتى بها في التبكيت، أي: التهديد، أي: لو أنّ عندنا عبارتين إحداهما فيها فاء والأخرى بغير فاء، وهو من باب جواز الذِّكر وعدم الذِّكر نضع الفاء مع الأشد توكيداً.

* شواهد قرآنية:

مقارنة بين آية النساء ١٣٧ وآية محمد ٣٤

ـ ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ثُمَّ كَفَرُواْ ثُمَّ ءَامَنُواْ ثُمَّ كَفَرُواْ ثُمَّ ٱزۡدَادُواْ كُفۡرٗا لَّمۡ يَكُنِ ٱللَّهُ لِيَغۡفِرَ لَهُمۡ وَلَا لِيَهۡدِيَهُمۡ سَبِيلَۢا ﴿١٣٧﴾ ﴾ ليس فيها فاء، وفي الآية هم أحياء وقد يتوبون .

ـ ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَصَدُّواْ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ ثُمَّ مَاتُواْ وَهُمۡ كُفَّارٞ فَلَن يَغۡفِرَ ٱللَّهُ لَهُمۡ ﴿٣٤﴾ ﴾ [محمد:٣٤] لأنهم لا تُرجى لهم توبة؛ لأنهم ماتوا على الكفر، فجاء بالفاء .

مقارنة بين آيتي آل عمران المتتاليتين ٩٠و٩١

- ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بَعْدَ إِيمَـٰنِهِمْ ثُمَّ ٱزْدَادُوا۟ كُفْرًا لَّن تُقْبَلَ تَوْبَتُهُمْ وَأُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلضَّآلُّونَ﴾ [آل عمران:٩٠] .

- ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَمَاتُوا۟ وَهُمْ كُفَّارٌ فَلَن يُقْبَلَ مِنْ أَحَدِهِم مِّلْءُ ٱلْأَرْضِ ذَهَبًا وَلَوِ ٱفْتَدَىٰ بِهِۦٓ أُو۟لَـٰٓئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ وَمَا لَهُم مِّن نَّـٰصِرِينَ ﴿٩١﴾﴾ [آل عمران:٩١] والآيتان فيهما نفس التعبير، وهو النفي بـ ﴿لن﴾، وقد جاءت إحداهما بالفاء، وهي قوله تعالى ﴿وَمَاتُوا۟ وَهُمْ كُفَّارٌ فَلَن يُقْبَلَ﴾ [البقرة:١٦١] لأنهم ماتوا وانتهى عملهم. والنُحاة يقولون: قد تأتي الفاء للتوكيد.

❊❊❊❊

﴿بَشِّرِ ٱلْمُنَـٰفِقِينَ بِأَنَّ لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ﴿١٣٨﴾﴾

السؤال الأول:

ما دلالة قوله تعالى: ﴿بَشِّرِ ٱلْمُنَـٰفِقِينَ بِأَنَّ لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ﴿١٣٨﴾﴾؟

الجواب:

المعروف أنّ التبشيرهو بالشيء الحسن، أمّا هنا فجاء التبشير من باب السخرية والتهكم منهم، كما في قوله تعالى أيضاً في آية الدخان ٤٩ ﴿ذُقْ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْكَرِيمُ ﴿٤٩﴾﴾ قوله (العزيز الكريم) هو من باب التهكم والسخرية.

السؤال الثاني:

قال تعالى في سورة النساء: ﴿بَشِّرِ ٱلْمُنَـٰفِقِينَ بِأَنَّ لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ﴿١٣٨﴾﴾ وقال تعالى في سورة البقرة: ﴿وَبَشِّرِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّـٰلِحَـٰتِ أَنَّ لَهُمْ جَنَّـٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَـٰرُ كُلَّمَا رُزِقُوا۟

مِنۡهَا مِن ثَمَرَةٖ رِّزۡقٗا قَالُواْ هَٰذَا ٱلَّذِي رُزِقۡنَا مِن قَبۡلُۖ وَأُتُواْ بِهِۦ مُتَشَٰبِهٗاۖ وَلَهُمۡ فِيهَآ أَزۡوَٰجٞ مُّطَهَّرَةٞۖ وَهُمۡ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿٢٥﴾﴾ [البقرة:٢٥] ذكر (الباء) في الآية الأولى ﴿بِأَنَّ﴾ [النساء:١٣٨] وحذفها في الثانية ﴿أَنَّ﴾ [البقرة:٢٥]، مع أنّ التقدير هو (بأن). فلماذا؟

الجواب:

١ـ ذكر حرف (الباء) آكد من حذفها .

٢ـ ذكر الباء في سورة النساء؛لأنّ تبشير المنافقين آكد من تبشير المؤمنين، ففي سورة النساء أكّد، وفصّل في عذاب المنافقين في عشر آيات [١٣٦ـ١٤٥] من قوله: ﴿وَمَن يَكۡفُرۡ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ﴾ .

أمّا في آية البقرة ٢٥ فهي الآية الوحيدة التي ذكر فيها كلاماً عن الجزاء وصفات المؤمنين في كل سورة البقرة.

٣ـ لفظة (بأنّ) أكثر من (أنّ) ؛ فالباء الزائدة تناسب الزيادة في ذكر المنافقين وجزائهم.

٤ـ وكذلك الأمر في سورة الأحزاب، قال تعالى: ﴿ وَبَشِّرِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ بِأَنَّ لَهُم مِّنَ ٱللَّهِ فَضۡلٗا كَبِيرٗا ﴿٤٧﴾﴾ [الأحزاب:٤٧] ذكر (الباء) ؛ لأنه تعالى فصّل في السورة جزاء المؤمنين وصفاتهم.

السؤال الثالث:

ما إعراب بـ (أنّ) في آية النساء ١٣٨﴿ بَشِّرِ ٱلۡمُنَٰفِقِينَ بِأَنَّ لَهُمۡ عَذَابًا أَلِيمًا ﴿١٣٨﴾﴾؟ أو في آية الأحزاب ٤٧ ﴿ وَبَشِّرِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ بِأَنَّ لَهُم مِّنَ ٱللَّهِ فَضۡلٗا كَبِيرٗا ﴿٤٧﴾﴾؟

الجواب:

١ـ أنّ: حرف مصدري، والمصدر المؤول سقط على نزع الخافض.

٢ـ الحروف المصدرية هي:[أن وأنّ ولو وما وكي].

السؤال الرابع:

ما دلالة هذا الأسلوب الأدبي في الآية ﴿ بَشِّرِ ٱلْمُنَٰفِقِينَ بِأَنَّ لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ﴿١٣٨﴾ ﴾؟

الجواب:

انظر إلى هذا الأسلوب الأدبي الذي سلك مع المنافقين مسلك المشاكلة فالمنافق الذي يتظاهر بالإيمان ويُبطن الكفر يتهكم بالإسلام وأهله، ولذلك جاء ربنا في جزاء عملهم بوعيد مناسب لتهكمهم بالمسلمين، فبدأ هذا الجزاء بفعل بلغ في التهكم والسخرية منهم مبلغاً عظيماً فقال: ﴿ بَشِّرِ ٱلْمُنَٰفِقِينَ ﴾، وبماذا ستكون البشارة؟! أبجنَّة عرضها السموات والأرض؛ لأنّ البشارة خبر بما يُفرِح؟! لا، بل بشّرهم بأنّ لهم عذاباً أليماً، وفي هذا غاية التهكم والسخرية منهم.

❁❁❁❁

﴿ ٱلَّذِينَ يَتَّخِذُونَ ٱلْكَٰفِرِينَ أَوْلِيَآءَ مِن دُونِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ۚ أَيَبْتَغُونَ عِندَهُمُ ٱلْعِزَّةَ فَإِنَّ ٱلْعِزَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا ﴿١٣٩﴾ ﴾

السؤال الأول:

ما دلالة قوله تعالى: ﴿فَإِنَّ ٱلْعِزَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا ﴿١٣٩﴾ ﴾؟

الجواب:

(العزة) مأخوذة من معنى مادي، وهو الصلابة والشدة، فالأرض العَزَاز، أي: الصلبة التي لا ينال منها المعول، ثم نقل المعنى إلى كل شديد، فكل شيء شديد فيه عزة، والمراد بها الغلبة والنصر.

فإذا قيل: (الله عزيز) فمعناه: أنه تعالى غالب على أمره شديد لا يقدر على قوته أحد.

والمنافقون يريدون العزة ولكن من نظائرهم هم ؛ لأنهم لا يملكون لهم عزة ذاتية، فطلبوها من مساوٍ لهم من الأغيار من البشر.

والله يقول لهم في المعنى: إنكم إنْ أردتم العزة الحقيقية فلن تجدوها إلا عند الله صاحب العزة، الذي لا تناله الأغيار.

وقوله تعالى: ﴿فَإِنَّ ٱلۡعِزَّةَ لِلَّهِ جَمِيعٗا ١٣٩﴾ تدل على أنّ العزة لها أنواع شتى مثل عزة الغنى وعزة السلطان وعزة الجاه وغيرها، فإنْ أراد واحد أنْ يعرفها ويعلمها فهي ﴿جَمِيعٗا ١٣٩﴾ في الحق سبحانه وتعالى، وبهذا يرفع الله عبده الفقير إلى أعلى درجات العزة .

﴿ٱلَّذِينَ يَتَرَبَّصُونَ بِكُمْ فَإِن كَانَ لَكُمْ فَتْحٌ مِّنَ ٱللَّهِ قَالُوٓا۟ أَلَمْ نَكُن مَّعَكُمْ وَإِن كَانَ لِلْكَٰفِرِينَ نَصِيبٌ قَالُوٓا۟ أَلَمْ نَسْتَحْوِذْ عَلَيْكُمْ وَنَمْنَعْكُم مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ۚ فَٱللَّهُ يَحْكُمُ بَيْنَكُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ۗ وَلَن يَجْعَلَ ٱللَّهُ لِلْكَٰفِرِينَ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ سَبِيلًا ﴿١٤١﴾﴾

السؤال الأول:

ما دلالة هذا المشهد الحسي الذي يرصد حركة المنافقين في الآية؟

الجواب:

تأمل هذا المشهد الحسي الذي يرصد حركة المنافقين، وكأنك ترى تقلبهم وتمالؤهم في صورة منفّرة مزرية، فهاهم يلقون المسلمين بوجه ويلقون الكافرين بوجه، ويمسكون العصا من وسطها ويتلوّنون كالثعابين، فكم يثير الفعل ﴿يَتَرَبَّصُونَ﴾ في النفس مشاعر الكره والنفور من هذه الطائفة أكثر مما يبعثه الفعل (يترقبون).

❁❁❁❁

﴿مُّذَبْذَبِينَ بَيْنَ ذَٰلِكَ لَآ إِلَىٰ هَٰٓؤُلَآءِ وَلَآ إِلَىٰ هَٰٓؤُلَآءِ ۚ وَمَن يُضْلِلِ ٱللَّهُ فَلَن تَجِدَ لَهُۥ سَبِيلًا ﴿١٤٣﴾﴾

السؤال الأول:

كيف استخدم القرآن كلمة ﴿مُّذَبْذَبِينَ﴾ في الآية؟

الجواب:

تأمل أسرار القرآن وكيف أن كل عبارة ترسم لك فكرة، وهذا أمر معلوم ولكن القرآن تجاوز هذا إلى الكلمة المعبّرة، ألا ترى كيف استخدم القرآن كلمة ﴿مُّذَبْذَبِينَ﴾ ليعبّر عن شدة خوفهم واضطرابهم، ولو ذهبت لكي تضع مكانها أي كلمة ما أدّت المعنى المطلوب، فهي تدل على الاضطراب والتعجّل من جهة المعنى، وتفيد الكثرة من خلال تكرار الأحرف.

❊❊❊❊

﴿إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ فِى ٱلدَّرْكِ ٱلْأَسْفَلِ مِنَ ٱلنَّارِ وَلَن تَجِدَ لَهُمْ نَصِيرًا ﴿١٤٥﴾﴾

السؤال الأول:

هل المنافقون في الدرك الأسفل في النار؟ وهل يشمل الكفار أو يشمل الكفار والمنافقين من المسلمين؟

الجواب:

١ـ أما المنافقون فنعم، وربنا قال هذا؛ لأنّ المنافق كما ذكر ربنا سبحانه وتعالى ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَقُولُ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَبِٱلْيَوْمِ ٱلْأَخِرِ وَمَا هُم بِمُؤْمِنِينَ ﴿٨﴾ يُخَٰدِعُونَ ٱللَّهَ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَمَا يَخْدَعُونَ إِلَّآ أَنفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ ﴿٩﴾﴾ [البقرة:٨-٩] والمنافق هو الذي يبطن الكفر ويظهر الإيمان تحديداً.

وإنْ قيل: إذا كنت أُبطنُ كُرهي لشخص معين وأُظهرُ له مودتي، هل هذا نفاق؟

والجواب: هذا ليس النفاق الشرعي المذكور في القرآن، وهو إبطان الكفر وإظهار الإيمان.

والمقصود بقوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ فِى ٱلدَّرْكِ ٱلْأَسْفَلِ مِنَ ٱلنَّارِ﴾ هؤلاء الذين يبطنون الكفر ويظهرون الإيمان، وبالتالي ليسوا مسلمين.

٢ـ والمنافق وإنْ كان في الظاهر أحسن حالاً من الكافر في الدنيا، بدليل أنه معصوم الدم، إلا أنه عند الله في الآخرة أسوأ حالاً؛ لأنه شارك الكافر بكفره من جهة، وزاد عليه - من جهة أخرى - الاستهزاء بالإسلام وأهله والمخادعة لله ورسوله.

❁❁❁❁

﴿إِلَّا ٱلَّذِينَ تَابُوا۟ وَأَصْلَحُوا۟ وَٱعْتَصَمُوا۟ بِٱللَّهِ وَأَخْلَصُوا۟ دِينَهُمْ لِلَّهِ فَأُو۟لَٰٓئِكَ مَعَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ۖ وَسَوْفَ يُؤْتِ ٱللَّهُ ٱلْمُؤْمِنِينَ أَجْرًا عَظِيمًا ﴿١٤٦﴾﴾

السؤال الأول:

قوله تعالى في آية النساء ١٤٦ ﴿وَأَخْلَصُوا۟ دِينَهُمْ لِلَّهِ﴾ فقدّم الدين على الجار والمجرور، وقوله في آية الأعراف ٢٩ ﴿مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ﴾ فقدّم الجار والمجرور على الدين، وكذلك في قوله في آية الزمر ﴿مُخْلِصًا لَّهُ ٱلدِّينَ ﴿٢﴾﴾.

فما دلالة (تقديم الجار والمجرور على الدين) أو (تقديم الدين على الجار والمجرور) في آيات القرآن الكريم؟

الجواب:

١ـ في عموم الآيات في القرآن الكريم يقدم الجار والمجرور على الدين عدا آية النساء ١٤٦ ﴿إِلَّا ٱلَّذِينَ تَابُواْ وَأَصۡلَحُواْ وَٱعۡتَصَمُواْ بِٱللَّهِ وَأَخۡلَصُواْ دِينَهُمۡ لِلَّهِ﴾ فقدّم الدين على الجار والمجرور، والتأخير حسب ما يقتضيه السياق.

٢ـ السياق في سورة النساء في الكلام عن المنافقين يبدأ من قوله تعالى: ﴿بَشِّرِ ٱلۡمُنَٰفِقِينَ بِأَنَّ لَهُمۡ عَذَابًا أَلِيمًا ﴿١٣٨﴾ ٱلَّذِينَ يَتَّخِذُونَ ٱلۡكَٰفِرِينَ أَوۡلِيَآءَ مِن دُونِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَۚ أَيَبۡتَغُونَ عِندَهُمُ ٱلۡعِزَّةَ فَإِنَّ ٱلۡعِزَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا ﴿١٣٩﴾ وَقَدۡ نَزَّلَ عَلَيۡكُمۡ فِي ٱلۡكِتَٰبِ أَنۡ إِذَا سَمِعۡتُمۡ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ يُكۡفَرُ بِهَا وَيُسۡتَهۡزَأُ بِهَا فَلَا تَقۡعُدُواْ مَعَهُمۡ حَتَّىٰ يَخُوضُواْ فِي حَدِيثٍ غَيۡرِهِۦٓۚ إِنَّكُمۡ إِذٗا مِّثۡلُهُمۡۗ إِنَّ ٱللَّهَ جَامِعُ ٱلۡمُنَٰفِقِينَ وَٱلۡكَٰفِرِينَ فِي جَهَنَّمَ جَمِيعًا ﴿١٤٠﴾ ٱلَّذِينَ يَتَرَبَّصُونَ بِكُمۡ فَإِن كَانَ لَكُمۡ فَتۡحٞ مِّنَ ٱللَّهِ قَالُوٓاْ أَلَمۡ نَكُن مَّعَكُمۡ وَإِن كَانَ لِلۡكَٰفِرِينَ نَصِيبٞ قَالُوٓاْ أَلَمۡ نَسۡتَحۡوِذۡ عَلَيۡكُمۡ وَنَمۡنَعۡكُم مِّنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَۚ فَٱللَّهُ يَحۡكُمُ بَيۡنَكُمۡ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِۗ وَلَن يَجۡعَلَ ٱللَّهُ لِلۡكَٰفِرِينَ عَلَى ٱلۡمُؤۡمِنِينَ سَبِيلًا ﴿١٤١﴾ إِنَّ ٱلۡمُنَٰفِقِينَ يُخَٰدِعُونَ ٱللَّهَ وَهُوَ خَٰدِعُهُمۡ وَإِذَا قَامُوٓاْ إِلَى ٱلصَّلَوٰةِ قَامُواْ كُسَالَىٰ يُرَآءُونَ ٱلنَّاسَ وَلَا يَذۡكُرُونَ ٱللَّهَ إِلَّا قَلِيلٗا ﴿١٤٢﴾ مُّذَبۡذَبِينَ بَيۡنَ ذَٰلِكَ لَآ إِلَىٰ هَٰٓؤُلَآءِ وَلَآ إِلَىٰ هَٰٓؤُلَآءِۚ وَمَن يُضۡلِلِ ٱللَّهُ فَلَن تَجِدَ لَهُۥ سَبِيلٗا ﴿١٤٣﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُواْ ٱلۡكَٰفِرِينَ أَوۡلِيَآءَ مِن دُونِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَۚ أَتُرِيدُونَ أَن تَجۡعَلُواْ لِلَّهِ عَلَيۡكُمۡ سُلۡطَٰنٗا مُّبِينًا ﴿١٤٤﴾ إِنَّ ٱلۡمُنَٰفِقِينَ فِي ٱلدَّرۡكِ ٱلۡأَسۡفَلِ مِنَ ٱلنَّارِ وَلَن تَجِدَ لَهُمۡ نَصِيرًا ﴿١٤٥﴾ إِلَّا ٱلَّذِينَ تَابُواْ وَأَصۡلَحُواْ وَٱعۡتَصَمُواْ بِٱللَّهِ وَأَخۡلَصُواْ دِينَهُمۡ لِلَّهِ فَأُوْلَٰٓئِكَ مَعَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَۖ وَسَوۡفَ يُؤۡتِ ٱللَّهُ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ أَجۡرًا عَظِيمٗا ﴿١٤٦﴾﴾ [النساء:١٣٨-١٣٩-١٤٠-١٤١-١٤٢-١٤٣-١٤٤-١٤٥-١٤٦]

تسع آيات تتعلق بذكر المنافقين، فلمّا كان الكلام عن ذكر المنافقين قدّم ما يتعلق بالمنافقين، وهو كلمة (دين) المضافة إلى ضميرهم،فقال: ﴿وَأَخۡلَصُواْ دِينَهُمۡ لِلَّهِ﴾.

٣ـ الآيات الأخرى كلها الكلام فيها عن الله تعالى، فقدّم ما يتعلق به،كما في الآيات:

- ﴿ إِنَّآ أَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ فَٱعْبُدِ ٱللَّهَ مُخْلِصًا لَّهُ ٱلدِّينَ ﴿٢﴾ أَلَا لِلَّهِ ٱلدِّينُ ٱلْخَالِصُ ﴾ [الزُّمَر:٢-٣] الكلام عن الله تعالى.

- ﴿ قُلْ إِنِّىٓ أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ ٱللَّهَ مُخْلِصًا لَّهُ ٱلدِّينَ ﴿١١﴾ وَأُمِرْتُ لِأَنْ أَكُونَ أَوَّلَ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴿١٢﴾ قُلْ إِنِّىٓ أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّى عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿١٣﴾ قُلِ ٱللَّهَ أَعْبُدُ مُخْلِصًا لَّهُۥ دِينِى ﴿١٤﴾ ﴾ [الزُّمَر:١١-١٢-١٣-١٤]، والكلام هو عن الله تعالى، فلمّا كان الكلام عن الله قدّم ضميره؛ أي ما يتعلق به.

- ﴿ هُوَ ٱلْحَىُّ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ فَٱدْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ ۗ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٦٥﴾ ﴾ [غافر:٦٥].

فلمّا كان الكلام عن الله قدّم ما يتعلق به وهو ضميره ،ولمّا كان الكلام عن المنافقين في آية النساء قدّم ما يتعلق بهم وهو ضميرهم ﴿ دِينَهُمْ ﴾

وهكذا في جميع القرآن.

السؤال الثاني:

قوله تعالى في الآية ﴿ وَسَوْفَ يُؤْتِ ٱللَّهُ ٱلْمُؤْمِنِينَ أَجْرًا عَظِيمًا ﴿١٤٦﴾ ﴾ جاءت كلمة ﴿ يُؤْتِ ﴾ مع حذف الياء مع عدم وجود أداة جزم ولكن بحسب قواعد رسم الياء في المصحف، فما تلك القواعد والتعليلات اللغوية في رسم الياء؟

الجواب:

الحروف الثلاثة (الألف والواو والياء) تقابلها ثلاث حركات، وهي (الفتحة والضمة والكسرة)، فالفتحة بعض الألف، والضمة بعض الواو، والكسرة بعض الياء، ولو أشبعت الحركة لانقلبت إلى حرفها .

وقد كان متقدمو النحاة يسمون الفتحة الألف الصغيرة، والضمة الواو الصغيرة، والكسرة الياء الصغيرة .

التعليلات اللغوية في رسم الياء:

أولاً:

تحذف الياء للدلالة على سرعة وقوع الفعل وسهولته على الفاعل وشدة قبول المنفعل المتأثر به في الوجود، والعرب قد تحذف الياء وتكتفي بكسر ما قبلها منها، فتقول: هذا غلامِ، بدل: هذا غلامي؛ لأنّ من كلامهم أنْ يحذفوا في الوقف ما لا يذهب في الوصل.

وقد أشار الفراء إلى أنّ حذف الياء جائز في كلام العرب، سواء أكانت ضميراً أم من بنية الكلمة إذا كان ما قبلها مكسوراً .

ثانياً:

وأما حذف الياء فيكون بسبب:

آ ـ الوقف وهو الأكثر.

ب ـ في الوصل عندما تلتقي حركة طويلة في آخر كلمة بحرف ساكن في أول كلمة تتلوها، فكأنّ حذفها بسبب سقوطها في اللفظ لا بسبب أداة جزم.

ج ـ وعلى ذلك جرى نسّاخ المصاحف العثمانية في الخط دون أنْ يلتزموه في كل الأمثلة؛ لأنّ الكاتب يظل متردداً بين الالتزام بأصل رسم الكلمة وهي منعزلة عن السياق والاستجابة لواقع نطقها وهي في درج الكلام المتصل .

د ـ تحذف الياء من الأفعال، وخاصة في صيغة الأمر أو النهي مثل: ﴿فَٱرۡهَبُونِ ۝٤٠﴾ [البقرة:٤٠] ﴿فَٱتَّقُونِ ۝٤١﴾ [البقرة:٤١] ﴿وَلَا تُنظِرُونِ ۝٧١﴾ [يونس:٧١] ﴿وَلَا تَقۡرَبُونِ ۝٦٠﴾ [يوسف:٦٠].

هـ ـ وقد تحذف الياء في كل اسم منادى أضافه المتكلم إلى نفسه، نحو: ﴿يَٰقَوۡمِ﴾ ﴿يَٰرَبِّ﴾ ﴿يَٰعِبَادِ﴾ إلا في موضعين أثبتوا فيهما الياء، وهما:

١ ـ ﴿يَٰعِبَادِيَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ﴾ [العنكبوت:٥٦].

٢ ـ ﴿يَٰعِبَادِيَ ٱلَّذِينَ أَسۡرَفُواْ﴾ [الزُّمَر:٥٣].

واختلفوا في آية الزخرف ٦٨ ﴿يَٰعِبَادِ لَا خَوۡفٌ عَلَيۡكُمُ﴾[الزُّخرُف:٦٨] ففي بعضها ياء وفي بعضها من دون ياء.

وقد يكون ذلك بسبب ما يصاحب صيغة النداء أو الأمر أو النهي من سرعة النطق بمقاطع الكلمة مما يسبب سقوط الحركات أو تقصيرها، كما قصرت في الفعل المضارع المجزوم أو فعل الأمر مثل: [اخشَ ـ ادعُ ـ ارمِ].

* شواهد الحالة (أ):

وردت في المصحف في حوالي خمسة عشر موضعاً منها:

ـ ﴿وَسَوۡفَ يُؤۡتِ ٱللَّهُ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ﴾ [النساء:١٤٦].

ـ ﴿نُنجِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ۝١٠٣﴾ [يونس:١٠٣].

ـ ﴿بِٱلۡوَادِ ٱلۡمُقَدَّسِ﴾ [طه:١٢][النازعات:١٦].

ـ ﴿لَهَادِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ﴾ [الحج:٥٤].

- ﴿وَادِ ٱلنَّمْلِ﴾ [النمل:١٨].

- ﴿ٱلْوَادِ ٱلْأَيْمَنِ﴾ [القصص:٣٠].

- ﴿صَالِ ٱلْجَحِيمِ ﴿١٦٣﴾﴾ [الصافات:١٦٣].

- ﴿يُنَادِ ٱلْمُنَادِ﴾ [ق:٤١] .

- ﴿فَمَا تُغْنِ ٱلنُّذُرُ ﴿٥﴾﴾ [القمر:٥] .

- ﴿ٱلْجَوَارِ ٱلْمُنشَـَٔاتُ﴾ [الرحمن:٢٤] .

- ﴿ٱلْجَوَارِ ٱلْكُنَّسِ ﴿١٦﴾﴾ [التكوير:١٦].

* شواهد الحالة (ب):

وهي بقاء الياء في الخط رغم سقوطها من اللفظ بسبب استقبالها للحرف الساكن:

- ﴿يُؤْتِى ٱلْحِكْمَةَ﴾ [البقرة:٢٦٩] .

- ﴿فَسَوْفَ يَأْتِى ٱللَّهُ﴾ [المائدة:٥٤].

- ﴿وَمَا تُغْنِى ٱلْـَٔايَـٰتُ وَٱلنُّذُرُ﴾ [يونس:١٠١].

- ﴿أَنِّىٓ أُوفِى ٱلْكَيْلَ﴾ [يوسف:٥٩].

- ﴿أَنَّا نَأْتِى ٱلْأَرْضَ﴾ [الرعد:٤١].

- ﴿وَأَنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْكَـٰفِرِينَ ﴿١٠٧﴾﴾ [النحل:١٠٧].

- ﴿إِلَّآ ءَاتِى ٱلرَّحْمَـٰنِ عَبْدًا ﴿٩٣﴾﴾ [مريم:٩٣] .

- ﴿بِهَـٰدِى ٱلْعُمْىِ﴾ [النمل:٨١] .

- ﴿لَا نَبْتَغِى ٱلْجَـٰهِلِينَ ﴿٥٥﴾﴾ [القصص:٥٥] .

- ﴿يُلْقِى ٱلرُّوحَ﴾ [غافر:١٥] .

وبشكل عام فإنّ العرب قد يحذفون الياء مرة ويثبتونها مرة أخرى، فمن حذفها اكتفى بالكسرة التي قبلها دليلاً عليها، والياء هي آخر الحروف فاستثقلت فحذفت، ومن أتمها فهو البناء والأصل .

ويتضح أنّ ما جاء محذوفاً من الياء في الرسم العثماني إنما كان استجابة لحذفها أو تقصيرها في اللفظ، سواء أكان ذلك في حالة الوقف أم في حالة الوصل، جرياً على قاعدة أن الأصل في الكتابة مطابقة الخط للفظ .

لكن علينا أنْ نلاحظ أنّ هذه القاعدة لم تكن مطلقة، فقد جاءت بعض الكلمات التي آخرها ياء مثبتة في الرسم في حوالي أربعين موضعاً، مما حذفت من نظائر بعضها رمز الكسرة الطويلة.

ولعلّ إثباتهم الياء في هذه المواضع إنما جرى على الأصل في النطق في تلك الأمثلة.

ومما يؤيد أنّ ذلك الحذف كان استجابة للفظ هو ورود الرواية عن أئمة القراءة بذلك، فمنهم من حذف وصلاً ووقفاً، ومنهم من أثبت وصلاً وحَذَفَ وقفاً. والله أعلم.

ثالثاً:

زيادة الياء هي علامة اختصاص ملكوتي، نحو قوله تعالى في سورة الذاريات ﴿وَٱلسَّمَآءَ بَنَيۡنَٰهَا بِأَيۡيْدٖ﴾ كُتبت بياءين فرقاً عن (الأيد) الذي هو القوة و(الأيدي) جمع يد؛ لأنّ القوة التي بنى الله بها السماء هي أحق بالثبوت في الوجود من الأيدي، فزيدت الياء لاختصاص اللفظ بالمعنى الأظهر في الإدراك الملكوتي في الوجود.

ياء الإضافة:

١ـ تتصل ياء الإضافة بكل من الاسم والفعل والحرف، نحو [نفسي ـ أوزعني ـ لي].

٢ـ الخلاف بين القراء في ياءات الإضافة دائر بين الفتح والسكون، وهما لغتان مشهورتان عند العرب، والسكون فيها هو الأصل، وإنما حُركت لتقويتها .

٣ـ بالتتبع تبين أنّ ياءات الإضافة في القرآن الكريم على ثلاثة أنواع:

آ ـ ما أجمع القراء على إسكانه، وهو الأكثر لمجيئه على الأصل (٥٦٦) ياء .

ب ـ ما أجمع القراء على فتحه (٢١) ياء.

ج ـ ما اختلف القراء في إسكانه وفتحه (٢١٢) ياء.

رابعاً:

كلمة ﴿تَسۡـَٔلۡنِى﴾ [الكهف:٧٠] .

وردت في القرآن الكريم في آيتين، مع وجود (اللام الناهية) التي تجزم الفعل المضارع.

أ ـ قوله تعالى: ﴿فَلَا تَسْـَٔلْنِ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ﴾ [هود:٤٦] وياء المتكلم هنا هو الله تعالى، وقد حذفت كتابة.

ب ـ قوله تعالى: ﴿فَلَا تَسْـَٔلْنِى عَن شَىْءٍ حَتَّىٰٓ أُحْدِثَ لَكَ مِنْهُ ذِكْرًا ۝٧٠﴾ [الكهف:٧٠] ولم تحذف هنا الياء.

وقيل في الأول: وعِلم هذا المسؤول غيب ملكوتي بخلاف آية الكهف، فهو علم مشهود كخرق السفينة وقتل الغلام وإقامة الجدار.

❊❊❊❊

﴿مَّا يَفْعَلُ ٱللَّهُ بِعَذَابِكُمْ إِن شَكَرْتُمْ وَءَامَنتُمْ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ شَاكِرًا عَلِيمًا ۝١٤٧﴾

السؤال الأول:

ما دلالة قوله تعالى في الآية ﴿مَّا يَفْعَلُ ٱللَّهُ بِعَذَابِكُمْ إِن شَكَرْتُمْ وَءَامَنتُمْ ۚ﴾؟

الجواب:

١ـ المعنى: هل يعذبكم الله لأجل التشفي؟ أم لطلب النفع؟ أم لدفع الضرر؟ كل ذلك محالٌ في حقه؛ لأنه تعالى غني لذاته عن الحاجات منزه عن جلب المنافع ودفع المضار.

والمراد من ذلك دفع المكلفين على فعل الحسن والخير والاحتراز عن القبيح، فإنْ أتيتم بالحسن وتركتم القبيح فكيف يليق بكرمه أنْ يعذبكم؟!

٢ـ في تقدم الشكر على الإيمان وجهان:

آ ـ على التقديم والتأخير، أي: آمنتم وشكرتم .

ب ـ الواو لا توجب الترتيب، وإنما لمجرد العطف .

السؤال الثاني:

ما دلالة قوله تعالى: ﴿وَكَانَ ٱللَّهُ شَاكِرًا عَلِيمًا ﴿١٤٧﴾﴾؟

الجواب:

قوله تعالى: ﴿وَكَانَ ٱللَّهُ شَاكِرًا عَلِيمًا ﴿١٤٧﴾﴾؛ لأنه تعالى لمّا أمرهم بالشكر سمى جزاء الشكر شكراً على سبيل الاستعـــــارة، والمعنى أنّ الله عليم فهو يعطي الثواب إلى الشاكر .

❊❊❊❊

﴿ ۞ لَّا يُحِبُّ ٱللَّهُ ٱلْجَهْرَ بِٱلسُّوٓءِ مِنَ ٱلْقَوْلِ إِلَّا مَن ظُلِمَ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ سَمِيعًا عَلِيمًا ﴿١٤٨﴾﴾

السؤال الأول:

ما معنى كلمة (السوء) في الآية ﴿لَّا يُحِبُّ ٱللَّهُ ٱلْجَهْرَ بِٱلسُّوٓءِ مِنَ ٱلْقَوْلِ إِلَّا مَن ظُلِمَ ۚ﴾؟

الجواب:

المقصود من هذه الآية أنْ لا تذكر أحداً بسوء أو أنْ تذمه أو ترفع صوتك بذكره ذماً إلا من ظلمك .

أمّا أنْ تتكلم هكذا عن الناس وتجهر بذمهم فهذا لا يجوز، من ظلمك تذكره، أمّا في غير ذلك فلا يصح، والسوء هو أي ذمّ، وهو كلمة عامة.

السؤال الثاني:

ما دلالة قوله تعالى في الآية ﴿لَّا يُحِبُّ ٱللَّهُ ٱلْجَهْرَ بِٱلسُّوٓءِ مِنَ ٱلْقَوْلِ﴾ فقيده بالقول؟

الجواب:

استعمل القرآن كلمة الجهر بالسوء، والجهر هو ما يصل إلى أسماع الناس، فنُهينا عن التلفظ بالكلام السيئ وقيّده بالقول؛ لأنه أضعف أنواع الأذى، فدلّنا ذلك على أنّ السوء بالفعل أشد تحريماً؛ لأنه أشد من القول.

السؤال الثالث:

قوله تعالى ﴿ٱلْجَهْرَ﴾ فما كلمات منظومة الإعلام العلني في القرآن؟

الجواب:

هذه هي كلمات منظومة الإعلام العلني:

جهر:

أي: أظهر الشيء بقوة وشدة، وكل صوت قوي وغليظ وشديد يسمى جهراً، ﴿وَلَا تَجْهَرْ بِصَلَاتِكَ﴾ [الإسراء:١١٠] والجهر يستعمل لحاسة السمع والبصر ﴿أَرِنَا ٱللَّهَ جَهْرَةً﴾ [النساء:١٥٣] أي: أمام العالم بدون حجاب.

والجهر بالسوء من القول أن يُسمِع كل الناس: [النساء ١٤٨] والمكروه في الآية هو الجهر بالسوء من القول أو العمل بحيث يسمعه كثير من الناس، ولم تقل الآية (التكلم) بالسوء، وإنما الجهر؛ لأنّ هذا لا يقدر عليه كل الناس.

أعلن:

إعلان عن شيء كان سراً:[نوح٩].

أظهر:

إظهار ما كان مخفياً لا يعرفه إلا قلة من الناس: ﴿لِيُظۡهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ﴾ [التوبة:٣٣] والإظهار إعلان مع انتصار.

أفاض:

أن تتكلم بكلام أكثر مما ينبغي وتضيف أشياء غير صحيحة : ﴿إِذۡ تُفِيضُونَ فِيهِۚ﴾ [يونس:٦١].

أذّن:

إعلان بالنداء، نحو: (أيها القوم أو أيها الناس)، وكذلك قوله تعالى في سورة يوسف: ﴿ثُمَّ أَذَّنَ مُؤَذِّنٌ أَيَّتُهَا ٱلۡعِيرُ إِنَّكُمۡ لَسَٰرِقُونَ ٧٠﴾ [يوسف: ٧٠].

اصدع:

﴿فَٱصۡدَعۡ بِمَا تُؤۡمَرُ﴾ [الحِجر:٩٤].

❁❁❁❁

﴿إِن تُبۡدُواْ خَيۡرًا أَوۡ تُخۡفُوهُ أَوۡ تَعۡفُواْ عَن سُوٓءٖ فَإِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَفُوّٗا قَدِيرًا ١٤٩﴾

السؤال الأول:

قال في آية النساء ١٤٩ ﴿إِن تُبۡدُواْ خَيۡرًا﴾، وفي آية الأحزاب ٥٤ ﴿إِن تُبۡدُواْ شَيۡـًٔا﴾ فما السبب؟

الجواب:

١ـ وردت آية النساء بعد قوله تعالى في الآية ١٤٨ ﴿لَّا يُحِبُّ ٱللَّهُ ٱلْجَهْرَ بِٱلسُّوٓءِ مِنَ ٱلْقَوْلِ إِلَّا مَن ظُلِمَ﴾ فذكر أنّ الله لا يحب الجهر بالسوء؛ ولذا قال بعدها: ﴿إِن تُبْدُوا۟ خَيْرًا﴾ أي: إن تُظهروا خيراً وهو عكس الجهر بالسوء، فالله سبحانه لا يحب السوء ولا الجهر به، بخلاف الجهر بالخير.

٢ـ وأما آية الأحزاب فالسياق يتعلق بالأشياء الخافية والظاهرة، فقد قال قبلها: ﴿وَٱللَّهُ يَعْلَمُ مَا فِى قُلُوبِكُمْ﴾ [الأحزاب:٥١] وقال: ﴿وَكَانَ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ رَّقِيبًا ﴿٥٢﴾﴾ [الأحزاب:٥٢] وختم الآية بقوله: ﴿فَإِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمًا ﴿٥٤﴾﴾ [الأحزاب:٥٤] ومعنى الآية أنه يستوي عنده السر والجهر، فناسب أن يقول: ﴿إِن تُبْدُوا۟ شَيْـًٔا أَوْ تُخْفُوهُ﴾ [الأحزاب:٥٤]، لا أنْ يقول : إن تبدوا خيراً.

٣ ـ إنّ الجو التعبيري لكل سورة يقتضي وضع كل لفظة من هاتين اللفظتين في موضعها، ذلك أنه:

آـ ترددت كلمة (خير) في سورة النساء (١٢) مرة، وفي سورة الأحزاب (٢) مرة

ب ـ ترددت كلمة (شيء) في سورة النساء(١٢) مرة، وفي سورة الأحزاب (٦)مرة.

٤ـ آيات الفقرة (أ) هي:

آيات النساء رقم [١٩ـ٢٥ـ ٤٦ ـ٥٩ـ ٦٦ ـ ٧٧ ـ ١١٤ ـ ١٢٧ ـ ١٢٨ـ ١٤٩ـ١٧٠ـ ١٧١] و آيات الأحزاب رقم[١٩ـ ٢٥].

وآيات الفقرة (ب) هي:

آيات النساء رقم [٤ ـ ١٩ـ ٢٠ ـ ٣٢ـ ٣٣ـ ٣٦ـ ٥٩ـ ٨٥ـ ٨٦ـ ١١٣ـ ١٢٦ـ ١٧٦]

و آيات الأحزاب رقم [٢٧ـ ٤٠ـ ٥٢ـ ٥٤ـ ٥٤ـ ٥٥].

❊❊❊❊

﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكۡفُرُونَ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ وَيُرِيدُونَ أَن يُفَرِّقُواْ بَيۡنَ ٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ وَيَقُولُونَ نُؤۡمِنُ بِبَعۡضٖ وَنَكۡفُرُ بِبَعۡضٖ وَيُرِيدُونَ أَن يَتَّخِذُواْ بَيۡنَ ذَٰلِكَ سَبِيلًا ١٥٠ ﴾

السؤال الأول:

ما دلالة كلمة ﴿يَكۡفُرُونَ﴾ بصيغة المضارع في الآية؟

الجواب:

انظر إلى كلمة ﴿يَكۡفُرُونَ﴾، فقد استعمل القرآن كلمة (يكفرون) بصيغة المضارع، ولم يستعمل لفظ (كفروا) بصيغة الماضي؛ لينبّهنا إلى أنّ أمر الكفر منهم متجدد وفيهم مستمر؛ لأنهم لو كفروا في الماضي ثم رجعوا لما كانوا أحرياء بالذمّ، وصبغهم بصفة الكفر وجعلها سربالاً لا يغادرهم.

❊❊❊❊

﴿ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡكَٰفِرُونَ حَقّٗاۚ وَأَعۡتَدۡنَا لِلۡكَٰفِرِينَ عَذَابٗا مُّهِينٗا ١٥١ ﴾

السؤال الأول:

ما دلالة قوله تعالى في الآية ﴿أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡكَٰفِرُونَ﴾ حيث عرّف جزئي الجملة المبتدأ والخبر؟

الجواب:

جعل المبتدأ والخبر معرفة، فقال: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْكَٰفِرُونَ﴾، فقد عرّف جزئي الجملة؛ أي: اسم الإشارة (أولئك) والخبر (الكافرون)؛ لتأكيد قصر صفة الكفر عليهم.

تقول لإنسان: أنت بطل، أي: هو بطل من بين الأبطال، أما إنْ قلت له: أنت البطل، فهذا يعني أنك جعلت البطولة له دون غيره لما رأيت من صفات البطولة لديه.

كذلك عندما نقول: (أولئك هم الكافرون)، فهذا يعني أننا نزّلنا غيرهم من الكفرة منزلة العدم؛ لما تمتع به هؤلاء من أوصاف الكفر، ووجه هذه المبالغة هو أنّ كفرهم قد اشتمل على أحوال عديدة من الكفر وسفاهة في الرأي، حيث إنّ كل فِعلة لهم إذا انفردت هي كفر، فكيف بها إذا اجتمعت؟

السؤال الثاني:

الضمير ﴿هُمُ﴾ في الآية ﴿أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْكَٰفِرُونَ﴾ هو ضمير الفصل، فلماذا سمي بهذا الاسم؟ وماذا يفيد؟

الجواب:

١ـ سمي بضمير الفصل؛ لأنه فصل بين المبتدأ والخبر، وهو يفيد شدة التوكيد.

٢ـ جاء ضمير الفصل في كثير من الآيات في القرآن الكريم؛ منها: [البقرة ١٢ـ ١٣ـ آل عمران ٨١ ـ المائدة ٤٤ـ النساء ١٥٠ـ المائدة ٤٥ـ ٤٧ـ التوبة ٦٧ـ النور ٤]، وفي هذه الآيات جاء بضمير الفصل على جهة المبالغة، كأنك تقول: زيد الشاعر، ثم تقصر الشعر عليه مبالغة كأنّ ما عداه ليس بشاعر، ثم تؤكد هذا المعنى فتقول: زيد هو الشاعر.

٣ـ البيان المختصر للآيات المذكورة أعلاه:

آ ـ في آية البقرة (١٢) لا شك أنّ هناك مفسدين آخرين ولكنه قصر الإفساد عليهم مبالغة، على معنى أنهم أولى من يسمى بهذا الاسم، وكذلك في آية البقرة(١٣) ﴿أَلَآ إِنَّهُمْ هُمُ ٱلسُّفَهَآءُ وَلَٰكِن لَّا يَعْلَمُونَ ﴿١٣﴾﴾ [البقرة:١٣].

ب ـ كذلك الأمر في آيات المائدة[٤٤ ـ ٤٥ ـ ٤٧]، فقد قصر الكفر والظلم والفسق عليه مبالغة، على معنى أنهم أولى من يسمى بهذا الاسم .

والفسق والظلم درجات تصل في آخرها إلى الكفر، فالآيات تشمل جميع الحالات، والذي لا يحكم بما أنزل الله أحد هؤلاء الثلاثة قطعاً، والفسق أعم من الظلم، وكل ظالم فاسق، وليس كل فاسق ظالماً.

والظلم هو مع الآخرين، والفسق مع نفس الإنسان، وكلاهما خروج عن طاعة الله قد يصل إلى الكفر، قال تعالى: ﴿وَٱلْكَٰفِرُونَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿٢٥٤﴾﴾ [البقرة:٢٥٤].

ج ـ وكذلك الأمر في آيات النساء والحجرات وآل عمران والتوبة والنور ففيها قصر على جهة المبالغة، أو على معنى الكمال في الصفة .

﴿يَسْـَٔلُكَ أَهْلُ ٱلْكِتَٰبِ أَن تُنَزِّلَ عَلَيْهِمْ كِتَٰبًا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ ۚ فَقَدْ سَأَلُوا۟ مُوسَىٰٓ أَكْبَرَ مِن ذَٰلِكَ فَقَالُوٓا۟ أَرِنَا ٱللَّهَ جَهْرَةً فَأَخَذَتْهُمُ ٱلصَّٰعِقَةُ بِظُلْمِهِمْ ۚ ثُمَّ ٱتَّخَذُوا۟ ٱلْعِجْلَ مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَتْهُمُ ٱلْبَيِّنَٰتُ فَعَفَوْنَا عَن ذَٰلِكَ ۚ وَءَاتَيْنَا مُوسَىٰ سُلْطَٰنًا مُّبِينًا ﴿١٥٣﴾﴾

السؤال الأول:

ما الفرق من الناحية البيانية بين ﴿جَآءَهُمُ ٱلْبَيِّنَٰتُ﴾ و﴿جَآءَتْهُمُ ٱلْبَيِّنَٰتُ﴾ في القرآن الكريم؟

الجواب:

انظر الجواب في آية البقرة ٢٠٩.

السؤال الثاني:

ما دلالة تصدير الآية بالفعل المضارع ﴿يَسْـَٔلُكَ أَهْلُ ٱلْكِتَٰبِ﴾؟

الجواب:

لو وقفنا عند هذه الآية لرأينا أنّ هذه الآية صُدّرت بفعل مضارع ﴿يَسْـَٔلُكَ﴾ بغية استحضار حالتهم في هذا السؤال، حتى كأنك تعيش معهم وتراهم، وأتى الفعل بصيغة المضارع ﴿يَسْـَٔلُكَ﴾ ؛ للدلالة على تكرار السؤال وتجدده منهم المرة بعد الأخرى بقصد التحدي والإعجاز؛ ولذلك قال تعالى بعدها: ﴿فَقَدْ سَأَلُوا۟ مُوسَىٰٓ أَكْبَرَ مِن ذَٰلِكَ﴾.

﴿ وَرَفَعْنَا فَوْقَهُمُ ٱلطُّورَ بِمِيثَٰقِهِمْ وَقُلْنَا لَهُمُ ٱدْخُلُوا۟ ٱلْبَابَ سُجَّدًا وَقُلْنَا لَهُمْ لَا تَعْدُوا۟ فِى ٱلسَّبْتِ وَأَخَذْنَا مِنْهُم مِّيثَٰقًا غَلِيظًا ﴿١٥٤﴾ ﴾

السؤال الأول:

ما الفرق بين استعمال كلمتي (الجبل والطور) في آية سورة البقرة ٦٣ وآية النساء ١٥٤ وآية الأعراف ١٧١؟

الجواب:

انظر الجواب في آية البقرة ٦٣.

السؤال الثاني:

ما دلالة الظرف ﴿فَوْقَهُمُ﴾ في الآية؟ وهل يختلف عن ﴿عَٰلِيَهُمْ﴾، كما في آية الإنسان ٢١؟

الجواب:

يقول المفسرون: إن كلمة ﴿عَٰلِيَهُمْ﴾ [الإنسان:٢١] تعني فوقهم، لكنه في الحقيقةِ الفوقيةُ لا تقتضي الملامسة، كما في قوله تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا۟ إِلَى ٱلطَّيْرِ فَوْقَهُمْ صَٰٓفَّٰتٍ﴾ [المُلك:١٩] ﴿أَفَلَمْ يَنظُرُوٓا۟ إِلَى ٱلسَّمَآءِ فَوْقَهُمْ كَيْفَ بَنَيْنَٰهَا﴾ [ق:٦] وكذلك آية النساء ١٥٤.

فكلمة (فوق) ظرفٌ مبهمٌ ليس له حدود مثل يمين ويسار، وعليه فإن كلمة ﴿عَٰلِيَهُمْ﴾ [الإنسان:٢١] في سورة الإنسان تفيد الملامسة وتعني (يلبسونها).

﴿فَبِمَا نَقْضِهِم مِّيثَٰقَهُمْ وَكُفْرِهِم بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَقَتْلِهِمُ ٱلْأَنۢبِيَآءَ بِغَيْرِ حَقٍّ
وَقَوْلِهِمْ قُلُوبُنَا غُلْفٌۢ بَلْ طَبَعَ ٱللَّهُ عَلَيْهَا بِكُفْرِهِمْ فَلَا يُؤْمِنُونَ إِلَّا قَلِيلًا
(١٥٥) وَبِكُفْرِهِمْ وَقَوْلِهِمْ عَلَىٰ مَرْيَمَ بُهْتَٰنًا عَظِيمًا (١٥٦)﴾

السؤال الأول:

ما اللمسة البيانية في عدم ذكر الجواب وما يترتّب على كونهم نقضوا الميثاق في قوله تعالى في سورة النساء: ﴿فَبِمَا نَقْضِهِم مِّيثَٰقَهُمْ وَكُفْرِهِم بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَقَتْلِهِمُ ٱلْأَنۢبِيَآءَ بِغَيْرِ حَقٍّ وَقَوْلِهِمْ قُلُوبُنَا غُلْفٌۢ بَلْ طَبَعَ ٱللَّهُ عَلَيْهَا بِكُفْرِهِمْ فَلَا يُؤْمِنُونَ إِلَّا قَلِيلًا (١٥٥)﴾ بينما جاء ذكر الجواب في آية النساء ١٦٠ في قوله تعالى: ﴿فَبِظُلْمٍ مِّنَ ٱلَّذِينَ هَادُوا۟ حَرَّمْنَا عَلَيْهِمْ طَيِّبَٰتٍ أُحِلَّتْ لَهُمْ وَبِصَدِّهِمْ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ كَثِيرًا (١٦٠)﴾؟

الجواب:

هذا فيه خلاف بين المفسرين واللغويين، وفي الآية أكثر من تخريج عندهم:

١ـ من المحتمل أنّ قوله تعالى: ﴿فَبِظُلْمٍ مِّنَ ٱلَّذِينَ هَادُوا۟﴾ بدل من ﴿فَبِمَا نَقْضِهِم مِّيثَٰقَهُمْ﴾، فالجار والمجرور بدلٌ، وذكر المتعلّق ﴿حَرَّمْنَا عَلَيْهِمْ﴾.

وهذا مثل قوله تعالى: ﴿قَالَ ٱلْمَلَأُ ٱلَّذِينَ ٱسْتَكْبَرُوا۟ مِن قَوْمِهِۦ لِلَّذِينَ ٱسْتُضْعِفُوا۟ لِمَنْ ءَامَنَ مِنْهُمْ أَتَعْلَمُونَ أَنَّ صَٰلِحًا مُّرْسَلٌ مِّن رَّبِّهِۦ ۚ قَالُوٓا۟ إِنَّا بِمَآ أُرْسِلَ بِهِۦ مُؤْمِنُونَ (٧٥)﴾ ﴿لِمَنْ ءَامَنَ﴾ بدل من ﴿لِلَّذِينَ ٱسْتُضْعِفُوا۟﴾.

وكذلك قوله تعالى: ﴿ وَلَوْلَآ أَن يَكُونَ ٱلنَّاسُ أُمَّةً وَٰحِدَةً لَّجَعَلْنَا لِمَن يَكْفُرُ بِٱلرَّحْمَٰنِ لِبُيُوتِهِمْ سُقُفًا مِّن فِضَّةٍ وَمَعَارِجَ عَلَيْهَا يَظْهَرُونَ ﴿٣٣﴾ ﴾ [الزُّخرُف:٣٣] ﴿لِبُيُوتِهِمْ سُقُفًا﴾ بدل لقوله ﴿لِمَن يَكْفُرُ بِٱلرَّحْمَٰنِ﴾ .

٢ـ الوجه الآخر أنّ ذكر نقض الميثاق مذكور في آيات أخرى، وذكر فيها المتعلّق في قوله تعالى: ﴿ فَبِمَا نَقْضِهِم مِّيثَٰقَهُمْ لَعَنَّٰهُمْ وَجَعَلْنَا قُلُوبَهُمْ قَٰسِيَةً ۖ يُحَرِّفُونَ ٱلْكَلِمَ عَن مَّوَاضِعِهِۦ ۙ وَنَسُوا۟ حَظًّا مِّمَّا ذُكِّرُوا۟ بِهِۦ ۚ وَلَا تَزَالُ تَطَّلِعُ عَلَىٰ خَآئِنَةٍ مِّنْهُمْ إِلَّا قَلِيلًا مِّنْهُمْ ۖ فَٱعْفُ عَنْهُمْ وَٱصْفَحْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿١٣﴾ ﴾ [المائدة:١٣] فكأنّ الجواب في الآية أُحيل إلى ما ذُكر في آيات أخرى.

٣ـ الوجه الثالث أنه يُحذف للتعظيم، وهذا ورد كثيراً في القرآن، كما في حذف جواب القسم في أوائل سورة ق ﴿ قٓ ۚ وَٱلْقُرْءَانِ ٱلْمَجِيدِ ﴿١﴾ ﴾ .

وجواب الشرط أيضاً يُحذف في القرآن كثيراً، كما في قوله تعالى: ﴿ وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَن نُّؤْمِنَ بِهَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ وَلَا بِٱلَّذِى بَيْنَ يَدَيْهِ ۗ وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذِ ٱلظَّٰلِمُونَ مَوْقُوفُونَ عِندَ رَبِّهِمْ يَرْجِعُ بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ ٱلْقَوْلَ يَقُولُ ٱلَّذِينَ ٱسْتُضْعِفُوا۟ لِلَّذِينَ ٱسْتَكْبَرُوا۟ لَوْلَآ أَنتُمْ لَكُنَّا مُؤْمِنِينَ ﴿٣١﴾ ﴾ [سبأ:٣١] .

وقوله تعالى: ﴿ إِذَا ٱلسَّمَآءُ ٱنشَقَّتْ ﴿١﴾ ﴾ [الانشقاق:١] وقوله: ﴿ وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذْ يَتَوَفَّى ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ۙ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يَضْرِبُونَ وُجُوهَهُمْ وَأَدْبَٰرَهُمْ وَذُوقُوا۟ عَذَابَ ٱلْحَرِيقِ ﴿٥٠﴾ ﴾ [الأنفال:٥٠] وذلك حتى يذهب الذهن كل مذهب، فالأمور التي ذكرها تعالى تستدعي من العقوبات وغضب الله تعالى ما يضيق عنه الكلام، فكل العقوبات في حق هؤلاء قليلة.

٤ـ ويمكن أنْ تحتمل جميع المعاني السابقة، وهذا من باب التوسع في المعنى. والله أعلم.

السؤال الثاني:

ما دلالة الطبع في هذه الآية؟

الجواب:

في قوله تعالى: ﴿وَقَوْلِهِمْ قُلُوبُنَا غُلْفٌۢ بَلْ طَبَعَ ٱللَّهُ عَلَيْهَا بِكُفْرِهِمْ﴾ قف وتأمل آيات الله تعالى واجعل قلبك صندوقاً يحوي آيات من القرآن ويعيها؛ حتى لا يختم الله سبحانه وتعالى على قلوبنا ويجعلها مغلقة كما ختم على قلوب من كفروا فقال تعالى عنهم: ﴿بَلْ طَبَعَ ٱللَّهُ عَلَيْهَا بِكُفْرِهِمْ﴾ والطبع هو إحكام الغلق بحيث لا يتمكن أمر من ولوج ذلك الشيء إلا بعد إزالة ذلك الشيء المطبوع به، وكذلك طبع القلب هو إحكام إغلاقه، بحيث لا يدخل إليه خير ولا يخرج منه خير ولا معروف.

السؤال الثالث:

قوله تعالى في آية النساء ١٥٥ ﴿فَبِمَا نَقْضِهِم مِّيثَٰقَهُمْ وَكُفْرِهِم﴾ ما فائدة إعادة ذكر الكفر في الآية (١٥٦) بعد أن ذكره في الآية التي قبلها؟

الجواب:

تكرر الكفر منهم؛ لأنهم كفروا بموسى وعيسى ثم بمحمد ﷺ، فعطف بعض كفرهم على بعض .

وفي الآية (١٥٧) ذكر ﴿وَقَوْلِهِمْ إِنَّا قَتَلْنَا ٱلْمَسِيحَ عِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ رَسُولَ ٱللَّهِ﴾ فهم لم يقروا حقيقة أنه رسول الله، وإنما قالوا ذلك على سبيل الاستهزاء، كما قال فرعون: ﴿قَالَ إِنَّ رَسُولَكُمُ ٱلَّذِىٓ أُرْسِلَ إِلَيْكُمْ لَمَجْنُونٌ ﴿٢٧﴾﴾ [الشعراء:٢٧] .

السؤال الرابع:

ما دلالة (ما) في الآية في قوله تعالى في الآية ١٥٥ ﴿فَبِمَا نَقْضِهِم﴾؟

الجواب:

قوله تعالى: ﴿فَبِمَا نَقْضِهِم﴾ (ما) هنا تفيد التوكيد، ولا تقل (زائدة)، فليس في كلام الله حرف زائد، وناسب زيادتها ههنا أنّ الكلام في الآية قبل هذه الآية عن الميثاق، قال الله تعالى: ﴿وَرَفَعْنَا فَوْقَهُمُ ٱلطُّورَ بِمِيثَٰقِهِمْ وَقُلْنَا لَهُمُ ٱدْخُلُوا۟ ٱلْبَابَ سُجَّدًا وَقُلْنَا لَهُمْ لَا تَعْدُوا۟ فِى ٱلسَّبْتِ وَأَخَذْنَا مِنْهُم مِّيثَٰقًا غَلِيظًا ﴿١٥٤﴾﴾ فلمّا تقدم الكلام عن الميثاق وأخذ الميثاق الغليظ منهم ناسب ذلك زيادة (ما) لتوكيد النقض .

أمّا معنى القصر فهو متأتٍ من التقديم، لا من زيادة (ما)، فقدّم نقض الميثاق والكفر بآيات الله وقتل الأنبياء لإفادة الحصر؛ لأنّ التقديم يفيد الحصر ويفيد الاهتمام.

السؤال الخامس:

لماذا حركت كلمة (مريم) بالفتح في قوله تعالى في الآية ١٥٦ ﴿وَبِكُفْرِهِمْ وَقَوْلِهِمْ عَلَىٰ مَرْيَمَ بُهْتَٰنًا عَظِيمًا ﴿١٥٦﴾﴾ ؟

الجواب:

حركت بالفتح مع أنها مجرورة؛ لأنها ممنوعة من الصرف للعلمية والتأنيث، والممنوع من الصرف يجر بالفتحة .

و(أعلام الإناث) كلها ممنوعة من الصرف، وإنْ كان قسم من أعلام الإناث يجوز فيه الوجهان إذا كان ثلاثيا ساكن الوسط عربياً غير أعجمي.

❁❁❁❁

﴿ وَقَوْلِهِمْ إِنَّا قَتَلْنَا ٱلْمَسِيحَ عِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ رَسُولَ ٱللَّهِ وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَـٰكِن شُبِّهَ لَهُمْ ۚ وَإِنَّ ٱلَّذِينَ ٱخْتَلَفُوا۟ فِيهِ لَفِى شَكٍّ مِّنْهُ ۚ مَا لَهُم بِهِۦ مِنْ عِلْمٍ إِلَّا ٱتِّبَاعَ ٱلظَّنِّ ۚ وَمَا قَتَلُوهُ يَقِينًۢا ﴿١٥٧﴾ ﴾

السؤال الأول:

ما اللمسة البيانية في ذكر عيسى مرة والمسيح مرة وابن مريم مرة في القرآن الكريم؟

الجواب:

انظر الجواب في آية آل عمران ٥٥ .

﴿ وَإِن مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَـٰبِ إِلَّا لَيُؤْمِنَنَّ بِهِۦ قَبْلَ مَوْتِهِۦ ۖ وَيَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ يَكُونُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا ﴿١٥٩﴾ ﴾

السؤال الأول:

ما دلالة هذه الآية؟

الجواب:

١ـ إنْ: نافية بمعنى (ما)، فصار التقدير: وما أحد من أهل الكتاب إلا ليؤمنن به.

٢ـ قوله تعالى: ﴿قَبْلَ مَوْتِهِۦ﴾ الضمير هنا إمّا أن يعود على الشخص المعني في أول الآية ﴿وَإِن مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَـٰبِ إِلَّا لَيُؤْمِنَنَّ بِهِۦ قَبْلَ مَوْتِهِۦ﴾ وإمّا أن يعود على عيسى عليه السلام.

٣ـ ففي الحالة الأولى: يكون ذلك عند الشخص من أهل الكتاب عندما يحضره الموت فلا تخرج روحه حتى يؤمن به، وكان الأولى أنْ يؤمن بعيسى عليه السلام في حياته قبل غرغرة الروح.

٤ـ أنّ المراد هم أهل الكتاب الذين يكونون موجودين في الدنيا في زمان نزوله فيؤمنون به، لكنّ عيسى عليه السلام ينزل تبعاً لمحمد ﷺ.

٥ ـ قوله تعالى: ﴿وَيَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ يَكُونُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا ﴿١٥٩﴾﴾ يشهد على اليهود أنهم كذبوه وعلى النصارى أنهم أشركوا، وكذلك كل نبي يشهد على أمته.

السؤال الثاني:

كم مرة ورد الفعل ﴿لَتُؤۡمِنُنَّ﴾ مؤكداً بنون التوكيد الثقيلة في القرآن الكريم؟ وماذا يفيد في دلالته؟

الجواب:

انظر الجواب في آية آل عمران ٨١.

❊❊❊❊

﴿ لَّٰكِنِ ٱلرَّٰسِخُونَ فِي ٱلۡعِلۡمِ مِنۡهُمۡ وَٱلۡمُؤۡمِنُونَ يُؤۡمِنُونَ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيۡكَ وَمَآ أُنزِلَ مِن قَبۡلِكَۚ وَٱلۡمُقِيمِينَ ٱلصَّلَوٰةَۚ وَٱلۡمُؤۡتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَٱلۡمُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِ أُوْلَٰٓئِكَ سَنُؤۡتِيهِمۡ أَجۡرًا عَظِيمًا ﴿١٦٢﴾ ﴾

السؤال الأول:

لماذا جاءت ﴿وَٱلۡمُقِيمِينَ ٱلصَّلَوٰةَۚ﴾ منصوبة، مع أنها معطوفة على مرفوع في آية سورة النساء ١٦٢؟ ولماذا نصبت كلمة ﴿وَٱلصَّٰبِرِينَ﴾ وكلمة ﴿وَٱلۡمُقِيمِينَ﴾ وكلمة ﴿حَمَّالَةَ ٱلۡحَطَبِ ﴿٤﴾﴾ في سور البقرة ١٧٧ والنساء ١٦٢ والمسد ٤؟

الجواب:

١ـ هذا يسمى القطع، والقطع يكون في الصفات أو العطف إذا كان من باب الصفات، ويكون القطع للأمر المهم.

والقطع في اللغة هو تغيير الحركة التي ينبغي أنْ يكون عليها التابع، فالأصل في الصفة أن تتبع الموصوف بالإعراب، لكنّ العرب قد تغير الحركة فتأتي بعد المرفوع بمنصوب أو بالعكس، وبعد المجرور بالرفع أو النصب مثلاً.

❋ أمثلة:

أقبل محمدٌ الكريمَ ـ رأيت محمداً الكريمُ ـ مررت بمحمدٍ الكريمُ أو الكريمَ.

٢ـ وأكثر ما يكون القطع في أمرين:

آ ـ في الصفة؛ أي النعت .

ب ـ والعطف بالواو.

قال تعالى: ﴿وَٱلْمُوفُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَٰهَدُوا۟ۖ وَٱلصَّٰبِرِينَ﴾ [البقرة:١٧٧].

وقوله: ﴿لَّٰكِنِ ٱلرَّٰسِخُونَ فِى ٱلْعِلْمِ مِنْهُمْ وَٱلْمُؤْمِنُونَ يُؤْمِنُونَ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَآ أُنزِلَ مِن قَبْلِكَۚ وَٱلْمُقِيمِينَ ٱلصَّلَوٰةَۚ وَٱلْمُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ﴾ [النساء:١٦٢].

٣ـ والقطع ليس أسلوباً قرآنياً فقط، لكنه أسلوبٌ عربيٌّ موجودٌ في اللغة، وهو موجود في شعر العرب، ويسمى القطع في الصفات وفي العطف، قال الشاعر:

لا يبعدن قومي الذين هُمُ ... سُمّ العداة وآفة الجُزر
النازلين بكل معترك ... والطيبون معاقل الأُزر

قومي: فاعل، وسم العداة: مبتدأ وخبر، النازلين: نصب، والطيبون: رفع. ولو رفعتها أو نصبتها يستوي نحوياً، أمّا في الدلالة فهي لإثارة الاهتمام، والصفة المقطوعة ينبغي أن يُنتبه إليها.

وتقطع العرب لسببين:

١ـ لتنبيه السامع وإيقاظ ذهنه إلى الصفة المقطوعة، وبأنّ الموصوف قد بلغ حداً في هذه الصفة يثير الاهتمام.

٢ـ أنْ يعلم المخاطب من اتصاف الموصوف ما يعلمه المتكلم، فإذا كان مادحاً كان أمدح له، وإذا كان ذاماً كان أذمّ له.

أي أنّ قيمة القطع في المدح والذم، فإذا كان المدح بالقطع يكون أمدح للشخص، وإنْ كان في حالة الذم يكون أذم له، كما في قوله تعالى: ﴿وَٱمۡرَأَتُهُۥ حَمَّالَةَ ٱلۡحَطَبِ ۝٤﴾ فذمّ الله امرأة أبي لهب مرتين: بالقطع؛ لأنّ الكل يعلم بصفاتها الذميمة، وذمّها بصيغة المبالغة في كلمة ﴿حَمَّالَةَ﴾ على وزن (فعّالة).

الحكم النحوي في القطع:

١ـ في المدح والذم والترحم يُحذف وجوباً. فعند الإعراب يُعرب خبراً لمبتدأ محذوف إذا كان مرفوعاً، ونقول محذوف وجوباً، وإذا كان في غير حالة الرفع يكون جوازاً.

وفي النصب يكون مفعولاً به لفعل محذوف وجوباً في المدح والذم والترحم

في آية البقرة ١٧٧ القطع في كلمة ﴿وَٱلصَّٰبِرِينَ﴾؛ لأهمية الصبر والتركيز على الصابرين.

في آية النساء ١٦٢ القطع في كلمة ﴿وَٱلۡمُقِيمِينَ ٱلصَّلَوٰةَۚ﴾؛ لأهمية الصلاة فهي أهم من كل الأعمال.

٢ـ (المقيمين والصابرين) تعرب كل كلمة منهما مفعولا به لفعل محذوف تقديره (أخصّ) أو (أمدح) .

السؤال الثاني:

يسترعي الانتباه قوله تعالى في الآية ﴿وَٱلْمُقِيمِينَ ٱلصَّلَوٰةَۚ﴾ حيث وقعت كلمة (المقيمين) منصوبة بالياء، وفي الظاهر هي معطوفة على اسم مرفوع، وهو قوله تعالى ﴿وَٱلرَّٰسِخُونَ﴾، فلم نُصِبت وحقّها أن تُرفع؟

الجواب:

هذه طريقة العرب في عطف الأسماء الدالة على صفات محامد على أمثالها، فينصبون الاسم لتخصيصه من بين المعطوفات بالمدح، فنقول مثلاً: جاء القائد المظفّرا؛ لتلفت نظر القارئ والسامع؛ ولتبيّن له سمة خاصة في هذا القائد فتقدّر فعلاً محذوفاً، أي: أمدح المظفرا، وكذلك الآية الكريمة أي: يمدح المصلين، لما للمصلين من فضل وعلو شأن عند الله تعالى.

❊❊❊❊

﴿إِنَّآ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ كَمَآ أَوْحَيْنَآ إِلَىٰ نُوحٍ وَٱلنَّبِيِّـۧنَ مِنۢ بَعْدِهِۦۚ وَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰٓ إِبْرَٰهِيمَ وَإِسْمَٰعِيلَ وَإِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ وَٱلْأَسْبَاطِ وَعِيسَىٰ وَأَيُّوبَ وَيُونُسَ وَهَٰرُونَ وَسُلَيْمَٰنَۚ وَءَاتَيْنَا دَاوُۥدَ زَبُورًا ﴿١٦٣﴾ وَرُسُلًا قَدْ قَصَصْنَٰهُمْ عَلَيْكَ مِن قَبْلُ وَرُسُلًا لَّمْ نَقْصُصْهُمْ عَلَيْكَۚ وَكَلَّمَ ٱللَّهُ مُوسَىٰ تَكْلِيمًا ﴿١٦٤﴾﴾

السؤال الأول:

ما سبب استخدام كلمة (أوحينا) مع الرسول ﷺ ونوح وابراهيم وغيرهم من أنبياء، وإفراد (آتينا) لداوود في سورة النساء؟

الجواب:

١ـ إذا قرأنا الآية وما قبلها ﴿يَسْئَلُكَ أَهْلُ الْكِتَٰبِ أَن تُنَزِّلَ عَلَيْهِمْ كِتَٰبًا مِّنَ السَّمَآءِ ۚ فَقَدْ سَأَلُوا۟ مُوسَىٰٓ أَكْبَرَ مِن ذَٰلِكَ فَقَالُوٓا۟ أَرِنَا اللَّهَ جَهْرَةً فَأَخَذَتْهُمُ الصَّٰعِقَةُ بِظُلْمِهِمْ ۚ ثُمَّ اتَّخَذُوا۟ الْعِجْلَ مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَتْهُمُ الْبَيِّنَٰتُ فَعَفَوْنَا عَن ذَٰلِكَ ۚ وَءَاتَيْنَا مُوسَىٰ سُلْطَٰنًا مُّبِينًا (١٥٣)﴾ نجد أنّ الله تعالى يخاطب هؤلاء ويذكر سيئاتهم، والآية (١٦٣) جاءت بعد الآية(١٥)؛لأنّ هؤلاء قالوا: إنهم حتى يؤمنوا بالرسول ينبغي أنْ يُنزّل عليهم كتاباً من السماء في قوله تعالى ﴿فَقَدْ سَأَلُوا۟ مُوسَىٰٓ أَكْبَرَ مِن ذَٰلِكَ﴾، ثم يأتي الرد من الله تعالى تعقيباً على ما سأله هؤلاء ﴿إِنَّآ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ كَمَآ أَوْحَيْنَآ إِلَىٰ نُوحٍ وَالنَّبِيِّۦنَ مِنۢ بَعْدِهِۦ ۚ وَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰٓ إِبْرَٰهِيمَ وَإِسْمَٰعِيلَ وَإِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطِ وَعِيسَىٰ وَأَيُّوبَ وَيُونُسَ وَهَٰرُونَ وَسُلَيْمَٰنَ ۚ وَءَاتَيْنَا دَاوُۥدَ زَبُورًا (١٦٣)﴾ فذكر تعالى أنه أوحى إلى مجموعة من الأنبياء، وهم يؤمنون بهم مع أنهم لم يأتوهم بما طلبوا، فهم آمنوا بنوح وإبراهيم وإسماعيل ويعقوب وإسحق ويونس وغيرهم من الأنبياء، فيقول تعالى إنه كما أوحى إلى هؤلاء الأنبياء أوحى إلى الرسول ﷺ، فإذا كانوا هم يؤمنون بأولئك بدون كتاب، فإذن الوحي يجب أن يكون كافياً.

٢ـ قوله تعالى: ﴿إِنَّآ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ كَمَآ أَوْحَيْنَآ إِلَىٰ نُوحٍ﴾ معناه: سواء كان معهم كتب أم لم يكن معهم، وكما آتينا داود زبورا آتيناك كتاباً، لكن لماذا خصّ الزبور؟

والجواب: لأن الزبور نزل منجّماً، أي: بالتقسيط، كما أُنزل القرآن على الرسول ﷺ.

ويخاطب تعالى الكافرين ببيان:

أ ـ أنتم تؤمنون بداود، وقد نزل عليه الزبور منجماً، وقد آتينا رسولنا محمداً كتاباً كما آتينا داود .

ب ـ وتؤمنون بالأنبياء الذين أوحينا إليهم، وقد أوحينا إلى رسولنا محمد كما أوحينا إلى باقي الأنبياء.

ج ـ وكما أرسلنا رسلاً أرسلنا محمداً أيضاً ﴿وَرُسُلًا قَدْ قَصَصْنَٰهُمْ عَلَيْكَ مِن قَبْلُ وَرُسُلًا لَّمْ نَقْصُصْهُمْ عَلَيْكَ﴾. فأين حجتكم؟ ولماذا لا تؤمنون؟ !!!!!

٣ـ وفي آخر الآية يقول تعالى: ﴿وَكَلَّمَ ٱللَّهُ مُوسَىٰ تَكْلِيمًا ﴿١٦٤﴾﴾ فهو إذن وحي وإيتاء.

والله تعالى كلّم موسى عليه السلام في موضعين: الأول في الوادي المقدس ﴿إِذْ نَادَىٰهُ رَبُّهُۥ بِٱلْوَادِ ٱلْمُقَدَّسِ طُوًى ﴿١٦﴾﴾ [النازعات:١٦] في سورة النازعات، والثاني على جبل الطور، كما في سورة الأعراف ﴿وَلَمَّا جَآءَ مُوسَىٰ لِمِيقَٰتِنَا وَكَلَّمَهُۥ رَبُّهُۥ قَالَ رَبِّ أَرِنِىٓ أَنظُرْ إِلَيْكَ﴾ [الأعراف:١٤٣] وليس هناك أعلى من ذلك .

أما محمد ﷺ فقد صعد إلى سدرة المنتهى، وأعلى مكان كلّم الله تعالى موسى عليه هو الطور، وأوحى تعالى إلى رسوله ﷺ كما أوحى لباقي الأنبياء وآتاه مثل ما آتى داود، ورفعه إلى مكان أعلى مما رفع عليه موسى، فإذن كل الأشياء التي ينبغي الإيمان بها أعطاها تعالى للرسول ﷺ فسقطت حجة الكافرين إذن.

السؤال الثاني:

قوله تعالى في الآية ١٦٤ ﴿وَكَلَّمَ ٱللَّهُ مُوسَىٰ تَكْلِيمًا ﴿١٦٤﴾﴾ لو قرأنا الآية لفهمنا أنّ الله تعالى قد وقع منه الكلام لموسى ؟ فلِمَ ذكر تعالى المصدر (تكليماً)؟

الجواب:

ذكره؛ لأنّ المعنى يحتمل التكليم المباشر، أو عبر جبريل عليه السلام، فلمّا أتى المصدر (تكليماً) أكّد تكليم الله تعالى لموسى عليه السلام بحيث لا يحتمل أنْ الله تعالى أرسل إليه جبريل بالكلام.

السؤال الثالث:

لماذا لم يُذكر سيدنا إسماعيل مع إبراهيم وإسحق ويعقوب في القرآن؟

الجواب:

انظر الجواب في آية البقرة ١٣٣.

السؤال الرابع:

قال تعالى في آية النساء ١٦٣: ﴿إِنَّآ أَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡكَ كَمَآ أَوۡحَيۡنَآ إِلَىٰ نُوحٖ وَٱلنَّبِيِّـۧنَ مِنۢ بَعۡدِهِۦۚ وَأَوۡحَيۡنَآ إِلَىٰٓ إِبۡرَٰهِيمَ وَإِسۡمَٰعِيلَ وَإِسۡحَٰقَ وَيَعۡقُوبَ وَٱلۡأَسۡبَاطِ وَعِيسَىٰ وَأَيُّوبَ وَيُونُسَ وَهَٰرُونَ وَسُلَيۡمَٰنَۚ وَءَاتَيۡنَا دَاوُۥدَ زَبُورٗا ١٦٣﴾

وقال في آية الأنعام ٨٤: ﴿وَمِن ذُرِّيَّتِهِۦ دَاوُۥدَ وَسُلَيۡمَٰنَ وَأَيُّوبَ وَيُوسُفَ وَمُوسَىٰ وَهَٰرُونَ﴾ [الأنعام:٨٤]

فما الحكمة في هذا الترتيب؟

الجواب:

١ـ بدأ بذكر النبي محمد ﷺ؛ لأفضليته على كل الرسل؛ فقال: ﴿إِنَّآ أَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡكَ﴾

٢ـ آية النساء نزلت بياناً لسؤال ورد في الآية(١٥٣) في سورة النساء وهي قوله تعالى: ﴿يَسۡـَٔلُكَ أَهۡلُ ٱلۡكِتَٰبِ أَن تُنَزِّلَ عَلَيۡهِمۡ كِتَٰبٗا مِّنَ ٱلسَّمَآءِۚ﴾، وذكر الله بعده أنهم لا يطلبون

ذلك لأجل الاسترشاد، ولكن لأجل العناد واللجاج ورداً على قول المشركين ﴿تُنَزِّلَ عَلَيْنَا كِتَٰبًا نَّقْرَؤُهُۥ﴾ [الإسراء:٩٣].

فبيّن هنا أنه ليس كل الأنبياء أُنزل عليهم كتاب، بل بعضهم بوحي وبعضهم بكتاب وبعضهم بصحف .

فقدّم نوحاً عليه السلام؛ لأنه أول نبي شرع الله على لسانه الأحكام والحلال والحرام، ثم أجمل النبيين من بعده، ثم خصّ بعض النبيين بالذكر لكونهم أفضل من غيرهم .

٣ـ وللعلم فإنّ الأنبياء المذكورين في الآية هم اثنا عشر، ولم يذكر موسى معهم؛ وذلك لأنّ اليهود قالوا: إن كنت يا محمد نبياً فأتنا بكتاب من السماء دفعة واحدة، كما أُتي موسى عليه السلام بالتوراة دفعة واحدة، فبيّن الله الرد على هذه الشبهة بأنّ هؤلاء الأنبياء الاثني عشر كانوا أنبياء ورسلاً، مع أنّ واحداً منهم ما أُتي بكتاب مثل التوراة دفعة واحدة .

٤ـ ثم ختم ذكر الأنبياء بقوله: ﴿وَءَاتَيْنَا دَاوُۥدَ زَبُورًا ﴿١٦٣﴾﴾ يعني أنكم اعترفتم بأنّ الزبور من عند الله، مع أنه ما نزل دفعة واحدة، فدّل هذا على أنّ نزول القرآن منجماً لا على الوجه الذي نزلت فيه التوراة لا يقدح في كون القرآن من عند الله، وهذا إلزام حسن قوي .

٥ـ أما آية الأنعام فسياقها في بيان نعمه سبحانه وتعالى على إبراهيم عليه السلام ومن ذكرهم، ففرّق بين كل اثنين منهم بما اتفق لهما من وصف خاص بهما:

داود وسليمان: بالملك والنبوة ..

أيوب ويوسف: بالنجاة من الابتلاء .

موسى وهارون: بالأخوة والنبوة.

زكريا ويحيى : بالشهادة.

يونس ولوط : بالنجاة الأول من الحوت والثاني من هلاك قومه .

عيسى وإلياس: بالزهد والإعراض عن الدنيا، ولهذا وصفهم بأنهم من الصالحين .

٦ـ لم يذكر إسماعيل عليه السلام هنا؛ لأنّ المقصود بالذكر ههنا أنبياء بني إسرائيل، وهم بأسرهم أولاد إسحاق ويعقوب، أمّا إسماعيل فإنه ما خرج من صلبه أحد من الأنبياء إلا محمد ﷺ .

❁❁❁❁

﴿ لَّٰكِنِ ٱللَّهُ يَشۡهَدُ بِمَآ أَنزَلَ إِلَيۡكَۖ أَنزَلَهُۥ بِعِلۡمِهِۦۖ وَٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ يَشۡهَدُونَۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ شَهِيدًا ﴿١٦٦﴾ ﴾

السؤال الأول:

ما دلالة هذه الآية بحق رسوله محمد عليه السلام؟

الجواب:

قوله تعالى: ﴿لَّٰكِنِ ٱللَّهُ يَشۡهَدُ بِمَآ أَنزَلَ إِلَيۡكَۖ﴾ في الآية استدراك وإعلاء لمنزلة النبي ﷺ، فانظر إلى مقام النبي ﷺ وشرفه، فالله تعالى يخاطبه: لئن لم يشهد أهل الكتاب على صدق نبوتك فالله قد شهَد بذلك، وشهادة الله تعالى خير من شهادتهم. ومن أعظم من الله شاهداً؟

❁❁❁❁

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَصَدُّواْ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ قَدۡ ضَلُّواْ ضَلَٰلَۢا بَعِيدًا ١٦٧﴾

السؤال الأول:

قوله تعالى في الآية ١٦٧ ﴿قَدۡ ضَلُّواْ ضَلَٰلَۢا بَعِيدًا ١٦٧﴾ وصف الله تعالى الضلال بالبعيد، فما صلة البُعد بالضلال؟ ولِمَ لم يصفه بالكبير؟

الجواب:

إنّ المرء يسير في طريق الضلال؛ ليقطع أشواطاً وأشواطاً في هذا الطريق، وكلما سار في ركابه غاص في أعماقه وابتعد، حتى يغدو في قعر الضلال وأعماقه ويبتعد في قعره، وفي هذا بيان عن شدة ضلالهم بحيث لا يُدرَك.

﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَظَلَمُواْ لَمْ يَكُنِ ٱللَّهُ لِيَغْفِرَ لَهُمْ وَلَا لِيَهْدِيَهُمْ طَرِيقًا ﴿١٦٨﴾ إِلَّا طَرِيقَ جَهَنَّمَ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًاۚ وَكَانَ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرًا ﴿١٦٩﴾ ﴾

السؤال الأول:

ما دلالة هذا الاستثناء في الآية ﴿ إِلَّا طَرِيقَ جَهَنَّمَ ﴾ ؟

الجواب:

في الآية ﴿ إِلَّا طَرِيقَ جَهَنَّمَ ﴾ هذا الاستثناء فيه تأكيد الشيء بما يشبه ضدّه، فمثلاً تقول: لا خير في الظالم إلا استغلال المظلوم، فعندما أتينا بـ (إلاّ) وما بعدها يشعر المستمع وكأننا نريد أن نستدرك ونمدح الظالم بشيء، ولكن الكلام يتابع تأكيد ذمّه.

كذلك قوله تعالى: ﴿ إِلَّا طَرِيقَ جَهَنَّمَ ﴾ فالكلام هنا مسوقٌ للإنذار، وفيه تهكّم لأنه استثنى من الطريق في قوله تعالى: ﴿ وَلَا لِيَهْدِيَهُمْ طَرِيقًا ﴿١٦٨﴾ ﴾ والإقحام لهم في طريق جهنم ليس بهديٍ؛ لأنّ الهدى هو إرشاد الضالّ إلى المكان المحبوب وأنّى لطريق جهنم أن يكون محبوباً..؟ !

السؤال الثاني :

قوله تعالى في الآية ﴿ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًاۚ ﴾ ما دلالة (أبداً) في آية النساء (١٦٩) وفي آية الأحزاب[٦٤ـ٦٥] وفي آية الجن(٢٣)؟

الجواب :

لفظة ﴿أَبَدًاۚ﴾ ظرف يستعمل للمستقبل فقط، ولا يستعمل للماضي، فلا يقال : ما رأيته أبداً، ولكن تقول : ما رأيته قط، ولن أكلمه أبداً .

آ ـ هناك قاعدة في القرآن الكريم عند الحديث عن أهل الجنة أو أهل النار أو في مقام الإحسان وفي الثواب أو الشدة أوفي العقاب، وهي أنه في مقام التفصيل للجزاء سواء في العقاب أو الثواب يذكر كلمة ﴿أَبَدًاۚ﴾، وفي مقام الإيجاز لا يذكرها.

ب ـ كلمة ﴿أَبَدًاۚ﴾ ليس لها علاقة بالخلود الدائم .

ج ـ وردت كلمة ﴿أَبَدًاۚ﴾ في القرآن الكريم في (٢٨) موضعاً، منها ثمانية مواضع مع أهل الجنة، وثلاثة مواضع مع أهل النار، والباقي في أمور أخرى.

د ـ وهذا مظهر من مظاهر رحمة الله بعباده، أنْ يأتي لفظ التأبيد في كل آيات الجنة، ولا يأتي إلا في ثلاث مواضع لأهل النار؛ ذلك أنّ رحمة الله سبقت غضبه فاقتضى ذلك أنْ يبشر المؤمنين بتأبيد النعيم ودوامه.

أمّا في جزاء الكافرين بشكل عام، فيقول: ﴿خَـٰلِدِينَ فِيهَآ﴾ ولا يذكر لفظ التأبيد، لعل ذلك يحنن قلوب هؤلاء ويعطّفهم إلى طريق الله الرحيم بهم.

وذَكَرَ لفظَ التأبيد في الآيات الثلاث ليحقق المبدأ ويقرره فحسب، ولذلك من رحمته تعالى أنْ تسبق رحمته في البشارة وتتلطف في النذارة، وهي حكمة إلهية مقصودة كانت باباً لإيمان الكثير من الكفار .

السؤال الثالث:

ما المواضع التي وردت معها كلمة ﴿أَبَدًا﴾ مع أهل الجنة جعلنا الله منهم، ومع أهل النار أعاذنا الله منها؟

الجواب:

وردت كلمة ﴿أَبَدًا﴾ في القرآن الكريم في ٢٨ موضعاً منها ثمانية مواضع مع أهل الجنة وثلاثة مواضع مع أهل النار والباقي في أمور أخرى.

١ـ أما المواضع مع أهل الجنة فهي في الآيات: [النساء ٥٧ـ ١٢٢، المائدة ١١٩، التوبة ٢٢ـ١٠٠، التغابن ٩، الطلاق ١١ـ البينة ٨].

٢ـ وردت كلمة ﴿أَبَدًا﴾ مع أهل النار في القرآن الكريم في ثلاثة مواضع هي:[النساء ١٦٩ـ الأحزاب ٦٥ـ الجن ٢٣].

❁❁❁❁

﴿يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لَا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ وَلَا تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ إِلَّا الْحَقَّ ۚ إِنَّمَا الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ رَسُولُ اللَّهِ وَكَلِمَتُهُ أَلْقَاهَا إِلَىٰ مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِّنْهُ ۖ فَآمِنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ ۖ وَلَا تَقُولُوا ثَلَاثَةٌ ۚ انتَهُوا خَيْرًا لَّكُمْ ۚ إِنَّمَا اللَّهُ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ ۖ سُبْحَانَهُ أَن يَكُونَ لَهُ وَلَدٌ ۘ لَّهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ ۗ وَكَفَىٰ بِاللَّهِ وَكِيلًا ﴿١٧١﴾﴾

السؤال الأول:

قال تعالى في آية النساء ١٧١: ﴿يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لَا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ وَلَا تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ إِلَّا الْحَقَّ ۚ﴾ وفي آية المائدة ٧٧قال: ﴿قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لَا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ غَيْرَ الْحَقِّ﴾ فما وجه الاختلاف بينهما؟

الجواب:

١ـ الغلو: معناه الإفراط ومجاوزة الحدّ، من (غلا يغلو) في دينه، وهي غير (غلى يغلي غلياناً).

٢ـ قوله تعالى في آية النساء ١٧١ ﴿يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ لَا تَغۡلُواْ فِي دِينِكُمۡ وَلَا تَقُولُواْ عَلَى ٱللَّهِ إِلَّا ٱلۡحَقَّۚ﴾ ما هذا الحق؟ والجواب: هو المسيح عيسى ابن مريم رسول الله وكلمته ألقاها إلى مريم .

٣ـ وقوله تعالى في آية المائدة ٧٧ ﴿قُلۡ يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ لَا تَغۡلُواْ فِي دِينِكُمۡ غَيۡرَ ٱلۡحَقِّ﴾ آية النساء تفسّر آية المائدة، ما الحق الذي يريده؟ الحق أنّ الله سبحانه وتعالى لا شريك له، وأنّ عيسى رسول الله، وليس كما يقولون.

السؤال الثاني:

في ولادة المسيح يقول تعالى: ﴿إِنَّمَا ٱلۡمَسِيحُ عِيسَى ٱبۡنُ مَرۡيَمَ رَسُولُ ٱللَّهِ وَكَلِمَتُهُۥٓ أَلۡقَىٰهَآ إِلَىٰ مَرۡيَمَ وَرُوحٞ مِّنۡهُۖ﴾ فهل هو كلمة أم روح؟ وهل بعث الله تعالى جبريل إلى مريم أو نفخ في مريم العذراء مباشرة؟

الجواب:

١ـ ربنا سبحانه وتعالى وضح هذا الأمر، فقال في سورة مريم: ﴿فَٱتَّخَذَتۡ مِن دُونِهِمۡ حِجَابٗا فَأَرۡسَلۡنَآ إِلَيۡهَا رُوحَنَا فَتَمَثَّلَ لَهَا بَشَرٗا سَوِيّٗا ١٧ قَالَتۡ إِنِّيٓ أَعُوذُ بِٱلرَّحۡمَٰنِ مِنكَ إِن كُنتَ تَقِيّٗا ١٨ قَالَ إِنَّمَآ أَنَا۠ رَسُولُ رَبِّكِ لِأَهَبَ لَكِ غُلَٰمٗا زَكِيّٗا ١٩﴾ [مريم:١٧-١٨-١٩] .

(روحاً) هنا يعني جبريل عليه السلام، وسماه تعالى (الروح الأمين) واسمه العلم جبريل ﴿قُلْ مَن كَانَ عَدُوًّا لِّجِبْرِيلَ فَإِنَّهُۥ نَزَّلَهُۥ عَلَىٰ قَلْبِكَ بِإِذْنِ ٱللَّهِ﴾ [البقرة:٩٧] وذكر وصفه الروح الأمين ﴿نَزَلَ بِهِ ٱلرُّوحُ ٱلْأَمِينُ ﴿١٩٣﴾ عَلَىٰ قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ ٱلْمُنذِرِينَ ﴿١٩٤﴾ بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُّبِينٍ ﴿١٩٥﴾﴾ [الشعراء:١٩٣-١٩٤-١٩٥] ﴿مَن كَانَ عَدُوًّا لِّلَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَرُسُلِهِۦ وَجِبْرِيلَ وَمِيكَىٰلَ﴾ [البقرة:٩٨] فالروح الأمين هو جبريل.

٢ـ و ﴿بِكَلِمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ﴾ [آل عمران:٣٩] كلمة (كن فيكون)، كما قال في آدم (كن): فيكون ﴿إِنَّمَآ أَمْرُهُۥٓ إِذَآ أَرَادَ شَيْـًٔا أَن يَقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴿٨٢﴾﴾ [يس:٨٢] ﴿إِنَّ مَثَلَ عِيسَىٰ عِندَ ٱللَّهِ كَمَثَلِ ءَادَمَ خَلَقَهُۥ مِن تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴿٥٩﴾﴾ [آل عمران:٥٩] ولا تعارض بين الآيتين.

السؤال الثالث:

ما دلالة قوله تعالى في الآية: ﴿يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ لَا تَغْلُوا۟ فِى دِينِكُمْ﴾ ؟

الجواب:

الغلو مأخوذ من غلوة السهم وهي منتهى اندفاعه، واستُعير للزيادة على المطلوب من المعقول. فالغلو في الدين تجاوز الحد المألوف بحيث يُظهِر المتدين ما يفوق حدود الدين، فالنصارى طولبوا باتّباع المسيح فتجاوزوا فيه الحد إلى دعوى ألوهيته أو كونه ابن الله.

السؤال الرابع:

قوله تعالى في آية النساء ١٧١: ﴿وَرُوحٌ مِّنْهُ﴾، وقال في سورة الجاثية:

﴿وَسَخَّرَ لَكُم مَّا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا مِّنْهُ﴾ [الجاثية:١٣] فما دلالة ذلك؟

الجواب:

يحكى أنّ طبيباً نصرانياً للرشيد ناظر الإمام الواقدي ذات يوم، فقال له النصراني بحضرة الخليفة الرشيد: إنّ في كتابكم ما يدل على أن عيسى ابن الله وأنه جزء من الله، ثم تلا الآية ﴿إِنَّمَا ٱلْمَسِيحُ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ رَسُولُ ٱللَّهِ وَكَلِمَتُهُۥٓ أَلْقَىٰهَآ إِلَىٰ مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِّنْهُ﴾ أي: أنّ عيسى جزء من الله فهو ابن الله.

فقال له الإمام الواقدي: ويحك كيف فهمت هذا الفهم الخاطىء؟ إنّ الله تعالى يقول في كتابه: ﴿وَسَخَّرَ لَكُم مَّا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا مِّنْهُ﴾ [الجاثية:١٣] فيجب على زعمك إذا كان عيسى ابن الله لأنه جزء من الله أنْ يكون ما في السماوات والأرض جزءاً من الله؛ لأنّ الله يقول: ﴿جَمِيعًا مِّنْهُ﴾ [الجاثية:١٣] فانقطعت حجة النصراني فخضع وأذعن، وفرح الخليفة الرشيد بذلك فرحاً شديداً ووصل الواقدي بصلة عظيمة.

❀❀❀❀

﴿لَّن يَسْتَنكِفَ ٱلْمَسِيحُ أَن يَكُونَ عَبْدًا لِّلَّهِ وَلَا ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ ٱلْمُقَرَّبُونَ وَمَن يَسْتَنكِفْ عَنْ عِبَادَتِهِۦ وَيَسْتَكْبِرْ فَسَيَحْشُرُهُمْ إِلَيْهِ جَمِيعًا ﴿١٧٢﴾﴾

السؤال الأول:

ما الفرق بين (الاستنكاف) و(الاستكبار)؟

الجواب:

١ـ الاستنكاف هو التكبّر والامتناع بأَنَفة، فهو أشد من الاستكبار، ونُكّرت كلمة ﴿عَبْدًا﴾ ولم تضف إلى الله؛ أي: لم يقل (عبد الله)؛ لأنّ التنكير أظهر للعبودية، أي: عبداً

من جملة العبيد، ولو قال: (عبد الله) بالاضافة، لأوهمت الإضافة أنه عبد الله الخصيص لله وحده.

٢ـ في الاستنكاف معنى الأنفة ومعنى الامتناع، وقد يكون الاستكبار من الكِبر وهو في صفات الله مدح؛ لأنه عظيم الشأن وفي صفاتنا ذم، والله أهل للعظمة ولسنا بأهل لها.

قال تعالى: ﴿وَمَن يَسْتَنكِفْ عَنْ عِبَادَتِهِۦ وَيَسْتَكْبِرْ﴾ أي: يستنكف عن الإقرار بالعبودية، ويستكبر عن الإذعان بالطاعة .

❁❁❁❁

﴿فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ فَيُوَفِّيهِمْ أُجُورَهُمْ وَيَزِيدُهُم مِّن فَضْلِهِۦ ۖ وَأَمَّا ٱلَّذِينَ ٱسْتَنكَفُوا۟ وَٱسْتَكْبَرُوا۟ فَيُعَذِّبُهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا وَلَا يَجِدُونَ لَهُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا ﴿١٧٣﴾﴾

السؤال الأول:

ما دلالة قوله تعالى في الآية ﴿وَلَا يَجِدُونَ لَهُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا ﴿١٧٣﴾﴾ ؟

الجواب:

قوله تعالى: ﴿وَلَا يَجِدُونَ لَهُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا ﴿١٧٣﴾﴾ هو تيئيس لهم؛ فقد عُرِف عند العرب وغيرهم من أمم ذلك العصر الاعتماد عند الضيق على الأولياء والنصراء؛ ليكفّوا عنهم المصائب.

السؤال الثاني:

ماالفرق بين (استنكف) و(استكبر) في الآية: ﴿وَأَمَّا ٱلَّذِينَ ٱسۡتَنكَفُواْ وَٱسۡتَكۡبَرُواْ فَيُعَذِّبُهُمۡ عَذَابًا أَلِيمًا﴾؟

الجواب:

١ـ (استنكف): أَنِف وامتنع، رأى نفسه أعز من ذلك وأعظم من ذلك، لذلك يقولون: الاستنكاف أشد من الاستكبار؛ لأنّ فيها استكباراً وفيها إذلالاً للطرف الآخر.

٢ـ (استكبر) رأى نفسه أكبر، امتنع، وعند أهل المعاجم يقولون: استنكف معناها (استكبر)، لكن المدققين يقولون: (استنكف) فيها (استكبر)، لكنّ فيها معنى آخر،وهو إذلال للآخرين.

❁❁❁❁

﴿فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱللَّهِ وَٱعۡتَصَمُواْ بِهِۦ فَسَيُدۡخِلُهُمۡ فِي رَحۡمَةٖ مِّنۡهُ وَفَضۡلٖ وَيَهۡدِيهِمۡ إِلَيۡهِ صِرَٰطٗا مُّسۡتَقِيمٗا ١٧٥﴾

السؤال الأول:

قوله تعالى: ﴿فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱللَّهِ وَٱعۡتَصَمُواْ بِهِۦ فَسَيُدۡخِلُهُمۡ فِي رَحۡمَةٖ مِّنۡهُ﴾ [النساء:١٧٥]

الدخول في الشيء يتطلب مكاناً يمكنك من ولوجه، فهل الرحمة مكان يُدخَل؟ ولِمَ قال: فسيدخلهم في رحمته، ولم يقل: سيمنحهم رحمته؟

الجواب:

هذا غاية الرضى والرحمة، ألا ترى كيف صوّر الله تعالى الرحمة على هيئة جرم ومكان يحوط أهله ويغمرهم ويعمهم بالرحمة حتى يشمل كل جزء منهم.

السؤال الثاني:

قوله تعالى في الآية ﴿فَسَيُدْخِلُهُمْ فِي رَحْمَةٍ مِّنْهُ﴾ ما دلالة السين في الآية؟ وما الفرق بين (السين وسوف)، وكلاهما حرفا استقبال؟

الجواب:

انظر الجواب في آية النساء رقم ١٠.

❀❀❀❀

﴿يَسْتَفْتُونَكَ قُلِ اللَّهُ يُفْتِيكُمْ فِي الْكَلَالَةِ ۚ إِنِ امْرُؤٌ هَلَكَ لَيْسَ لَهُ وَلَدٌ وَلَهُ أُخْتٌ فَلَهَا نِصْفُ مَا تَرَكَ ۚ وَهُوَ يَرِثُهَا إِن لَّمْ يَكُن لَّهَا وَلَدٌ ۚ فَإِن كَانَتَا اثْنَتَيْنِ فَلَهُمَا الثُّلُثَانِ مِمَّا تَرَكَ ۚ وَإِن كَانُوا إِخْوَةً رِّجَالًا وَنِسَاءً فَلِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ الْأُنثَيَيْنِ ۗ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ أَن تَضِلُّوا ۗ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ (١٧٦)﴾

السؤال الأول:

آخر سورة النساء ﴿يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ أَن تَضِلُّوا ۗ﴾ هل يُفهم أنه من باب الضلالة أو أنّ المقصود هنا: أن لا تضلوا؟

الجواب:

النحاة البصريون والكوفيون يقدرونها تقديرين، لكن المعنى العام واحد، فالبصريون يقدرون: إمّا كراهة أنْ تضلوا، والكوفيون: لئلا تضلوا، وسيكون المؤدّى واحداً ويفضي إلى معنى واحد وهو عدم الضلال، والله تعالى يبين لنا ذلك حتى لا نضل .

ومثل ذلك قوله تعالى: ﴿وَأَلْقَىٰ فِي الْأَرْضِ رَوَاسِيَ أَن تَمِيدَ بِكُمْ﴾ [النحل:١٥] أي: لئلا تميد بكم أو: كراهة أن تميد بكم.

السؤال الثاني:

ما الفرق بين ﴿يَسْتَفْتُونَكَ﴾ بدون واو كما في هذه الآية و﴿ وَيَسْتَفْتُونَكَ﴾ مع الواو كما في آية النساء ١٢٧؟

الجواب:

انظر الجواب في آية النساء ١٢٧.

السؤال الثالث:

في سورة النساء ختمت آية المواريث رقم ١١ بالنسبة للذكور بقوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴿١١﴾﴾ وفي آية المواريث رقم ١٧٦ بالنسبة للكلالة ختمت بقوله ﴿وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴿١٧٦﴾﴾ فما اللمسة البيانية في هذا الاختلاف؟

الجواب:

انظر الجواب في آية النساء رقم ١١.

رابعاً ـ تناسب مفتتح سورة النساء مع خاتمتها:

ابتدأت السورة بقوله تعالى:

﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُوا۟ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَآءً ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ٱلَّذِى تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلْأَرْحَامَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ﴿١﴾ وَءَاتُوا۟ ٱلْيَتَـٰمَىٰٓ أَمْوَٰلَهُمْ ۖ وَلَا تَتَبَدَّلُوا۟ ٱلْخَبِيثَ بِٱلطَّيِّبِ ۖ وَلَا تَأْكُلُوٓا۟ أَمْوَٰلَهُمْ إِلَىٰٓ أَمْوَٰلِكُمْ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ حُوبًا كَبِيرًا ﴿٢﴾﴾ [النساء:١-٢].

وقال في خاتمتها: ﴿يَسْتَفْتُونَكَ قُلِ ٱللَّهُ يُفْتِيكُمْ فِى ٱلْكَلَـٰلَةِ ۚ إِنِ ٱمْرُؤٌا۟ هَلَكَ لَيْسَ لَهُۥ وَلَدٌ وَلَهُۥٓ أُخْتٌ فَلَهَا نِصْفُ مَا تَرَكَ ۚ وَهُوَ يَرِثُهَآ إِن لَّمْ يَكُن لَّهَا وَلَدٌ ۚ﴾ [النساء:١٧٦].

١ ـ فقد بدأت بخلق الإنسان وبث ذريته في الأرض: ﴿ٱتَّقُوا۟ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَآءً ۚ﴾ [النساء:١].

وانتهت بهلاكه من دون عقب: ﴿إِنِ ٱمْرُؤٌا۟ هَلَكَ لَيْسَ لَهُۥ وَلَدٌ﴾ [النساء:١٧٦].

٢ ـ كما ابتدأت بإيتاء الأموال للنشء الجديد من اليتامى من أنصبتهم من المواريث وهم يستقبلون الحياة، واختتمت بتقسيم تركات من ودّع الحياة وهو من المناسبات.

وهذا الترتيب توقيفي، مع أنّ القرآن نزل منجّماً على مدى ثلاث وعشرين سنة.

والله أعلم.

سورة المائدة

أولاً: تناسب خواتيم النساء مع فواتح المائدة:

١ ـ خاتمة سورة النساء في تقسيم الإرث بين الإخوة والعلاقة المالية بين الأقرباء، وذلك قوله سبحانه : ﴿قُلِ ٱللَّهُ يُفْتِيكُمْ فِي ٱلْكَلَٰلَةِ ۚ إِنِ ٱمْرُؤٌا۟ هَلَكَ لَيْسَ لَهُۥ وَلَدٌ وَلَهُۥٓ أُخْتٌ﴾ [النساء:١٧٦] .

وأول المائدة في العلاقة مع الآخرين: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَوْفُوا۟ بِٱلْعُقُودِ ۚ﴾ [المائدة:١]، وهو يشمل التعامل مع عموم أفراد المجتمع .

وطلب منهم التعاون على البر والتقوى لا على الإثم والعدوان، وذلك قوله: ﴿وَتَعَاوَنُوا۟ عَلَى ٱلْبِرِّ وَٱلتَّقْوَىٰ ۖ وَلَا تَعَاوَنُوا۟ عَلَى ٱلْإِثْمِ وَٱلْعُدْوَٰنِ ۚ﴾[المائدة:٢] .

فخاتمة النساء وأول المائدة في تنظيم العلاقة بين أفراد المجتمع ابتداء من الأقربين إلى عموم المجتمع .

٢ ـ قال في أواخر سورة النساء: إنّ الله حرم على اليهود طيبات أحلت لهم؛ وذلك بظلمهم .

وذكر في أول المائدة أنه سبحانه أحل لنا الطيبات، فقابل بين ما أحل لنا وحرم عليهم.

قال تعالى في النساء: ﴿فَبِظُلْمٍ مِّنَ الَّذِينَ هَادُوا حَرَّمْنَا عَلَيْهِمْ طَيِّبَاتٍ أُحِلَّتْ لَهُمْ وَبِصَدِّهِمْ عَن سَبِيلِ اللَّهِ كَثِيرًا ﴿١٦٠﴾﴾ [النساء:١٦٠] .

وقال في أوائل سورة المائدة: ﴿يَسْأَلُونَكَ مَاذَا أُحِلَّ لَهُمْ قُلْ أُحِلَّ لَكُمُ الطَّيِّبَاتُ﴾ [المائدة:٤] .

وقال: ﴿الْيَوْمَ أُحِلَّ لَكُمُ الطَّيِّبَاتُ وَطَعَامُ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ حِلٌّ لَّكُمْ وَطَعَامُكُمْ حِلٌّ لَّهُمْ﴾ [المائدة:٥] .

ثانياً ـ هدف السورة: الوفاء بالعهود

سورة المائدة هي أول سورة ابتدأت بـ: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا﴾ وتكرر فيها هذا النداء (١٦) مرة من أصل (٨٨) مرة وردت في القرآن كله، وهي آخر ما نزل على رسول الله ﷺ في المدينة بعد حجة الوداع، وقد اشتملت على العديد من الأحكام: أحكام العقود، الذبائح، الصيد، الإحرام، نكاح الكتابيات، الردة، أحكام الطهارة، حد السرقة، حد البغي والإفساد في الأرض، أحكام الميسر والخمر، كفارة اليمين، قتل الصيد في الإحرام، الوصية عند الموت، البحيرة والسائبة، الحكم على من ترك العمل بشريعة الله وغيرها. وقد ورد عن النبي ﷺ أنه قال:« **علّموا رجالكم سورة المائدة**» لما فيها من أحكام ووفاء بالعهود والمواثيق.

والخطاب من الله تعالى للمؤمنين بـ: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا﴾ بمعنى يا من آمنتم بي ورضيتم أن تدخلوا في ديني عليكم أن تنفذوا أوامري لتفلحوا وتكونوا من المؤمنين حقاً.

سميت السورة بـ ﴿المائدة﴾:

لورود قصة المائدة في نهاية السورة في قصة سيدنا عيسى والحواريين، لكن التسمية لا تتعلق فقط بذكر المائدة في السورة، ولكنّ العبرة من القصة هي الهدف وتسميتها تتناسب مع هدف السورة؛ لأنّ الله تعالى حذّر الحواريين أنه سينزل عليهم المائدة ولكنْ من كفر بعدها ولم يؤمن سيعذبه الله عذاباً شديداً، وهذا توجيه وتحذير للمسلمين بأنّ عليهم الوفاء بالعهود والمواثيق، وإلا سيكون العذاب جزاءهم كما في قصة المائدة.

والسورة شددت في معظم آياتها على العهود والمواثيق باختلافها، وكل نداء بـ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ﴾ ينص على عهد مختلف، والآيات تذكّر باستمرار بأهمية الوفاء بالعهود والالتزام بها.

النداء الأول: العقد الأول في الطيبات من الأكل، وهي أول ضروريات الحياة، وما أحله الله تعالى لنا. ومن رحمة الله أنه ابتدأ الأحكام بما أحلّ وليس بما حرّم: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَوۡفُواْ بِٱلۡعُقُودِۚ أُحِلَّتۡ لَكُم بَهِيمَةُ ٱلۡأَنۡعَٰمِ إِلَّا مَا يُتۡلَىٰ عَلَيۡكُمۡ غَيۡرَ مُحِلِّي ٱلصَّيۡدِ وَأَنتُمۡ حُرُمٌۗ إِنَّ ٱللَّهَ يَحۡكُمُ مَا يُرِيدُ ١﴾ [المائدة:١].

النداء الثاني: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تُحِلُّواْ شَعَٰٓئِرَ ٱللَّهِ وَلَا ٱلشَّهۡرَ ٱلۡحَرَامَ وَلَا ٱلۡهَدۡيَ وَلَا ٱلۡقَلَٰٓئِدَ وَلَآ ءَآمِّينَ ٱلۡبَيۡتَ ٱلۡحَرَامَ يَبۡتَغُونَ فَضۡلٗا مِّن رَّبِّهِمۡ وَرِضۡوَٰنٗاۚ وَإِذَا حَلَلۡتُمۡ فَٱصۡطَادُواْۚ وَلَا يَجۡرِمَنَّكُمۡ شَنَـَٔانُ قَوۡمٍ أَن صَدُّوكُمۡ عَنِ ٱلۡمَسۡجِدِ ٱلۡحَرَامِ أَن تَعۡتَدُواْۘ وَتَعَاوَنُواْ عَلَى ٱلۡبِرِّ وَٱلتَّقۡوَىٰۖ وَلَا تَعَاوَنُواْ عَلَى ٱلۡإِثۡمِ وَٱلۡعُدۡوَٰنِۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۖ إِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلۡعِقَابِ ٢﴾ [المائدة:٢].

وهذه الآية فيها الحث على مبادئ إسلامية عظيمة، وانتقل من طيبات الطعام إلى مبادئ الإنسانية والعدل ووحدة المجتمع.

- **آية تحريم بعض الطعام وآية إكمال الدين:** ﴿حُرِّمَتْ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةُ وَالدَّمُ وَلَحْمُ الْخِنزِيرِ وَمَا أُهِلَّ لِغَيْرِ اللَّهِ بِهِ وَالْمُنْخَنِقَةُ وَالْمَوْقُوذَةُ وَالْمُتَرَدِّيَةُ وَالنَّطِيحَةُ وَمَا أَكَلَ السَّبُعُ إِلَّا مَا ذَكَّيْتُمْ وَمَا ذُبِحَ عَلَى النُّصُبِ وَأَن تَسْتَقْسِمُوا بِالْأَزْلَامِ ذَٰلِكُمْ فِسْقٌ الْيَوْمَ يَئِسَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِن دِينِكُمْ فَلَا تَخْشَوْهُمْ وَاخْشَوْنِ الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا فَمَنِ اضْطُرَّ فِي مَخْمَصَةٍ غَيْرَ مُتَجَانِفٍ لِّإِثْمٍ فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٣﴾﴾ [المائدة:٣]. وفيها حرّم ربنا تعالى بعض أنواع الطعام، وجاء فيها: ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ﴾ [المائدة:٣] ؛ لأنّ الدين قد اكتمل وتم، وعلينا أنْ نعاهد الله تعالى على كمال هذا الدين والعمل به.

- **تشريع نكاح الكتابيات:** بعد ذكر الطيبات من الطعام ذكر الله تعالى لنا الطيبات من الزوجات. وأحلّ الله تعالى للمسلمين الزواج من الكتابيات ما دُمْنَ مُحصنات عفيفات: ﴿الْيَوْمَ أُحِلَّ لَكُمُ الطَّيِّبَاتُ وَطَعَامُ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ حِلٌّ لَّكُمْ وَطَعَامُكُمْ حِلٌّ لَّهُمْ وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ الْمُؤْمِنَاتِ وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِن قَبْلِكُمْ إِذَا آتَيْتُمُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ مُحْصِنِينَ غَيْرَ مُسَافِحِينَ وَلَا مُتَّخِذِي أَخْدَانٍ وَمَن يَكْفُرْ بِالْإِيمَانِ فَقَدْ حَبِطَ عَمَلُهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴿٥﴾﴾ [المائدة:٥] .

النداء الثالث: أحكام الوضوء. بعد ذكر الطيبات من الطعام والزوجات لا بد من ذكر طيبات الروح وطهارتها؛ لذا جاءت آية الوضوء هنا في السورة: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا قُمْتُمْ إِلَى الصَّلَاةِ فَاغْسِلُوا وُجُوهَكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ إِلَى الْمَرَافِقِ وَامْسَحُوا بِرُءُوسِكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ إِلَى الْكَعْبَيْنِ وَإِن كُنتُمْ جُنُبًا فَاطَّهَّرُوا وَإِن كُنتُم مَّرْضَىٰ أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ أَوْ جَاءَ أَحَدٌ مِّنكُم مِّنَ

ٱلْغَآئِطِ أَوْ لَٰمَسْتُمُ ٱلنِّسَآءَ فَلَمْ تَجِدُوا۟ مَآءً فَتَيَمَّمُوا۟ صَعِيدًا طَيِّبًا فَٱمْسَحُوا۟ بِوُجُوهِكُمْ وَأَيْدِيكُم مِّنْهُ ۚ مَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيَجْعَلَ عَلَيْكُم مِّنْ حَرَجٍ وَلَٰكِن يُرِيدُ لِيُطَهِّرَكُمْ وَلِيُتِمَّ نِعْمَتَهُۥ عَلَيْكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿٦﴾﴾ [المائدة:٦] .

- **تذكير بضرورة الوفاء بالعهود:** بعد كل بضع آيات عن العهود تأتي آية تذكر بأهمية الوفاء بالعهود، كما في الآية: ﴿وَٱذْكُرُوا۟ نِعْمَةَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ وَمِيثَٰقَهُ ٱلَّذِى وَاثَقَكُم بِهِۦٓ إِذْ قُلْتُمْ سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا ۖ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ﴿٧﴾﴾ [المائدة:٧].

النداء الرابع: العدل. فمن ضمن ما نعاهد الله تعالى عليه العدل، حتى لو ظلم المسلم ويذكرنا تعالى بأنه وفى بعهده مع عباده، فكيف لا يوفي العباد بعهودهم مع ربهم ومع الناس.: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ كُونُوا۟ قَوَّٰمِينَ لِلَّهِ شُهَدَآءَ بِٱلْقِسْطِ ۖ وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَـَٔانُ قَوْمٍ عَلَىٰٓ أَلَّا تَعْدِلُوا۟ ۚ ٱعْدِلُوا۟ هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ ۖ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ خَبِيرٌۢ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿٨﴾﴾ [المائدة:٨].

النداء الخامس: التذكير بنعمة الله على عباده: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱذْكُرُوا۟ نِعْمَتَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ هَمَّ قَوْمٌ أَن يَبْسُطُوٓا۟ إِلَيْكُمْ أَيْدِيَهُمْ فَكَفَّ أَيْدِيَهُمْ عَنكُمْ ۖ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ۚ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُؤْمِنُونَ ﴿١١﴾﴾ [المائدة:١١] .

قصة بني إسرائيل: جاء ذكرها هنا؛ لأنّ بني إسرائيل قد نقضوا الكثير من العهود، وهم نموذج لمن ينقض العهود والمواثيق: ﴿وَلَقَدْ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَٰقَ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ وَبَعَثْنَا مِنْهُمُ ٱثْنَىْ عَشَرَ نَقِيبًا ۖ وَقَالَ ٱللَّهُ إِنِّى مَعَكُمْ ۖ لَئِنْ أَقَمْتُمُ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَيْتُمُ ٱلزَّكَوٰةَ وَءَامَنتُم بِرُسُلِى وَعَزَّرْتُمُوهُمْ وَأَقْرَضْتُمُ ٱللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا لَّأُكَفِّرَنَّ عَنكُمْ سَيِّـَٔاتِكُمْ وَلَأُدْخِلَنَّكُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى

مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ ۚ فَمَن كَفَرَ بَعْدَ ذَٰلِكَ مِنكُمْ فَقَدْ ضَلَّ سَوَآءَ ٱلسَّبِيلِ ﴿١٢﴾ فَبِمَا نَقْضِهِم مِّيثَٰقَهُمْ لَعَنَّٰهُمْ وَجَعَلْنَا قُلُوبَهُمْ قَٰسِيَةً ۖ يُحَرِّفُونَ ٱلْكَلِمَ عَن مَّوَاضِعِهِۦ ۙ وَنَسُوا۟ حَظًّا مِّمَّا ذُكِّرُوا۟ بِهِۦ ۚ وَلَا تَزَالُ تَطَّلِعُ عَلَىٰ خَآئِنَةٍ مِّنْهُمْ إِلَّا قَلِيلًا مِّنْهُمْ ۖ فَٱعْفُ عَنْهُمْ وَٱصْفَحْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿١٣﴾ ﴾ [المائدة:١٢-١٣].

قصة سيدنا موسى ودخول القدس: ﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِۦ يَٰقَوْمِ ٱذْكُرُوا۟ نِعْمَةَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَعَلَ فِيكُمْ أَنۢبِيَآءَ وَجَعَلَكُم مُّلُوكًا وَءَاتَىٰكُم مَّا لَمْ يُؤْتِ أَحَدًا مِّنَ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٢٠﴾ يَٰقَوْمِ ٱدْخُلُوا۟ ٱلْأَرْضَ ٱلْمُقَدَّسَةَ ٱلَّتِى كَتَبَ ٱللَّهُ لَكُمْ وَلَا تَرْتَدُّوا۟ عَلَىٰٓ أَدْبَارِكُمْ فَتَنقَلِبُوا۟ خَٰسِرِينَ ﴿٢١﴾ قَالُوا۟ يَٰمُوسَىٰٓ إِنَّ فِيهَا قَوْمًا جَبَّارِينَ وَإِنَّا لَن نَّدْخُلَهَا حَتَّىٰ يَخْرُجُوا۟ مِنْهَا فَإِن يَخْرُجُوا۟ مِنْهَا فَإِنَّا دَٰخِلُونَ ﴿٢٢﴾ قَالَ رَجُلَانِ مِنَ ٱلَّذِينَ يَخَافُونَ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِمَا ٱدْخُلُوا۟ عَلَيْهِمُ ٱلْبَابَ فَإِذَا دَخَلْتُمُوهُ فَإِنَّكُمْ غَٰلِبُونَ ۚ وَعَلَى ٱللَّهِ فَتَوَكَّلُوٓا۟ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿٢٣﴾ قَالُوا۟ يَٰمُوسَىٰٓ إِنَّا لَن نَّدْخُلَهَآ أَبَدًا مَّا دَامُوا۟ فِيهَا ۖ فَٱذْهَبْ أَنتَ وَرَبُّكَ فَقَٰتِلَآ إِنَّا هَٰهُنَا قَٰعِدُونَ ﴿٢٤﴾ قَالَ رَبِّ إِنِّى لَآ أَمْلِكُ إِلَّا نَفْسِى وَأَخِى ۖ فَٱفْرُقْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ ٱلْقَوْمِ ٱلْفَٰسِقِينَ ﴿٢٥﴾ قَالَ فَإِنَّهَا مُحَرَّمَةٌ عَلَيْهِمْ ۛ أَرْبَعِينَ سَنَةً ۛ يَتِيهُونَ فِى ٱلْأَرْضِ ۚ فَلَا تَأْسَ عَلَى ٱلْقَوْمِ ٱلْفَٰسِقِينَ ﴿٢٦﴾﴾ [المائدة:٢٠-٢١-٢٢-٢٣-٢٤-٢٥-٢٦]. وفي ورودها تأكيد آخر على نموذج نقض العهود من بني إسرائيل، والفرق بين رد الله تعالى عليهم: ﴿فَإِنَّهَا مُحَرَّمَةٌ عَلَيْهِمْ ۛ﴾ [المائدة:٢٦]. وبين خطابه سبحانه للمؤمنين: ﴿أُحِلَّ لَكُمُ ٱلطَّيِّبَٰتُ ۙ﴾ [المائدة:٤].

قصة ابني آدم: ورودها في هذه السورة بعد قصة بني إسرائيل؛ لأنّ بني إسرائيل نقضوا العهود من جبنهم، وقابيل قتل أخاه هابيل بتسرعه ونقضه للعهد: ﴿ ۞ وَٱتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ ٱبْنَىْ ءَادَمَ بِٱلْحَقِّ إِذْ قَرَّبَا قُرْبَانًا فَتُقُبِّلَ مِنْ أَحَدِهِمَا وَلَمْ يُتَقَبَّلْ مِنَ ٱلْءَاخَرِ قَالَ لَأَقْتُلَنَّكَ ۖ قَالَ إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ ٱللَّهُ مِنَ ٱلْمُتَّقِينَ ﴿٢٧﴾﴾ انظر القصة في الآيات (٢٧و٣١).

النداء السادس: تأكيد وسيلة تعين على الوفاء بالعهود، وهي تقوى الله والجهاد في سبيله: ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَٱبْتَغُوٓا۟ إِلَيْهِ ٱلْوَسِيلَةَ وَجَـٰهِدُوا۟ فِى سَبِيلِهِۦ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿٣٥﴾ ﴾ [المائدة:٣٥] .

النداء السابع والثامن: الآيات ٥١ – ٦٦: ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَتَّخِذُوا۟ ٱلْيَهُودَ وَٱلنَّصَـٰرَىٰٓ أَوْلِيَآءَ ۘ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ ۚ وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمْ فَإِنَّهُۥ مِنْهُمْ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّـٰلِمِينَ ﴿٥١﴾ ﴾ [المائدة:٥١] ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَن يَرْتَدَّ مِنكُمْ عَن دِينِهِۦ فَسَوْفَ يَأْتِى ٱللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُۥٓ أَذِلَّةٍ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى ٱلْكَـٰفِرِينَ يُجَـٰهِدُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لَآئِمٍ ۚ ذَٰلِكَ فَضْلُ ٱللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَآءُ ۚ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ ﴿٥٤﴾ ﴾ [المائدة:٥٤]، وفيها دعوة إلى عدم اتخاذ اليهود والنصارى أولياء، وهذا لا يعني عدم التسامح. ويجب أنْ تكون للمسلمين هوية خاصة بعيداً عن التقليد الأعمى. وهذه الآيات سبقها ربع كامل من الآية ٤١: ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ لَا يَحْزُنكَ ٱلَّذِينَ يُسَـٰرِعُونَ فِى ٱلْكُفْرِ مِنَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓا۟ ءَامَنَّا بِأَفْوَٰهِهِمْ وَلَمْ تُؤْمِن قُلُوبُهُمْ ۛ وَمِنَ ٱلَّذِينَ هَادُوا۟ ۛ سَمَّـٰعُونَ لِلْكَذِبِ سَمَّـٰعُونَ لِقَوْمٍ ءَاخَرِينَ لَمْ يَأْتُوكَ ۖ يُحَرِّفُونَ ٱلْكَلِمَ مِنۢ بَعْدِ مَوَاضِعِهِۦ ۖ يَقُولُونَ إِنْ أُوتِيتُمْ هَـٰذَا فَخُذُوهُ وَإِن لَّمْ تُؤْتَوْهُ فَٱحْذَرُوا۟ ۚ وَمَن يُرِدِ ٱللَّهُ فِتْنَتَهُۥ فَلَن تَمْلِكَ لَهُۥ مِنَ ٱللَّهِ شَيْـًٔا ۚ أُو۟لَـٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ لَمْ يُرِدِ ٱللَّهُ أَن يُطَهِّرَ قُلُوبَهُمْ ۚ لَهُمْ فِى ٱلدُّنْيَا خِزْىٌ ۖ وَلَهُمْ فِى ٱلْـَٔاخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿٤١﴾ ﴾ [المائدة:٤١] إلى الآية ٥٠ ﴿ أَفَحُكْمَ ٱلْجَـٰهِلِيَّةِ يَبْغُونَ ۚ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ ٱللَّهِ حُكْمًا لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ ﴿٥٠﴾ ﴾ .

النداء التاسع: عقاب الذين ينقضون العهود بأنْ يستبدلهم الله تعالى بغيرهم.: ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَن يَرْتَدَّ مِنكُمْ عَن دِينِهِۦ فَسَوْفَ يَأْتِى ٱللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُۥٓ أَذِلَّةٍ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى

ٱلْكَٰفِرِينَ يُجَٰهِدُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لَآئِمٍ ۚ ذَٰلِكَ فَضْلُ ٱللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَآءُ ۚ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ ﴿٥٤﴾ ﴾ [المائدة:٥٤].

النداء العاشر: النهي عن اتخاذ الكفار والمستهزئين بالدين أولياء: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَتَّخِذُوا۟ ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُوا۟ دِينَكُمْ هُزُوًا وَلَعِبًا مِّنَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلِكُمْ وَٱلْكُفَّارَ أَوْلِيَآءَ ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿٥٧﴾ ﴾ [المائدة:٥٧].

النداء الحادي عشر: النهي عن تحريم ما أحلّ الله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تُحَرِّمُوا۟ طَيِّبَٰتِ مَآ أَحَلَّ ٱللَّهُ لَكُمْ وَلَا تَعْتَدُوٓا۟ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْمُعْتَدِينَ ﴿٨٧﴾ ﴾ [المائدة:٨٧].

النداء الثاني عشر: النهي عن الخمر والميسر، وتركها من ضمن الوفاء بالعهود، وعلى المسلم أن يعاهد الله تعالى على ترك هذه الموبقات، وأن يحفظ عهده: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِنَّمَا ٱلْخَمْرُ وَٱلْمَيْسِرُ وَٱلْأَنصَابُ وَٱلْأَزْلَٰمُ رِجْسٌ مِّنْ عَمَلِ ٱلشَّيْطَٰنِ فَٱجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿٩٠﴾ ﴾ [المائدة:٩٠].

النداء الثالث عشر: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَيَبْلُوَنَّكُمُ ٱللَّهُ بِشَىْءٍ مِّنَ ٱلصَّيْدِ تَنَالُهُۥٓ أَيْدِيكُمْ وَرِمَاحُكُمْ لِيَعْلَمَ ٱللَّهُ مَن يَخَافُهُۥ بِٱلْغَيْبِ ۚ فَمَنِ ٱعْتَدَىٰ بَعْدَ ذَٰلِكَ فَلَهُۥ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٩٤﴾ ﴾ [المائدة:٩٤].

النداء الرابع عشر: من رحمة الله تعالى بنا أنْ جعل لنا بعد التشدد في العهود والوفاء بها ضوابط بأنْ لا نضيّق على أنفسنا بالسؤال عما لا يعنينا: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَسْـَٔلُوا۟ عَنْ أَشْيَآءَ إِن تُبْدَ لَكُمْ تَسُؤْكُمْ وَإِن تَسْـَٔلُوا۟ عَنْهَا حِينَ يُنَزَّلُ ٱلْقُرْءَانُ تُبْدَ لَكُمْ عَفَا ٱللَّهُ عَنْهَا ۗ وَٱللَّهُ غَفُورٌ حَلِيمٌ ﴿١٠١﴾ ﴾ [المائدة:١٠١].

النداء الخامس عشر: وفي هذه الآية يضع الله تعالى لنا ضابطاً آخر بأنه علينا بأنفسنا ولا يضرنا لو ضل كل من حولنا، وعلينا أنْ نحفظ عهدنا مهما كان من حولنا ضالاً:

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ عَلَيۡكُمۡ أَنفُسَكُمۡۖ لَا يَضُرُّكُم مَّن ضَلَّ إِذَا ٱهۡتَدَيۡتُمۡۚ إِلَى ٱللَّهِ مَرۡجِعُكُمۡ جَمِيعٗا فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمۡ تَعۡمَلُونَ ١٠٥ ﴾ [المائدة:١٠٥].

النداء السادس عشر: حكم الوصية والشهادة: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ شَهَٰدَةُ بَيۡنِكُمۡ إِذَا حَضَرَ أَحَدَكُمُ ٱلۡمَوۡتُ حِينَ ٱلۡوَصِيَّةِ ٱثۡنَانِ ذَوَا عَدۡلٖ مِّنكُمۡ أَوۡ ءَاخَرَانِ مِنۡ غَيۡرِكُمۡ إِنۡ أَنتُمۡ ضَرَبۡتُمۡ فِي ٱلۡأَرۡضِ فَأَصَٰبَتۡكُم مُّصِيبَةُ ٱلۡمَوۡتِۚ تَحۡبِسُونَهُمَا مِنۢ بَعۡدِ ٱلصَّلَوٰةِ فَيُقۡسِمَانِ بِٱللَّهِ إِنِ ٱرۡتَبۡتُمۡ لَا نَشۡتَرِي بِهِۦ ثَمَنٗا وَلَوۡ كَانَ ذَا قُرۡبَىٰ وَلَا نَكۡتُمُ شَهَٰدَةَ ٱللَّهِ إِنَّآ إِذٗا لَّمِنَ ٱلۡأٓثِمِينَ ١٠٦ ﴾ [المائدة:١٠٦].

- **أهداف الشريعة الإسلامية:** ذكر الفقهاء أن مقاصد الشريعة هي خمسة: حفظ الدين والعقل والمال والنفس والعرض، وهذه المقاصد الخمسة هي لمصلحة المؤمن، فعليه أن يفي بعهوده، وهذه المقاصد موجودة في سورة المائدة:

حفظ الدين : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَن يَرۡتَدَّ مِنكُمۡ عَن دِينِهِۦ فَسَوۡفَ يَأۡتِي ٱللَّهُ بِقَوۡمٖ يُحِبُّهُمۡ وَيُحِبُّونَهُۥٓ أَذِلَّةٍ عَلَى ٱلۡمُؤۡمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى ٱلۡكَٰفِرِينَ يُجَٰهِدُونَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوۡمَةَ لَآئِمٖۚ ذَٰلِكَ فَضۡلُ ٱللَّهِ يُؤۡتِيهِ مَن يَشَآءُۚ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ ٥٤ ﴾ [المائدة:٥٤].

حفظ النفس: ﴿ مِنۡ أَجۡلِ ذَٰلِكَ كَتَبۡنَا عَلَىٰ بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ أَنَّهُۥ مَن قَتَلَ نَفۡسَۢا بِغَيۡرِ نَفۡسٍ أَوۡ فَسَادٖ فِي ٱلۡأَرۡضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ ٱلنَّاسَ جَمِيعٗا وَمَنۡ أَحۡيَاهَا فَكَأَنَّمَآ أَحۡيَا ٱلنَّاسَ جَمِيعٗاۚ وَلَقَدۡ جَآءَتۡهُمۡ رُسُلُنَا بِٱلۡبَيِّنَٰتِ ثُمَّ إِنَّ كَثِيرٗا مِّنۡهُم بَعۡدَ ذَٰلِكَ فِي ٱلۡأَرۡضِ لَمُسۡرِفُونَ ﴾ [المائدة:٣٢].

حفظ العرض: ﴿ ٱلۡيَوۡمَ أُحِلَّ لَكُمُ ٱلطَّيِّبَٰتُۖ وَطَعَامُ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡكِتَٰبَ حِلّٞ لَّكُمۡ وَطَعَامُكُمۡ حِلّٞ لَّهُمۡۖ وَٱلۡمُحۡصَنَٰتُ مِنَ ٱلۡمُؤۡمِنَٰتِ وَٱلۡمُحۡصَنَٰتُ مِنَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡكِتَٰبَ مِن قَبۡلِكُمۡ إِذَآ ءَاتَيۡتُمُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ مُحۡصِنِينَ غَيۡرَ

مُسَٰفِحِينَ وَلَا مُتَّخِذِيٓ أَخۡدَانٖۗ وَمَن يَكۡفُرۡ بِٱلۡإِيمَٰنِ فَقَدۡ حَبِطَ عَمَلُهُۥ وَهُوَ فِي ٱلۡأٓخِرَةِ مِنَ ٱلۡخَٰسِرِينَ ﴿٥﴾﴾ [المائدة:٥].

حفظ المال: ﴿وَٱلسَّارِقُ وَٱلسَّارِقَةُ فَٱقۡطَعُوٓاْ أَيۡدِيَهُمَا جَزَآءَۢ بِمَا كَسَبَا نَكَٰلٗا مِّنَ ٱللَّهِۗ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٞ ﴿٣٨﴾﴾ [المائدة:٣٨].

حفظ العقل: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِنَّمَا ٱلۡخَمۡرُ وَٱلۡمَيۡسِرُ وَٱلۡأَنصَابُ وَٱلۡأَزۡلَٰمُ رِجۡسٞ مِّنۡ عَمَلِ ٱلشَّيۡطَٰنِ فَٱجۡتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ ﴿٩٠﴾﴾ [المائدة:٩٠].

ختام السورة: مراجعة العقود يوم القيامة: ﴿۞يَوۡمَ يَجۡمَعُ ٱللَّهُ ٱلرُّسُلَ فَيَقُولُ مَاذَآ أُجِبۡتُمۡۖ قَالُواْ لَا عِلۡمَ لَنَآۖ إِنَّكَ أَنتَ عَلَّٰمُ ٱلۡغُيُوبِ ﴿١٠٩﴾﴾ [المائدة:١٠٩].

وقد اشتملت السورة من أولها إلى خاتمتها بالعقود وأهمية الوفاء بها. فبداية السورة: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَوۡفُواْ بِٱلۡعُقُودِۚ﴾ [المائدة:١] ووسطها: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ بَلِّغۡ مَآ أُنزِلَ إِلَيۡكَ مِن رَّبِّكَۖ وَإِن لَّمۡ تَفۡعَلۡ فَمَا بَلَّغۡتَ رِسَالَتَهُۥۚ وَٱللَّهُ يَعۡصِمُكَ مِنَ ٱلنَّاسِۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهۡدِي ٱلۡقَوۡمَ ٱلۡكَٰفِرِينَ ﴿٦٧﴾﴾ [المائدة:٦٧] ونهايتها: ﴿قَالَ ٱللَّهُ هَٰذَا يَوۡمُ يَنفَعُ ٱلصَّٰدِقِينَ صِدۡقُهُمۡۚ لَهُمۡ جَنَّٰتٞ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدٗاۚ رَّضِيَ ٱللَّهُ عَنۡهُمۡ وَرَضُواْ عَنۡهُۚ ذَٰلِكَ ٱلۡفَوۡزُ ٱلۡعَظِيمُ ﴿١١٩﴾﴾ [المائدة:١١٩].

وآخر سورة المائدة مرتبط بأول السورة أيضاً: ﴿قَالَ ٱللَّهُ هَٰذَا يَوۡمُ يَنفَعُ ٱلصَّٰدِقِينَ صِدۡقُهُمۡۚ لَهُمۡ جَنَّٰتٞ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدٗاۚ رَّضِيَ ٱللَّهُ عَنۡهُمۡ وَرَضُواْ عَنۡهُۚ ذَٰلِكَ ٱلۡفَوۡزُ ٱلۡعَظِيمُ ﴿١١٩﴾﴾ [المائدة:١١٩] فالذين يصدقون هم الذين يوفون بالعهود وهم المؤمنون: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَوۡفُواْ بِٱلۡعُقُودِۚ﴾ [المائدة:١].

ثالثاً- من اللمسات البيانية فى السورة:

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَوْفُوا بِالْعُقُودِ ۚ أُحِلَّتْ لَكُم بَهِيمَةُ الْأَنْعَامِ إِلَّا مَا يُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ غَيْرَ مُحِلِّي الصَّيْدِ وَأَنتُمْ حُرُمٌ ۗ إِنَّ اللَّهَ يَحْكُمُ مَا يُرِيدُ ﴿١﴾﴾

السؤال الأول:

قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَوْفُوا بِالْعُقُودِ ۚ﴾ [المائدة:١] لِمَ أمرنا الله تعالى الوفاء بالعقود، ولم يقل لنا: التزموا أمر الله؟

الجواب:

الإيفاء أنْ تعطي وتؤدي ما عليك كاملاً من غير نقص، ولا شك أنّ ترك النقص لا يتحقق إلا إذا أدّيت زيادة على القدر الواجب، والعقود جمع عقد، وهو ربط الحبل بالعروة، والعقد هو الالتزام الواقع بين جانبين في فعل ما، فالصلاة عقد بينك وبين الله تعالى وعليك الإيفاء به، فالوفاء بالعقد يتطلب منك حرصاً ومبالغة في أداء ما تعهدت به.

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تُحِلُّواْ شَعَٰٓئِرَ ٱللَّهِ وَلَا ٱلشَّهۡرَ ٱلۡحَرَامَ وَلَا ٱلۡهَدۡيَ وَلَا ٱلۡقَلَٰٓئِدَ وَلَآ ءَآمِّينَ ٱلۡبَيۡتَ ٱلۡحَرَامَ يَبۡتَغُونَ فَضۡلٗا مِّن رَّبِّهِمۡ وَرِضۡوَٰنٗاۚ وَإِذَا حَلَلۡتُمۡ فَٱصۡطَادُواْۚ وَلَا يَجۡرِمَنَّكُمۡ شَنَـَٔانُ قَوۡمٍ أَن صَدُّوكُمۡ عَنِ ٱلۡمَسۡجِدِ ٱلۡحَرَامِ أَن تَعۡتَدُواْۘ وَتَعَاوَنُواْ عَلَى ٱلۡبِرِّ وَٱلتَّقۡوَىٰۖ وَلَا تَعَاوَنُواْ عَلَى ٱلۡإِثۡمِ وَٱلۡعُدۡوَٰنِۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۖ إِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلۡعِقَابِ ﴿٢﴾ ﴾

السؤال الأول:

ما الفرق من الناحية البيانية بين قوله: ﴿وَلَا يَجۡرِمَنَّكُمۡ شَنَـَٔانُ قَوۡمٍ أَن صَدُّوكُمۡ عَنِ ٱلۡمَسۡجِدِ ٱلۡحَرَامِ أَن تَعۡتَدُواْ﴾ [المائدة:٢] وقوله: ﴿وَلَا يَجۡرِمَنَّكُمۡ شَنَـَٔانُ قَوۡمٍ عَلَىٰٓ أَلَّا تَعۡدِلُواْ﴾ [المائدة:٨]؟ لماذا جاءت مرة ﴿عَلَىٰٓ أَلَّا﴾ ومرة ﴿أَن﴾؟

الجواب:

قال تعالى في سورة المائدة: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تُحِلُّواْ شَعَٰٓئِرَ ٱللَّهِ وَلَا ٱلشَّهۡرَ ٱلۡحَرَامَ وَلَا ٱلۡهَدۡيَ وَلَا ٱلۡقَلَٰٓئِدَ وَلَآ ءَآمِّينَ ٱلۡبَيۡتَ ٱلۡحَرَامَ يَبۡتَغُونَ فَضۡلٗا مِّن رَّبِّهِمۡ وَرِضۡوَٰنٗاۚ وَإِذَا حَلَلۡتُمۡ فَٱصۡطَادُواْۚ وَلَا يَجۡرِمَنَّكُمۡ شَنَـَٔانُ قَوۡمٍ أَن صَدُّوكُمۡ عَنِ ٱلۡمَسۡجِدِ ٱلۡحَرَامِ أَن تَعۡتَدُواْۘ وَتَعَاوَنُواْ عَلَى ٱلۡبِرِّ وَٱلتَّقۡوَىٰۖ وَلَا تَعَاوَنُواْ عَلَى ٱلۡإِثۡمِ وَٱلۡعُدۡوَٰنِۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۖ إِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلۡعِقَابِ ﴿٢﴾﴾ [المائدة:٢] وقال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُونُواْ قَوَّٰمِينَ لِلَّهِ شُهَدَآءَ بِٱلۡقِسۡطِۖ وَلَا يَجۡرِمَنَّكُمۡ شَنَـَٔانُ قَوۡمٍ عَلَىٰٓ أَلَّا تَعۡدِلُواْۚ ٱعۡدِلُواْ هُوَ أَقۡرَبُ لِلتَّقۡوَىٰۖ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۚ إِنَّ ٱللَّهَ خَبِيرُۢ بِمَا تَعۡمَلُونَ ﴿٨﴾﴾ [المائدة:٨].

المحذوف في الآية الأولى هو الحرف (على)، وهو من الحذف الجائز ويسمونه نزع الخافض بوجود (أنْ) ومعلوم الحرف وهو (على)، وهذا جائز نحوياً. والسؤال هو: لماذا حُذف الحرف (على) في الآية الأولى وذُكر في الثانية؟

والجواب: إذا كان الحرف متعيّناً يكون الذكر آكد من الحذف، وإذا لم يكن متعيّناً (أي: له عدة معان) يكون من باب التوسع في المعنى.

وإذا نظرنا إلى الآيتين السابقتين نجد أنّ الثانية آكد من الأولى؛ لأنّ الحرف (على) ذُكر، والآية الأولى نزلت في حادثة واحدة حصلت وانتهت وهي تخص قريشاً عندما صدوا المسلمين عن المسجد الحرام، أمّا الآية الثانية فهي عامة، وهي محكمة إلى يوم القيامة وهي الأمر بالعدل إلى يوم القيامة .

ثم أنّ الآية الأولى تدخل في الثانية؛ لأنّ العدوان هو الظلم وهو عدم العدل، والعدوان من الظلم وليس من العدل، فالثانية آكد من الأولى، والأمر بالعدل أمر عام والأولى أمر خاص جداً، لذا اقتضى حذف الحرف (على) في الأولى وذكره في الثانية.

السؤال الثاني:

قوله تعالى في الآية: ﴿وَلَآ ءَآمِّينَ ٱلْبَيْتَ ٱلْحَرَامَ﴾ انظر إلى هذا التعبير الإلهي حيث قال: ﴿وَلَآ ءَآمِّينَ ٱلْبَيْتَ ٱلْحَرَامَ﴾ أي: قاصدين البيت الحرم، فلِمَ عدل ربنا تعالى عن التعبير بالأشمل، كأن يقول: ولا قاصدين مكة؟

الجواب:

عدل ربنا سبحانه وتعالى عن كلمة (مكة)؛ لأنّ قصدها قد يكون للعبادة وقد يكون للتجارة ونحوها، والحرمة لا تخصّ إلا المُحرم للعبادة، ولذلك قال: ﴿وَلَآ ءَآمِّينَ ٱلْبَيْتَ ٱلْحَرَامَ﴾ ؛ لأن البيت لا يُقصد إلا للعبادة.

السؤال الثالث:

ما هو الشنآن المذكور في الآية؟

الجواب:

الشنآن هو شدة البُغض، وهو مصدر دالٌّ على الاضطراب والتقلّب؛ لأنّ الشنآن فيه اضطراب النفس، فهو مثل الغليان، والمسجد الحرام: اسم جُعِل علَماً للغلبة على المكان المحيط بالكعبة المحصور ذي الأبواب، وهو اسم إسلامي، ولم يكن يُدعى بذلك في الجاهلية؛ لأنّ المسجد مكان السجود، ولم يكن لأهل الجاهلية سجود عند الكعبة.

السؤال الرابع:

قال تعالى في آية البقرة ٢١١ وآية المائدة ٢ وآية الأنفال١٣ : ﴿فَإِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ﴿١٣﴾﴾ [الأنفال:١٣] مؤكداً بإنّ وحدها، بينما قال في آية الرعد٦ : ﴿وَإِنَّ رَبَّكَ لَشَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ﴿٦﴾﴾ [الرعد:٦] فأكد بإنّ واللام، فلماذا؟

الجواب:

انظر الجواب في آية البقرة ٢١١.

﴿ حُرِّمَتْ عَلَيْكُمُ ٱلْمَيْتَةُ وَٱلدَّمُ وَلَحْمُ ٱلْخِنزِيرِ وَمَآ أُهِلَّ لِغَيْرِ ٱللَّهِ بِهِۦ وَٱلْمُنْخَنِقَةُ وَٱلْمَوْقُوذَةُ وَٱلْمُتَرَدِّيَةُ وَٱلنَّطِيحَةُ وَمَآ أَكَلَ ٱلسَّبُعُ إِلَّا مَا ذَكَّيْتُمْ وَمَا ذُبِحَ عَلَى ٱلنُّصُبِ وَأَن تَسْتَقْسِمُوا۟ بِٱلْأَزْلَٰمِ ۚ ذَٰلِكُمْ فِسْقٌ ۗ ٱلْيَوْمَ يَئِسَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِن دِينِكُمْ فَلَا تَخْشَوْهُمْ وَٱخْشَوْنِ ۚ ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِى وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا ۚ فَمَنِ ٱضْطُرَّ فِى مَخْمَصَةٍ غَيْرَ مُتَجَانِفٍ لِّإِثْمٍ ۙ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٣﴾ ﴾

السؤال الأول:

قال تعالى: ﴿حُرِّمَتْ عَلَيْكُمُ ٱلْمَيْتَةُ وَٱلدَّمُ وَلَحْمُ ٱلْخِنزِيرِ وَمَآ أُهِلَّ لِغَيْرِ ٱللَّهِ بِهِۦ﴾ [المائدة:٣] وفي آية أخرى ﴿إِنَّمَا حَرَّمَ عَلَيْكُمُ ٱلْمَيْتَةَ وَٱلدَّمَ وَلَحْمَ ٱلْخِنزِيرِ وَمَآ أُهِلَّ بِهِۦ لِغَيْرِ ٱللَّهِ ۖ﴾ [البقرة:١٧٣] ما دلالة التقديم والتأخير لـ ﴿بِهِۦ﴾؟

الجواب:

انظر الجواب في آية البقرة ١٧٣.

السؤال الثاني:

ذكر تعالى الياء في قوله: ﴿وَٱخْشَوْنِى﴾ [البقرة:١٥٠] وحذفها فقال: ﴿وَٱخْشَوْنِ ۚ﴾ [المائدة:٣] في آيتي المائدة ٣ و٤٤؟ فمتى تثبت الياء ومتى تحذف كما في قوله: ﴿وَٱخْشَوْنِى﴾ [البقرة:١٥٠]، ﴿وَٱخْشَوْنِ ۚ﴾ [المائدة:٣]؟

الجواب:

انظر الجواب في آية البقرة ١٥٠.

السؤال الثالث:

قوله تعالى: ﴿حُرِّمَتْ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةُ وَالدَّمُ وَلَحْمُ الْخِنزِيرِ وَمَا أُهِلَّ لِغَيْرِ اللَّهِ بِهِ وَالْمُنْخَنِقَةُ وَالْمَوْقُوذَةُ وَالْمُتَرَدِّيَةُ وَالنَّطِيحَةُ وَمَا أَكَلَ السَّبُعُ إِلَّا مَا ذَكَّيْتُمْ وَمَا ذُبِحَ عَلَى النُّصُبِ وَأَن تَسْتَقْسِمُوا بِالْأَزْلَامِ ذَٰلِكُمْ فِسْقٌ الْيَوْمَ يَئِسَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِن دِينِكُمْ فَلَا تَخْشَوْهُمْ وَاخْشَوْنِ الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا فَمَنِ اضْطُرَّ فِي مَخْمَصَةٍ غَيْرَ مُتَجَانِفٍ لِّإِثْمٍ فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٣﴾﴾ [المائدة:٣] المفروض أنّ الرسالة انتهت واكتمل الدين فلماذا جاء بعدها ﴿فَمَنِ اضْطُرَّ فِي مَخْمَصَةٍ غَيْرَ مُتَجَانِفٍ لِّإِثْمٍ فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٣﴾﴾؟ ولماذا لم ترد قبل في الترتيب؟

الجواب:

قراءة سياق الآية توضح المسألة. آية المائدة تبدأ بقوله تعالى: ﴿أُحِلَّتْ لَكُم بَهِيمَةُ الْأَنْعَامِ إِلَّا مَا يُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ﴾ [المائدة:١] إذن: أحلت لكم بهيمة الأنعام إلا ما يتلى عليكم ببيان المحرمات، والاستثناء معناه لما سوف يأتي، أي ما قبلها حلال وما سيذكره حرام، ثم ذكر هذه الأشياء، فهو ذَكَرَ الحلال والحرام وانتهت المسألة، وبعدها قال: ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا﴾ [المائدة:٣]. فذكر تمام النعمة.

ثم انتقل إلى موضوع آخر، فقال: ﴿فَمَنِ اضْطُرَّ فِي مَخْمَصَةٍ غَيْرَ مُتَجَانِفٍ لِّإِثْمٍ فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٣﴾﴾ [المائدة:٣] وهذا توضيح للأول ويخص الاضطرار وأموراً أخرى، ولكن أصل المسألة انتهت.

ومن الأمور الأخرى: ﴿يَسْـَٔلُونَكَ مَاذَآ أُحِلَّ لَهُمْ ۖ قُلْ أُحِلَّ لَكُمُ ٱلطَّيِّبَٰتُ ۙ وَمَا عَلَّمْتُم مِّنَ ٱلْجَوَارِحِ﴾ [المائدة:٤]، فهذه ليست في بهيمة الأنعام وإنما أمر آخر، وكذلك: ﴿وَطَعَامُ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ حِلٌّ لَّكُمْ﴾ [المائدة:٥].

إذن نفهم من الآية أنه قبل (إلاّ) حلّل وبعد (إلا)حرّم، ثم قال: ﴿ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِى وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا ۚ﴾ [المائدة:٣] فتمت المسألة، والاضطرار حكم آخر لا يتعلق بالتحليل والتحريم.

السؤال الرابع:

ما الفرق بين (أكملت) و(أتممت) في الآية ﴿ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِى﴾ [المائدة:٣]؟

الجواب:

(التمام) نقيض النقص، و(الكمال) هي الحالة المثلى تحديداً، وليس مجرد الاكتمال فقط أو سد النقص، والتمام لا يقضي الكمال، والكمال تمام وزيادة. مثال: الإنسان إذا ولد تاماً له كل الأعضاء فهذا تمام بغض النظر عن الكمال، فهو تام من حيث الأعضاء وكل عضو يؤدي وظيفته، لكنّ هذا هو تمام وليس كمالاً. الكمال هو الحالة المثلى والتمام نقيض النقص.

والنعمة يمكن أن يُزاد عليها؛ لأنّ النعم لا تُحصى ﴿وَإِن تَعُدُّوا۟ نِعْمَتَ ٱللَّهِ لَا تُحْصُوهَآ ۗ﴾ [إبراهيم:٣٤] أمّا الكمال فلا يُزاد عليه؛ لأنه الحالة المثلى.

وقوله تعالى: ﴿ٱلۡيَوۡمَ أَكۡمَلۡتُ لَكُمۡ دِينَكُمۡ﴾ [المائدة:٣] الدين لا يُزاد عليه، وهو (الحالة المثلى) لا يزاد عليه لا في سُنة ولا غيرها؛ لأنه وضّح كل شيء من السنن والفروض، أمّا النعمة فيزاد عليها.

ولذلك في القرآن الكريم لم يستعمل مع ﴿النعمة﴾ إلا ﴿التمام﴾، ولم يستعمل الكمال أبداً في جميع القرآن.

* شواهد قرآنية:

﴿كَذَٰلِكَ يُتِمُّ نِعۡمَتَهُۥ عَلَيۡكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تُسۡلِمُونَ ٨١﴾ [النحل:٨١] ﴿وَيُتِمَّ نِعۡمَتَهُۥ عَلَيۡكَ﴾ [الفتح:٢] ﴿وَلِيُتِمَّ نِعۡمَتَهُۥ عَلَيۡكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَشۡكُرُونَ ٦﴾ [المائدة:٦] ﴿وَيُتِمَّ نِعۡمَتَهُۥ عَلَيۡكَ﴾ [الفتح:٢] أي يعطيك ما تحتاج من النِّعَم ويسد حاجتك ويتمها عليك، ولو أراد أنْ يزيدك فوق حاجتك لزادك، لذلك أورد في الآية: كمال الدين وتمام النعمة، فكمال الدين لا يزاد عليه، أما النعمة فيزاد عليها.

إذن (الكمال) تمام وزيادة، وهو الحالة المثلى ولا يزاد عليها، ولهذا من صفات الله تعالى الكمال «الكمال لله وحده».

السؤال الخامس:

ما دلالة قوله تعالى في الآية: ﴿ٱلۡيَوۡمَ أَكۡمَلۡتُ لَكُمۡ دِينَكُمۡ وَأَتۡمَمۡتُ عَلَيۡكُمۡ نِعۡمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلۡإِسۡلَٰمَ دِينٗاۚ﴾؟

الجواب:

تأمل في هذا التعبير الذي يفوق كل تعبير وكل بيان، وهل يبلغ تعبيرنا إلى هذا الحد في أن يشوقك إلى التشبث بما تسمع منه؟ ولكن بيان الله يدفعك إلى هذا. ألا ترى كيف بيّن لك أنّ دين الإسلام هو الدين الخالد الأبدي، فالشيء الذي تختاره وتدّخره لا يكون إلا أنفس ما حصلت عليه، وكذلكم دين الإسلام هو أنفس ما ظهر من الأديان، ولذلك ختم الله به الشرع ونسخ ما قبله ورضيه لعباده بأن يكون الدين الباقي والمدخر إلى يوم القيامة.

السؤال السادس:

قوله تعالى في الآية: ﴿فَمَنِ ٱضۡطُرَّ فِي مَخۡمَصَةٍ غَيۡرَ مُتَجَانِفٖ لِّإِثۡمٖ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٞ رَّحِيمٞ﴾ لماذا وصف الله حالة الجوع القاهر بالمخمصة، فقال: ﴿فَمَنِ ٱضۡطُرَّ فِي مَخۡمَصَةٍ﴾، ولم يقل مثلاً: فمن اضطر بسبب جوعه الشديد؟

الجواب:

آثر ربنا أنْ يعبّر عن شدة الجوع بالمخمصة دون غيرها؛ لأنّ المخمصة مأخوذة من الخمص وهو ضمور البطن، إذ إنّ الجوع يضمر البطون، ولا شك أنّ ضمورها دليل قاطع على المجاعة والقحط، وهذا يصور شدة الجوع أكثر من أي لفظ؛ إذ لا يتصور أنْ يبلغ بالإنسان هذا المبلغ دون انقطاع طويل الأمد عن تناول الطعام، وهذا الوصف والحال لا يحصل بعبارة أخرى مثل الجوع.

السؤال السابع:

قوله تعالى في الآية: ﴿ذَٰلِكُمْ فِسْقٌ﴾، فما الفسق لغة وشرعاً؟ وما الفرق بين (الفسق والفسوق)؟

الجواب:

١ـ يقال فسقت الرطبة، أي: خرجت عن قشرها. وفسق عن أمر ربه، أي: خرج وفسق فِسقاً وفسوقاً، وسميت الفأرة فويسقة لخروجها من جحرها، وأصل الفسق الخروج عن الاستقامة والجور، ولذلك سمي العاصي فاسقاً .

٢ـ الفسوق: الميل إلى المعصية والخروج من الدين وهو عام؛ لأنّ في الكلمة زيادة الحرف (الواو)، فزاد المعنى إلى العام.

٣ـ في الاستعمال القرآني استعمل ﴿فِسْقٌ﴾ مع سياق الأطعمة، واستعمل ﴿فُسُوقَ﴾ مع العام.

* شواهد قرآنية

﴿فِسْقٌ﴾ [آية المائدة ٣ـ الأنعام ١٢١ـ١٤٥].

﴿فُسُوقَ﴾ [البقرة ١٩٧ـ٢٨٢ الحجرات ٧ـ١١].

السؤال الثامن:

في آيات البقرة وآل عمران والمائدة والأنعام قال: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٧٣﴾﴾ فأكدها كلها بـ (إنّ) وحدها، في حين قال في سورة النحل: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ فأكدها بـ (إنّ واللام)، فلماذا؟

الجواب:

القاعدة اللغويـــة:

يستعمل القرآن الكريم تخفيف التوكيد أو زيادته حسب مقتضى الحال فيقول: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ۝١٧٣﴾ مع التخفيف، و ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ ۝١٨﴾ [النحل:١٨] مع زيادة التوكيد بزيادة اللام.

البيـــان:

في آيات [البقرة ١٧٣ـ١٨٢ـ١٩٢ وآل عمران ٨٩ـ والمائدة ٣ـ والأنعام ١٤٥] قال: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ۝١٧٣﴾ فأكدها كلها بإنّ وحدها، في حين قال في آية النحل١٨: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ ۝١٨﴾ فأكدها بإن واللام .

وسبب ذلك أنّ سياق آيات النحل هو في تعداد نعم الله على الإنسان ورحمته به ولطفه بخلقه، فقد ذكر خلق الأنعام وما فيها من منافع للإنسان وذكر منافع الزروع وذكر نعمته على الإنسان في البر والبحر وغير ذلك مما لا يعد ولا يحصى من النعم، فناسب ذلك تأكيد المغفرة، وليس السياق في الآيات الأخرى كذلك .

السؤال التاسع:

قوله تعالى في الآية: ﴿وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي﴾ باظهار ذاته تعالى في الآية، فما الخط القرآني في ذلك؟

الجواب :

هناك خط واضح وظاهرة بينة في التعبير القرآني، وهي أنّ الله سبحانه وتعالى يذكر نفسه ويظهر ذاته وتفضله في الخير العام، بخلاف الشر والسوء، فإنه لا يذكر فيه نفسه تنزيها لها عن فعل الشر وإرادة السوء.

لذلك عندما يذكر النعم ينسبها إليه ولم يَبنِ فعل النعمة للمجهول؛ لأنّ النعمة خير وتفضل منه، شواهد: [آية المائدة ٣ـ النساء٦٩ـ النساء ٧٢ ـ الفاتحة ٧ ـ الزخرف ٥٩].

وفي آية الإسراء (٨٣) قال في النعم:﴿أَنْعَمْنَا﴾، وفي الشر: ﴿وَإِذَا مَسَّهُ﴾ [الإسراء:٨٣] ولم يقل: مسسناه بالشر.

وفي آيات الشعراء[٨٠-٧٨]نسب الخير إلى ربه، فقال:﴿ وَٱلَّذِى هُوَ يُطْعِمُنِى وَيَسْقِينِ﴾ [الشعراء:٧٩] ونسب السوء إلى نفسه، فقال: ﴿ وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ ﴿٨٠﴾﴾ [الشعراء:٨٠] .

وفي آية الجن ١٠ بنى الشر للمجهول: ﴿أَشَرٌّ أُرِيدَ﴾، ونسب الخير والرشدإلى الرب سبحانه فقال: ﴿أَرَادَ بِهِمْ رَبُّهُمْ رَشَدًا ﴿١٠﴾﴾ .

وفي آيات الكهف قال في خرق السفينة: ﴿فَأَرَدتُّ أَنْ أَعِيبَهَا﴾ [الكهف:٧٩] وفي قتل الغلام: ﴿فَأَرَدْنَآ أَن يُبْدِلَهُمَا رَبُّهُمَا خَيْرًا مِّنْهُ زَكَوٰةً وَأَقْرَبَ رُحْمًا ﴿٨١﴾﴾ [الكهف:٨١] وفي إقامة الجدار: ﴿فَأَرَادَ رَبُّكَ أَن يَبْلُغَآ أَشُدَّهُمَا وَيَسْتَخْرِجَا كَنزَهُمَا﴾ [الكهف:٨٢] فإنه في خرق السفينة نسب العيب إلى نفسه ولم ينسبه إلى الله تنزيهاً له، وأمّا في قتل الغلام فجاء بالضمير مشتركاً؛ لأنّ العمل مشترك، فإنّ فيه قتل الغلام وهو في ظاهر الأمر شر، وإبدال خير منه وهو خير، فجاء بالضمير المشترك للعمل المشترك، ثم قال: ﴿يُبْدِلَهُمَا رَبُّهُمَا خَيْرًا مِّنْهُ﴾ [الكهف:٨١] فأسند

الإبدال إلى الله وحده، وأمّا إقامة الجدار فعمل كله خير فأسنده إلى الله سبحانه، فقال: ﴿فَأَرَادَ رَبُّكَ أَن يَبْلُغَآ أَشُدَّهُمَا وَيَسْتَخْرِجَا كَنزَهُمَا﴾ [الكهف:٨٢]. والله أعلم .

❁❁❁❁

﴿يَسْـَٔلُونَكَ مَاذَآ أُحِلَّ لَهُمْۖ قُلْ أُحِلَّ لَكُمُ ٱلطَّيِّبَٰتُ وَمَا عَلَّمْتُم مِّنَ ٱلْجَوَارِحِ مُكَلِّبِينَ تُعَلِّمُونَهُنَّ مِمَّا عَلَّمَكُمُ ٱللَّهُۖ فَكُلُوا۟ مِمَّآ أَمْسَكْنَ عَلَيْكُمْ وَٱذْكُرُوا۟ ٱسْمَ ٱللَّهِ عَلَيْهِۖ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَۚ إِنَّ ٱللَّهَ سَرِيعُ ٱلْحِسَابِ ﴿٤﴾﴾

السؤال الأول:

قوله تعالى في الآية: ﴿يَسْـَٔلُونَكَ﴾، وقد تكررت هذه الكلمة عدة مرات في الآيات مع الأسئلة التي كان الصحابة رضوان الله عليهم يسألونها للنبي ﷺ فما دلالة هذه الكلمة؟

الجواب:

انظر الجواب في آية البقرة ٢١٩ .

﴿ ٱلۡيَوۡمَ أُحِلَّ لَكُمُ ٱلطَّيِّبَٰتُۖ وَطَعَامُ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡكِتَٰبَ حِلّٞ لَّكُمۡ وَطَعَامُكُمۡ حِلّٞ لَّهُمۡۖ وَٱلۡمُحۡصَنَٰتُ مِنَ ٱلۡمُؤۡمِنَٰتِ وَٱلۡمُحۡصَنَٰتُ مِنَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡكِتَٰبَ مِن قَبۡلِكُمۡ إِذَآ ءَاتَيۡتُمُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ مُحۡصِنِينَ غَيۡرَ مُسَٰفِحِينَ وَلَا مُتَّخِذِيٓ أَخۡدَانٖۗ وَمَن يَكۡفُرۡ بِٱلۡإِيمَٰنِ فَقَدۡ حَبِطَ عَمَلُهُۥ وَهُوَ فِي ٱلۡأٓخِرَةِ مِنَ ٱلۡخَٰسِرِينَ ﴿٥﴾ ﴾

السؤال الأول:

قوله تعالى: ﴿ ٱلۡيَوۡمَ أُحِلَّ لَكُمُ ٱلطَّيِّبَٰتُۖ وَطَعَامُ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡكِتَٰبَ حِلّٞ لَّكُمۡ وَطَعَامُكُمۡ حِلّٞ لَّهُمۡۖ ﴾ انظر كيف عبّر ربنا عن الطعام بالطيبات، فقال: ﴿أُحِلَّ لَكُمُ ٱلطَّيِّبَٰتُۖ﴾ فهل هذا يدلّ على أنّ الأطعمة إذا كان طعمها مراً فهي محرمة حتى خصّ الطيبات بالتحليل؟

الجواب:

إن الطيبات هي صفة لموصوف محذوف، أي: الأطعمة الطيبة وقد أطلق ربنا الطيب على المباح شرعاً للإيماء إلى أنّ إباحة الشرع للشيء علامة على حسنه وسلامته من المضرة.

السؤال الثاني:

قوله تعالى في الآية: ﴿وَمَن يَكۡفُرۡ بِٱلۡإِيمَٰنِ فَقَدۡ حَبِطَ عَمَلُهُۥ وَهُوَ فِي ٱلۡأٓخِرَةِ مِنَ ٱلۡخَٰسِرِينَ ﴿٥﴾﴾ لم قال ربنا: ﴿فَقَدۡ حَبِطَ عَمَلُهُۥ﴾ ولم يقل: فقد بطل عمله أو فسد؟

الجواب:

الحبط هو فساد شيء كان صالحاً، وقد آثر ربنا أنْ يصف بطلان عملهم بالحبط لما في هذا اللفظ من الدقة في تصوير فساد أعمالهم؛ لأنّ الحبط هو مرض يصيب الإبل من جراء أكل الخُضر في أول الربيع فتنتفخ أمعاؤها وقد تموت جراء ذلك، فكان استعمال الحبط في وصف فساد أعمالهم دقة عجيبة بيّنت أنّ أعمالهم كانت صالحة، ولكنهم خربوها وأضاعوا ثمارها بسبب سوء صنعهم فانقلب عملهم إلى فاسد.

السؤال الثالث:

ما معنى ﴿حَبِطَتۡ أَعۡمَٰلُهُمۡۚ﴾ في آية المائدة ٥؟ وفي آية الأعراف ١٤٧ وآية الكهف ١٠٥؟

الجواب:

الآيات:

﴿وَمَن يَكۡفُرۡ بِٱلۡإِيمَٰنِ فَقَدۡ حَبِطَ عَمَلُهُۥ﴾ [المائدة:٥].

﴿وَٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَا وَلِقَآءِ ٱلۡأٓخِرَةِ حَبِطَتۡ أَعۡمَٰلُهُمۡۚ﴾ [الأعراف:١٤٧].

﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِمۡ وَلِقَآئِهِۦ فَحَبِطَتۡ أَعۡمَٰلُهُمۡ فَلَا نُقِيمُ لَهُمۡ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ وَزۡنٗا ١٠٥﴾ [الكهف:١٠٥].

المعنى اللغوي:

حبطت الدابة تحبط حَبَطاً، أي: انتفخ بطنها من كثرة الأكل أو من أكل ما لا يوافقها .

حبط الماء في البئر: أي غار في الأرض وذهب تماماً.

الحباط: هو وجع البطن من الانتفاخ لكثرة الأكل أو لأكل ما لا يوافـق، فـيظن أنهـا سمينة متينة ولكنهـا في الحقيقـة متورمـة مريضـة هزيلـة وظاهرهـا يخـدع عـن باطنهـا وحقيقتها.

البيان: ورد في الحديث النبوي «**إن مما ينبـت الربيـع مـا يقتـل حبطـاً أو يلـم**»وهـذا الحديث هو مثلٌ للإنسان الحريص البخيل الذي يفرط في جمع المال، ويمنع من إنفاقه في الوجوه المشروعة، فهو ممتلىء مالاً، ولكنه بخيل يقتل نفسه ويقتل غيره بحرصه الشديد.

وفي الحياة تقابل أصنافاً من الناس غرقوا في الحياة، وهم يجمعون المال بطرائق متعددة وينفقونها بطرائق تغضب الله ورسوله، كما تجد قوماً آخرين يذهبون ويعودون ويعملون أعمالاً كثيرة متنوعة وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعاً، ولكنهم مع الأسـف واقعـون في وهم كبير؛ لأنّ أعمالهم لا يقصد بها وجه الله تعالى، بـل ربـما تحـارب ديـن الله وتخـالف أحكامه .

السؤال الرابع:

قـال في آيـة النســاء ٢٥ : ﴿مُحْصَنَٰتٍ غَيْرَ مُسَٰفِحَٰتٍ﴾ وفي آيـة المائـدة ٥ : ﴿مُحْصِنِينَ غَيْرَ مُسَٰفِحِينَ﴾، فلماذا؟

الجواب:

١ـ آية النساء: في نكاح الإماء، وكان كثير مـنهن مسـافحات، فناسـب جمـع المؤنـث بالإحصان .

٢ـ آية المائدة: فيمن يحل للرجال من النساء فناسب وصف الرجال بالإحصان، ولأنه تقدم ذكر النساء بالإحصان ذكر إحصان الرجال تسوية بينهما لأنه مطلوب فيهما .

❁❁❁❁

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا قُمۡتُمۡ إِلَى ٱلصَّلَوٰةِ فَٱغۡسِلُواْ وُجُوهَكُمۡ وَأَيۡدِيَكُمۡ إِلَى ٱلۡمَرَافِقِ وَٱمۡسَحُواْ بِرُءُوسِكُمۡ وَأَرۡجُلَكُمۡ إِلَى ٱلۡكَعۡبَيۡنِۚ وَإِن كُنتُمۡ جُنُبٗا فَٱطَّهَّرُواْۚ وَإِن كُنتُم مَّرۡضَىٰٓ أَوۡ عَلَىٰ سَفَرٍ أَوۡ جَآءَ أَحَدٞ مِّنكُم مِّنَ ٱلۡغَآئِطِ أَوۡ لَٰمَسۡتُمُ ٱلنِّسَآءَ فَلَمۡ تَجِدُواْ مَآءٗ فَتَيَمَّمُواْ صَعِيدٗا طَيِّبٗا فَٱمۡسَحُواْ بِوُجُوهِكُمۡ وَأَيۡدِيكُم مِّنۡهُۚ مَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيَجۡعَلَ عَلَيۡكُم مِّنۡ حَرَجٖ وَلَٰكِن يُرِيدُ لِيُطَهِّرَكُمۡ وَلِيُتِمَّ نِعۡمَتَهُۥ عَلَيۡكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَشۡكُرُونَ ٦ ﴾

السؤال الأول:

ما دلالة و إعراب كلمة ﴿وَأَرۡجُلَكُمۡ ﴾ في الآية (٦) المائدة؟

الجواب:

١ـ القيام في هذه الآية ﴿إِذَا قُمۡتُمۡ إِلَى ٱلصَّلَوٰةِ ﴾ بمعنى الوقوف والتهيؤ للذهاب إلى الصلاة .

٢ـ في الآية ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا قُمۡتُمۡ إِلَى ٱلصَّلَوٰةِ فَٱغۡسِلُواْ وُجُوهَكُمۡ وَأَيۡدِيَكُمۡ إِلَى ٱلۡمَرَافِقِ وَٱمۡسَحُواْ بِرُءُوسِكُمۡ وَأَرۡجُلَكُمۡ إِلَى ٱلۡكَعۡبَيۡنِۚ ﴾ (اغسلوا) تأخذ المفعول به ﴿وُجُوهَكُمۡ ﴾ مفعول به عُطف عليه ﴿وَأَيۡدِيَكُمۡ إِلَى ٱلۡمَرَافِقِ ﴾، ثم قال: ﴿وَٱمۡسَحُواْ بِرُءُوسِكُمۡ﴾ وجاء هنا بـ (الباء). والعلماء يقولون: أنت تبدأ بغسل الوجه ثم اليدين إلى

المرفقين ثم تمسح الرأس ثم مسألة الأرجل. فلما قال: ﴿وَأَرْجُلَكُمْ﴾ منصوبة إذن هي معطوفة على منصوب. هنا ﴿وَأَرْجُلَكُمْ﴾ بالنصب معناه: (واغسلوا أرجلكم)، لا(امسحوها)، وليست معطوفة على ﴿بِرُءُوسِكُمْ﴾ وإنما (وأرجلكم) بالنصب ورتّبها، وهذه القراءة هي عند عدد من القراء السبعة قرأوها (بالنصب).

إذن كلمة ﴿وَأَرْجُلَكُمْ﴾ معطوفة على الغسل في أول الآية.

٣ـ وكأنّ مضمون السؤال عن المتعاطفات التي سبقتها في الآية أي: هل تُعطف: ﴿وَأَرْجُلَكُمْ﴾ على﴿وَامْسَحُوا بِرُءُوسِكُمْ﴾؟ يجوز في كلام العرب العطف على الأقرب، وإن كان هناك متعاطفات في ثنايا الجملة، وأما حكم غسل الأرجل في آية الوضوء فالذي يحدده هو (السُّنّة).

وفي كلام العرب نقول: بنيت الدور والإماء، بمعنى: اشتريت الإماء.

٤ـ ليس بالضرورة أن يكون العطف على الأقرب، بل قد يكون على الأبعد، نحو قوله تعالى: ﴿ فَسُبْحَانَ اللَّهِ حِينَ تُمْسُونَ وَحِينَ تُصْبِحُونَ ﴿١٧﴾ وَلَهُ الْحَمْدُ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَعَشِيًّا وَحِينَ تُظْهِرُونَ ﴿١٨﴾﴾ [الروم:١٧-١٨] هل السماء والأرض عطف على (حين تمسون وحين تصبحون)؟ لا، الأرض معطوفة على السموات، و﴿وَلَهُ الْحَمْدُ﴾ معطوفة على ﴿فَسُبْحَانَ﴾ و ﴿وَحِينَ تُصْبِحُونَ﴾ معطوفة على﴿حِينَ تُمْسُونَ﴾ و﴿وَعَشِيًّا وَحِينَ تُظْهِرُونَ ﴿١٨﴾﴾ معطوفة على أبعد شيء.

نقول : دخلت إلى السوق واشتريت كتباً ثم ذهبت إلى البزاز واشتريت قماشاً ثم ذهبت إلى البقال واشتريت كذا وكذا ثم رجعت (رجعت) معطوفة على (دخلت).

ولو قرأنا قصص الرسل في الأعراف نجد قوله تعالى: ﴿وَإِلَىٰ عَادٍ أَخَاهُمْ هُودًا ﴾ [الأعراف:٦٥] معطوفة على ﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِۦ ﴾ [الأعراف:٥٩] يعني وأرسلنا إلى عاد ﴿أخاهم﴾ هوداً، (أخاهم) مفعول به منصوب لأنه معطوف، ثم قال: ﴿وَإِلَىٰ ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَٰلِحًاۗ ﴾ [الأعراف:٧٣]، تكلم عن عاد وما فيها، ثم قال: ﴿وَإِلَىٰ ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَٰلِحًاۗ ﴾ [الأعراف:٧٣].

٥- في آية الوضوء قراءة النصب واضحة، والذي يحدد الأمر هو السُنّة إذن ﴿وَأَرْجُلَكُمْ ﴾ معطوفة على ﴿فَٱغْسِلُواْ وُجُوهَكُمْ ﴾، فمن حيث اللغة لا تمنع العطف على الأبعد، و هذا حكم شرعي، والذي يحدد هو ما ورد من الآثار.

٦- فقوله تعالى: ﴿وَٱمْسَحُواْ بِرُءُوسِكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ ﴾ قرئت ﴿وَأَرْجُلَكُمْ ﴾ بالنصب عطفاً على قوله تعالى: ﴿فَٱغْسِلُواْ وُجُوهَكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ ﴾ وجملة ﴿وَٱمْسَحُواْ بِرُءُوسِكُمْ﴾ جملة معترضة، أي وكأنّ السياق يقول: (فاغسلوا وجوهكم وأيديكم وأرجلكم) وفائدة الاعتراض التنبه إلى ضرورة غسل الأرجل، إذ الحكمة من الوضوء هي النقاء والتنظف لمناجاة الله تعالى فاقتضى ذلك أنْ يبالغ في غسل ما هو أشد تعرضاً للوسخ بكثرة الحركة، ولذلك قال ﷺ: **«ويل للأعقاب من النار»**.

السؤال الثاني:

ما الفرق بين الغسل والمسح؟

الجواب:

(الغسل) المفروض فيه أنْ يجري الماء على العضو، أما (المسح) فيكون بتبليل اليد ويمسح على العضو وليس هناك ماء يجري.

والثابت عند جمهور المسلمين أنهم أخذوا عن رسول الله ﷺ غسل القدمين وإدخال الكعبين فيهما، فعندما تردنا قراءة (وأرجلِكم) بكسر اللام نفهم منها أنها تعني الاقتصاد في الماء، وربما يدخل في هذا (المسح على الخفين) .

والأرجل بشكل عام تُغسل؛ لأنه هذا هو الذي وردعن أصحاب رسول الله عليه السلام وعن آل بيت النبوة رضي الله عنهم جميعاً .

السؤال الثالث:

لماذا جمعت كلمة (المرافق) في آية الوضوء وجاءت (الكعبين) بالتثنية؟

الجواب:

١ـ (المرافق) جمع وهما (مرفقان) ولا إشكال فيها فكل يد لها مرفق واحد، أما كل رجل فلها كعبان، ولو قال تعالى: (الكعوب) لما دلّ ذلك على وجوب غسل الكعبين، فلو غسلوا كعباً واحداً لكفاهم، لكنّ الله تعالى أراد أن يغسل كل واحد من المخاطبين رجله إلى الكعبين.

والخطاب للمؤمنين بالجمع، وأمرهم بغسل وجوههم بالجمع وأيديهم بالجمع، ولكل واحد له يدان ومرفقان، أي: أنّ جمع الخطاب يتضمن غسل الأيدي والمرافق.

و كل يد لها مرفق واحد، وكل رجل لها كعبان، فلما خاطب الجميع قال: ﴿إِلَى ٱلۡمَرَافِقِ﴾ .

٢ـ وفي الوضوء لا بد أن يستغرق الغسل الكعبين، ولو قال: إلى الكعوب، لم يدل ذلك على أنّ الكعبين كليهما داخلان في الغسل، وإنما كعوب الناس المخاطَبين بقوله: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ﴾، وعندها فلو غسلوا كعباً واحداً - والمخاطبون كثر ولهم كعوب - لكفاهم ما دام المذكور هو (الكعوب).

لذلك قال: ﴿إِلَى ٱلۡكَعۡبَيۡنِۚ﴾ حيث المعنى: كل واحد من المخاطبين عليه أن يغسل إلى الكعبين، فلا يصح أن يقول: (إلى الكعوب) وإلا لأوقع في اللبس.

السؤال الرابع:

ما دلالة استعمال (إذا) و(إن) في القرآن الكريم؟

الجواب:

١ـ (إذا) في كلام العرب تستعمل:

أـ للمقطوع بحصوله: كما في الآية: ﴿إِذَا حَضَرَ أَحَدَكُمُ ٱلۡمَوۡتُ﴾ [البقرة:١٨٠] ولابدّ أنْ يحضر الموت، ﴿فَإِذَا ٱنسَلَخَ ٱلۡأَشۡهُرُ ٱلۡحُرُمُ﴾ [التوبة:٥] ولا بدّ للأشهر الحرم من أنْ تنسلخ، وقوله تعالى: ﴿وَتَرَى ٱلشَّمۡسَ إِذَا طَلَعَت﴾ [الكهف:١٧] ولا بدّ للشمس من أنْ تطلع وكقوله: ﴿فَإِذَا قُضِيَتِ ٱلصَّلَوٰةُ﴾ [الجمعة:١٠] ولا بدّ للصلاة أنْ تنقضي.

ب ـ وللكثير الحصول، كما في قوله تعالى: ﴿وَإِذَا حُيِّيتُم بِتَحِيَّةٖ فَحَيُّواْ بِأَحۡسَنَ مِنۡهَآ أَوۡ رُدُّوهَآۗ﴾ [النساء:٨٦].

٢ـ ولو جاءت (إذا) و(إن) في الآية الواحدة، تستعمل (إذا) للكثير و(إن) للأقلّ، كما في آية الوضوء في سورة المائدة ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا قُمْتُمْ إِلَى ٱلصَّلَوٰةِ فَٱغْسِلُواْ وُجُوهَكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ إِلَى ٱلْمَرَافِقِ وَٱمْسَحُواْ بِرُءُوسِكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ إِلَى ٱلْكَعْبَيْنِ ۚ وَإِن كُنتُمْ جُنُبًا فَٱطَّهَّرُواْ ۚ وَإِن كُنتُم مَّرْضَىٰٓ أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ أَوْ جَآءَ أَحَدٌ مِّنكُم مِّنَ ٱلْغَآئِطِ أَوْ لَـٰمَسْتُمُ ٱلنِّسَآءَ فَلَمْ تَجِدُواْ مَآءً فَتَيَمَّمُواْ صَعِيدًا طَيِّبًا فَٱمْسَحُواْ بِوُجُوهِكُمْ وَأَيْدِيكُم مِّنْهُ ۚ مَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيَجْعَلَ عَلَيْكُم مِّنْ حَرَجٍ وَلَـٰكِن يُرِيدُ لِيُطَهِّرَكُمْ وَلِيُتِمَّ نِعْمَتَهُۥ عَلَيْكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿٦﴾﴾ القيام إلى الصلاة كثير الحصول؛ فجاء بـ (إذا)، أمّا كون الإنسان مريضاً أو مسافراً أو جنباً فهو أقلّ؛ لذا جاء بـ (إن).

٣ـ وقد وردت (إذا) في القرآن الكريم (٣٦٢) مرة، ولم تأت مرة واحدة في موضع غير محتمل البتّة، فهي تأتي إمّا بأمر مجزوم وقوعه أو كثير الحصول، كما جاء في آيات وصف أهوال يوم القيامة؛ لأنه مقطوع بحصوله، كما في سورة التكوير وسورة الانفطار.

٤ـ أما (إنْ) فستعمل لما قد يقع ولما هو محتمل حدوثه أو مشكوك فيه أو نادر أو مستحيل، كما في قوله تعالى: ﴿أَرَءَيْتُمْ إِن جَعَلَ ٱللَّهُ عَلَيْكُمُ ٱلَّيْلَ سَرْمَدًا﴾ [القصص:٧١] هنا احتمال وافتراض، وقوله: ﴿وَإِن يَرَوْاْ كِسْفًا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ سَاقِطًا يَقُولُواْ سَحَابٌ مَّرْكُومٌ ﴿٤٤﴾﴾ [الطور:٤٤] لم يقع ولكنه احتمال، وقوله: ﴿وَإِن طَآئِفَتَانِ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱقْتَتَلُواْ﴾ [الحُجُرات:٩] الأصل أنْ لا يقع ولكن هناك احتمال بوقوعه، وكذلك في سورة الأعراف ﴿ٱنظُرْ إِلَى ٱلْجَبَلِ فَإِنِ ٱسْتَقَرَّ مَكَانَهُۥ﴾ [الأعراف:١٤٣] افتراض واحتمال وقوعه.

السؤال الخامس:

لماذا استخدم (الواو) في آية الوضوء في سورة المائدة، مع العلم أنهم يقولون: إنّ (الواو) لمطلق الجمع، لكن الأحكام الفقهية تشترط التتابع كشرط لصحة الصلاة؟

الجواب:

١ـ (الواو) لمطلق الجمع وليست للترتيب، هذا كلام علمائنا وهو صحيح، لكنّ الفقهاء جاءوا إلى هذه الآية ووجدوا أنّ هناك نوعاً من التقديم والتأخير الذي ترتب عليه اختلاف دلالة الواو، فقالوا: (الواو) هنا للترتيب؛ لأنه قال: ﴿فَٱغۡسِلُواْ وُجُوهَكُمۡ وَأَيۡدِيَكُمۡ إِلَى ٱلۡمَرَافِقِ وَٱمۡسَحُواْ بِرُءُوسِكُمۡ وَأَرۡجُلَكُمۡ إِلَى ٱلۡكَعۡبَيۡنِۚ﴾ ولو كان لغير الترتيب لقال: (واغسلوا وجوهكم وأيديكم وأرجلكم وامسحوا برؤوسكم) فقالوا: لما غيّر النظام قدّم وغيّر.

والعربية عندها إمكانية تغيير النظام بسبب الإعراب، وعندما نجد الفتحة نعرف أنه معطوف على منصوب، والأمة تقرؤها بالفتح ﴿وَأَرۡجُلَكُمۡ﴾ [المائدة:٦] بالتواتر، وجمهور القرّاء عليها.

٢ـ الإمام الشافعي قال: إذن الترتيب واجب. وأبو حنيفة قال: لا، لأنها لمطلق الجمع، لذلك إذا غمست نفسك في النهر فقد توضأت، وهذه مسألة فقهية.

٣ـ الواو في اللغة لمطلق الجمع، والفاء للترتيب، فعندما تقول: زارني محمد وخالد، لا تعني: أنّ محمداً زارني أولاً ثم خالد.

السؤال السادس:

ما دلالة ﴿لَٰمَسْتُمُ﴾ في آية الوضوء (٦) المائدة؟ هل هي الجماع أم اللمس الجلدي؟

الجواب :

هذه مسألة فقهية اختلف فيها الفقهاء، وليست من مسائل اللمسات البيانية، فالسادة الشافعية يرون أنّ اللمس الاعتيادي بباطن الكف يفسد الوضوء، والسادة الحنفية لا يرون ذلك، وكلٌّ له وجهة نظره، واتّباع أيّ مذهب من المذاهب - بعد النظر في دليله- لا بأس به إن شاء الله تعالى، وهذه مسألة فقهية يُسأل عنها أهل الفقه.

السؤال السابع:

ما الحرج المذكور في الآية ﴿مَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيَجْعَلَ عَلَيْكُم مِّنْ حَرَجٍ﴾؟

الجواب:

الحرج هو الضيق والشدة، و(الحرجة) البقعة من الشجر الملتف المتضايق.

السؤال الثامن:

قوله تعالى في آية النساء ٤٣: ﴿فَٱمْسَحُواْ بِوُجُوهِكُمْ وَأَيْدِيكُمْ﴾، وقال في آية المائدة ٦: ﴿فَٱمْسَحُواْ بِوُجُوهِكُمْ وَأَيْدِيكُم مِّنْهُ﴾ بزيادة ﴿مِّنْهُ﴾ فما السبب؟

الجواب :

انظر الجواب في آية النساء ٤٣.

السؤال التاسع:

في آية الوضوء في سورة المائدة ٦ وردت (اللام) في فعل ﴿لِيُطَهِّرَكُمْ﴾ وفعل ﴿وَلِيُتِمَّ﴾، بينما في آية الفتح ٢ ﴿لِّيَغْفِرَ لَكَ ٱللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِن ذَنۢبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ وَيُتِمَّ نِعْمَتَهُۥ عَلَيْكَ وَيَهْدِيَكَ﴾، فذكر اللام في فعل ﴿لِّيَغْفِرَ﴾ وحذف في ﴿وَيُتِمَّ﴾ و ﴿وَيَهْدِيَكَ﴾ فلماذا؟

الجواب:

السبب أنه في آية الوضوء الكلام فيها في أصول الدين وهي الصلاة وفي الوضوء والغسل، وهي عامة للمؤمنين وتشملهم إلى يوم القيامة، وكذلك النعمة فهي عامة واسعة وتشمل الكثير، لذلك أكّد الفعلين بلام التعليل المؤكدة.

أمّا آية الفتح، فالخطاب هنا للرسول ﷺ وهي خاصة به وليست عامة للمؤمنين، وهي ليست في أصول الدين؛ لذلك حذف اللام .

فالأمران ليسا بدرجة واحدة من الاتساع .

❁❁❁❁

﴿وَٱذْكُرُوا۟ نِعْمَةَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ وَمِيثَٰقَهُ ٱلَّذِى وَاثَقَكُم بِهِۦٓ إِذْ قُلْتُمْ سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا ۖ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ﴿٧﴾﴾

السؤال الأول:

ما دلالة قوله تعالى في الآية: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ﴿٧﴾﴾؟

الجواب:

ذيلت الآية بهذا التحذير لتحذرنا من إضمار المعاصي ومن توهم أنّ الله لا يعلم إلا ما يبدو من تصرفنا.

❁❁❁❁

﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُونُواْ قَوَّٰمِينَ لِلَّهِ شُهَدَآءَ بِٱلۡقِسۡطِۖ وَلَا يَجۡرِمَنَّكُمۡ شَنَـَٔانُ قَوۡمٍ عَلَىٰٓ أَلَّا تَعۡدِلُواْۚ ٱعۡدِلُواْ هُوَ أَقۡرَبُ لِلتَّقۡوَىٰۖ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۚ إِنَّ ٱللَّهَ خَبِيرُۢ بِمَا تَعۡمَلُونَ ٨﴾

السؤال الأول:

ما دلالة: ﴿قَوَّٰمِينَ بِٱلۡقِسۡطِ شُهَدَآءَ لِلَّهِ﴾ في آية النساء١٣٥ و ﴿قَوَّٰمِينَ لِلَّهِ شُهَدَآءَ بِٱلۡقِسۡطِۖ﴾ في آية المائدة رقم ٨؟

الجواب:

انظر الجواب في آية النساء رقم ١٣٥ .

السؤال الثاني:

ما الفرق من الناحية البيانية بين قوله: ﴿وَلَا يَجۡرِمَنَّكُمۡ شَنَـَٔانُ قَوۡمٍ أَن صَدُّوكُمۡ عَنِ ٱلۡمَسۡجِدِ ٱلۡحَرَامِ أَن تَعۡتَدُواْۘ﴾ وقوله: ﴿وَلَا يَجۡرِمَنَّكُمۡ شَنَـَٔانُ قَوۡمٍ عَلَىٰٓ أَلَّا تَعۡدِلُواْۚ﴾ لماذا جاءت مرة ﴿عَلَىٰٓ أَلَّا﴾ ومرة ﴿أَن﴾؟

الجواب:

انظر الجواب في آية المائدة رقم ٢ .

السؤال الثالث:

على من يعود الضمير ﴿هُوَ﴾ في الآية ﴿ٱعۡدِلُواْ هُوَ أَقۡرَبُ لِلتَّقۡوَىٰۖ﴾؟

الجواب:

قد يتقدم معنى المفسر ولا يتقدم لفظه صراحة، وفي آية المائدة الضمير ﴿هُوَ﴾ يعود على العدل، ولم يتقدم له ذكر بل تقدم الفعل ﴿ٱعۡدِلُواْ﴾ الذي يدل عليه.

❁❁❁❁

﴿وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَهُم مَّغۡفِرَةٞ وَأَجۡرٌ عَظِيمٞ ٩﴾

السؤال الأول:

كيف قال الله: ﴿وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَهُم مَّغۡفِرَةٞ وَأَجۡرٌ عَظِيمٞ﴾ ولم يقل: وعملوا السيئات، مع أنّ الغفران يكون لفاعل السيئات؟

الجواب:

كل أحد لا يخلو من فعل السيئات، وإنْ كان ممن يعملون الصالحات وهي الطاعات، والمعنى أنّ من آمن وعمل الحسنات غفرت له سيئاته، قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلۡحَسَنَٰتِ يُذۡهِبۡنَ ٱلسَّيِّـَٔاتِۚ﴾ [هود:١١٤].

السؤال الثاني:

قال في آية المائدة ٩: ﴿لَهُم مَّغۡفِرَةٞ﴾، وقال في آية الفتح٢٩: ﴿مِنۡهُم مَّغۡفِرَةٗ وَأَجۡرًا عَظِيمَۢا ٢٩﴾ فما الفرق؟

الجواب:

١ـ آية المائدة عامة غير مخصوصة بقوم معينين، وجاءت بعدما قدّم خطاب المؤمنين عامةً بأحكام، فكأنه قال: منْ عمل بها ذكرناه له مغفرة وأجر عظيم.

٢ـ آية الفتح خاصة بأصحاب النبي ﷺ، وكان من جملة من صحبه منافقون؛ فقال: ﴿منهم﴾ تمييزاً وتفضيلاً ونصاً عليهم بعدما ذكر من جميل صفاتهم.

السؤال الثالث:

في قوله تعالى في الآية: ﴿وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ﴾ ما الفرق بين ما أسند الوعد فيه إلى(الله) وما أسند إلى (الرحمن)؟

الجواب:

١ـ نلاحظ في القرآن الكريم أنّ كل سورة أسند فيها الفعل الماضي ﴿وَعَدَ﴾ إلى ﴿ٱللَّهُ﴾ لم يذكر فيها اسم الرحمن وإنْ كانت طويلة، وذلك في عشر سور من القرآن كسورة النساء والمائدة والتوبة وغيرها.

٢ـ وكل سورة أسند الفعل ﴿وَعَدَ﴾ إلى ﴿ٱلرَّحْمَٰنَ﴾ تكرر اسم الرحمن في السورة، وهذا في سورتي يس ومريم، وقد تكرر اسم الرحمن في يس ٤ مرات، وفي مريم ١١ مرة.

٣ ـ والفرق بين ما أسند الوعد فيه إلى الله وما أسند إلى الرحمن أنه فيما أسند الوعد فيه إلى الله خصص للمؤمنين أو الكافرين، فيقول مثلاً: ﴿وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ [التوبة:٧٢]و ﴿وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلْمُنَٰفِقِينَ وَٱلْمُنَٰفِقَٰتِ﴾ [التوبة:٦٨]فهو وعد خاص .

وأما ما أسند الوعد فيه إلى الرحمن، فهو وعد عام يشمل عموم العباد وذلك تحقيقاً للرحمة التي يحققها اسم ﴿الرحمن﴾، كما قال تعالى: ﴿جَنَّٰتِ عَدۡنٍ ٱلَّتِي وَعَدَ ٱلرَّحۡمَٰنُ عِبَادَهُۥ بِٱلۡغَيۡبِۚ﴾ [مريم:٦١] فقد ذكر أنه وعد عباده على الإطلاق مع أنّ المقصود بعباده هؤلاء من تاب وآمن وعمل صالحاً.

الفعل ﴿ وعد﴾ يأتي مع الخير دائماً، والفعل (أوعد) يأتي مع الشر .

والله أعلم .

❋❋❋❋

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱذۡكُرُواْ نِعۡمَتَ ٱللَّهِ عَلَيۡكُمۡ إِذۡ هَمَّ قَوۡمٌ أَن يَبۡسُطُوٓاْ إِلَيۡكُمۡ أَيۡدِيَهُمۡ فَكَفَّ أَيۡدِيَهُمۡ عَنكُمۡۖ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۚ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلۡيَتَوَكَّلِ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ ﴿١١﴾ ﴾

السؤال الأول:

قوله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱذۡكُرُواْ نِعۡمَتَ ٱللَّهِ عَلَيۡكُمۡ إِذۡ هَمَّ قَوۡمٌ أَن يَبۡسُطُوٓاْ إِلَيۡكُمۡ أَيۡدِيَهُمۡ فَكَفَّ أَيۡدِيَهُمۡ﴾ كيف يبسطون أيديهم؟

الجواب:

إنّ بسط اليد هو كلام مجازي لا يحمل على ظاهره، فبسط اليد يراد به البطش، كما أنّ كف اليد مجازي يراد به الإعراض عن السوء.

﴿ وَلَقَدْ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَٰقَ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ وَبَعَثْنَا مِنْهُمُ ٱثْنَىْ عَشَرَ
نَقِيبًا ۖ وَقَالَ ٱللَّهُ إِنِّى مَعَكُمْ ۖ لَئِنْ أَقَمْتُمُ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَيْتُمُ
ٱلزَّكَوٰةَ وَءَامَنتُم بِرُسُلِى وَعَزَّرْتُمُوهُمْ وَأَقْرَضْتُمُ ٱللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا
لَّأُكَفِّرَنَّ عَنكُمْ سَيِّـَٔاتِكُمْ وَلَأُدْخِلَنَّكُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا
ٱلْأَنْهَٰرُ ۚ فَمَن كَفَرَ بَعْدَ ذَٰلِكَ مِنكُمْ فَقَدْ ضَلَّ سَوَآءَ
ٱلسَّبِيلِ ﴿١٢﴾ ﴾

السؤال الأول:

ما دلالة قوله تعالى في هذه الآية: ﴿وَقَالَ ٱللَّهُ إِنِّى مَعَكُمْ ۖ﴾؟

الجواب:

انظر إلى قوله: ﴿وَقَالَ ٱللَّهُ إِنِّى مَعَكُمْ ۖ﴾ أرأيت كيف عبر الله عن معيته لعباده الصالحين بقوله: ﴿إِنِّى مَعَكُمْ ۖ﴾ فأنت تطمئن إنْ كان معك من هو أشد منك قوة وسلطة وتشعر بالأمان، فكيف إذا كان الله معك أينما كنت يرعاك ويصونك. أليس الإنسان إنْ كان الله معه لا يخاف ولا يُهزَم، فكم في هذا التعبير ﴿إِنِّى مَعَكُمْ ۖ﴾ من العناية والحفظ والنصر؟.

﴿وَءَامَنتُم بِرُسُلِى وَعَزَّرْتُمُوهُمْ﴾ في قوله: ﴿وَعَزَّرْتُمُوهُمْ﴾ لفتة معنوية، فالتعزير هو المنع، ويطلق على النصر؛ لأنّ الناصر يمنع المعتدي على منصوره.

السؤال الثاني:

كيف قال الله في آخر آية المائدة ١٢: ﴿فَمَن كَفَرَ بَعْدَ ذَٰلِكَ مِنكُمْ فَقَدْ ضَلَّ سَوَآءَ ٱلسَّبِيلِ ۝١٢﴾ مع أنّ الذي كفر قبل ذلك قد ضل سواء السبيل؟

الجواب:

نعم، ولكنْ لأنّ الضلال بعدما ذكر من النعم أقبح، ولأنّ قبح الكفر بقدر عظم النعم المكفورة، فلذلك خصه بالذكر.

السؤال الثالث:

من النقيب؟ وما علاقة هذه الكلمة بالنقاب الذي يوضع على الوجه؟

الجواب:

النقاب هو ما يوضع على الوجه فقط، ولهذا كان رئيس القوم يسمى نقيباً وفي التاريخ كان رئيس القوم يتنقب دلالة على كرمه وشجاعته، وما زالت بعض القبائل في المغرب العربي يغطون وجوههم رجالاً ونساء .

السؤال الرابع:

ما كلمات منظومة المنع من الوصول؟

الجواب:

الكلمات هي: الحجاب – الغطاء – الغشاء – الخمار – النقاب – الستار.

الحجاب: الحجاب في القرآن هو منع الوصول إلى الشيء من حيث التلاقي. انظر الآيات: [الأحزاب ٥٣، الأعارف ٤٦، الحديد ١٣، الإسراء ٤٥، مريم ١٧، فصلت ٥، الشورى ٥١].

والحجاب هو خاص بنساء النبي ﷺ، كما في آية الأحزاب ٥٣، أمّا مع باقي نساء المسلمين فيسمى خماراً، كما في آية النور ٣١ .

الغطاء: هو منع الوصول إلى رأس الشيء، وكل شيء يوضع على الرأس ويكون صلباً يسمى غطاء، كغطاء القدر، وكالخوذة على الرأس .

لذلك الغطاء هو كل شيء سميك صلب يمنع الوصول إلى الشيء، قال تعالى ﴿ٱلَّذِينَ كَانَتۡ أَعۡيُنُهُمۡ فِي غِطَآءٍ عَن ذِكۡرِي وَكَانُواْ لَا يَسۡتَطِيعُونَ سَمۡعًا ﴿١٠١﴾﴾ [الكهف: ١٠١]، وقال تعالى ﴿فَكَشَفۡنَا عَنكَ غِطَآءَكَ فَبَصَرُكَ ٱلۡيَوۡمَ حَدِيدٞ ﴿٢٢﴾﴾ [ق: ٢٢].

الخمار: هو غطاء الرأس إنْ لم يكن صلباً، وخمر الشيء بمعنى ستره، انظر آية النور ٣١.

الغشاء: إذا كان الغطاء ليس للرأس فقط وإنما للرأس والوجه يسمى غشاء، فالغطاء شمولي والخمار جزئي، انظر الآيات: [هود ٥، نوح ٧، طه ٧٨، الأنفال ١١، آل عمران ١٥٤، لقمان ٣٢، البقرة ٧، يس ٩، يونس ٢٧، الليل ١].

النقاب: هو ما يوضع على الوجه فقط، ولهذا كان رئيس القوم يسمى نقيباً، وفي التاريخ كان رئيس القوم يتنقب دلال على كرمه وشجاعته، وما زالت بعض القبائل في المغرب العربي يغطون وجوههم رجالا ونساء. انظر آية المائدة ١٢ .

الستار:

كل شيء يستقبح النظر إليه أو الوصول إليه يسمى ستاراً، كما في ستائر النوافذ حيث يستقبح الإنسان أن يرى أحد عورته. انظر الآيات: [فصلت ٢٢، الكهف ٩٠].

❁❁❁❁

﴿فَبِمَا نَقْضِهِم مِّيثَٰقَهُمْ لَعَنَّٰهُمْ وَجَعَلْنَا قُلُوبَهُمْ قَٰسِيَةً ۖ يُحَرِّفُونَ ٱلْكَلِمَ عَن مَّوَاضِعِهِۦ ۙ وَنَسُوا۟ حَظًّا مِّمَّا ذُكِّرُوا۟ بِهِۦ ۚ وَلَا تَزَالُ تَطَّلِعُ عَلَىٰ خَآئِنَةٍ مِّنْهُمْ إِلَّا قَلِيلًا مِّنْهُمْ ۖ فَٱعْفُ عَنْهُمْ وَٱصْفَحْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿١٣﴾﴾

السؤال الأول:

ما الفرق بين قوله تعالى: ﴿يُحَرِّفُونَ ٱلْكَلِمَ عَن مَّوَاضِعِهِۦ﴾، وقوله تعالى: ﴿يُحَرِّفُونَ ٱلْكَلِمَ مِنۢ بَعْدِ مَوَاضِعِهِۦ﴾ [المائدة:٤١]؟

الجواب:

١ـ قوله تعالى في آية المائدة ١٣: ﴿يُحَرِّفُونَ ٱلْكَلِمَ عَن مَّوَاضِعِهِۦ﴾ كانت في أهل الكتاب الأوائل قبل الرسول ﷺ، وقوله تعالى في آية المائدة ٤١: ﴿يُحَرِّفُونَ ٱلْكَلِمَ مِنۢ بَعْدِ مَوَاضِعِهِۦ﴾ هو في أهل الكتاب الذين كانوا في زمن الرسول ﷺ ﴿مِنۢ بَعْدِ مَوَاضِعِهِۦ﴾ [المائدة:٤١] بعدما استقرت، هذا بشكل عام .

٢ـ عندما ننظر في الآيات التي وردت فيها ﴿عَن مَّوَاضِعِهِۦ﴾ نجد أنّ الكلام هو على تحريف التوراة قديماً، حيث كان عندهم ميثاق بما استحفظوا من كتاب الله، والكلِم له موضع وهم غيّروه وحرّفوه. وهذا هو التحريف الأول .

أما ﴿مِنۢ بَعۡدِ مَوَاضِعِهِۦۖ﴾ [المائدة:٤١] فكان تحريفاً في زمن الرسول ﷺ بعد أنْ ثبتت التوراة، وبعد أنْ مرت ألف سنة أو أكثر على هذا الموضع عادوا مرة أخرى وحرّفوا من بعد أن ثبّت في مكانه، فجاءوا بعد ذلك وغيّروه عن مواضعه، فهم دائمو التحريف .

٣ـ موطن الآية الثانية يختلف، فالموطن الأول الكلام فيه عن التوراة عموماً، والموطن الثاني الكلام عن عبارات تقدّم بين يدي الرسول ﷺ من التوراة. فلمّا قال: ﴿قُلۡ فَأۡتُواْ بِٱلتَّوۡرَىٰةِ فَٱتۡلُوهَآ إِن كُنتُمۡ صَٰدِقِينَ ٩٣﴾ [آل عمران:٩٣] غيّروا فيها تغييراً جديداً. ومع ذلك بقيت إشارة إلى نبوة محمد عليه السلام في التوراة.

٤ـ والتحريف هو من تغيير الحروف، وهذه الحروف المرسومة غيّروها، وهم لم يكونوا يحفظون التوراة في قلوبهم، والأمة الوحيدة التي تحفظ هي أمة الإسلام عن وملايين المسلمين يحفظون القرآن في الصدور، والإسلام بدأ بالحفظ في الصدور قبل أنْ يحفظ في السطور، أمّا اليهود فإلى الآن لا يحفظون التوراة.

السؤال الثاني:

قوله تعالى في الآية: ﴿يُحَرِّفُونَ ٱلۡكَلِمَ﴾ بالفعل المضارع، ثم جاء الفعل بعده ﴿وَنَسُواْ﴾ بصيغة الماضي. فلماذا؟

الجواب:

قوله تعالى: ﴿يُحَرِّفُونَ ٱلْكَلِمَ عَن مَّوَاضِعِهِۦ وَنَسُوا۟ حَظًّا مِّمَّا ذُكِّرُوا۟ بِهِۦ﴾ [المائدة:١٣] جيء بالفعل (يحرفون) بصيغة المضارع للدلالة على استمرارهم في التحريف، بينما جاء الفعل بعده ﴿وَنَسُوا۟﴾ [المائدة:١٣] بصيغة الماضي؛ لأنّ النسيان يراد به الإهمال المفضي إلى النسيان غالباً، فعبّر عنه بالماضي لأنّ النسيان لا يتجدد.

السؤال الثالث:

ما اللمسة البيانية في عدم ذكر الجواب وما يترتّب على كونهم نقضوا الميثاق في قوله تعالى في سورة النساء: ﴿فَبِمَا نَقْضِهِم مِّيثَٰقَهُمْ وَكُفْرِهِم بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَقَتْلِهِمُ ٱلْأَنۢبِيَآءَ بِغَيْرِ حَقٍّ وَقَوْلِهِمْ قُلُوبُنَا غُلْفٌۢ ۚ بَلْ طَبَعَ ٱللَّهُ عَلَيْهَا بِكُفْرِهِمْ فَلَا يُؤْمِنُونَ إِلَّا قَلِيلًا ﴿١٥٥﴾﴾ [النساء:١٥٥]، بينما جاء ذكر الجواب في قوله: ﴿فَبِظُلْمٍ مِّنَ ٱلَّذِينَ هَادُوا۟ حَرَّمْنَا عَلَيْهِمْ طَيِّبَٰتٍ أُحِلَّتْ لَهُمْ وَبِصَدِّهِمْ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ كَثِيرًا ﴿١٦٠﴾﴾ [النساء:١٦٠]، وكذلك في آية المائدة رقم ١٣: ﴿فَبِمَا نَقْضِهِم مِّيثَٰقَهُمْ لَعَنَّٰهُمْ وَجَعَلْنَا قُلُوبَهُمْ قَٰسِيَةً﴾؟

الجواب:

انظر الجواب في آية النساء ١٥٥.

السؤال الرابع:

ما أهم دلالات هذه الآية؟

الجواب:

١ـ قوله: ﴿فَبِمَا نَقْضِهِم مِّيثَٰقَهُمْ لَعَنَّٰهُمْ﴾، (ما) هنا للتوكيد، وذلك من كثرة ما نقضوا من العهود، والنقض ضد الإبرام، وناسب زيادتها أنّ السياق على الميثاق. انظر الآيات:[المائدة ١٢ـ١٤]، فناسب ذلك زيادة (ما) لتوكيد نقض الميثاق. وأمّا القصر فهو متأت من التقديم .

٢ـ ربما (ما) جاءت استفهامية للتعجب، أي: فبأيِّ نقضٍ من ألوانٍ وصورٍ نقضهم للعهد لعناهم؟ وذلك لكثرة ما نقضوا من العهود على صورٍ وألوانٍ شتى من النقض للعهد .

٣ـ عندما نقضوا المواثيق طبع الله على قلوبهم، وهم قد كفروا أولاً، ثم تركهم الله في غيهم وطبع الله على قلوبهم.

٤ـ قوله تعالى: ﴿يُحَرِّفُونَ ٱلْكَلِمَ عَن مَّوَاضِعِهِۦ﴾ [المائدة:١٣] مثل تغييرهم أمر الله أن يقولوا ﴿حِطَّةٌ﴾ [البقرة:٥٨] فقالوا: حنطة .

والتغيير الذي مارسوه على أربعة ألوان:

أ ـ النسيان ﴿وَنَسُواْ حَظًّا مِّمَّا ذُكِّرُواْ بِهِۦ﴾ [المائدة:١٣] مثل نسيانهم البشارات بمحمد وكتمانها.

ب ـ الكتم.

ج ـ التحريف.

د ـ دس أشياء على أنها من عند الله، وهي ليست من عند الله.

٥ـ ولم يدعهم الله ويتركهم على نسيانهم ليكون لهم بذلك حجة، بل أراد أنْ يذكرهم بما نسوه، وكان مقتضى ذلك أنْ يعودوا للإيمان، لكنهم لم يفعلوا ذلك عامدين معرضين عنه عن قصد .

❁❁❁❁

﴿وَمِنَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّا نَصَٰرَىٰٓ أَخَذۡنَا مِيثَٰقَهُمۡ فَنَسُواْ حَظّٗا مِّمَّا ذُكِّرُواْ بِهِۦ فَأَغۡرَيۡنَا بَيۡنَهُمُ ٱلۡعَدَاوَةَ وَٱلۡبَغۡضَآءَ إِلَىٰ يَوۡمِ ٱلۡقِيَٰمَةِۚ وَسَوۡفَ يُنَبِّئُهُمُ ٱللَّهُ بِمَا كَانُواْ يَصۡنَعُونَ ١٤﴾

السؤال الأول:

ما الفرق بين (فأغرينا بينهم العداوة والبغضاء) في آية المائدة ١٤ ﴿وَمِنَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّا نَصَٰرَىٰٓ أَخَذۡنَا مِيثَٰقَهُمۡ فَنَسُواْ حَظّٗا مِّمَّا ذُكِّرُواْ بِهِۦ فَأَغۡرَيۡنَا بَيۡنَهُمُ ٱلۡعَدَاوَةَ وَٱلۡبَغۡضَآءَ إِلَىٰ يَوۡمِ ٱلۡقِيَٰمَةِۚ وَسَوۡفَ يُنَبِّئُهُمُ ٱللَّهُ بِمَا كَانُواْ يَصۡنَعُونَ ١٤﴾ و﴿ألقينا بينهم العداوة والبغضاء﴾ في آية المائدة ٦٤ ﴿وَقَالَتِ ٱلۡيَهُودُ يَدُ ٱللَّهِ مَغۡلُولَةٌۚ غُلَّتۡ أَيۡدِيهِمۡ وَلُعِنُواْ بِمَا قَالُواْۘ بَلۡ يَدَاهُ مَبۡسُوطَتَانِ يُنفِقُ كَيۡفَ يَشَآءُۚ وَلَيَزِيدَنَّ كَثِيرٗا مِّنۡهُم مَّآ أُنزِلَ إِلَيۡكَ مِن رَّبِّكَ طُغۡيَٰنٗا وَكُفۡرٗاۚ وَأَلۡقَيۡنَا بَيۡنَهُمُ ٱلۡعَدَٰوَةَ وَٱلۡبَغۡضَآءَ إِلَىٰ يَوۡمِ ٱلۡقِيَٰمَةِۚ كُلَّمَآ أَوۡقَدُواْ نَارٗا لِّلۡحَرۡبِ أَطۡفَأَهَا ٱللَّهُۚ وَيَسۡعَوۡنَ فِي ٱلۡأَرۡضِ فَسَادٗاۚ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ ٱلۡمُفۡسِدِينَ ٦٤﴾؟ أي ما الفرق بين ﴿فَأَغۡرَيۡنَا﴾ و ﴿وَأَلۡقَيۡنَا﴾؟

الجواب:

١ـ استعملت كلمة (أغرينا) مع النصارى، واستعملت كلمة (ألقينا) مع اليهود .

٢ـ بعد نزول التوراة أحدث اليهود فيها تغييراً، وبعد نزول الإنجيل أحدث النصارى فيه تغييراً وضموه إلى التوراة المحرفة، فصار لديهم العهد القديم المحرف والعهد الجديد المحرف، ونتيجة لذلك حدثت فرقة عظيمة بين اليهود أنفسهم بسبب اختلافهم على التحريف وكذلك النصارى أيضاً، لكنّ النصارى جمعوا التحريفين فزادت لهم العقوبة.

لذلك نجد اليهود قد يختلفون، لكن في الأمور المادية، أمّا النصارى فيختلفون على الأمور المادية وعلى أمور العقيدة: هل عيسى ابن الله أم الله أم ثالث ثلاثة؟ وهم يعتمدون الرهبان والكهان للغفران وليس الله تعالى، فهم يؤمنون بنص التوراة المحرفة مثل اليهود إضافة إلى الإنجيل المحرف فاستحقوا مزيداً من العقوبة.

٣ـ لذلك استعمل الله مع النصارى لفظ ﴿فَأَغْرَيْنَا﴾ من الغراء الصمغ اللاصق، وكأنّ العداوة بينهم هي لاصقة بهم، واستعمل ﴿وَأَلْقَيْنَا﴾ لليهود .

٤ـ من مظاهر العقوبة للنصارى أنّ معظم الحروب عبر التاريخ كان بين النصارى أنفسهم كالحرب العالمية الأولى والثانية.

٥ـ الإغراء أشد من الإلقاء، وفيه صفة الالتصاق الشديد، بينما (ألقينا) يمكن أن يقال: (هدنة على دخن)، والنصارى لا يزالون مصرين على الأخذ بالتحريفين .

٦ـ لّما ذكر القرآن النصارى ذكر أنّ مشكلاتهم فيما بينهم لصيقة في الاعتقاد، وهو ما نسمعه ونراه في فرقهم المختلفة: كاثوليك وبروتستانت وأرثوذوكس .

ولمّا ذكر اليهود ذكر فيهم صفتين: إيقاد الحروب والسعي في الأرض فساداً، لذلك لا تجد مشكلة في العالم إلا وراءها اليهود .

٧ـ الخلاف بين اليهود ﴿وَأَلْقَيْنَا﴾ أهون من الخلاف بين النصارى ﴿فَأَغْرَيْنَا﴾ لكن خطر اليهود أعظم.

السؤال الثاني:

ما دلالة قوله تعالى في الآية: ﴿وَمِنَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّا نَصَٰرَىٰٓ﴾؟

الجواب:

انظر إلى صيغة التحريض والتضعيف هذه منهم ﴿وَمِنَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّا نَصَٰرَىٰٓ﴾ ولكن الله لم يقل عنهم: إنهم نصارى، وفي هذا التعبير تقريع ولوم على هذا الضعف من القوم الذين يدعون بالقول واللسان انتسابهم إلى عيسى وفعلهم يخالف قولهم ومعتقدهم.

❊❊❊❊

﴿ يَهْدِى بِهِ ٱللَّهُ مَنِ ٱتَّبَعَ رِضْوَٰنَهُۥ سُبُلَ ٱلسَّلَٰمِ وَيُخْرِجُهُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ بِإِذْنِهِۦ وَيَهْدِيهِمْ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿١٦﴾ ﴾

السؤال الأول:

ما الفرق بين السبيل و الصراط؟

الجواب :

١ـ السبيل هو الطريق السهل الذي فيه سهولة، والسبيل يجمع على سبل، ويأتي مفرداً ويأتي جمعاً؛ لأنها سهلة ميسرة للسير فيها، وطرق الخير تجمع وطرق الشر تجمع، وتستخدم سبل للخير والشر.

٢ـ الصراط هو الطريق المستقيم، وهو أوسع الطرق ولم يرد في القرآن إلا مفرداً لأنه يُراد به الإسلام، ويأتي الصراط دائماً موصوفاً ومضافاً ليدل على أن هذا طريق الخير وذاك طريق الشر.

* شواهد قرآنية: قال تعالى:

ـ ﴿وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِي مُسۡتَقِيمٗا فَٱتَّبِعُوهُۖ وَلَا تَتَّبِعُواْ ٱلسُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمۡ عَن سَبِيلِهِۦۚ﴾ [الأنعام:١٥٣].

ـ ﴿يَهۡدِي بِهِ ٱللَّهُ مَنِ ٱتَّبَعَ رِضۡوَٰنَهُۥ سُبُلَ ٱلسَّلَٰمِ﴾ [المائدة:١٦] طرق الخير،

ـ ﴿وَلَا تَتَّبِعُواْ ٱلسُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمۡ عَن سَبِيلِهِۦۚ﴾ [الأنعام:١٥٣] هذه طرق الشر.

ـ ﴿مِن دُونِ ٱللَّهِ فَٱهۡدُوهُمۡ إِلَىٰ صِرَٰطِ ٱلۡجَحِيمِ ٢٣﴾ [الصافات:٢٣] هو أوسع الطرق.

٣ـ إذن (الصراط) الطريق الواسع، و(السبيل) هي الطرق المتفرعة عن الصراط؛ لذلك تجمعه سبل الخيرو سبل الشر.

٤ـ السبيل عام وفيه معني السعة، وكما قال الزمخشري: سمي الصراط؛ لأنه يسرط السالكين ويبلعهم. أصلها: سراط بالسين من سرط، ولكن أيضاً تقال: صراط بالصاد، لكنّ أصل الكلمة بالسين (سراط)، وقد تكتب بحسب اللفظ ،ويربطونها بستريت

(straight) مستقيم وستريت (street) بالإنجليزية. واللغة العربية هي أقدم اللغات الموجودة المستعملة، وليس هناك لغة أقدم منها ،وهناك بعض اللغات التي اندثرت.

السؤال الثاني:

جاءت الهداية بالاسم والفعل، أما الضلالة فجاءت بالفعل، كما في الآيات:

ـ ﴿يَهْدِى بِهِ ٱللَّهُ مَنِ ٱتَّبَعَ رِضْوَانَهُۥ سُبُلَ ٱلسَّلَـٰمِ وَيُخْرِجُهُم مِّنَ ٱلظُّلُمَـٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ بِإِذْنِهِۦ وَيَهْدِيهِمْ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿١٦﴾﴾ [المائدة:١٦].

ـ ﴿وَيُضِلُّ ٱللَّهُ ٱلظَّـٰلِمِينَ ۚ وَيَفْعَلُ ٱللَّهُ مَا يَشَآءُ ﴿٢٧﴾﴾ [إبراهيم:٢٧].

ـ ﴿وَكَفَىٰ بِرَبِّكَ هَادِيًا وَنَصِيرًا ﴿٣١﴾﴾ [الفرقان:٣١].

فما دلالة ذلك؟

الجواب:

١ـ الهداية جاءت في القرآن الكريم بالاسم والفعل، وصفة الله تعالى الثابتة والمتجددة هي الهداية: ﴿وَكَفَىٰ بِرَبِّكَ هَادِيًا وَنَصِيرًا ﴿٣١﴾﴾ [الفرقان:٣١] وهو يهدي، وحالته الثابتة والمتجددة هي الهداية ولا يضل إلا مجازاة للظالم كما في قوله تعالى: ﴿يُضِلُّ ٱللَّهُ مَنْ هُوَ مُسْرِفٌ مُّرْتَابٌ ﴿٣٤﴾﴾ [غافر:٣٤] وجاءت بالصيغة الفعلية (يضل) لا الاسمية، ولم يقل الله تعالى عن نفسه (مُضلّ)، وإنما قال: ﴿وَيُضِلُّ ٱللَّهُ ٱلظَّـٰلِمِينَ﴾ [إبراهيم:٢٧] مجازاة لهم.

أمّا صفة الشيطان الثابتة والمتجددة فهي الإضلال، فجاءت (مضلّ) بالاسم الثابت وبفعل التجدد (يضل)، وجاءت (الضلالة) في القرآن في الحديث عن الشيطان في القرآن بالاسم والفعل: ﴿إِنَّهُۥ عَدُوٌّ مُّضِلٌّ﴾ [القصص:١٥] ﴿وَلَأُضِلَّنَّهُمْ﴾ [النساء:١١٩].

٢ـ هنالك ملاحظة لطيفة: وهي أنه ما كان من شأنه ألا يُفعل إلا مجازاة وليس من شأنه أن يُذكر الاتصاف به، لم يأت إلا في تراكيب الأفعال كقوله تعالى: ﴿وَيُضِلُّ ٱللَّهُ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ [إبراهيم:٢٧] وقد ذكر الله الإضلال وأضافه إلى نفسه بالصورة الفعلية فقط، للدلالة على أنّ هذا الأمر طارىء يفعله لمن يستحقه، ولم يُسند هذا الأمر إلى نفسه بالصورة الاسمية للدلالة على أن هذا ليس من صفات الله ونعوته. انظر آيات [غافر ٣٤ و٧٤ وسورة البقرة: ٢٦].

٣ـ في حين وصف الشيطان بذلك، فقال: ﴿هَٰذَا مِنْ عَمَلِ ٱلشَّيْطَٰنِ إِنَّهُۥ عَدُوٌّ مُّضِلٌّ مُّبِينٌ﴾ [القصص:١٥]

فجعله وصفاً ثابتاً له ومتجدداً أيضاً، [انظر آيات الحج: ٣-٤] وقال الشيطان عن نفسه: ﴿وَلَأُضِلَّنَّهُمْ وَلَأُمَنِّيَنَّهُمْ﴾ [النساء:١١٩] فجعل وصف الشيطان الثابت والمتجدد الإضلال .

بينما جعل الله وصف ذاته العلية الثابت والمتجدد الهداية، فقال في الحج: ٥٤: ﴿وَإِنَّ ٱللَّهَ لَهَادِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ﴾ وانظر أيضاً [آية الفرقان: ٣١ و المائدة: ١٦ ويونس: ٣٥] فشتان ما بين الوصفين.

﴿ لَّقَدْ كَفَرَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْمَسِيحُ ٱبْنُ مَرْيَمَ ۚ قُلْ فَمَن يَمْلِكُ مِنَ ٱللَّهِ شَيْـًٔا إِنْ أَرَادَ أَن يُهْلِكَ ٱلْمَسِيحَ ٱبْنَ مَرْيَمَ وَأُمَّهُۥ وَمَن فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا ۗ وَلِلَّهِ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا ۚ يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ ۚ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿١٧﴾ ﴾

السؤال الأول:

ما اللمسة البيانية في ذكر عيسى مرة والمسيح مرة وابن مريم مرة في القرآن الكريم؟

الجواب :

انظر الجواب في آية آل عمران ٤٥.

السؤال الثاني:

زاد ﴿لَكُم﴾ في آية الفتح ١١ فقال: ﴿فَمَن يَمْلِكُ لَكُم﴾ دون زيادتها في آية المائدة ١٧: ﴿قُلْ فَمَن يَمْلِكُ مِنَ ٱللَّهِ شَيْـًٔا﴾. فلماذا؟

الجواب:

١ ـ نزلت آية الفتح في قوم تخلفوا عن الجهاد مع رسول الله ﷺ، ثم سألوه أنْ يستغفر لهم، وهم يكتمون بذلك نفاقهم وقصدهم استمالته كيلا تضرهم عداوته، فالخطاب هو مختص بالمخلّفين من الأعراب، فلمّا كان الخطاب مختصا بهؤلاء زاد ﴿لَكُم﴾ ؛ لأنّ الخطاب موجه إليهم .

٢ ـ أمّا آية سورة المائدة فهي عامة، والدليل أنه ذكر إنْ أراد أنْ يهلك المسيح بن مريم وأمه ومن في الأرض جميعاً فمن يملك من الله شيئاً، فلمّا سيقت الآية إلى العموم لم يحتج إلى ﴿لَكُم﴾ التي هي للخصوص.

❁❁❁❁

﴿وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ وَٱلنَّصَـٰرَىٰ نَحْنُ أَبْنَـٰٓؤُا۟ ٱللَّهِ وَأَحِبَّـٰٓؤُهُۥ ۚ قُلْ فَلِمَ يُعَذِّبُكُم بِذُنُوبِكُم ۖ بَلْ أَنتُم بَشَرٌ مِّمَّنْ خَلَقَ ۚ يَغْفِرُ لِمَن يَشَآءُ وَيُعَذِّبُ مَن يَشَآءُ ۚ وَلِلَّهِ مُلْكُ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا ۖ وَإِلَيْهِ ٱلْمَصِيرُ ﴿١٨﴾﴾

السؤال الأول:

ما دلالة الاستفهام في الآية: ﴿قُلْ فَلِمَ يُعَذِّبُكُم بِذُنُوبِكُم ۖ﴾؟

الجواب:

انظر إلى هذا الاستفهام الذي حمل معنى النفي والرد، فلو كانوا أبناء الله وأحباءه لما عذّبهم بذنوبهم، فشأن المحب ألا يعذّب حبيبه وشأن الأب ألا يعذّب أبناءه.

لطيفة: سأل الشبلي أبا بكر بن مجاهد: أين تجد في القرآن أنّ المحب لا يعذب حبيبه؟ فلم يهتد ابن مجاهد فقال: له الشبلي: في قوله: ﴿قُلْ فَلِمَ يُعَذِّبُكُم بِذُنُوبِكُم ۖ﴾ [المائدة:١٨].

السؤال الثاني:

كيف يصح الاحتجاج عليهم بقوله تعالى: ﴿قُلْ فَلِمَ يُعَذِّبُكُم بِذُنُوبِكُم ۖ﴾ مع أنهم وهم (اليهود والنصارى) ينكرون تعذيبهم بذنوبهم، ويدعون أنّ ما يذنبون بالنهار يُغفر بالليل وما يذنبون بالليل يُغفر بالنهار؟

الجواب:

هم مُقِرون بأن الله يعذبهم أربعين يوماً، وهي مدة عبادتهم للعجل في غيبة موسى عليه السلام؛ ولذلك قالوا: ﴿لَن تَمَسَّنَا ٱلنَّارُ إِلَّآ أَيَّامًا مَّعۡدُودَةً﴾ [البقرة:٨٠].

وقيل: أراد به العذاب الذي أوقعه ببعضهم من مسخهم قردة كما فعل بأصحاب السبت، وخسف الأرض كما فعل بقارون.

السؤال الثالث:

جاءت كلمة (بشر): ﴿فَقَالُوٓاْ أَبَشَرًا مِّنَّا وَٰحِدًا نَّتَّبِعُهُۥٓ﴾ [القمر:٢٤] مفردة و ﴿بَلۡ أَنتُم بَشَرٌ مِّمَّنۡ خَلَقَ﴾ [المائدة:١٨] جمعاً. فلماذا؟

الجواب:

١ـ هناك كلمات تكون للمفرد وللجمع، منها كلمتا (بشر وضيف) تكون للمفرد وللجمع. وهناك (ضيوف وأضياف)، وهناك (خصم وخصوم وطفل وأطفال) كلها تستعمل للمفرد والجمع، و(رسول) تستعمل للمفرد والمثنى والجمع والمصدر أيضاً، وهذا يسمى في اللغة (اشتراك).

٢ـ كلمة (ضيف) تقال للمفرد وللجمع، كما في سورة الحجر ﴿قَالَ إِنَّ هَٰٓؤُلَآءِ ضَيۡفِي فَلَا تَفۡضَحُونِ ۝٦٨﴾ [الحِجر:٦٨] وفي الذاريات: ﴿هَلۡ أَتَىٰكَ حَدِيثُ ضَيۡفِ إِبۡرَٰهِيمَ ٱلۡمُكۡرَمِينَ ۝٢٤﴾ [الذاريات:٢٤] فكلمة (ضيف) جاءت بالمفرد مع أنّ الملائكة المكرمين جمع.

٣ـ ومثلها كلمة (خصم) تقال للمفرد وللجمع: ﴿وَهَلْ أَتَىٰكَ نَبَؤُا۟ ٱلْخَصْمِ إِذْ تَسَوَّرُوا۟ ٱلْمِحْرَابَ ﴿٢١﴾﴾ [ص:٢١] وهذه ليست مختصة بالإفراد.

٤ـ وكذلك كلمة (بشر): ﴿فَقَالُوٓا۟ أَبَشَرًا مِّنَّا وَٰحِدًا نَّتَّبِعُهُۥ﴾ [القمر:٢٤] مفرد: ﴿بَلْ أَنتُم بَشَرٌ مِّمَّنْ خَلَقَ﴾ [المائدة:١٨] جمع.

٥ـ وكلمة (الرسول) تأتي بمعنى الرسالة والإرسال: ﴿فَقُولَآ إِنَّا رَسُولُ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٦﴾﴾ [الشعراء:١٦] ﴿فَأْتِيَاهُ فَقُولَآ إِنَّا رَسُولَا رَبِّكَ﴾ [طه:٤٧].

٦ـ وكذلك كلمة (طفل) تأتي للمفرد وللجمع.

السؤال الرابع:

ما الحكمة في تكرار قوله: ﴿وَلِلَّهِ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا﴾ في الآيتين المتتاليتين ١٧ـ١٨ من سورة المائدة؟

الجواب:

١ـ الآية ١٧ هي رد على قولهم في المسيح عليه السلام: إنه إله، فبيّن الله تعالى أنّ الألوهية لمن ملك السماوات والأرض، وليس للمسيح ذلك، فكيف يكون إلهاً والله خالقه وقادر على إهلاكه وأمه؟

٢ـ الآية ١٨ هي رد على قولهم: ﴿نَحْنُ أَبْنَٰٓؤُا۟ ٱللَّهِ وَأَحِبَّٰٓؤُهُۥ﴾ فهو توكيد لقوله تعالى: ﴿يَغْفِرُ لِمَن يَشَآءُ وَيُعَذِّبُ مَن يَشَآءُ﴾ لأنهم خلْقه وملْكه؛ ولذلك قال: ﴿وَإِلَيْهِ ٱلْمَصِيرُ ﴿١٨﴾﴾ فيجازي كلاً على عمله، إمّا بمغفرة ورحمة وإمّا بعذاب.

السؤال الخامس:

كم مرة جاء في القرآن الكريم قوله تعالى: ﴿لَهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا﴾ [الزُّخرُف:٨٥] أو: ﴿وَلِلَّهِ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا﴾ أي بزيادة (وما بينهما)؟

الجواب:

لقد ورد ذلك ـ له ملك/ لله ملك ـ في ثلاث آيات هي:

ـ ﴿وَلِلَّهِ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا﴾ [المائدة:١٧].

ـ ﴿وَلِلَّهِ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَإِلَيْهِ ٱلْمَصِيرُ ﴿١٨﴾﴾ [المائدة:١٨].

ـ ﴿وَتَبَارَكَ ٱلَّذِى لَهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَعِندَهُۥ عِلْمُ ٱلسَّاعَةِ﴾ [الزُّخرُف:٨٥].

ومن ملاحظة هذا الموضوع في القرآن الكريم يتبين لنا التالي:

في كل موطن في القرآن الكريم يذكر ﴿وَمَا بَيْنَهُمَا﴾ يأتي التعقيب على من يذكر صفات الله بغير ما يستحق.

* شواهد قرانية:

آية المائدة ١٧: تعقيب على قول النصارى.

آية المائدة ١٨: تعقيب على قول اليهود.

آية الزخرف ٨٥: تعقيب على ﴿قُلْ إِن كَانَ لِلرَّحْمَٰنِ وَلَدٌ﴾.

ملحوظة:

في كل آية ورد ذكر (السماوات والأرض وما بينهما) ذكرت السورة ثلاثة أمور تتعلق باليهود والنصارى والمشركين، انظر: الجدول التالي مع أرقام الآيات:

السورة	موسى/ اليهودية رقم الآية	عيسى/ النصرانية رقم الآية	محمد/ الإسلام رقم الآية
المائدة	١٢	١٤	١٩
الزخرف	٤٦	٥٧	٨١

السؤال السادس:

قوله تعالى في الآية ﴿يَغْفِرُ لِمَن يَشَآءُ وَيُعَذِّبُ مَن يَشَآءُ﴾ فقدم المغفرة على العذاب، كما هو أيضاً في آية فصلت ٤٣ وآية غافر ٣، بينما قدّم العذاب على المغفرة في آيات المائدة ٤٠ العنكبوت ٣١، فقال: ﴿يُعَذِّبُ مَن يَشَآءُ وَيَغْفِرُ لِمَن يَشَآءُ﴾ فما السبب؟

الجواب:

في كثير من الآيات التي جمعت ذكر الرحمة والعذاب بدأ بذكر الرحمة قبل العذاب، كما يظهر من الآيات:[المائدة ـ ١٨ـ وفصلت ـ٤٣ ـ وغافر ـ ٣] وهذا ينطبق على القاعدة التي بيّنها الحديث القدسي: «**إن رحمتي سبقت غضبي**» .

وقد خرج عن هذه القاعدة مواضع اقتضت الحكمةُ فيها تقديم ذكر العذاب ترهيباً وزجراً، ومن ذلك:

١ ـ آية المائدة (٤٠)؛ وذلك لأنها وردت في سياق ذكر قطاع الطرق والمحاربين والسرّاق، فكان المناسب تقديم ذكر العذاب، حيث وردت هذه الآية بعد قوله تعالى في

سورة المائدة الآية (٣٢) التي قدّم فيها القتل على الإحياء، ثم الآية (٣٣) في ذكر جزاء قطاع الطرق والمحاربين، ثم جاءت الآية (٣٨) في ذكر جزاء السراق، ثم جاءت الآية (٤٠)، فكان من المناسب ههنا تقديم العذاب على المغفرة .

٢ ـ وكذلك قدّم العذاب على الرحمة في آية العنكبوت(٢١)؛ وذلك لأنها في سياق إنذار إبراهيم لقومه ومخاطبة نمرود وأصحابه، وأنّ العذاب وقع بهم في الدنيا، فقد أنذر إبراهيم قومه في الآية (١٧)، ثم هددهم بالعذاب إن كذبوه في الآية:[١٨ و ٢٢ و٢٣] فاقتضى السياق تقديم العذاب هنا .

❁❁❁❁

﴿ يَـٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَـٰبِ قَدۡ جَآءَكُمۡ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمۡ عَلَىٰ فَتۡرَةٖ مِّنَ ٱلرُّسُلِ أَن تَقُولُواْ مَا جَآءَنَا مِنۢ بَشِيرٖ وَلَا نَذِيرٖۖ فَقَدۡ جَآءَكُم بَشِيرٞ وَنَذِيرٞۗ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ ١٩ ﴾

السؤال الأول:

قوله تعالى: ﴿مَا جَآءَنَا مِنۢ بَشِيرٖ﴾ ما دلالة (من) في الآية؟

الجواب:

هناك من العلماء من قال: بأن ﴿مِن﴾ حرف زائد أو حرف صلة، ولكن الزيادة تكون عند البشر، ولا يمكن أن يكون بالقرآن شيء زائد؛ لأنّ كل كلمة في القرآن جاءت لمقتضى حال يحتم أن يكون في هذا الموضع .

وعندما يقول الإنسان: ﴿ما عندي مال﴾، فقد يقصد أنه لا يملك من المال إلا القليل، وعندما يقول: ﴿ما عندي من مال﴾، فـ﴿مِن﴾ هنا تعني أنه لا يملك أي مال من بداية ما يقال له: مال.

لذلك فإن الآية تعني أنه لم يأت لنا بداية من يقال له: بشير .

السؤال الثاني:

ما دلالة كلمة ﴿فَتْرَةٍ﴾ في الآية ﴿يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ قَدْ جَآءَكُمْ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمْ عَلَىٰ فَتْرَةٍ مِّنَ ٱلرُّسُلِ﴾؟

الجواب :

الفترة هي الفتور، أي: لين بعد شدة وضعف بعد قوة، فقوله: ﴿عَلَىٰ فَتْرَةٍ مِّنَ ٱلرُّسُلِ﴾ أي: سكون حال عن مجيء الرسول، فقبل بعثته ﷺ كانت الرسل تبعث تترى متتالية.

﴿ وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِۦ يَٰقَوْمِ ٱذْكُرُواْ نِعْمَةَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَعَلَ فِيكُمْ أَنۢبِيَآءَ وَجَعَلَكُم مُّلُوكًا وَءَاتَىٰكُم مَّا لَمْ يُؤْتِ أَحَدًا مِّنَ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٢٠﴾ ﴾

السؤال الأول:

ما دلالة قوله تعالى في الآية: ﴿وَجَعَلَكُم مُّلُوكًا﴾؟

الجواب:

قوله تعالى ﴿وَجَعَلَكُم مُّلُوكًا﴾ تشبيه بليغ، وهو ما ذكر به المشبه والمشبه به دون أداة، فمثلاً تقول لصديقك: أنت بحر، أي: أنت كالبحر في أمر اشتركتما فيه، وهو السعة، وكذلك قوله تعالى: ﴿وَجَعَلَكُم مُّلُوكًا﴾ أي: أنتم كالملوك في صفة مشتركة بينكما، وهي حرية التصرف في النفس.

السؤال الثاني:

ما المراد من قوله تعالى: ﴿وَجَعَلَكُم مُّلُوكًا﴾ ولم يكن قوم موسى ملوكاً؟

الجواب:

١ـ المراد هم ملوك بني إسرائيل، وهم الأسباط وعددهم ١٢ سبطاً.

٢ـ المراد أنه تعالى رزقهم الصحة والكفاية والزوجة والخادم والبيت فسماهم ملوكاً بذلك .

٣ـ المراد أنه رزقهم المنازل الواسعة التي فيها المياه الجارية .

السؤال الثالث:

زاد في آية المائدة ٢٠: ﴿يَٰقَوْمِ ٱذْكُرُوا۟ نِعْمَةَ ٱللَّهِ﴾ ولم يذكر ذلك في آية إبراهيم ٦، حيث قال: ﴿ٱذْكُرُوا۟ نِعْمَةَ ٱللَّهِ﴾، فما السبب؟

الجواب:

١ ـ في آية المائدة عدّد عليهم النعم الجسام في أنْ جعل منهم أنبياء وملوكاً وأنه آتاهم ما لم يؤت أحداً من العالمين، فحَسُن نداؤهم بـ ﴿يَٰقَوْمِ﴾ ؛ وذلك أنّ الإنسان يحب أنْ ينتسب إلى قوم ذوي رفعة ومكانة عالية، بخلاف المستذلين والمستعبدين، وهو سياق آية إبراهيم(٦) .

٢ ـ من جهة أخرى: أنه طلب منهم أن يدخلوا الأرض المقدسة التي كتبها الله لهم (آية المائدة ٢١) فناداهم بـ ﴿يَٰقَوْمِ﴾ عطفا لقلوبهم؛ لتحميلهم مهمة دخول الأرض المقدسة وتكليفهم بهذا الأمر الشاق .

أمّا آية إبراهيم فليس فيها طلب شيء ولا تكليف أمر، وإنما تذكيرهم بما مر عليهم من محن وعذاب .

٣ ـ سياق قصة موسى في سورة المائدة أطول مما في سورة إبراهيم، فزاد ﴿يَٰقَوْمِ﴾ لمناسبة طول القصة .

٤ ـ التصريح باسم المخاطب يدل على تعظيم المخاطب به، ولمّا كان في سورة المائدة ذكر النعم الكثيرة صرح فقال: (يا قوم)، وأيضاً لموافقة ما قبله وما بعده من النداء:

﴿ يَٰقَوۡمِ ٱدۡخُلُواْ﴾ ﴿يَٰمُوسَىٰٓ إِنَّ فِيهَا﴾ ﴿يَٰمُوسَىٰٓ إِنَّا﴾ ولمّا لم يكن ما في إبراهيم بهذه المنزلة اقتصر على حرف الخطاب .

٥ـ آية إبراهيم (٦): هي بذكر ما أنجاهم الله تعالى من فرعون سابقا، فلم يأت هنا بمزيد الاعتناء كما تقدم في آية المائدة .

❊❊❊❊

﴿قَالُواْ يَٰمُوسَىٰٓ إِنَّا لَن نَّدۡخُلَهَآ أَبَدٗا مَّا دَامُواْ فِيهَاۖ فَٱذۡهَبۡ أَنتَ وَرَبُّكَ فَقَٰتِلَآ إِنَّا هَٰهُنَا قَٰعِدُونَ ﴿٢٤﴾﴾

السؤال الأول:

ما دلالة تأكيد بني إسرائيل للمرة الثانية في آية النساء ٢٤ ﴿قَالُواْ يَٰمُوسَىٰٓ إِنَّا لَن نَّدۡخُلَهَآ أَبَدٗا﴾ بعد تأكيدهم في المرة الأولى في آية المائدة ٢٢ ﴿وَإِنَّا لَن نَّدۡخُلَهَا حَتَّىٰ يَخۡرُجُواْ مِنۡهَا﴾؟

الجواب :

كان بنو إسرائيل يعاندون رسولهم ويصرون على مواقفهم، وإنْ كانت على باطل، ومن ذلك هذا التصريح منهم ﴿إِنَّا لَن نَّدۡخُلَهَآ أَبَدٗا﴾، فقد أكدوا الامتناع الثاني من الدخول بعد المحاولة السابقة ﴿وَإِنَّا لَن نَّدۡخُلَهَا حَتَّىٰ يَخۡرُجُواْ مِنۡهَا فَإِن يَخۡرُجُواْ مِنۡهَا﴾ أكدوا ذلك أشد توكيد، دلّ عليه التأكيد بـ (إنّ) ثم (لن) التي تفيد نفي الاستقبال وأصروا على ذلك بقولهم (أبداً).

السؤال الثاني:

قوله تعالى في الآية ﴿إِنَّا هَٰهُنَا قَٰعِدُونَ ﴿٢٤﴾﴾ ما معنى كلمتي (قعود وقاعدون) في الاستعمال القرآني؟

الجواب:

١ـ وردت كلمة (قعود) ثلاث مرات في القرآن الكريم كلها بمعنى القعود الحقيقي، كما في الآيات:[البروج ٦ـ آل عمران ١٩١ـ النساء ١٠٣].

٢ـ ووردت كلمة (قاعدون) في ستة مواضع كلها بمعنى القعود عن الجهاد، كما في:[المائدة ٢٤ـ التوبة ٤٦ـ ٨٦، النساء ٩٥].

السؤال الثالث:

قوله تعالى في الآية: ﴿إِنَّا هَٰهُنَا قَٰعِدُونَ ﴿٢٤﴾﴾ متى تستعمل: إنا و إننا، أو إني وإنني؟

الجواب:

يقال: (إني و إنني) و(إنّا و إننا).

قال تعالى: ﴿فَٱنتَظِرُوٓاْ إِنِّي مَعَكُم مِّنَ ٱلۡمُنتَظِرِينَ ﴿٧١﴾﴾ [الأعراف:٧١].

ـ ﴿أَلَّا تَعۡبُدُوٓاْ إِلَّا ٱللَّهَۚ إِنَّنِي لَكُم مِّنۡهُ نَذِيرٞ وَبَشِيرٞ ﴿٢﴾﴾ [هود:٢].

ـ ﴿إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجۡرَ ٱلۡمُصۡلِحِينَ ﴿١٧٠﴾﴾ [الأعراف:١٧٠].

ـ ﴿قَالَا رَبَّنَآ إِنَّنَا نَخَافُ أَن يَفۡرُطَ عَلَيۡنَآ أَوۡ أَن يَطۡغَىٰ ﴿٤٥﴾﴾ [طه:٤٥].

يجوز عند النحاة الذكر والحذف، ولم يذكروا لذلك غرضاً لغوياً أو بيانياً وقد وقع الاستعمالان في كتاب الله، ومن الدراسة يتبين أنّ ذكر النون إنما يكون للأغراض التالية:

١ـ لغرض الزيادة في التوكيد، حيث (إنني) آكد من (إنّي)، و(إننا) آكد من (إنّا)؛ وذلك أنّ اجتماع ثلاث نونات يزيد في التوكيد .

٢ـ مراعاة مقام الإطالة فيؤتى بالنون في مقام الإطالة والتفصيل، ولا تلحق في مقام الإيجاز.

أمثلة على الغرض الأول :

المثال الأول: [(آية الأنعام ٧٨) و(والزخرف ٢٦ـ٢٧)].

الآيتان على لسان إبراهيم عليه السلام، فقال في الأولى: (إني) و في الثانية: (إنني)؛ وذلك أنّ آية الأنعام في مقام الحيرة والبحث عن الحقيقة، فقد ظن الكوكب ربه ثم القمر ثم الشمس، ثم أعلن البراءة من كل ذلك .

أمّا في آية الزخرف، فهو في مقام التبليغ، فقد أصبح نبياً مرسلاً من ربه أعلن حربه على الشرك وأعلن البراءة مما يعبد قومه، فهناك فرق بين المقامين والبراءتين؛ ولذا جاءت الآية الأولى بـ (إنّي) وفي الثانية (إنني)؛ لأنه في مقامٍ أكثر توكيداً .

إضافة إلى الفرق بين التعبيرين، فقد قال في الأولى: ﴿بَرِيٓءٞ﴾ [الأنعام:٧٨] وفي الثانية ﴿بَرَآءٞ﴾ [الزُّخرُف:٢٦] على صيغة المصدر، فهي أشد توكيداً، وهو المناسب لزيادة النون، فحصل التوكيد في آية الزخرف من جهتين: زيادة النون والعدول إلى المصدر، بخلاف آية الأنعام .

المثال الثاني: آيات سورة طه (١١ـ١٤)

قال أولاً: ﴿إِنِّىٓ أَنَا۠ رَبُّكَ فَٱخْلَعْ نَعْلَيْكَ﴾ [طه:١٢] ثم قال: ﴿إِنَّنِىٓ أَنَا ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعْبُدْنِى﴾ [طه:١٤]ـ بزيادة النون .

وذلك أنّ المقام في الثانية مقام زيادة توكيد؛ لأنه في مقام إعلامه بالنبوة وتكليفه بالرسالة، فاقتضى ذلك التفريق بين المقامين .

المثال الثالث:[(آية المائدة ٢٤) و(طه ٤٥ ـ ٤٦)].

في المائدة قال: ﴿إِنَّا هَٰهُنَا قَٰعِدُونَ ﴿٢٤﴾﴾ وفي طه: ﴿قَالَا رَبَّنَآ إِنَّنَا نَخَافُ أَن يَفْرُطَ عَلَيْنَآ أَوْ أَن يَطْغَىٰ ﴿٤٥﴾ قَالَ لَا تَخَافَآ إِنَّنِى مَعَكُمَآ أَسْمَعُ وَأَرَىٰ ﴿٤٦﴾﴾ [طه:٤٥-٤٦] .

وذلك أنه في سورة طه كان الخوف شديداً من فرعون،فقال:﴿إِنَّنَا﴾؛ ولذا أجابهم الله تعالى بالتأكيد نفسه: ﴿إِنَّنِى مَعَكُمَآ﴾ بإثبات النون لتأكيد المعية ربطاً للقلب ودفعاً للخوف .

أمثلة على الغرض الثاني:

المثال الأول:[(آية هود ٦٢) و(إبراهيم ٩)].

في آية هود قال: ﴿وَإِنَّنَا﴾، وفي آية إبراهيم قال: ﴿إِنَّا﴾؛ وذلك أنّ السياق يظهر الفرق بين المقامين، فآيات سورة هود تذكر تفاصيل الأقوام البائدين وقصصهم واحدة واحدة، ابتداء من قصة قوم نوح ثم قوم هود وقوم صالح وقوم إبراهيم وقوم لوط ومدين و قصة موسى مع فرعون .

أمّا آية إبراهيم فإنها بيان لموقف الأمم من الرسل عموماً على وجه الإجمال لا على وجه التفصيل، فأطال في مقام التفصيل (إننا)، وأوجز في مقام الإيجاز (إنا)، والله أعلم.

﴿ قَالَ فَإِنَّهَا مُحَرَّمَةٌ عَلَيْهِمْ أَرْبَعِينَ سَنَةً يَتِيهُونَ فِي الْأَرْضِ فَلَا تَأْسَ عَلَى الْقَوْمِ الْفَاسِقِينَ ﴿٢٦﴾ ﴾

السؤال الأول:

ما الفرق بين استخدام (الفاسقين والكافرين) في الآيتين ٢٦ و٦٨ من سورة المائدة؟

الجواب :

قال تعالى في سورة المائدة: ﴿ قَالَ فَإِنَّهَا مُحَرَّمَةٌ عَلَيْهِمْ أَرْبَعِينَ سَنَةً يَتِيهُونَ فِي الْأَرْضِ فَلَا تَأْسَ عَلَى الْقَوْمِ الْفَاسِقِينَ ﴿٢٦﴾ ﴾ وقال تعالى في نفس السورة: ﴿ قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لَسْتُمْ عَلَى شَيْءٍ حَتَّى تُقِيمُوا التَّوْرَاةَ وَالْإِنْجِيلَ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْكُمْ مِنْ رَبِّكُمْ وَلَيَزِيدَنَّ كَثِيرًا مِنْهُمْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ طُغْيَانًا وَكُفْرًا فَلَا تَأْسَ عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ ﴿٦٨﴾ ﴾ .

والفرق ظاهر؛ لأنّ الآية الأولى في الكلام مع موسى بخصوص قومه الذين امتنعوا عن القتال، فقال تعالى: ﴿قَالُوا يَا مُوسَى إِنَّا لَنْ نَدْخُلَهَا أَبَدًا مَا دَامُوا فِيهَا فَاذْهَبْ أَنْتَ وَرَبُّكَ فَقَاتِلَا إِنَّا هَاهُنَا قَاعِدُونَ ﴿٢٤﴾ ﴾ وقوم موسى ليسوا كفاراً، وإنما كانوا مؤمنين به، والله تعالى نزّل عليهم المنّ والسلوى، فبنو إسرائيل إذن ليسوا كفاراً، ولا يمكن أن يقال عنهم كافرون.

أمّا في الآية الثانية فالخطاب للرسول ﷺ في خطابه لأهل الكتاب: ﴿ قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لَسْتُمْ عَلَى شَيْءٍ حَتَّى تُقِيمُوا التَّوْرَاةَ وَالْإِنْجِيلَ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْكُمْ مِنْ رَبِّكُمْ وَلَيَزِيدَنَّ كَثِيرًا مِنْهُمْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ طُغْيَانًا وَكُفْرًا فَلَا تَأْسَ عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ ﴿٦٨﴾ ﴾ فهؤلاء كفرة كما جاء في قوله

تعالى: ﴿وَلَيَزِيدَنَّ كَثِيرًا مِّنْهُم مَّآ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ طُغْيَٰنًا وَكُفْرًا﴾ ؛ ولهذا جاءت كلمة (الكافرين) في نهاية الآية.

السؤال الثاني:

قوله تعالى في الآية: ﴿يَتِيهُونَ﴾ فما كلمات منظومة التيه في القرآن؟

الجواب:

كلمات منظومة التيه هي:

تاه: ومنه التيه في الأرض (تيهان)، والتيه في العقيدة (تائه)، وهو المتحير الذي لا يعرف المكان الذي هو فيه، ولا كيف يتوجه فهو (تائه وتيهان).

ضاع: الضياع يكون بالإهمال وقلة الوعي، نحو قوله تعالى: ﴿أَضَاعُواْ ٱلصَّلَوٰةَ﴾ [مريم:٥٩] وفي آل عمران.

فقد: الفقدان هو زوال الشيء عنوة وهو عزيز، والفقد لا يكون إلا لعزيز، والضائع لا يعود، والمفقود يعود وقد لا يعود: (يوسف ٧٣).

ضلّ: الضلال هو الخروج عن طريق مستقيم واضح إلى طريق متعرج مجهول، وفي القرآن تطلق كلمة (ضلّ والضلال) على الكفر والشرك وتطلق على النسيان ﴿أَن تَضِلَّ إِحْدَىٰهُمَا﴾ [البقرة:٢٨٢] وعلى الخطأ البسيط ﴿إِنَّ أَبَانَا لَفِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ۝٨﴾ [يوسف:٨]

الضلال البعيد: كل ضلال بعيد في القرآن هو كفر وشرك، والضالون مخلدون في النار: (الشورى ١٨).

الضلال عن سواء السبيل: كان مؤمناً فتحيّر فارتد مشركاً، فهو من المرتدين: (البقرة ١٠٨).

الضلال المبين: هو آخر فرصة للضال قبل أنْ تأتيه العقوبة، وتطلق على الكافرين المشركين الخالدين في النار(مريم ٣٨).

❁❁❁❁

﴿ ۞ وَٱتۡلُ عَلَيۡهِمۡ نَبَأَ ٱبۡنَيۡ ءَادَمَ بِٱلۡحَقِّ إِذۡ قَرَّبَا قُرۡبَانٗا فَتُقُبِّلَ مِنۡ أَحَدِهِمَا وَلَمۡ يُتَقَبَّلۡ مِنَ ٱلۡأٓخَرِ قَالَ لَأَقۡتُلَنَّكَۖ قَالَ إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ ٱللَّهُ مِنَ ٱلۡمُتَّقِينَ ٢٧ ﴾

السؤال الأول:

كيف قال ربنا في الآية: ﴿إِذۡ قَرَّبَا قُرۡبَانٗا﴾، ولم يقل: (قربانين) وهما اثنان؟

الجواب:

أراد به الجنس فعُبّر عنه بلفظ المفرد، كقوله تعالى: ﴿وَٱلۡمَلَكُ عَلَىٰٓ أَرۡجَآئِهَاۚ﴾ [الحاقة:١٧] .

أو أنّ العرب تطلق الواحد وتريد الاثنين، كقوله تعالى: ﴿عَنِ ٱلۡيَمِينِ وَعَنِ ٱلشِّمَالِ قَعِيدٞ﴾ [ق:١٧] .

السؤال الثاني:

قوله تعالى: ﴿وَٱتۡلُ عَلَيۡهِمۡ نَبَأَ ٱبۡنَيۡ ءَادَمَ بِٱلۡحَقِّ﴾ [المائدة:٢٧] إلى الآية ﴿فَبَعَثَ ٱللَّهُ غُرَابًا يَبۡحَثُ فِي ٱلۡأَرۡضِ لِيُرِيَهُۥ كَيۡفَ يُوَٰرِي سَوۡءَةَ أَخِيهِۚ قَالَ يَٰوَيۡلَتَىٰٓ أَعَجَزۡتُ أَنۡ أَكُونَ مِثۡلَ هَٰذَا ٱلۡغُرَابِ فَأُوَٰرِيَ سَوۡءَةَ أَخِيۖ فَأَصۡبَحَ مِنَ ٱلنَّٰدِمِينَ ٣١﴾ [المائدة:٣١] وبعدها قال: ﴿مِنۡ أَجۡلِ ذَٰلِكَ كَتَبۡنَا عَلَىٰ بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ أَنَّهُۥ مَن قَتَلَ نَفۡسَۢا بِغَيۡرِ نَفۡسٍ أَوۡ فَسَادٖ فِي ٱلۡأَرۡضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ ٱلنَّاسَ جَمِيعٗا وَمَنۡ أَحۡيَاهَا فَكَأَنَّمَآ أَحۡيَا ٱلنَّاسَ جَمِيعٗاۚ وَلَقَدۡ جَآءَتۡهُمۡ رُسُلُنَا بِٱلۡبَيِّنَٰتِ ثُمَّ إِنَّ كَثِيرٗا مِّنۡهُم بَعۡدَ ذَٰلِكَ فِي ٱلۡأَرۡضِ لَمُسۡرِفُونَ ٣٢﴾ [المائدة:٣٢] ما الحكمة في ربط حالة أول قتل على الأرض ببني إسرائيل تحديداً، مع أن هناك أمماً كثيرة حصل فيها قتل؟

الجواب:

يقال أول كتاب نزل فيه تعظيم القتل بهذه الدرجة هو التوراة، وأمّا الكتب الأخرى فلم ينزل فيها، مع أنّ التوراة سُبقت بكتب أخرى؛ لأنّ بني إسرائيل كانوا أشد طغياناً وجرأة في قتل الأنبياء، كما في الآيات: ﴿وَيَقۡتُلُونَ ٱلۡأَنۢبِيَآءَ بِغَيۡرِ حَقّٖۚ﴾ [آل عمران:١١٢]: ﴿قُلۡ فَلِمَ تَقۡتُلُونَ أَنۢبِيَآءَ ٱللَّهِ مِن قَبۡلُ﴾ [البقرة:٩١] وأصبحت سمة عندهم ﴿وَيَقۡتُلُونَ ٱلۡأَنۢبِيَآءَ بِغَيۡرِ حَقّٖۚ﴾ [آل عمران:١١٢] فبسبب هذه الفعلة العظيمة (عدم تورعهم عن قتل الأنبياء) جاء التحذير الشديد، وبنو إسرائيل لا يزالون على طبيعتهم، وقد حاولوا قتل الرسول ﷺ ولهم مع المسلمين أمور كثيرة إلى آخر الزمان، الآن وفي المستقبل.

والله أعلم.

السؤال الثالث:

في آية المائدة ٢٧ قوله تعالى: ﴿فَتُقُبِّلَ مِنْ أَحَدِهِمَا وَلَمْ يُتَقَبَّلْ مِنَ الْآخَرِ﴾ لماذا قال تعالى في آية الأحقاف١٦: ﴿نَتَقَبَّلُ عَنْهُمْ أَحْسَنَ مَا عَمِلُوا﴾ ولم يقل: (منهم)؟

الجواب:

١ـ في القرآن يستعمل (مِن) مع الجهة التي يُتقبل منها والتي يصدر عنها العمل، بمعنى: نحن الجهة التي يصدر من عندنا قبول العمل، كما في قوله تعالى: ﴿وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَاهِيمُ الْقَوَاعِدَ مِنَ الْبَيْتِ﴾ [البقرة:١٢٧]

٢ـ وعندما يقول: (عنهم) فهو يتكلم عن العمل نفسه .

وفي الآية لمّا ذكر العمل الصادر عنهم: ﴿أُولَٰئِكَ الَّذِينَ نَتَقَبَّلُ عَنْهُمْ أَحْسَنَ مَا عَمِلُوا﴾ [الأحقاف:١٦] ذكر (عن) مع الشيء المتقبل في حد ذاته.

* شواهد قرآنية ﴿مِن﴾

ـ ﴿إِذْ قَالَتِ امْرَأَتُ عِمْرَانَ رَبِّ إِنِّي نَذَرْتُ لَكَ مَا فِي بَطْنِي مُحَرَّرًا فَتَقَبَّلْ مِنِّي﴾ [آل عمران:٣٥] .

ـ ﴿فَتُقُبِّلَ مِنْ أَحَدِهِمَا وَلَمْ يُتَقَبَّلْ مِنَ الْآخَرِ﴾ [المائدة:٢٧].

ـ ﴿قَالَ إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ اللَّهُ مِنَ الْمُتَّقِينَ (٢٧)﴾ [المائدة:٢٧].

ـ ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْ أَنَّ لَهُم مَّا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا وَمِثْلَهُ مَعَهُ لِيَفْتَدُوا بِهِ مِنْ عَذَابِ يَوْمِ الْقِيَامَةِ مَا تُقُبِّلَ مِنْهُمْ﴾ [المائدة:٣٦].

السؤال الرابع:

في آية المائدة ٢٧ تكرر فيها حرف (القاف) عشر مرات، فما دلالة ذلك؟

الجواب:

يشترط في فصاحة التركيب أنْ يَسْلَم من تنافر الكلمات مما يسبب ثقلها على السمع وعلى أدائها باللسان، مثال:

وقـــبرُ حـــربٍ بمكـــان قفـــرٍ   ولـــيس قـــربَ قـــبر حـــربٍ قبـــرُ

قارن ذلك مع قوله تعالى في آية المائدة ٢٧: ﴿وَٱتۡلُ عَلَيۡهِمۡ نَبَأَ ٱبۡنَيۡ ءَادَمَ بِٱلۡحَقِّ إِذۡ قَرَّبَا قُرۡبَانٗا فَتُقُبِّلَ مِنۡ أَحَدِهِمَا وَلَمۡ يُتَقَبَّلۡ مِنَ ٱلۡأٓخَرِ قَالَ لَأَقۡتُلَنَّكَۖ قَالَ إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ ٱللَّهُ مِنَ ٱلۡمُتَّقِينَ ٢٧﴾ [المائدة:٢٧]

فقد تكرر فيها حرف القاف عشر مرات، ومع ذلك تحمل السلاسة والعذوبة والبيان بالرغم من ثقل حرف القاف.

إنه النظم القرآني واختيار حروفه وكلماته وآياته، فسبحان الله منزل الكتاب.

❁❁❁❁

﴿فَطَوَّعَتۡ لَهُۥ نَفۡسُهُۥ قَتۡلَ أَخِيهِ فَقَتَلَهُۥ فَأَصۡبَحَ مِنَ ٱلۡخَٰسِرِينَ ٣٠﴾

السؤال الأول:

ما الفرق بين طوَّعت: ﴿فَطَوَّعَتۡ لَهُۥ نَفۡسُهُۥ قَتۡلَ أَخِيهِ فَقَتَلَهُۥ فَأَصۡبَحَ مِنَ ٱلۡخَٰسِرِينَ ٣٠﴾ [المائدة:٣٠] وسوَّلت ﴿وَكَذَٰلِكَ سَوَّلَتۡ لِي نَفۡسِي ٩٦﴾ [طه:٩٦] ﴿قَالَ بَلۡ سَوَّلَتۡ لَكُمۡ أَنفُسُكُمۡ أَمۡرٗاۖ﴾ [يوسف:١٨]؟

الجواب:

١ ـ (سولت) معناها زينت له، يقال: سولت له نفسه أي زينت له الأمر، ولا يحتاج ذلك إلى جهد .

٢ـ (طوّعت) أشد في المعنى، نحو: تطويع الحديد، ففيه جهد وشدة ومبالغة في الزمن، وكذلك في تطويع الوحوش وتذليلها، والطيور أيضاً تطويعها يحتاج إلى بذل جهد.

٣ـ التسويل لا يحتاج إلى مثل ذلك الجهد.

٤ـ لذا في قصة ابني آدم قال: ﴿فَطَوَّعَتْ لَهُۥ نَفْسُهُۥ قَتْلَ أَخِيهِ﴾ [المائدة:٣٠] كان يفكر هل يمكن أنْ يقدم على قتل أخيه، فاحتاج وقتاً لترويض نفسه ليفعل هذا الفعل، وهو ليس كأي تسويل أو تزيين، بحيث تفعل الشيء بسهولة وأنت مرتاح، فالتطويع يحتاج إلى جهد حتى تروض النفس وتهيء لها الأمر.

٥ـ وقوله تعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ سَوَّلَتْ لِي نَفْسِي ﴿٩٦﴾﴾ [طه:٩٦] في قصة السامري هنا بسهولة، وهذه أسهل من أنْ يقتل الواحد أخاه.

٦ـ لا يجوز في القرآن أن تأتي (طوعت) مكان (سولت)، أو العكس؛ لأن أحدهما أيسر من الآخر.

السؤال الثاني:

قوله تعالى في الآية: ﴿فَطَوَّعَتْ لَهُۥ نَفْسُهُۥ قَتْلَ أَخِيهِ﴾ لو قال الله تعالى: (فقتل أخاه) لعرفنا ما صنع، فلِمَ قال: ﴿فَطَوَّعَتْ لَهُۥ نَفْسُهُۥ قَتْلَ أَخِيهِ﴾ ولم يقتصر على قتل أخيه دون الفعل ﴿فَطَوَّعَتْ﴾؟

الجواب:

عبّر ربنا في قوله: ﴿فَطَوَّعَتۡ﴾ عن حدوث تردد في نفس قابيل ومغالبة بين دافع الحسد ودافع الخشية، فهذا الفعل ﴿فَطَوَّعَتۡ﴾ يدل على تردد طويل ثم إقدام على الفعل.

❋❋❋❋

﴿فَبَعَثَ ٱللَّهُ غُرَابًا يَبۡحَثُ فِي ٱلۡأَرۡضِ لِيُرِيَهُۥ كَيۡفَ يُوَٰرِي سَوۡءَةَ أَخِيهِۚ قَالَ يَٰوَيۡلَتَىٰٓ أَعَجَزۡتُ أَنۡ أَكُونَ مِثۡلَ هَٰذَا ٱلۡغُرَابِ فَأُوَٰرِيَ سَوۡءَةَ أَخِيۖ فَأَصۡبَحَ مِنَ ٱلنَّٰدِمِينَ ٣١﴾

السؤال الأول:

لِمَ أرسل الله تعالى الغراب ولم يرسل غيره من الطيور؟

الجواب:

ناسب بعث الغراب إلى قابيل من بين الطيور لما يصيب الناظر إلى سواده من انقباض، وهذا ما يصيب الخاسر، فالخاسر والآثم يصيبه انقباض في نفسه.

السؤال الثاني:

متى تستعمل (يا ويلتنا) و(يا ويلنا)؟

الجواب:

١- (الويل) هو الهلاك عموماً والعذاب والحزن والمشقة، و(الويلة) هي الفضيحة والخزي.

* شواهد قرآنية: الويل بمعنى الهلاك:

ـ ﴿وَيْلٌ لِّلْمُطَفِّفِينَ ﴿١﴾﴾ [المطففين:١]، ﴿وَيْلٌ لِّكُلِّ هُمَزَةٍ﴾ [الهُمَزة:١]، ﴿قَالُوا يَا وَيْلَنَا إِنَّا كُنَّا ظَالِمِينَ ﴿١٤﴾﴾ [الأنبياء:١٤]. الويل هو الهلاك.

ـ ﴿فَوَيْلٌ لِّلْمُصَلِّينَ ﴿٤﴾﴾ [الماعون:٤] هذا للهلاك.

٢ـ (الويلة) هي الفضيحة والخزي.

* شواهد قرآنية: الويلة بمعنى الفضيحة:

ـ ﴿قَالَتْ يَا وَيْلَتَىٰ أَأَلِدُ وَأَنَا عَجُوزٌ وَهَٰذَا بَعْلِي شَيْخًا ۖ إِنَّ هَٰذَا لَشَيْءٌ عَجِيبٌ ﴿٧٢﴾﴾ [هود:٧٢] قالت: يا ويلتى، ولم تقل: يا ويلي، المرأة تقول: يا ويلي وإذا أرادت الفضيحة تقول: يا ويلتي .

ويمكن أن تستعمل الاثنين بالمنادى :

واجعل مضافاً صحّ إن يُضف لِيَا كعبدِ عبدِي عبدَ عبدَا عبدِيا

(يا عبدي، يا عبدِ، يا عبدَ، عبدا، عبديا)خمسة أصناف للإضافة .

ـ ﴿قَالَتْ يَا وَيْلَتَىٰ أَأَلِدُ وَأَنَا عَجُوزٌ وَهَٰذَا بَعْلِي شَيْخًا ۖ إِنَّ هَٰذَا لَشَيْءٌ عَجِيبٌ ﴿٧٢﴾﴾ [هود:٧٢] يا للفضيحة، وهذا بعلي شيخاً .

ـ ﴿وَوُضِعَ الْكِتَابُ فَتَرَى الْمُجْرِمِينَ مُشْفِقِينَ مِمَّا فِيهِ وَيَقُولُونَ يَا وَيْلَتَنَا مَالِ هَٰذَا الْكِتَابِ لَا يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً إِلَّا أَحْصَاهَا ۚ وَوَجَدُوا مَا عَمِلُوا حَاضِرًا ۗ وَلَا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا ﴿٤٩﴾﴾ [الكهف:٤٩] أي سيفضحنا، وكل الأفعال التي فعلوها ستظهر يا للفضيحة، وهناك أعمال هم لا يحبون

أن يطلع عليها أحد وستفضحهم،فقال: ﴿يَوَيْلَتَنَا﴾ لأنّ فيها أعمالاً وخزياً وفضيحة، وهم يحبون أنْ يستروها.

ـ ورد على لسان ابني آدم: ﴿فَبَعَثَ ٱللَّهُ غُرَابًا يَبْحَثُ فِى ٱلْأَرْضِ لِيُرِيَهُۥ كَيْفَ يُوَٰرِى سَوْءَةَ أَخِيهِ ۚ قَالَ يَٰوَيْلَتَىٰٓ أَعَجَزْتُ أَنْ أَكُونَ مِثْلَ هَٰذَا ٱلْغُرَابِ فَأُوَٰرِىَ سَوْءَةَ أَخِى ۖ فَأَصْبَحَ مِنَ ٱلنَّٰدِمِينَ ﴿٣١﴾﴾ [المائدة:٣١] يا للفضيحة والخزي والعار؛ هذا الغراب فكّر أحسن مني.

السؤال الثالث:

ما الفرق بين الحسرة والندامة والتأسف؟

الجواب:

١ـ (الندم)هو جنس من أفعال القلوب يتعلق بفعل النادم دون غيره، وقد يندم على أمر وإنْ كان فواته ليس شديداً، والندم له درجات .

ـ في قصة ابني آدم قال: ﴿قَالَ يَٰوَيْلَتَىٰٓ أَعَجَزْتُ أَنْ أَكُونَ مِثْلَ هَٰذَا ٱلْغُرَابِ فَأُوَٰرِىَ سَوْءَةَ أَخِى ۖ فَأَصْبَحَ مِنَ ٱلنَّٰدِمِينَ ﴿٣١﴾﴾ [المائدة:٣١] هذا من الندم، لكن قد يبلغ الندم مبلغاً كبيراً.

- ﴿كَذَٰلِكَ يُرِيهِمُ ٱللَّهُ أَعْمَٰلَهُمْ حَسَرَٰتٍ عَلَيْهِمْ ۖ﴾ [البقرة:١٦٧] أي: منقطعة ولا فائدة من الرجوع مرة ثانية.

٢ـ (الحسرة) هي أشد الندم حتى ينقطع الإنسان من أنْ يفعل شيئاً، والحسير هو المنقطع في القرآن الكريم .

ـ ﴿ثُمَّ ٱرْجِعِ ٱلْبَصَرَ كَرَّتَيْنِ يَنقَلِبْ إِلَيْكَ ٱلْبَصَرُ خَاسِئًا وَهُوَ حَسِيرٌ ﴿٤﴾﴾ [المُلك:٤] حسير، أي: منقطع.

والحسرة هي أشد الندم بحيث ينقطع الإنسان عن أن يفعل شيئاً ينفعه، وقوله تعالى: ﴿يَٰحَسۡرَةً عَلَى ٱلۡعِبَادِۚ﴾ [يس:٣٠] هذه أكبر الحسرات على الإنسان وليس هناك أكبر منها. ويقولون: الحسير من الدواب الذي لا منفعة فيه .

٣ـ (الأسف) يكون على الفائت من فعلك وفعل غيرك، والآسف هو الغضبان؛ لقوله تعالى: ﴿فَلَمَّآ ءَاسَفُونَا ٱنتَقَمۡنَا مِنۡهُمۡ﴾ [الزُّخرُف:٥٥] أي: أغضبونا، وللعلم فإن استعمال(الغضب) في صفات الله مجاز وحقيقته إيجاب العقاب للمغضوب عليه.

السؤال الرابع:

قوله تعالى في الآية: ﴿يَٰوَيۡلَتَىٰٓ﴾ لِمَ عبّر قابيل عن فظاعة جرمه بنداء الاستغاثة ﴿يَٰوَيۡلَتَىٰٓ﴾، ولم يقل يا أسفاه أو واحزناه؟

الجواب:

لأنه بفعله هذا قد استحق الويل والثبور، ولن يفيده الأسف والكمد والحزن .

﴿مِنْ أَجْلِ ذَٰلِكَ كَتَبْنَا عَلَىٰ بَنِي إِسْرَاءِيلَ أَنَّهُۥ مَن قَتَلَ نَفْسًا بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِي ٱلْأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ ٱلنَّاسَ جَمِيعًا وَمَنْ أَحْيَاهَا فَكَأَنَّمَآ أَحْيَا ٱلنَّاسَ جَمِيعًا ۚ وَلَقَدْ جَآءَتْهُمْ رُسُلُنَا بِٱلْبَيِّنَٰتِ ثُمَّ إِنَّ كَثِيرًا مِّنْهُم بَعْدَ ذَٰلِكَ فِي ٱلْأَرْضِ لَمُسْرِفُونَ ﴿٣٢﴾﴾

السؤال الأول:

ما الفرق بين نسبة الرسل إلى الله تعالى في آية المائدة ٣٢: ﴿وَلَقَدْ جَآءَتْهُمْ رُسُلُنَا بِٱلْبَيِّنَٰتِ﴾ ونسبتهم إليهم في آية الأعراف ١٠١: ﴿وَلَقَدْ جَآءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ﴾؟

الجواب :

١ـ عندما يذكر الأحكام التي تأتي عن الله تعالى يقول: ﴿رُسُلُنَا﴾ كقوله تعالى في آية المائدة ٣٢ ﴿مِنْ أَجْلِ ذَٰلِكَ كَتَبْنَا عَلَىٰ بَنِي إِسْرَاءِيلَ أَنَّهُۥ مَن قَتَلَ نَفْسًا بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِي ٱلْأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ ٱلنَّاسَ جَمِيعًا وَمَنْ أَحْيَاهَا فَكَأَنَّمَآ أَحْيَا ٱلنَّاسَ جَمِيعًا ۚ وَلَقَدْ جَآءَتْهُمْ رُسُلُنَا بِٱلْبَيِّنَٰتِ ثُمَّ إِنَّ كَثِيرًا مِّنْهُم بَعْدَ ذَٰلِكَ فِي ٱلْأَرْضِ لَمُسْرِفُونَ ﴿٣٢﴾﴾ هذه جاءت عن الله تعالى وذكر فيها أحكاماً.

٢ـ وعندما يتكلم بما يتعلق بموقف القرى من الرسل وما أصابهم من سوء يقول: رسلهم. كقوله تعالى في آية الأعراف ١٠١: ﴿تِلْكَ ٱلْقُرَىٰ نَقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنۢبَآئِهَا ۚ وَلَقَدْ جَآءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ فَمَا كَانُوا۟ لِيُؤْمِنُوا۟ بِمَا كَذَّبُوا۟ مِن قَبْلُ ۚ كَذَٰلِكَ يَطْبَعُ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿١٠١﴾﴾

وفيها يتكلم عن موقف القوم من الرسل، وكان عليهم أنْ ينتفعوا بالرسل بدل تكذيبهم.

وهم في الحالتين رسل، لكن عندما يتكلم عما جاء به عن الله تعالى يقول: ﴿رُسُلَنَا﴾ وعندما يذكر موقفهم وما أصابهم وكان يمكن الانتفاع بهم يذكر ﴿رُسُلُهُم﴾ [يونس:١٣] أي: جماعتهم.

السؤال الثاني:

ما دلالة ﴿أَوۡ فَسَادٖ﴾ في آية سورة المائدة ﴿مَن قَتَلَ نَفۡسَۢا بِغَيۡرِ نَفۡسٍ أَوۡ فَسَادٖ فِي ٱلۡأَرۡضِ﴾؟

الجواب:

كلمة ﴿أَوۡ فَسَادٖ﴾ معطوفة على ﴿بِغَيۡرِ نَفۡسٍ﴾ بمعنى (أو بغير فساد) أي: قتل النفس بغير أن تُفسد في الأرض لا يجوز.

السؤال الثالث:

في قوله تعالى في الآية: ﴿ثُمَّ إِنَّ كَثِيرٗا مِّنۡهُم بَعۡدَ ذَٰلِكَ فِي ٱلۡأَرۡضِ لَمُسۡرِفُونَ ٣٢﴾ لِمَ قدّم ﴿فِي ٱلۡأَرۡضِ﴾ على قوله: ﴿لَمُسۡرِفُونَ ٣٢﴾؟

ليلفت نظرنا إلى عِظَم الفساد، فهم يفسدون في الأرض التي بها حياتنا والنفس تنفر من إفساد ما به صلاحها.

﴿إِنَّمَا جَزَٰٓؤُاْ ٱلَّذِينَ يُحَارِبُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَيَسۡعَوۡنَ فِي ٱلۡأَرۡضِ فَسَادًا أَن يُقَتَّلُوٓاْ أَوۡ يُصَلَّبُوٓاْ أَوۡ تُقَطَّعَ أَيۡدِيهِمۡ وَأَرۡجُلُهُم مِّنۡ خِلَٰفٍ أَوۡ يُنفَوۡاْ مِنَ ٱلۡأَرۡضِۚ ذَٰلِكَ لَهُمۡ خِزۡيٞ فِي ٱلدُّنۡيَاۖ وَلَهُمۡ فِي ٱلۡأٓخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ ٣٣﴾

السؤال الأول:

ما سبب تقديم وتأخير ﴿خِزۡيٞ﴾ في آية سورة المائدة ٣٣: ﴿ذَٰلِكَ لَهُمۡ خِزۡيٞ فِي ٱلدُّنۡيَاۖ وَلَهُمۡ فِي ٱلۡأٓخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ وآية المائدة ٤١: ﴿لَهُمۡ فِي ٱلدُّنۡيَا خِزۡيٞۖ وَلَهُمۡ فِي ٱلۡأٓخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٞ ٤١﴾؟

الجواب:

١ـ غيّر نظام الجملة لأجل المعنى.

٢ـ في آية سورة المائدة رقم ٣٣ ذكر عقوبات منظورة؛ فهي مُخزية: يعني هم يحملون خزيهم ظاهراً أمام الناس فقدّم الخزي.

قال تعالى: ﴿إِنَّمَا جَزَٰٓؤُاْ ٱلَّذِينَ يُحَارِبُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَيَسۡعَوۡنَ فِي ٱلۡأَرۡضِ فَسَادًا أَن يُقَتَّلُوٓاْ أَوۡ يُصَلَّبُوٓاْ أَوۡ تُقَطَّعَ أَيۡدِيهِمۡ وَأَرۡجُلُهُم مِّنۡ خِلَٰفٍ أَوۡ يُنفَوۡاْ مِنَ ٱلۡأَرۡضِۚ ذَٰلِكَ لَهُمۡ خِزۡيٞ فِي ٱلدُّنۡيَاۖ وَلَهُمۡ فِي ٱلۡأٓخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ ٣٣﴾ وكلمة الخزي مقاربة؛ لأنه منظور إليهم فيُرى هذا.

٣ـ بينما آية المائدة رقم ٤١ أجّلت عقوباتهم فتأخرت كلمة الخزي. قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ لَا يَحۡزُنكَ ٱلَّذِينَ يُسَٰرِعُونَ فِي ٱلۡكُفۡرِ مِنَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ ءَامَنَّا بِأَفۡوَٰهِهِمۡ وَلَمۡ تُؤۡمِن قُلُوبُهُمۡۛ وَمِنَ ٱلَّذِينَ هَادُواْۛ سَمَّٰعُونَ لِلۡكَذِبِ سَمَّٰعُونَ لِقَوۡمٍ ءَاخَرِينَ لَمۡ يَأۡتُوكَۖ يُحَرِّفُونَ ٱلۡكَلِمَ مِنۢ بَعۡدِ مَوَاضِعِهِۦۖ يَقُولُونَ إِنۡ أُوتِيتُمۡ هَٰذَا فَخُذُوهُ وَإِن لَّمۡ تُؤۡتَوۡهُ فَٱحۡذَرُواْۚ وَمَن يُرِدِ ٱللَّهُ فِتۡنَتَهُۥ فَلَن تَمۡلِكَ لَهُۥ مِنَ ٱللَّهِ شَيۡـًٔاۚ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ لَمۡ يُرِدِ ٱللَّهُ أَن يُطَهِّرَ قُلُوبَهُمۡۚ لَهُمۡ فِي ٱلدُّنۡيَا خِزۡيٞۖ وَلَهُمۡ فِي ٱلۡأٓخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٞ ﴿٤١﴾﴾ والآية في المنافقين ثم الذين هادوا، وأخّر كلمة (خزي)؛ لأنه لا توجد عقوبات.

٤ـ و هذه اللمسات البيانية هي من دلائل نبوة محمد ﷺ؛ لأنّ الآيات متباعدة والسور متباعدة، لكننا نجد النظام واحداً، التقديم والتأخير والفاصلة كل ذلك من أجل المعنى.

السؤال الثاني:

ما دلالة الفعل المضارع ﴿وَيَسۡعَوۡنَ﴾ في الآية؟

الجواب:

١ـ الفعل المضارع له أزمنة كثيرة، فقد يكون للماضي أو للحال أو الاستمرار أو الاستقبال، فهو إذن له زمن متّسع اتساعاً كبيراً، وهنا في الآية استعمل للمزاولة وليس بالضرورة ما كان في المستقبل فقط، ولو قال: (سعوا) لاحتمل أنْ يكون هذا الساعي تاب ولا يقام عليه هذا الأمر، لكنّ الذي هو مستمر هو الذي يُقام عليه الأمر.

٢ـ وقد ورد هذا الفعل ﴿وَيَسْعَوْنَ﴾ بصيغة المضارع في القرآن في الآيات الثلاث التالية:

آ ـ في آية سورة المائدة ٣٣: ﴿إِنَّمَا جَزَٰٓؤُاْ ٱلَّذِينَ يُحَارِبُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَيَسْعَوْنَ فِى ٱلْأَرْضِ فَسَادًا أَن يُقَتَّلُوٓاْ أَوْ يُصَلَّبُوٓاْ أَوْ تُقَطَّعَ أَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُم مِّنْ خِلَٰفٍ أَوْ يُنفَوْاْ مِنَ ٱلْأَرْضِ ۚ ذَٰلِكَ لَهُمْ خِزْىٌ فِى ٱلدُّنْيَا ۖ وَلَهُمْ فِى ٱلْءَاخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿٣٣﴾﴾ .

ب ـ ﴿وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ يَدُ ٱللَّهِ مَغْلُولَةٌ ۚ غُلَّتْ أَيْدِيهِمْ وَلُعِنُواْ بِمَا قَالُواْ ۘ بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ يُنفِقُ كَيْفَ يَشَآءُ ۚ وَلَيَزِيدَنَّ كَثِيرًا مِّنْهُم مَّآ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ طُغْيَٰنًا وَكُفْرًا ۚ وَأَلْقَيْنَا بَيْنَهُمُ ٱلْعَدَٰوَةَ وَٱلْبَغْضَآءَ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ ۚ كُلَّمَآ أَوْقَدُواْ نَارًا لِّلْحَرْبِ أَطْفَأَهَا ٱللَّهُ ۚ وَيَسْعَوْنَ فِى ٱلْأَرْضِ فَسَادًا ۚ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ ٱلْمُفْسِدِينَ ﴿٦٤﴾﴾ [المائدة: ٦٤] .

ج ـ ﴿وَٱلَّذِينَ يَسْعَوْنَ فِىٓ ءَايَٰتِنَا مُعَٰجِزِينَ أُوْلَٰٓئِكَ فِى ٱلْعَذَابِ مُحْضَرُونَ ﴿٣٨﴾﴾ [سبأ: ٣٨].

السؤال الثالث:

قوله تعالى في الآية: ﴿يُحَارِبُونَ ٱللَّهَ﴾ من الذي يحارب الله؟ وهل يستطيع الإنسان محاربة ربه تعالى الله عن ذلك؟

الجواب:

(يحاربون الله) أراد يحاربون شرعه ويعتدون على أحكامه، وأمّا الله فلا قدرة لأحد على محاربته، ولكنْ جعل الله محاربة شرعه محاربة له عزّ وعلا؛ لتشنيع هذا الفعل منهم.

السؤال الرابع:

لماذا قدّم الخزي على الدنيا في آية المائدة٣٣، فقال: ﴿لَهُمْ خِزْىٌ فِى ٱلدُّنْيَا ۖ﴾ وأخّره عنها في آية البقرة ١١٤ وآية الحج ٩، فقال: ﴿لَهُۥ فِى ٱلدُّنْيَا خِزْىٌ ۖ﴾ [الحج: ٩]؟

الجواب:

١ـ إنّ الخزي المذكور في آية المائدة أظهر للعيان مما في آيتي البقرة والحج، وهو ثابت لا يزول، بخلاف ما في آيتي البقرة والحج، فإنه غير ظاهر ذلك الظهور ولا ثابت ذلك الثبات.

فقد ذكر في آية البقرة أنهم لا يدخلون المساجد إلا خائفين، فالخوف قرين الدخول، فإذا انتفى الدخول انتفى الخوف.

ثم إنّ الخوف أمر قلبي غير ظاهر للعيان؛ لذلك فالخزي المذكور في آية المائدة أظهر وأشد .

٢ـ وفي آية الحج: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يُجَٰدِلُ فِي ٱللَّهِ بِغَيۡرِ عِلۡمٖ وَلَا هُدٗى وَلَا كِتَٰبٖ مُّنِيرٖ ۝٨ ثَانِيَ عِطۡفِهِۦ لِيُضِلَّ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِۖ لَهُۥ فِي ٱلدُّنۡيَا خِزۡيٞۖ وَنُذِيقُهُۥ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ عَذَابَ ٱلۡحَرِيقِ ۝٩﴾ [الحج:٨-٩] ولم يذكر الخزي الذي سيلحقهم في الدنيا.

٣ـ بينما التقتيل والتصليب وقطع الأيدي والأرجل من خلاف، والنفي من الأرض أظهر خزياً وأشد عقوبة في الدنيا، فناسب تقديمه في آية المائدة .

والله أعلم.

﴿ إِلَّا ٱلَّذِينَ تَابُواْ مِن قَبۡلِ أَن تَقۡدِرُواْ عَلَيۡهِمۡۖ فَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ غَفُورٞ رَّحِيمٞ ٣٤ ﴾

السؤال الأول:

ما دلالة قوله تعالى: ﴿فَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ غَفُورٞ رَّحِيمٞ ٣٤﴾ حيث ابتدأت الآية بقوله: ﴿فَٱعۡلَمُوٓاْ﴾؟

الجواب:

الآية ابتدأت الآية بقوله: ﴿فَٱعۡلَمُوٓاْ﴾ ولم يقل: فإنّ الله غفور رحيم، دون الفعل (اعلموا)؛ نظراً لاستعظام الإنسان هذا العفو رغم ما أتى به الجاني، فالفعل ﴿عَلِم﴾ أتى ليدلنا على أهمية الخبر.

❁❁❁❁

﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَوۡ أَنَّ لَهُم مَّا فِي ٱلۡأَرۡضِ جَمِيعٗا وَمِثۡلَهُۥ مَعَهُۥ لِيَفۡتَدُواْ بِهِۦ مِنۡ عَذَابِ يَوۡمِ ٱلۡقِيَٰمَةِ مَا تُقُبِّلَ مِنۡهُمۡۖ وَلَهُمۡ عَذَابٌ أَلِيمٞ ٣٦ ﴾

السؤال الأول:

قوله تعالى في الآية: ﴿مَّا فِي ٱلۡأَرۡضِ جَمِيعٗا وَمِثۡلَهُۥ مَعَهُۥ لِيَفۡتَدُواْ بِهِۦ﴾، لماذا قال: ﴿بِهِۦ﴾ ولم يقل: (بهما)؟

الجواب :

قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَوۡ أَنَّ لَهُم مَّا فِي ٱلۡأَرۡضِ جَمِيعٗا وَمِثۡلَهُۥ مَعَهُۥ لِيَفۡتَدُواْ بِهِۦ﴾ قال: ﴿بِهِۦ﴾ ولم يقل (بهما)، مع أنّ الهاء في ﴿بِهِۦ﴾ تعود على أمرين ﴿مَّا فِي ٱلۡأَرۡضِ جَمِيعٗا وَمِثۡلَهُۥ مَعَهُۥ﴾؛ لأنّ الضمير في ﴿بِهِۦ﴾ عائد إلى قوله: ﴿وَمِثۡلَهُۥ مَعَهُۥ﴾ ؛لأنّ ذلك المثل شمل ما في الأرض أيضاً، فلم تبق جدوى لفرض الافتداء بما في الأرض.

❁❁❁❁

﴿وَٱلسَّارِقُ وَٱلسَّارِقَةُ فَٱقۡطَعُوٓاْ أَيۡدِيَهُمَا جَزَآءَۢ بِمَا كَسَبَا نَكَٰلٗا مِّنَ ٱللَّهِۗ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٞ ٣٨﴾

السؤال الأول:

ما دلالة استخدام ﴿وَٱللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٞ ٣٨﴾ في آية سورة المائدة؟

الجواب:

قال تعالى في سورة المائدة: ﴿وَٱلسَّارِقُ وَٱلسَّارِقَةُ فَٱقۡطَعُوٓاْ أَيۡدِيَهُمَا جَزَآءَۢ بِمَا كَسَبَا نَكَٰلٗا مِّنَ ٱللَّهِۗ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٞ ٣٨﴾ ولم يقل: (والله غفور رحيم)؛ لأنه تعالى لو قال: (غفور رحيم) لدلَّ على أنه ما قطع، ولكنه تعالى عزّ فحَكَمَ فقَطَع .

السؤال الثاني:

ما دلالة الجمع في قوله تعالى: ﴿فَٱقۡطَعُوٓاْ أَيۡدِيَهُمَا﴾ ولم يقل: يديهما؟ وهل أقل الجمع اثنين؟

الجواب:

هذا سؤال لغوي نحوي، وقوله تعالى: ﴿وَٱلسَّارِقُ وَٱلسَّارِقَةُ فَٱقْطَعُوٓاْ أَيْدِيَهُمَا جَزَآءًۢ بِمَا كَسَبَا نَكَٰلًا مِّنَ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٣٨﴾﴾ لم يقل (يديهما)؛ لأنّ الأفصح في اللغة جمع المضاف إذا أضيف المثنى إلى متضمنه.

السارق والسارقة اثنان، وهما مذكوران في الآية، واليد متضمنة في الشخصين، فلم يقل (يديهما) وإنما قال: (أيديهما) بالجمع، والعرب تقول: أكلت رؤوس الكبشين (لا رأسي الكبشين). وتقول: (ظهور الترسين) ظهور جمع و(الترسين) مثنى، وهذاهو الأفصح في اللغة، وهذا مقرر في كتب اللغة وكتب النحو. وهذا يرد كثيراً في اللغة إذا أضيف المثنى إلى متضمَّنه فالأفصح جمع المضاف .

وقد ورد ذلك في القرآن في أكثر من موطن، كقوله تعالى: ﴿صَغَتْ قُلُوبُكُمَا﴾ [التحريم:٤] ﴿فَٱقْطَعُوٓاْ أَيْدِيَهُمَا﴾ [المائدة:٣٨].

السؤال الثالث:

في آية المائدة ٣٨ قدّم السارق على السارقة، وفي آية النور ٢ قدم الزانية على الزاني، فلماذا؟

الجواب:

١ـ قد يكون التقديم والتأخير بحسب الكثرة والقلة، كما هو الحال في هذا السؤال .

٢ـ في آية المائدة قدّم السارق على السارقة؛ لأنّ السرقة في الذكور أكثر وهي مظنة فعل الرجال .

٣ـ في آية النور قدم الزانية على الزاني ؛ لأنّ الزنى فيهن أكثر وهو مظنة فعل النساء، ألا ترى أنّ قسماً من النساء يحترفن هذه الفعلة الفاحشة؟ وأنّ الزنى الأصل فيه المرأة لما يبدو منها من الإيماض والإطماع والكلام؛ ولأنّ مفسدته تتحقق بالاضافة لها .

وقوله تعالى في آية النور ٢: ﴿فَٱجۡلِدُواْ﴾ ولم يقل: فاضربوا؛ للإشارة إلى أنّ الغرض من الحد الإيلام، بحيث يصل ألمه إلى الجلد ردعاً له وزجراً .

السؤال الرابع:

قوله تعالى في الآية: ﴿جَزَآءَۢ بِمَا كَسَبَا﴾ ما دلالة الفعل (كسب) في اللغة والقرآن الكريم؟

الجواب:

الناحية اللغوية:

الفعل (كسب) ومشتقاته ورد في القرآن الكريم في ٦٧ آية، وفي المعاجم وفي متداول الناس أنّ الكسب بشكل عام هو طلب الرزق والربح والمال .

المعنى القرآني الاصطلاحي:

يستعمل القرآن هذا الفعل (كسب) في معنى مغاير تماماً، فهو يستعمله أحيانا بمعنى: اقتراف فعل السوء والقيام بالأعمال المنكرة. انظر الآيات: [المسد ١ـ٢ الروم ٤١ ـ الشورى ٣٠ ـ المائدة ٣٨].

لماذا اختص الله تعالى هذه الكلمة بهذا المعنى؟

أهو تحذير للإنسان من الانخداع بهذه الحياة الدنيا؟ !!!.

أهو تنبيه من الله على أنّ الكسب مقترن بهوى النفس، والنفس تميل غالباً إلى اقتراف الإثم، ما لم تردعها رقابة قلبية تذكرها بتقوى الله؟ !!!!

والنفس تميل إلى الكسب السريع في مجال المال وفي مجال المتعة الجسدية، فلعلّ الربط بين دلالة الكسب والإثم تذكير للمرء بعاقبة عمله، وربما يشفع لهذا الفهم قوله تعالى: ﴿لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا ٱكْتَسَبَتْ﴾ [البقرة:٢٨٦] حيث ذكرت الكسب معادلاً للاكتساب .

ولكأنما الأصل أن يكون الكسب طيباً، حيث ورد هذا المعنى في آية واحدة فقط في القرآن، وهي قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَنفِقُواْ مِن طَيِّبَٰتِ مَا كَسَبْتُمْ﴾ [البقرة:٢٦٧] .

أَوَلا يستدعي هذا الاستعمال القرآني لكلمة (كسب) مزيداً من التأمل والبحث، عسى أن تنكشف للمرء أسرار جديدة وحكم بالغة !!!!!!

❁❁❁❁

﴿ أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ ٱللَّهَ لَهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ يُعَذِّبُ مَن يَشَآءُ وَيَغْفِرُ لِمَن يَشَآءُ ۗ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿٤٠﴾ ﴾

السؤال الأول:

ما دلالة تقديم وتأخير ﴿وَيَغْفِرُ﴾ في قوله تعالى: ﴿لِّلَّهِ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ۗ وَإِن تُبْدُواْ مَا فِىٓ أَنفُسِكُمْ أَوْ تُخْفُوهُ يُحَاسِبْكُم بِهِ ٱللَّهُ ۖ فَيَغْفِرُ لِمَن يَشَآءُ وَيُعَذِّبُ مَن يَشَآءُ ۗ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿٢٨٤﴾﴾ [البقرة:٢٨٤] ﴿ أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ ٱللَّهَ لَهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ يُعَذِّبُ مَن يَشَآءُ وَيَغْفِرُ لِمَن يَشَآءُ ۗ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿٤٠﴾﴾ ؟

الجواب:

انظر الجواب في آية المائدة ١٨.

❁❁❁❁

﴿ ۞ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ لَا يَحۡزُنكَ ٱلَّذِينَ يُسَٰرِعُونَ فِي ٱلۡكُفۡرِ مِنَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ ءَامَنَّا بِأَفۡوَٰهِهِمۡ وَلَمۡ تُؤۡمِن قُلُوبُهُمۡۛ وَمِنَ ٱلَّذِينَ هَادُواْۛ سَمَّـٰعُونَ لِلۡكَذِبِ سَمَّـٰعُونَ لِقَوۡمٍ ءَاخَرِينَ لَمۡ يَأۡتُوكَۖ يُحَرِّفُونَ ٱلۡكَلِمَ مِنۢ بَعۡدِ مَوَاضِعِهِۦۖ يَقُولُونَ إِنۡ أُوتِيتُمۡ هَٰذَا فَخُذُوهُ وَإِن لَّمۡ تُؤۡتَوۡهُ فَٱحۡذَرُواْۚ وَمَن يُرِدِ ٱللَّهُ فِتۡنَتَهُۥ فَلَن تَمۡلِكَ لَهُۥ مِنَ ٱللَّهِ شَيۡـًٔاۚ أُوْلَـٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ لَمۡ يُرِدِ ٱللَّهُ أَن يُطَهِّرَ قُلُوبَهُمۡۚ لَهُمۡ فِي ٱلدُّنۡيَا خِزۡيٞۖ وَلَهُمۡ فِي ٱلۡأٓخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٞ ﴿٤١﴾ ﴾

السؤال الأول:

ما الفرق بين ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ﴾ [الأنفال:٦٤] و ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ﴾ [المائدة:٤١]؟

الجواب:

١ـ النبي أعم من الرسول، وكل رسول نبي وليس كل نبي رسولاً، والرسول هو الذي أمر بابلاغ الرسالة لقومه، بينما النبي قد يكون برسالة أو بدونها.

٢ـ الرسول من الرسالة والتبليغ حتى لو لم يكن نبياً: ﴿قَالَ إِنَّمَآ أَنَا۠ رَسُولُ رَبِّكِ لِأَهَبَ لَكِ غُلَٰمٗا زَكِيّٗا ﴿١٩﴾﴾ [مريم:١٩] فالرسول معه رسالة تبليغ وكُلّفَ بتبليغها.

٣ـ يستعمل القرآن ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ﴾ في التبليغ والدعوة إلى الله.

٤ـ يستعمل القرآن ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ﴾ [الأنفال:٦٤] في التبليغ والأمور الشخصية.

*** شواهد قرآنية:**

ـ ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ بَلِّغْ مَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ﴾ فالنبي أعم وقد يكون رسولاً، فقد يستعمل في جانب الرسالة والدعوة والتبليغ، وقد يستعمل في جانب آخر في الجانب الشخصي في غير التبليغ.

ـ ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ بَلِّغْ مَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ﴾ [المائدة:٦٧] تبليغ .

ـ ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ لَا يَحْزُنكَ ٱلَّذِينَ يُسَٰرِعُونَ فِى ٱلْكُفْرِ﴾ [المائدة:٤١] تبليغ.

ـ ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِىُّ حَرِّضِ ٱلْمُؤْمِنِينَ عَلَى ٱلْقِتَالِ﴾ [الأنفال:٦٥] تبليغ .

ـ ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِىُّ قُل لِّمَن فِىٓ أَيْدِيكُم مِّنَ ٱلْأَسْرَىٰٓ﴾ [الأنفال:٧٠] تبليغ .

ـ ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِىُّ جَٰهِدِ ٱلْكُفَّارَ وَٱلْمُنَٰفِقِينَ ﴾ [التوبة:٧٣] تبليغ .

ـ ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِىُّ قُل لِّأَزْوَٰجِكَ﴾ [الأحزاب:٢٨] تبليغ الأزواج .

ـ ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِىُّ لِمَ تُحَرِّمُ مَآ أَحَلَّ ٱللَّهُ لَكَ ﴾ [التحريم:١] هذا شيء شخصي بينه وبين أزواجه، إذن ﴿النبي﴾ عامة.

السؤال الثاني:

ما دلالة مناداة الله عز وجل لعبده محمد ﷺ في الآية: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ﴾ و﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ﴾ [الأنفال:٦٤] ولم يناد أحداً من رسله مثله، بل ناداهم بأسمائهم؟

الجواب:

أشرف من ناداهم الحق سبحانه وتعالى في كتابه الكريم هم رسلُه، لكننا نجد أنه نادى كل الرسل بمشخّصاتهم العَلَمية، نحو ﴿يَٰٓـَٔادَمُ﴾ [البقرة:٣٣] أي: بأسمائهم، والاسم لا يعطي وصفاً إلا تشخيص الذات بدون صفاتها .

فقد نادى الحق إبراهيم عليه السلام ﴿وَنَٰدَيۡنَٰهُ أَن يَٰٓإِبۡرَٰهِيمُ ١٠٤﴾ [الصافات:١٠٤] ونادى نوح عليه السلام بقوله: ﴿يَٰنُوحُ ٱهۡبِطۡ بِسَلَٰمٖ مِّنَّا﴾ [هود:٤٨] ونادى موسى عليه السلام بقوله: ﴿يَٰمُوسَىٰٓ إِنِّيٓ أَنَا ٱللَّهُ﴾ [القصص:٣٠] ونادى عيسى عليه السلام بقوله: ﴿يَٰعِيسَى ٱبۡنَ مَرۡيَمَ﴾ [المائدة:١١٠] .

كل الرسل ناداهم الحق بالمشخّص العَلَمي الذي لا يعطي إلا التشخيص ولكنّ رسول الله ﷺ ما ناداه باسمه أبداً، إنما ناداه بالوصف الزائد عن مشخصات الذات، فيقول: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ﴾ ويقول: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ﴾ [الأنفال:٦٤].

حقاً إنّ الجميع رسل، ولكنه سبحانه يريد أن يبلغنا أنّ محمداً ﷺ هو الرسول الذي جاء ناسخاً للكل ومؤمناً بالكل، وهو الذي يستحق النداء بالوصف الزائد عن مشخصات الذات: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ﴾ وهو الرسول الذي تقوم عليه الساعة ؛ ولذلك

نجد خطاب الحق لرسوله دائماً: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ﴾ أو ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ﴾ [الأنفال:٦٤] وهذا نوع من التكريم.

السؤال الثالث:

ما سبب تقديم وتأخير ﴿خِزۡيٌۖ﴾ في آية سورة المائدة ٣٣: ﴿ذَٰلِكَ لَهُمۡ خِزۡيٞ فِي ٱلدُّنۡيَاۖ وَلَهُمۡ فِي ٱلۡأٓخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ وآية سورة المائدة ٤١: ﴿لَهُمۡ فِي ٱلدُّنۡيَا خِزۡيٞۖ وَلَهُمۡ فِي ٱلۡأٓخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٞ ٤١﴾؟

الجواب:

انظر الجواب في آية المائدة ٣٣.

السؤال الرابع:

ما الفرق بين قوله تعالى: ﴿يُحَرِّفُونَ ٱلۡكَلِمَ عَن مَّوَاضِعِهِۦ﴾، وقوله تعالى: ﴿يُحَرِّفُونَ ٱلۡكَلِمَ مِنۢ بَعۡدِ مَوَاضِعِهِۦۖ﴾؟

الجواب:

انظر الجواب في آية المائدة ١٣.

﴿سَمَّٰعُونَ لِلۡكَذِبِ أَكَّٰلُونَ لِلسُّحۡتِۚ فَإِن جَآءُوكَ فَٱحۡكُم بَيۡنَهُمۡ أَوۡ أَعۡرِضۡ عَنۡهُمۡۖ وَإِن تُعۡرِضۡ عَنۡهُمۡ فَلَن يَضُرُّوكَ شَيۡـٔٗاۖ وَإِنۡ حَكَمۡتَ فَٱحۡكُم بَيۡنَهُم بِٱلۡقِسۡطِۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلۡمُقۡسِطِينَ ﴿٤٢﴾﴾

السؤال الأول:

ما الفرق بين (المقسطين) و(القاسطون) في آية المائدة ٤٢: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلۡمُقۡسِطِينَ﴾ وآية الجن ١٥: ﴿وَأَمَّا ٱلۡقَٰسِطُونَ فَكَانُواْ لِجَهَنَّمَ حَطَبٗا ﴿١٥﴾﴾؟

الجواب:

١ـ (القاسط) هو الجائر والظالم من (قَسَطَ) بمعنى جار وظلم، و(أقسط) بمعنى عَدَل وأزال القَسط، أي: الجور، فـ(المقسِط) هو العادل و(القاسط) هو الظالم الجائر، و(أقسط) هذه تسمى همزة السلب، أي: سلب المعنى إلى معنى آخر مثل: جار وأجار، جار ظلم، وأجار أزال الظلم .

٢ـ (القاسط) هو الجائر الظالم، و(القَسْط) بفتح القاف هو الجور والظلم بعكس (القِسط) بكسر القاف وهو العدل.

٣ـ هناك: قاسطون ومقسطون:

- ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلۡمُقۡسِطِينَ ﴿٤٢﴾﴾ [المائدة:٤٢] أي العادلون .

- ﴿وَأَمَّا ٱلۡقَٰسِطُونَ فَكَانُواْ لِجَهَنَّمَ حَطَبٗا ﴿١٥﴾﴾ [الجن:١٥] القاسطون الجائرون.

السؤال الثاني:

قوله تعالى: ﴿سَمَّـٰعُونَ لِلْكَذِبِ أَكَّـٰلُونَ لِلسُّحْتِ﴾ ما ﴿السحت﴾؟ وما دلالة كلمة ﴿شَيْـًٔا﴾ في الآية؟

الجواب:

السحت هو الحرام جميعه كالربا والرشوة وأكل مال اليتيم، وأصل السحت (سَحَته) إذا أتلفه واستأصله، وسمي به الحرام؛ لأنه لا يبارك فيه لصاحبه فهو مسحوت وممحوق.

وقوله تعالى في الآية: ﴿فَلَن يَضُرُّوكَ شَيْـًٔا﴾ استعمل الله كلمة ﴿شَيْـًٔا﴾ دون غيرها، وهو لفظ مبهم لا دلالة محددة له ونُكّر هذا اللفظ، فقال: ﴿شَيْـًٔا﴾ للتحقير والتقليل من الإيذاء، أي: لن يضروك بأي شيء مهما صَغُر وقلّ.

❁❁❁❁

﴿ إِنَّآ أَنزَلْنَا ٱلتَّوْرَىٰةَ فِيهَا هُدًى وَنُورٌ يَحْكُمُ بِهَا ٱلنَّبِيُّونَ ٱلَّذِينَ أَسْلَمُوا۟ لِلَّذِينَ هَادُوا۟ وَٱلرَّبَّـٰنِيُّونَ وَٱلْأَحْبَارُ بِمَا ٱسْتُحْفِظُوا۟ مِن كِتَـٰبِ ٱللَّهِ وَكَانُوا۟ عَلَيْهِ شُهَدَآءَ فَلَا تَخْشَوُا۟ ٱلنَّاسَ وَٱخْشَوْنِ وَلَا تَشْتَرُوا۟ بِـَٔايَـٰتِى ثَمَنًا قَلِيلًا وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْكَـٰفِرُونَ ﴿٤٤﴾ ﴾

السؤال الأول:

ما دلالة وصف الثمن بالقليل بقوله تعالى: ﴿ثَمَنًا قَلِيلًا﴾؟

الجواب :

(الثمن القليل) جاء حيثما ورد في الكلام عن حق الله سبحانه وتعالى، ومعنى ذلك أنّ العدوان على حق الله سبحانه وتعالى مهما بلغ فهو ثمن قليل. قال تعالى:

﴿فَلَا تَخْشَوُا النَّاسَ وَاخْشَوْنِ وَلَا تَشْتَرُوا بِآيَاتِي ثَمَنًا قَلِيلًا ۚ وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ ﴿٤٤﴾﴾ فحيثما ورد الكلام عن شراء هؤلاء لآيات الله سبحانه وتعالى وصفه بأنّ هذا الذي استلمتموه هو قليل لا يستطيع أحد أن يقابله بآيات الله سبحانه وتعالى، فكان لا بد من وصفه بالقليل.

وفي تسع آيات في القرآن الكريم وصف الثمن بأنه قليل؛ تحقيراً لشأنه وتهويناً من قدره، وهي تتحدث عن الشراء بثمن قليل: إمّا أن ينهاهم عن ذلك أو يثبته لهم بأنهم فعلوا ذلك، وما قبضوه قليل.

السؤال الثاني:

ما دلالة قوله تعالى في الآية: ﴿بِمَا اسْتُحْفِظُوا مِن كِتَابِ اللَّهِ﴾؟

الجواب:

هناك قصة لها مغزى، قال القاضي عياض: كان أبو الحسن بن المنتاب عند القاضي إسماعيل بن إسحق فسأله: لِمَ جاز التبديل أي: تبديل كلام الله على أهل التوراة ولم يجز على أهل القرآن؟ فقال: لأنّ الله تعالى قال في أهل التوراة : ﴿بِمَا اسْتُحْفِظُوا مِن كِتَابِ اللَّهِ﴾ فوكل الحفظ إليهم، وقال في القرآن: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ ﴿٩﴾﴾ [الحجر:٩] فتعهد الله بحفظه، فلم يجز التبديل على أهل القرآن .

السؤال الثالث:

ما دلالة اختلاف التعقيب في هذه الآيات مع أنّ أولها واحد: ﴿وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُولَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْكَٰفِرُونَ ﴿٤٤﴾﴾ ﴿وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُولَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿٤٥﴾﴾ ﴿وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُولَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ ﴿٤٧﴾﴾؟ وما الفرق بين: ﴿الظالمون والفاسقون والكافرون﴾؟

ومن المراد من الذين وصفهم الله بهذه الأوصاف الثلاثة؟ وما دلالة اختلاف التعقيب في هذه الآيات مع أنّ أولها واحد؟

الجواب:

أولا: (الظلم) هو مجاوزة الحد وأكثر ما يتعلق بالآخرين، و(الكفر) هو الخروج عن الملة، و(الفسق) هو الخروج عن طاعة الله تعالى، وهو أعم .

والظلم درجات، ومنها أخذ حقوق الغير، وأعلاها الكفر، قال تعالى: ﴿وَٱلْكَٰفِرُونَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿٢٥٤﴾﴾ [البقرة:٢٥٤] و ﴿إِنَّ ٱلشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ ﴿١٣﴾﴾ [لقمان:١٣] فالظلم إذن له مراتب أعلاها الكفر.

ثانياً: (الفسق) هو الخروج عن طاعة الله تعالى، وله مراتب مأخوذة من (فسقت الرطبة) أي خرجت من قشرتها: ﴿وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُوا۟ لِءَادَمَ فَسَجَدُوٓا۟ إِلَّآ إِبْلِيسَ كَانَ مِنَ ٱلْجِنِّ فَفَسَقَ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِۦٓ﴾ [الكهف:٥٠] أي: خرج عن الطاعة.

آ ـ الفسق مراتب: وكل كافر ظالم وليس كل ظالم كافراً، كما أنّ كل ظالم فاسق وليس كل فاسق ظالماً، وله مراتب حتى يصل إلى الكفر.

قال تعالى: ﴿كَانَ مِنَ ٱلْجِنِّ فَفَسَقَ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِۦٓ﴾ [الكهف:٥٠]: ﴿إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ هُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ ﴿٦٧﴾﴾ [التوبة:٦٧]: ﴿وَمَن كَفَرَ بَعْدَ ذَٰلِكَ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ ﴿٥٥﴾﴾ [النور:٥٥]: ﴿وَإِذَآ أَرَدْنَآ أَن نُّهْلِكَ قَرْيَةً أَمَرْنَا مُتْرَفِيهَا فَفَسَقُواْ فِيهَا﴾ [الإسراء:١٦] أي: خرجوا عن الطاعة.

ويستوي الظالم مع الفاسق في الخروج عن الطاعة، لكنّ الظلم أكثر ما يتعلق بالآخرين، والفسق أعمّ. وإبليس فاسق وبالفسق وصل إلى مرتبة الكفر.

ب ـ وأحياناً الفسق ليس فيه كفر، كما في آية البقرة ١٩٧ ﴿ٱلْحَجُّ أَشْهُرٌ مَّعْلُومَٰتٌ فَمَن فَرَضَ فِيهِنَّ ٱلْحَجَّ فَلَا رَفَثَ وَلَا فُسُوقَ وَلَا جِدَالَ فِي ٱلْحَجِّ﴾ .

ج ـ ربنا تعالى ذكر الحاكم الذي لا يحكم بما أنزل الله، ووصفه مرة بالكفر، كما في الآية ﴿وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْكَٰفِرُونَ ﴿٤٤﴾﴾ ومرة بالظلم: ﴿وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿٤٥﴾﴾ ومرة بالفسق: ﴿وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ ﴿٤٧﴾﴾ وهو لا يخرج عن واحد من هؤلاء.

وترتيب الصفات: (الظلم ثم الفسق ثم الكفر) فالذي لا يحكم بما أنزل الله هو قطعاً أحد هؤلاء .

وحتى تشمل جميع حالات ترك الحكم، فقد يكون الذي دعاه إلى أمر آخر لا يخرجه عن المِلّة، ولكن لسبب أقوى منه، لكنه في كل الحالات لا يخرج عن كونه إما فاسقاً أو ظالماً أو كافراً.

أهم النقاط في الآيات (٤٤:٤٧):

١ـ اليهود هم: كافرون، وهم: ظالمون؛ لعدم إعطائهم القصاص لصاحبه، وهم: فاسقون؛ لتركهم حكم الله عمداً مع اعتقاد الإيمان، فهم فاسقون.

٢ـ قوله تعالى في الآية ٤٤: ﴿يَحْكُمُ بِهَا ٱلنَّبِيُّونَ ٱلَّذِينَ أَسْلَمُوا۟﴾، وبالطبع جميع الأنبياء مسلمون، فما فائدة الصفة وهي معلومة؟

والجواب: هذا رد على الذين قالوا: ﴿إِنَّ إِبْرَٰهِـۧمَ وَإِسْمَٰعِيلَ وَإِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ وَٱلْأَسْبَاطَ كَانُوا۟ هُودًا أَوْ نَصَٰرَىٰ﴾ [البقرة:١٤٠] فكذَّبهم الله بقوله: ﴿ٱلَّذِينَ أَسْلَمُوا۟﴾ .

٣ـ في الآية (٤٤) قوله تعالى: ﴿وَلَا تَشْتَرُوا۟ بِـَٔايَٰتِى ثَمَنًا قَلِيلًا﴾، فناسب ﴿ٱلْكَٰفِرُونَ﴾ .

٤ـ في الآية (٤٥) قوله تعالى: ﴿ٱلنَّفْسَ بِٱلنَّفْسِ وَٱلْعَيْنَ بِٱلْعَيْنِ وَٱلْأَنفَ بِٱلْأَنفِ وَٱلْأُذُنَ بِٱلْأُذُنِ وَٱلسِّنَّ بِٱلسِّنِّ وَٱلْجُرُوحَ قِصَاصٌ﴾ أي: الأحكام بين الناس والمطلوب تطبيقها على الناس بدون محاباة، وإلا حصل الظلم للناس، فناسب ﴿ٱلظَّٰلِمُونَ﴾ .

٥ـ في الآية (٤٧) جاء قوله تعالى: ﴿ٱلْفَٰسِقُونَ﴾ ؛لأنّ الفسق أعم من الظلم، والفاسق أعمّ من الظالم، وليس بالضرورة أن يتعلق بظلمه للآخرين، فالإنسان إذا لم يصلِّ ولم يَصُمْ يكون ظالماً لنفسه، ويقال له: فاسق، وليس ظالماً بمعنى الظلم لغيره.

والرسول ﷺ كان يقول في دعائه: «**اللهم إني ظلمت نفسي ظلماً كثيرا**» وملكة سبأ قالت: ﴿قَالَتْ رَبِّ إِنِّى ظَلَمْتُ نَفْسِى﴾ [النمل:٤٤] وآدم وحواء عندما أكلا من الشجرة قالا: ﴿قَالَا رَبَّنَا ظَلَمْنَآ أَنفُسَنَا﴾ [الأعراف:٢٣] فالفسق أعمّ. وأهل الفقه هم الذين يرتبون هذه الصفات الثلاث.

السؤال الرابع:

قوله تعالى في آية المائدة ٤٤: ﴿أَنزَلْنَا ٱلتَّوْرَىٰةَ فِيهَا هُدًى وَنُورٌ﴾ ما دلالة كلمة ﴿وَنُورٌ﴾ وكلمة ﴿وَضِيَآءً﴾ [الأنبياء:٤٨]؟ وهل يمكن استخدام الضياء في آية النور٣٥ حيث إنّ الضياء أقوى؟

الجواب:

١ـ لغة: كلمة (النور) عامة و(الضياء) حالة من حالات النور، فالنور أعم من الضياء، والضياء حالة من حالات النور، فإنْ اشتد النور فهو ضياء وإن لم يشتد فهو نور، لذلك نقول: الشمس ضياء والقمر نور.

٢ـ هناك أنواع من النورلا نعرفها، كما في الحديث الشريف: «**المتحابون في الله على منابر من نور يوم القيامة**». وكذلك قوله تعالى: ﴿مُتَّكِـِٔينَ عَلَىٰ فُرُشٍۭ بَطَآئِنُهَا مِنْ إِسْتَبْرَقٍ﴾ [الرحمن:٥٤] قالوا: هذه البطائن، فما الظواهر؟ قالوا: هي من النور الجامد، وهذه حالة لا نعلمها.

لذلك نرى أنّ النور مطلق وأوسع من الضياء، والضياء حالة من النور.

٣ـ في آية النور (٣٥) هذا مثلٌ لتنوير الله للمنوَّر، وليس مثلاً لنور الله؛ لأنّ نور الله لا يُحد، وما نحيا به من نور الدنيا إنما هو من متعلقات نوره سبحانه، بدليل أنه في يوم القيامة لا تكون هناك شمس تنير ولا قمر يضيء إنما كما قال تعالى: ﴿وَأَشْرَقَتِ ٱلْأَرْضُ بِنُورِ رَبِّهَا﴾ [الزُّمَر:٦٩] وقوله: ﴿لَا يَرَوْنَ فِيهَا شَمْسًا وَلَا زَمْهَرِيرًا ﴿١٣﴾﴾ [الإنسان:١٣].

وفي الدنيا نعيش بالأسباب المخلوقة من الله تعالى لنا، أمّا في الآخرة فنعيش مع المسبب مباشرة.

٤ـ لذلك لا يصح أنْ نصف الله سبحانه بحالة جزئية، بل نصفه بـ (النور) فالله سبحانه مطلق ونصفه بالمطلق، والله هو النور المطلق والنور المطلق هو الله سبحانه.

٥ـ في القرآن الكريم تجد أنه استخدم (النور) للعموم و(الضياء) للخصوص، وكل كلمة عاشقة لمكانها، ويجب أن نتأمل في السياق ليتضح لنا الأمر.

٦ـ ورد في الحديث عن رسول الله ﷺ أنه قال: «**إن لله سبعين حجاباً من نور وظلمة لو كشفها لأحرقت سبحات وجهه كل ما أدرك بصره**» وفي بعض الروايات: سبع مئة، وفي بعضها: سبعون ألفاً. والله أعلم.

السؤال الخامس:

وصف الله تعالى التوراة مرة بأنها (ضياء)، ومرة بأنها (نور) كما في قوله تعالى:

ـ ﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَىٰ وَهَـٰرُونَ ٱلْفُرْقَانَ وَضِيَآءً وَذِكْرًا لِّلْمُتَّقِينَ ﴿٤٨﴾ ٱلَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُم بِٱلْغَيْبِ وَهُم مِّنَ ٱلسَّاعَةِ مُشْفِقُونَ ﴿٤٩﴾﴾ [الأنبياء:٤٨-٤٩].

ـ ﴿إِنَّآ أَنزَلْنَا ٱلتَّوْرَىٰةَ فِيهَا هُدًى وَنُورٌ ۚ يَحْكُمُ بِهَا ٱلنَّبِيُّونَ ٱلَّذِينَ أَسْلَمُوا۟ لِلَّذِينَ هَادُوا۟ وَٱلرَّبَّـٰنِيُّونَ وَٱلْأَحْبَارُ بِمَا ٱسْتُحْفِظُوا۟ مِن كِتَـٰبِ ٱللَّهِ وَكَانُوا۟ عَلَيْهِ شُهَدَآءَ ۚ﴾ [المائدة:٤٤].

ـ ﴿قُلْ مَنْ أَنزَلَ ٱلْكِتَـٰبَ ٱلَّذِى جَآءَ بِهِۦ مُوسَىٰ نُورًا وَهُدًى لِّلنَّاسِ ۖ تَجْعَلُونَهُۥ قَرَاطِيسَ تُبْدُونَهَا وَتُخْفُونَ كَثِيرًا ۖ وَعُلِّمْتُم مَّا لَمْ تَعْلَمُوٓا۟ أَنتُمْ وَلَآ ءَابَآؤُكُمْ ۖ قُلِ ٱللَّهُ ۖ ثُمَّ ذَرْهُمْ فِى خَوْضِهِمْ يَلْعَبُونَ ﴿٩١﴾﴾ [الأنعام:٩١].

والسؤال: لماذا وصف التوراة مرة بـ (النور) في آية المائدة٤٤ ومرة بـ (الضياء) في آية سورة الأنبياء ٤٨؟ ولماذا استخدم لفظة (نوراً) في آية الأنعام ٩١؟

الجواب :

١ ـ لغة: كلمة (النور) عامة و(الضياء) حالة من حالات النور، فالنور أعم من الضياء والضياء حالة من حالات النور، فإن اشتد النور فهو ضياء وإن لم يشتد فهو نور، لذلك نقول: الشمس ضياء، والقمر نور .

٢ـ جاء في آية الأنبياء ٤٩ : ﴿وَذِكْرًا لِّلْمُتَّقِينَ ﴿٤٨﴾ ٱلَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُم بِٱلْغَيْبِ وَهُم مِّنَ ٱلسَّاعَةِ مُشْفِقُونَ﴾ وهؤلاء هم (المتقون)، وهم في حالة من حالات النور، بينما جاء في آية المائدة ٤٤ قوله تعالى: ﴿لِلَّذِينَ هَادُوا۟﴾، وهم طبقة عامة من المؤمنين.

والسؤال: أيهما أعم: (الذين هادوا) أم المتقون؟ بالطبع الذين هادوا طبقة عامة من المؤمنين، أمّا (المتقون) فهم طبقة مخصوصة منهم وهي أعلى المذكورين .

لذلك جاء وصف النور مع الأعم: آية المائدة ٤٤، ووصف الضياء مع الخصوص: آية الأنبياء ٤٨، فناسب العموم للعموم والخصوص للخصوص.

٣ـ آية الأنعام ٩١: جاء فيها عن التوراة قوله تعالى: ﴿قُلْ مَنْ أَنزَلَ ٱلْكِتَٰبَ ٱلَّذِى جَآءَ بِهِۦ مُوسَىٰ نُورًا وَهُدًى لِّلنَّاسِ﴾، فلما قال: ﴿لِّلنَّاسِ﴾ أي: هو للعموم وأعم من المتقين، فناسب استخدام (النور). والله أعلم.

السؤال السادس:

قوله تعالى في ختام آية المائدة ٤٤: ﴿فَأُوْلَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْكَـٰفِرُونَ ﴿٤٤﴾﴾ وجاء بضمير الفصل ﴿هُمُ﴾ وكرر نفس الموضوع في آيتي المائدة[٤٥-٤٧]فما معنى ضمير الفصل؟

الجواب :

١- ضمير الفصل قالوا: أنه يفصل الخبر عن المبتدأ، وهذا أصل التسمية، وذلك حتى يعلم أنّ الذي بعده خبر وليس صفة، لأنه أحياناً يأتي للسائل أن هذا صفة وبعده خبر .

٢- قولك مثلاً: هذا القصص الحق، يحتمل أنْ يكون القصص صفة، لذلك فيها التباس .

فإذا أردنا أنْ نجعل القصص هو الخبر وليس الصفة نقول: هذا هو القصص الحق، والحق تكون صفة .

وإذا أردنا أنْ نقرر حتماً أنّ القصص ليس خبراً نقول: هذا القصص هو الحق فيكون الحق هنا خبر للقصص.

٣- ضمير الفصل في الغالب يفيد القصر الحقيقي أو الادعائي (تدعي أن فلاناً شاعر مثلاً وهو ليس بشاعر) أو التوكيد.وأهم أغراضه:

١- الإعلام أن ما بعده خبر لا تابع .

٢- الاختصاص والقصر: ﴿وَأُوْلَـٰٓئِكَ هُمْ وَقُودُ ٱلنَّارِ ﴿١٠﴾﴾ [آل عمران:١٠] ﴿فَأُوْلَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْكَـٰفِرُونَ ﴿٤٤﴾﴾ [المائدة:٤٤] ﴿وَأُوْلَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَـٰسِقُونَ ﴿٤﴾﴾ [النور:٤].

٣ـ التوكيد: وهو أنواع:

آـ توكيد القصر الحقيقي: ﴿إِنَّهُۥ هُوَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ٣٧﴾ [البقرة:٣٧].

ب ـ التوكيد على جهة المبالغة: ﴿أَلَآ إِنَّهُمْ هُمُ ٱلسُّفَهَآءُ﴾ [البقرة:١٣].

ج ـ توكيد معنى المقايسة، كقولك: الشاعر هو البحتري، وكقوله تعالى: ﴿وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْكَٰذِبُونَ ١٠٥﴾ [النحل:١٠٥] فالكاذبون كثيرون، ولكن هؤلاء أولى من يسمى بهذا الاسم.

د ـ توكيد معنى الكمال ﴿إِنَّكَ أَنتَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ﴾ [البقرة:١٢٧] .

السؤال السابع:

قوله تعالى في الآية ٤٤: ﴿يَحْكُمُ بِهَا ٱلنَّبِيُّونَ ٱلَّذِينَ أَسْلَمُوا۟﴾ بالطبع جميع الأنبياء مسلمون. فما فائدة الصفة وهي معلومة؟

هذا رد على الذين قالوا: ﴿إِنَّ إِبْرَٰهِۦمَ وَإِسْمَٰعِيلَ وَإِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ وَٱلْأَسْبَاطَ كَانُوا۟ هُودًا أَوْ نَصَٰرَىٰ﴾ [البقرة:] فكذَّبهم الله بقوله: ﴿ٱلَّذِينَ أَسْلَمُوا۟﴾ .

قوله تعالى في آيتي المائدة ٣ و ٤٤: ﴿وَٱخْشَوْنِ﴾ بحذف الياء، بينما قال: ﴿وَٱخْشَوْنِى﴾ [البقرة:١٥٠] بذكر الياء في آية البقرة ١٥٠، فلماذا؟

الجواب:

انظر الجواب في آية البقرة رقم ١٥٠.

﴿ وَكَتَبْنَا عَلَيْهِمْ فِيهَآ أَنَّ ٱلنَّفْسَ بِٱلنَّفْسِ وَٱلْعَيْنَ بِٱلْعَيْنِ وَٱلْأَنفَ بِٱلْأَنفِ وَٱلْأُذُنَ بِٱلْأُذُنِ وَٱلسِّنَّ بِٱلسِّنِّ وَٱلْجُرُوحَ قِصَاصٌ ۚ فَمَن تَصَدَّقَ بِهِۦ فَهُوَ كَفَّارَةٌ لَّهُۥ ۚ وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّـٰلِمُونَ ﴿٤٥﴾ ﴾

السؤال الأول:

ما معنى قوله تعالى في الآية: ﴿ وَكَتَبْنَا عَلَيْهِمْ ﴾؟

الجواب :

قوله تعالى ﴿ وَكَتَبْنَا عَلَيْهِمْ ﴾ الكتابة هنا هي الفرض والتشريع، بدليل تعديته الفعل (كتبنا) بحرف الجر﴿عَلَيْهِمْ﴾ .

السؤال الثاني:

لِمَ اقتصرت الآية على هذه الأعضاء وهي: العين والأنف والأذن والسن، ولم تذكر غيرها؟

الجواب :

اقتصرت الآية على هذه الأعضاء دون غيرها؛ لأنّ القطع يكون غالباً عند التصادم والمضاربة بقصد قطع الرقبة، ولكن قد ينبو السيف عن طريق الرأس فيصيب بعض الأعضاء المتصلة به من عين أو أنف أو أذن أو سِنّ.

﴿ وَقَفَّيْنَا عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِم بِعِيسَى ٱبْنِ مَرْيَمَ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ ٱلتَّوْرَىٰةِ ۖ وَءَاتَيْنَٰهُ ٱلْإِنجِيلَ فِيهِ هُدًى وَنُورٌ وَمُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ ٱلتَّوْرَىٰةِ وَهُدًى وَمَوْعِظَةً لِّلْمُتَّقِينَ ﴿٤٦﴾ ﴾

السؤال الأول:

ما مدلول قوله تعالى: ﴿وَقَفَّيْنَا عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِم﴾ ما التقفية؟

الجواب:

١ـ التقفية هي الاتباع، ومأخوذة من (قفّاه) إذا أتى بعده، وهي مشتقة من القفا، أي: الظهر، ومثله (توجّه) مشتقاً من الوجه، و(تعقّب) مشتقاً من العقِب.

٢ـ أتى بكلمة (آثارهم)؛ ليدلنا على سرعة التقفية، فقد أرسل عيسى عقب زكريا كافل أمه مريم .

السؤال الثاني:

قوله تعالى في الآية: ﴿لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ﴾ ما مدلول ذلك؟

الجواب:

هو كناية عن تقدم التوراة عليه، أي: على الإنجيل، فنحن نقول للأمر الذي يتقدمنا: هو بين أيدينا.

السؤال الثالث:

في آية المائدة ٤٦ وصف الإنجيل: ﴿وَءَاتَيْنَٰهُ ٱلْإِنجِيلَ فِيهِ هُدًى وَنُورٌ﴾ ولم يقل ذلك في آية الحديد٢٧، فما السبب؟

الجواب:

آ ـ الهدى والنور هو عام في الكتب السماوية كلها .

ب ـ في الآية (٤٥)عندما ذكر التوراة ذكر بعض الأحكام فيها: ﴿وَكَتَبْنَا عَلَيْهِمْ فِيهَآ أَنَّ ٱلنَّفْسَ بِٱلنَّفْسِ وَٱلْعَيْنَ بِٱلْعَيْنِ وَٱلْأَنفَ بِٱلْأَنفِ وَٱلْأُذُنَ بِٱلْأُذُنِ وَٱلسِّنَّ بِٱلسِّنِّ وَٱلْجُرُوحَ قِصَاصٌ ۚ فَمَن تَصَدَّقَ بِهِۦ فَهُوَ كَفَّارَةٌ لَّهُۥ ۚ وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿٤٥﴾﴾ ثم جاء بعدها في الآية (٤٦) فذكر التوراة وذكر الإنجيل وذكر أنّ فيها هدى ونور: ﴿وَقَفَّيْنَا عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِم بِعِيسَى ٱبْنِ مَرْيَمَ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ ٱلتَّوْرَىٰةِ ۖ وَءَاتَيْنَٰهُ ٱلْإِنجِيلَ فِيهِ هُدًى وَنُورٌ﴾ فذكرهما في سياق واحد.

أما في آية الحديد فلم يذكر أحكاماً، فقال: ﴿وَءَاتَيْنَٰهُ ٱلْإِنجِيلَ﴾ والله أعلم.

السؤال الرابع:

ما اللمسة البيانية في ذكر الصيغ المختلفة للمسيح عليه السلام: المسيح ـ عيسى ـ عيسى ابن مريم في القرآن الكريم؟

الجواب:

انظر الجواب في آية آل عمران ٤٥.

﴿وَأَنزَلۡنَآ إِلَيۡكَ ٱلۡكِتَٰبَ بِٱلۡحَقِّ مُصَدِّقٗا لِّمَا بَيۡنَ يَدَيۡهِ مِنَ ٱلۡكِتَٰبِ
وَمُهَيۡمِنًا عَلَيۡهِۖ فَٱحۡكُم بَيۡنَهُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُۖ وَلَا تَتَّبِعۡ أَهۡوَآءَهُمۡ عَمَّا
جَآءَكَ مِنَ ٱلۡحَقِّۚ لِكُلّٖ جَعَلۡنَا مِنكُمۡ شِرۡعَةٗ وَمِنۡهَاجٗاۚ وَلَوۡ شَآءَ ٱللَّهُ
لَجَعَلَكُمۡ أُمَّةٗ وَٰحِدَةٗ وَلَٰكِن لِّيَبۡلُوَكُمۡ فِي مَآ ءَاتَىٰكُمۡۖ فَٱسۡتَبِقُواْ ٱلۡخَيۡرَٰتِۚ
إِلَى ٱللَّهِ مَرۡجِعُكُمۡ جَمِيعٗا فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمۡ فِيهِ تَخۡتَلِفُونَ ٤٨﴾

السؤال الأول:

ما دلالة استعمال (اسم المصدر) و(اسم الآلة) في قوله تعالى في سورة المائدة آية ٤٨: ﴿لِكُلّٖ جَعَلۡنَا مِنكُمۡ شِرۡعَةٗ وَمِنۡهَاجٗاۚ﴾؟

١ـ ليس في الآية اسم مصدر ولا اسم آلة، لأن الشِّرعة ليست اسم مصدر والمنهاج ليس اسم آلة.

٢ـ (الشِرعة) في اللغة هي الطريق الموصل إلى الماء، والشريعة هي الماء عند العرب، فالعرب تُسمي شريعة لمورد الماء الذي لا ينقطع، وسبب التسمية أنّ الماء به سبب الحياة الفانية، والدين سبب الحياة الأبدية، فالماء والشريعة هما للريّ والتطهر، فالربط بينهما على أنّ كليهما سبب الحياة.

والشرعة والشريعة هي الماء الكثير من نهر أو وادٍ، فنقول مثلاً: شريعة الفرات، ومن ثم سميت الديانة شريعة تشبيهاً لها بالماء العذب؛ لأنّ فيها شفاء النفوس وطهارتها، و(المنهاج) هو الطريق الواسع الذي يوصلك إلى الشرعة العذبة.

٣ـ أما صيغة (مفعال) فلا تختص بالآلة، فقد تكون آلة (مهباج) وقد تكون مصدراً (مرصاد) وقد تكون للوقت (ميقات)، وتستعمل للدلالة على المكان الذي يُضرب للحج (ميقات – مواقيت الحج).

فالمنهاج هو الطريق الواضح المستقيم، وهذا غير السبيل. فلمّا قال تعالى: ﴿شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا﴾ قصد ما فيها من سبب الحياة الباقية والطريق الموصل إليها.

السؤال الثاني:

ما دلالة قوله تعالى في الآية: ﴿وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلْكِتَـٰبَ بِٱلْحَقِّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ ٱلْكِتَـٰبِ وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ﴾؟

الجواب:

وصف الباري سبحانه وتعالى القرآن بهذه السمة؛ ليبين لنا حالتي القرآن بالنسبة لما قبله من الكتب، فهو مؤيد لبعض ما في الشرائع ومقرر له، وهو بهذا الوصف مصدِّق، وهو مبطل لبعض ما في الشرائع السابقة، وناسخ لأحكام كثيرة منها؛ فهو مهيمن.

السؤال الثالث:

كلمتا (يختلفون وتختلفون) وردتا في القرآن في مواضع كثيرة ﴿فَٱللَّهُ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ فِيمَا كَانُوا۟ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ﴿١١٣﴾﴾ [البقرة:١١٣] ﴿إِنَّ هَـٰذَا ٱلْقُرْءَانَ يَقُصُّ عَلَىٰ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ أَكْثَرَ ٱلَّذِى هُمْ

فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ﴿٧٦﴾ [النمل:٧٦] ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى مَنْ هُوَ كَـٰذِبٌ كَفَّارٌ ﴿٣﴾﴾ [الزُّمَر:٣] ﴿إِلَى ٱللَّهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ ﴿٤٨﴾﴾ [المائدة:٤٨] ما كُنه الاختلاف؟

الجواب :

انظر الجواب في آية البقرة ١١٣.

السؤال الرابع:

ما اللمسة البيانية بين ﴿وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ﴾ كما في هذه الآية و(أنزلنا عليك)؟

الجواب :

١ـ لفظ (إلى) يستعمل في القرآن الكريم مع العاقل، كما في الآية: ﴿وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلْكِتَـٰبَ﴾ [المائدة:٤٨] .

٢ـ لفظ (على) يستعمل للعاقل وغير العاقل، كما في الآيات: ﴿لَوْ أَنزَلْنَا هَـٰذَا ٱلْقُرْءَانَ عَلَىٰ جَبَلٍ﴾ [الحشر:٢١] ﴿فَإِذَآ أَنزَلْنَا عَلَيْهَا ٱلْمَآءَ﴾ [الحج:٥].

كما تستعمل في العقوبات كما في الآيات: ﴿فَأَنزَلْنَا عَلَى ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ رِجْزًا﴾ [البقرة:٥٩] ﴿إِن نَّشَأْ نُنَزِّلْ عَلَيْهِم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ ءَايَةً فَظَلَّتْ أَعْنَـٰقُهُمْ لَهَا خَـٰضِعِينَ ﴿٤﴾﴾ [الشعراء:٤] .

السؤال الخامس:

قوله تعالى في الآية ﴿وَمِنْهَاجًا﴾ ما كلمات منظومة الطريق في القرآن الكريم؟

الجواب :

انظر الجواب في آية الفاتحة ٧.

﴿أَفَحُكْمَ ٱلْجَٰهِلِيَّةِ يَبْغُونَ ۚ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ ٱللَّهِ حُكْمًا لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ ﴿٥٠﴾﴾

السؤال الأول:

ما إعراب الفاء في قوله تعالى: ﴿أَفَحُكْمَ﴾ في الآية؟

الجواب:

الهمزة: حرف استفهام. والفاء حرف استئناف، وحُكمَ: مفعول به مقدم منصوب. وقد قُدمت همزة الاستفهام؛ لأنّ لها الصدارة .

ونظير ذلك الفاء في قوله تعالى: ﴿أَفَرَءَيْتَ﴾ في آيات [مريم ٧٧ـ الشعراء ٢٠٥ـ الجاثية ٢٣].

وكذلك الفاء في قوله تعالى: ﴿أَفَرَءَيْتُم﴾ في آيات [الشعراء ٧٥ ـ الزمر ٣٨ ـ النجم ١٩، ٣٣ والواقعة في الآيات: ٥٨ـ ٦٣ ـ ٦٨ ـ ٧١].

وتكون (الفاء) إمّا عاطفة أو استئنافية حسب موقعها من السياق. والله أعلم

❁❁❁❁

﴿۞ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَتَّخِذُوا۟ ٱلْيَهُودَ وَٱلنَّصَٰرَىٰٓ أَوْلِيَآءَ ۘ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ ۚ وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمْ فَإِنَّهُۥ مِنْهُمْ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٥١﴾﴾

السؤال الأول:

ما الفرق بين ﴿بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ﴾ و ﴿بَعْضُهُم مِّنۢ بَعْضٍ﴾ في القرآن الكريم؟

الجواب :

١ ـ ورد في القرآن التركيب ﴿بَعۡضُهُمۡ أَوۡلِيَآءُ بَعۡضٖ﴾ خمس مرات، وهي كالتالي:

المائدة ٥١ : في أهل الكتاب.

الأنفال ٧٢: في المؤمنين.

الأنفال ٧٣: في الكافرين.

التوبة ٧١: في المؤمنين.

الجاثية ١٩ : في الظالمين.

٢ ـ ورد التركيب ﴿بَعۡضُهُم مِّنۢ بَعۡضٖ﴾ مرة واحدة في آية التوبة (٦٧) في المنافقين.

٣ـ أصحاب المبادىء والعقائد والفكر أياً كانوا يوالي بعضهم بعضاً: (المؤمنون ـ الكافرون ـ أهل الكتاب).

أمّا المنافقون فلا مبدأ لهم ولا عقيدة ولا فكر، ولا يلتزمون بشيء ولا يؤتمنون على شيء، فبعضهم من بعض، أي: لا يوالي بعضهم بعضاً، ولا يثق بعضهم في بعض؛ لذلك لا تصل علاقاتهم إلى درجة الولاية والتصديق فهم يميلون مع الريح ولا يثبتون على مبدأ، ويتلونون كل يوم بلون وفق مصالحهم المختلفة .

والمنافقون ليسوا بمتناصرين على دين معين وشريعة ظاهرة فكان بعضهم يهوداً وبعضهم مشركين.

والكافر شجاع صريح ويقول: هو كافر، أمّا المنافق فجبان خوّاف وإلا لمّا كان منافقاً فهو يدور مع مصلحته فقط فلا تستقيم مع المنافق موالاة؛ لأنّ الموالاة تقتضي المعاونة والنُصرة والمصارحة، لذلك ليس لديه موالاة حتى لمنافق آخر.

ومن هنا تكلمت سورة البقرة عن المؤمنين في ست آيات وعن الكافرين في ثلاث آيات وعن المنافقين في (١٤) آية؛ لأنهم ليس لديهم موالاة ولا مناصرة، ويتخلى المنافق عن أقرب منافق له إذا رأى القوة اتجهت ضد ذاك المنافق.

❁❁❁❁

﴿ فَتَرَى ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ يُسَٰرِعُونَ فِيهِمْ يَقُولُونَ نَخْشَىٰٓ أَن تُصِيبَنَا دَآئِرَةٌ ۚ فَعَسَى ٱللَّهُ أَن يَأْتِىَ بِٱلْفَتْحِ أَوْ أَمْرٍ مِّنْ عِندِهِۦ فَيُصْبِحُوا۟ عَلَىٰ مَآ أَسَرُّوا۟ فِىٓ أَنفُسِهِمْ نَٰدِمِينَ ﴿٥٢﴾ ﴾

السؤال الأول:

ما دلالة قوله تعالى في الآية: ﴿ فَتَرَى ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ ﴾ ؟

الجواب:

عبّرت الآية عن النفاق بالمرض؛ لأنّ المرض يفسد الجسد، والنفاق يفسد الإيمان، ولأنّ المريض مضطرب والمنافق مضطرب قلقٌ متألِّم.

السؤال الثاني:

ما المقصود بقوله تعالى في الآية ﴿ نَخْشَىٰٓ أَن تُصِيبَنَا دَآئِرَةٌ ﴾ ؟

الجواب :

الدائرة من (دار) إذا عكس سيره، فهي تدل على تغيّر الحال، وغالباً ما تدل على تغيّر الحال من خير إلى شر، فقول المنافقين: ﴿تُصِيبَنَا دَآئِرَةٌۚ﴾ أي: تصيبنا دوائر الدهر؛ وهي المصائب.

السؤال الثالث :

ما دلالة كلمة ﴿فَعَسَى﴾ في القرآن الكريم، كما في هذه الآية ﴿فَعَسَى ٱللَّهُ أَن يَأۡتِيَ بِٱلۡفَتۡحِ﴾؟

الجواب :

١ـ (عسى) في القرآن للترجي وللتوقع، ومن معناها الطمع فيما يستقبل والإشفاق أنْ لا يكون، والفيصل في تحديد المعنى هو السياق .

٢ـ والكثير في خبرها أنْ يكون فعلاً مضارعاً مقترناً بأن، وذلك أنها لمّا كانت للاستقبال جاؤوا بأنْ الدالة على الاستقبال فأدخلوها على الخبر، فإذا أرادوا أنْ يقربوها من الحال حذفوا (أن)، وهو قليل .

ولذلك يفهم أنّ الحرف (أنْ) مؤذن بتراخي الفعل.

واستعملت (عسى) على وجهين:

أ ـ فعل ماض جامد مسندٍ إلى اسم ظاهر، كقوله تعالى: ﴿عَسَىٰ رَبُّكُمۡ أَن يَرۡحَمَكُمۡۚ﴾ [الإسراء: ٨] وهنا للترجي، أو إلى ضمير بارز، كقوله تعالى: ﴿فَهَلۡ عَسَيۡتُمۡ إِن تَوَلَّيۡتُمۡ أَن تُفۡسِدُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ﴾ [محمد: ٢٢] وهنا للتوقع.

ب ـ فعل ماض جامد مسندٍ إلى (أنْ والفعل)، كقوله تعالى: ﴿وَعَسَىٰٓ أَن تَكۡرَهُواْ شَيۡـٔٗا وَهُوَ خَيۡرٞ لَّكُمۡۖ﴾ [البقرة:٢١٦].

٣ـ قسم من المفسرين يقولون: ﴿عَسَىٰ﴾، في القرآن واجب، وهذا ليس صحيحاً؛ لأنّ الكفار قالوا: ﴿عَسَىٰ﴾ انظر:[الشعراء ١٢٩ـ طه ٤٤ـ غافر ٣٦].

٤ـ قسم قيدوها وقالوا: هي من الله واجب، وليست في القرآن واجبة. الآيات: [المائدة ٥٢ـ الأعراف ١٢٩ ـ التحريم ٥].

٥ـ قسم قالوا: ليست من الله واجبة، وإنما يذكرها الله تعالى ليكون الإنسان راجياً من الله: [الأنفال ٤٥].

وقال بعضهم: بشكل عام في القرآن الكريم تأتي ﴿عَسَىٰ﴾ من الله بمعنى الحصول والتأكيد. والله أعلم .

السؤال الرابع:

قوله تعالى في الآية: ﴿أَن تُصِيبَنَا دَآئِرَةٞۚ﴾ ما أخوات لفظة (دار) في القرآن؟

الجواب:

الكلمات هي: حف ـ حصر ـ حاق ـ طاف ـ دار ـ دال .

الحف:

هو الحفاوة من بعيد ولا يقترب من المُحتفى به لمهابَته، كالرئيس والوجيه يُسقبل استقبالاً رسمياً، ويقف الناس على حافة موقعه.

* شواهد قرآنية:

﴿حَآفِّينَ مِنْ حَوْلِ ٱلْعَرْشِ﴾ [الزُّمَر:٧٥].

﴿وَحَفَفْنَٰهُمَا بِنَخْلٍ﴾ [الكهف:٣٢].

الحصر:

هو المحاصرة والتضييق، وهو عقاب.

* شواهد قرآنية:

﴿فَإِذَا ٱنسَلَخَ ٱلْأَشْهُرُ ٱلْحُرُمُ فَٱقْتُلُوا۟ ٱلْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدتُّمُوهُمْ وَخُذُوهُمْ وَٱحْصُرُوهُمْ وَٱقْعُدُوا۟ لَهُمْ كُلَّ مَرْصَدٍ﴾ [التوبة:٥].

حاق وطاف:

(حاق): أحاط بشيء بثبات فلا يتحرك، أمّا (طاف)، فهو متحرك مثل الطواف حول الكعبة.

* شواهد قرآنية:

﴿وَلَا يَحِيقُ ٱلْمَكْرُ ٱلسَّيِّئُ إِلَّا بِأَهْلِهِۦ﴾ [فاطر:٤٣].

﴿يُطَافُ عَلَيْهِم بِكَأْسٍ مِّن مَّعِينٍ ۝٤٥﴾ [الصافات:٤٥].

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوْا۟ إِذَا مَسَّهُمْ طَٰٓئِفٌ مِّنَ ٱلشَّيْطَٰنِ تَذَكَّرُوا۟ فَإِذَا هُم مُّبْصِرُونَ ۝٢٠١﴾ [الأعراف:٢٠١] الشيطان يدور على الإنسان يريد اقتناصه.

دار ـ دال:

دار: من الدائرة والهزيمة أو الضيق.

دال: من التداول.

* شواهد قرآنية:

﴿عَلَيْهِمْ دَآئِرَةُ ٱلسَّوْءِ﴾ [التوبة:٩٨] ﴿وَيَتَرَبَّصُ بِكُمُ ٱلدَّوَآئِرَ﴾ [التوبة:٩٨] ﴿يَقُولُونَ نَخْشَىٰٓ أَن تُصِيبَنَا دَآئِرَةٌ﴾ [المائدة:٥٢] .

﴿وَتِلْكَ ٱلْأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ ٱلنَّاسِ﴾ [آل عمران:١٤٠] ﴿كَىْ لَا يَكُونَ دُولَةًۢ بَيْنَ ٱلْأَغْنِيَآءِ مِنكُمْ﴾ [الحشر:٧] .

❊❊❊❊

﴿وَيَقُولُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَهَٰٓؤُلَآءِ ٱلَّذِينَ أَقْسَمُواْ بِٱللَّهِ جَهْدَ أَيْمَٰنِهِمْ إِنَّهُمْ لَمَعَكُمْ حَبِطَتْ أَعْمَٰلُهُمْ فَأَصْبَحُواْ خَٰسِرِينَ (٥٣)﴾

السؤال الأول:

ما دلالة قوله تعالى في الآية: ﴿جَهْدَ أَيْمَٰنِهِمْ﴾ ؟

الجواب:

الجهد هو التعب ومنتهى الطاقة، وفي هذه الجملة أضيف الجهد للأيمان ليدلنا على غلظة الإيمان وتوكيدها، أي: أقسموا أقوى قَسَم.

السؤال الثاني:

ما دلالة اجتماع (اللام وإنّ) في قوله تعالى: ﴿إِنَّهُمْ لَمَعَكُمْ﴾ ؟

الجواب:

اجتماع (إن واللام) سيؤدي إلى زيادة التوكيد، وهو أقوى من التوكيد بإنّ وحدها أو باللام وحدها.

* شواهد قرآنية:

آيات سورة يس ١٣ـ١٧:

في المرة الأولى قالوا: ﴿إِنَّآ إِلَيۡكُم مُّرۡسَلُونَ ١٤﴾ [يس:١٤] بدون اللام، غير أنهم لمّا أوغلوا في تكذيبهم جاؤوا باللام مع (إنّ) زيادة في التوكيد ﴿قَالُواْ رَبُّنَا يَعۡلَمُ إِنَّآ إِلَيۡكُمۡ لَمُرۡسَلُونَ ١٦﴾ [يس:١٦].

آية الأنعام ١٦٥:

جاءت بدون اللام ﴿سَرِيعُ ٱلۡعِقَابِ﴾؛ لأنّ العقاب هنا آجل بدليل قوله تعالى في الآية التي قبلها: ﴿ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُم مَّرۡجِعُكُمۡ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمۡ فِيهِ تَخۡتَلِفُونَ ١٦٤﴾ فاكتفى بتأكيد ﴿إِنَّ﴾.

آية الأعراف ١٦٧:

قال هنا: ﴿لَسَرِيعُ ٱلۡعِقَابِ﴾ [الأعراف:١٦٧] أي: بالتوكيد بإنّ واللام؛ وذلك لتأكيد سرعة العقاب؛ لأنّ العقاب هنا عاجل لبني إسرائيل بالذل والنقمة وأداء الجزية بعد المسخ، وهو في سياق قوله تعالى: ﴿وَإِذۡ تَأَذَّنَ رَبُّكَ لَيَبۡعَثَنَّ عَلَيۡهِمۡ إِلَىٰ يَوۡمِ ٱلۡقِيَٰمَةِ مَن يَسُومُهُمۡ سُوٓءَ ٱلۡعَذَابِ﴾ [الأعراف:١٦٧].

آيتا المائدة [٥٣ ـ ١٠٧]:

قال في الآية ١٠٧: ﴿فَيُقْسِمَانِ بِاللَّهِ لَشَهَادَتُنَا أَحَقُّ مِن شَهَادَتِهِمَا﴾ باللام وحدها.

وقال في الآية ٥٣: ﴿أَهَٰؤُلَاءِ الَّذِينَ أَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ إِنَّهُمْ لَمَعَكُمْ﴾ بإنّ واللام.

والسبب يعود لاختلاف القسمين، فالقسم الثاني فيه مبالغة أكبر بدليل قوله تعالى: ﴿جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ﴾، فلمّا بالغوا في القسم بالغوا في التوكيد.

❊❊❊❊

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا مَن يَرْتَدَّ مِنكُمْ عَن دِينِهِ فَسَوْفَ يَأْتِي اللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ أَذِلَّةٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى الْكَافِرِينَ يُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لَائِمٍ ذَٰلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ (٥٤) ﴾

السؤال الأول:

ما دلالة هذه الآية: ﴿مَن يَرْتَدَّ مِنكُمْ عَن دِينِهِ فَسَوْفَ يَأْتِي اللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ﴾؟

الجواب:

في هذه الآية وجهان من الدلالة، لا سيما أنها نزلت في أواخر حياة النبي ﷺ:

١ ـ الأول: فيها إيماء إلى ما سيكون من ارتداد كثير من العرب عن الإسلام كأصحاب الأسود العنسي.

٢ ـ الثاني: إيذان بمحبة الله لأبي بكر رضي الله عنه، فعندما ارتدت العرب عن الإسلام لم يتصد لها إلا أبو بكر، وهو مصداق قوله تعالى: ﴿فَسَوْفَ يَأْتِي اللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ﴾.

السؤال الثاني:

ما دلالة قوله تعالى في الآية: ﴿أَذِلَّةٍ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ﴾؟

الجواب:

أثبت الله تعالى لهؤلاء القوم صفتين متقابلتين، وهما العزة والذلة حسب مقتضى الحال، وهذا ما يسمى الطباق، وهو تقابل اللفظين كالليل والنهار والذل والعزّ.

السؤال الثالث:

قوله تعالى في الآية: ﴿أَذِلَّةٍ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ [المائدة:٥٤] ـ لماذا عدّى الفعل بـ (على) بدل (اللام)، كما يقال: هو ذليل له، ولا يقال: هو ذليل عليه؟.

الجواب:

لقد عَدَلَ عن التعدية باللام إلى التعدية بـ (على)؛ لأنّ المعنى يقتضي ذلك إذ لو عداه بـ (اللام) لكان ذماً لا مدحاً، فقولك: (هو ذليل له) يفيد الذم، وهو ههنا في مقام المدح، فجاء بـ (على) للإشعار بالذلة المستعلية وللدلالة على خفض الجناح، كما قال تعالى: ﴿وَٱخْفِضْ جَنَاحَكَ لِلْمُؤْمِنِينَ ﴿٨٨﴾﴾ [الحِجر:٨٨] أي: هم يتواضعون مع علو جانبهم وارتفاع مكانتهم، فجاء بـ (على) للإشعار بالعلو بخلاف ما لو قال: (أذلة للمؤمنين)؛ لذلك فالمعنى أنهم مع شرفهم وعلو طبقتهم وفضلهم على المؤمنين خافضون لهم أجنحتهم.

وفي آية البقرة (٥) و آية النمل (٧٩) أمثلة على استعمال حرف الجر (على)، وهو يشعر بكون السالك على هذا الصراط على هدى وهو حق، فتأمل ذلك، ففي (على) ما ليس في (إلى).

السؤال الرابع:

قوله تعالى في الآية: ﴿مَن يَرْتَدَّ﴾ الفعل (يرتد) هو فعل الشرط مجزوم، فلماذا فتحت الدال؟

الجواب:

أصل الفعل هو ثلاثي (ردّ) مضعف، وإذا جُزِم وكان مضموم العين في المضارع مثل: [عدّ يعُدّ وشدّ يشدّ وردّ يرُدّ] إذا جُزم ففيه أربعة أحوال:

١ـ (الإدغام والفتح)، كأن نقول: لن يضُرَّك، كما في قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَن يَرْتَدَّ مِنكُمْ عَن دِينِهِۦ فَسَوْفَ يَأْتِى ٱللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُۥٓ﴾ جاء الفعل﴿يَرْتَدَّ﴾ بالفتح وهو مجزوم، فالتقى ساكنان، فعندما أدغمنا الثاني فلا بد من الحركة. لذلك الفعل: ﴿يَرْتَدَّ﴾ مجزوم، وعلامة جزمه السكون، لكنْ حُرِّك لالتقاء الساكنين، وحُرِّك بالفتحة؛ لأنها أخف الحركات.

٢ـ (فكّ الادغام مع التسكين)، نحو: ﴿يُشَاقِقِ﴾ [الأنفال:١٣] ﴿يَرْتَدِدْ﴾ [البقرة:٢١٧]، ومثل قوله تعالى: ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ شَآقُّواْ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ ۚ وَمَن يُشَاقِقِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَإِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ﴿١٣﴾﴾ [الأنفال:١٣] وقوله تعالى: ﴿وَمَن يَرْتَدِدْ مِنكُمْ عَن دِينِهِۦ فَيَمُتْ وَهُوَ كَافِرٌ فَأُوْلَٰٓئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَٰلُهُمْ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ ۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ ۖ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿٢١٧﴾﴾

[البقرة:٢١٧]، وهذا يسري على جميع المضعّفات في حالة الجزم إذا أُسند إلى ضمير مستتر أو اسم ظاهر.

٣ـ (الإدغام مع الكسر)، مثل قوله تعالى: ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ شَآقُّوا۟ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ ۖ وَمَن يُشَآقِّ ٱللَّهَ فَإِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ﴿٤﴾﴾ [الحشر:٤].

٤ـ (الإدغام مع الضمّ)إذا كانت العين مضمومة، مثل [يضُرَّ، يعُدَّ، يمدَّ] يصِحّ أن نقول: [لم يضرُّ – لم يعدُّ – لم يمدُّ].وكذلك: ﴿لَا يَضُرُّكُمْ﴾ .

وفي الآية: ﴿إِن تَمْسَسْكُمْ حَسَنَةٌ تَسُؤْهُمْ وَإِن تُصِبْكُمْ سَيِّئَةٌ يَفْرَحُوا۟ بِهَا ۖ وَإِن تَصْبِرُوا۟ وَتَتَّقُوا۟ لَا يَضُرُّكُمْ كَيْدُهُمْ شَيْـًٔا ۗ إِنَّ ٱللَّهَ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطٌ ﴿١٢٠﴾﴾ [آل عمران:١٢٠] الفعل ﴿لَا يَضُرُّكُمْ﴾ ليس مرفوعاً، ولكنه مجزوم وعلامة جزمه السكون، وحُرِّك لالتقاء الساكنين، وكانت الحركة الضمّ للاتباع، هذا من ناحية التفصيل النحوي.

❋❋❋❋

﴿إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَهُمْ رَٰكِعُونَ ﴿٥٥﴾﴾

السؤال الأول:

ما معنى كلمة (الولي) الواردة في سورة المائدة (٥٥)؟وما المراد منها؟

الجواب:

(الولي) تستعمل للتابع والمتبوع والناصر، و(الوليّ) هو التابع المحب الذي يتولى أمره، والولي هو الناصر، يعني: الله ولينا ونحن أولياء الله، كقوله تعالى: ﴿ٱللَّهُ وَلِيُّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟﴾ [البقرة:٢٥٧] فهو يتولى أمرهم، وقوله: ﴿أَلَآ إِنَّ أَوْلِيَآءَ ٱللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٦٢﴾﴾ [يونس:٦٢].

والولي تستعمل للفاعل والمفعول، وتسمى من الأضداد. يقال: مولى رسول الله، والله مولانا، وهناك كلمات كثيرة في اللغة العربية تستعمل في هذا، وهي واضحة في اللغة وفي الاستعمال القرآني.

❊❊❊❊

﴿ وَمَن يَتَوَلَّ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ فَإِنَّ حِزْبَ ٱللَّهِ هُمُ ٱلْغَٰلِبُونَ ﴿٥٦﴾ ﴾

السؤال الأول:

هل وردت كلمة (حزب) في القرآن بصيغة الجمع؟

الجواب :

وردت كلمة: (حزب وأحزاب) بصيغة الإفراد والجمع .

١ـ (حزب): بالإفراد: وردت في سياق إيجابي ﴿حِزْبَ ٱللَّهِ﴾ [المجادلة:٢٢] وغير إيجابي ﴿حِزْبَ ٱلشَّيْطَٰنِ﴾ [المجادلة:١٩] وربما دلَّ ذلك على أنّ الخير والشر في صراع مستمر في هذه الحياة.

٢ـ (أحزاب): بالجمع: فقد وردت ١١مرة في معاني الشر كله، كما في قوله تعالى: ﴿فَٱخْتَلَفَ ٱلْأَحْزَابُ مِنۢ بَيْنِهِمْ ۖ فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ مِنْ عَذَابِ يَوْمٍ أَلِيمٍ ﴿٦٥﴾﴾ [الزخرف ٦٥].

❁❁❁❁

﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَتَّخِذُوا۟ ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُوا۟ دِينَكُمْ هُزُوًا وَلَعِبًا مِّنَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَـٰبَ مِن قَبْلِكُمْ وَٱلْكُفَّارَ أَوْلِيَآءَ ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿٥٧﴾﴾

السؤال الأول:

جاء في آية المائدة ٥٧ و في آية آل عمران ١٨٦: ﴿أُوتُوا۟ ٱلْكِتَـٰبَ﴾، بينما جاء في آية البقرة ٥٣: ﴿ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَـٰبَ﴾ [البقرة:٥٣]، فما دلالة ذلك؟

الجواب:

في هذا الباب وما نراه في القرآن الكريم في قوله تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَـٰبَ﴾ فإنه على العموم إذا كان المقام مقام مدح وثناء أظهر الله ذاته ونسب إتيان الكتاب إلى نفسه، فيقول: ﴿ءَاتَيْنَـٰهُمُ ٱلْكِتَـٰبَ﴾ [البقرة:١٢١] وإذا كان المقام مقام تقريع وذم قال: ﴿أُوتُوا۟ ٱلْكِتَـٰبَ﴾ [المائدة:٥٧].

❁ شواهد قرآنية في إسناد الإيتاء إلى نفسه في مقام المدح والثناء:

[البقرة ٥٣ ـ ١٢١ ـ ١٤٦، الجاثية ١٦ـ الأنعام ١١٤ـ الرعد ٣٦ ـ القصص ٥٢ـ العنكبوت ٤٧ ـ النساء ٥٤].

* شواهد قرآنية في مقام الذم، ويبنى فيها فعل الإيتاء للمجهول:

[البقرة ١٠١ ـ ١٤٤ـ ١٤٥، آل عمران ١٩ ـ ٢٣ ـ ١٠٠ ـ١٨٦ـ ١٨٧ ـ النساء ٤٤ ـ٤٧ـ ٥١ـ المائدة ٥٧ـ التوبة ٢٩ـ الحديد ١٦].

❋❋❋❋

﴿وَإِذَا نَادَيْتُمْ إِلَى ٱلصَّلَوٰةِ ٱتَّخَذُوهَا هُزُوًا وَلَعِبًا ۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَّا يَعْقِلُونَ ﴿٥٨﴾﴾

السؤال الأول:

ما الفرق بين(استهزأ بـ) و(سخر من)؟

الجواب:

هنالك أمران في اللغة يذكران في الاستعمال القرآني:

١ـ (الاستهزاء): عام، سواء تستهزئ بالأشخاص أم بغير الأشخاص. قال تعالى: ﴿وَإِذَا نَادَيْتُمْ إِلَى ٱلصَّلَوٰةِ ٱتَّخَذُوهَا هُزُوًا﴾ [المائدة:٥٨] فالصلاة ليست شخصاً وإنما أقاويل وأفاعيل. وقوله: ﴿وَلَا تَتَّخِذُوٓا۟ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ هُزُوًا ۚ﴾ [البقرة:٢٣١] وقوله: ﴿قُلْ أَبِٱللَّهِ وَءَايَٰتِهِۦ وَرَسُولِهِۦ كُنتُمْ تَسْتَهْزِءُونَ﴾ [التوبة:٦٥] أَلَمْ

إذن الاستهزاء عام في الأشخاص وفي غير الأشخاص، ومعنى الاستهزاء هو السخرية .هم يقولون: المزح في خفية، وهو جانب من السخرية .

أمّا (السخرية) ففي الأشخاص تحديداً، ولم ترد في القرآن إلا في الأشخاص: ﴿وَيَصْنَعُ ٱلْفُلْكَ وَكُلَّمَا مَرَّ عَلَيْهِ مَلَأٌ مِّن قَوْمِهِۦ سَخِرُوا۟ مِنْهُ ۚ قَالَ إِن تَسْخَرُوا۟ مِنَّا فَإِنَّا نَسْخَرُ مِنكُمْ كَمَا تَسْخَرُونَ ﴿٣٨﴾﴾ [هود:٣٨].

٢ـ السخرية لم ترد إلا من فعلٍ يفعله الشخص، وأمّا الاستهزاء فقد يستهزأ به من غير فعل. فقوله تعالى: ﴿وَيَصْنَعُ الْفُلْكَ وَكُلَّمَا مَرَّ عَلَيْهِ مَلَأٌ مِّن قَوْمِهِ سَخِرُوا مِنْهُ ۚ قَالَ إِن تَسْخَرُوا مِنَّا فَإِنَّا نَسْخَرُ مِنكُمْ كَمَا تَسْخَرُونَ ﴿٣٨﴾﴾ [هود:٣٨] هذا فعل وهم سخروا من فعل يفعله، وكذلك قوله تعالى: ﴿الَّذِينَ يَلْمِزُونَ الْمُطَّوِّعِينَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ فِي الصَّدَقَاتِ وَالَّذِينَ لَا يَجِدُونَ إِلَّا جُهْدَهُمْ فَيَسْخَرُونَ مِنْهُمْ ۙ﴾ [التوبة:٧٩] هذا فعل.

السؤال الثاني:

قوله تعالى: ﴿وَإِذَا نَادَيْتُمْ إِلَى الصَّلَاةِ اتَّخَذُوهَا هُزُوًا وَلَعِبًا ۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَّا يَعْقِلُونَ ﴿٥٨﴾﴾ لِمَ ختمت الآية بقوله: ﴿لَّا يَعْقِلُونَ ﴿٥٨﴾﴾ ولم يقل (لا يعلمون)؟

الجواب:

في هذه الخاتمة للآية تحذير للمستهزئين بأداء الصلاة، إذ ليس في النداء إلى الصلاة ما يوجب الاستهزاء، فكان هذا الفعل منهم موجباً للاستهزاء بسخافة عقولهم.

❁❁❁❁

﴿قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ هَلْ تَنقِمُونَ مِنَّا إِلَّا أَنْ آمَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْنَا وَمَا أُنزِلَ مِن قَبْلُ وَأَنَّ أَكْثَرَكُمْ فَاسِقُونَ ﴿٥٩﴾﴾

السؤال الأول:

ما دلالة قوله تعالى في الآية: ﴿هَلْ تَنقِمُونَ﴾؟

الجواب :

معنى قوله تعالى: ﴿هَلْ تَنقِمُونَ﴾ أي: هل تعيبون أو هل تنكرون أو هل تكرهون، والفعل (نقَم) بفتح القاف أو كسرها و(نقِم) إذا أنكر .

السؤال الثاني:

ما معنى قوله تعالى في الآية: ﴿وَأَنَّ أَكْثَرَكُمْ فَٰسِقُونَ ﴿٥٩﴾﴾ ؟

الجواب :

معنى قوله تعالى: ﴿وَأَنَّ أَكْثَرَكُمْ فَٰسِقُونَ ﴿٥٩﴾﴾

آـ أي: وما تنقمون منا إلا أنْ آمنا وما فسقنا مثلكم.

ب ـ أو: وما تنقمون منا إلا أنْ آمنا بالله وبأنّ أكثركم فاسقون.

السؤال الثالث:

اليهود كلهم فساق وكفرة فلم خص الأكثرية بالفسق؟

الجواب:

المعنى أنّ أكثرهم إنما يقولون ما لا يفعلون، ويفعلون ما يفعلون طلباً للرياسة والجاه وأخذ الرشوة، فأنتم في دينكم فُساق لا عدول، وذكر أكثرهم لئلا يُظن أنّ من آمن منهم داخل في ذلك. والله أعلم .

﴿قُلْ هَلْ أُنَبِّئُكُم بِشَرٍّ مِّن ذَٰلِكَ مَثُوبَةً عِندَ ٱللَّهِ ۚ مَن لَّعَنَهُ ٱللَّهُ وَغَضِبَ عَلَيْهِ وَجَعَلَ مِنْهُمُ ٱلْقِرَدَةَ وَٱلْخَنَازِيرَ وَعَبَدَ ٱلطَّٰغُوتَ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ شَرٌّ مَّكَانًا وَأَضَلُّ عَن سَوَآءِ ٱلسَّبِيلِ ﴿٦٠﴾﴾

السؤال الأول:

ما دلالة قوله تعالى: ﴿وَعَبَدَ ٱلطَّٰغُوتَ﴾ في سورة المائدة؟

الجواب:

(عبد الطاغوت) ليست معطوفة على القردة والخنازير، وإنما هي فعل ماض معطوف على ﴿وَجَعَلَ مِنْهُمُ﴾، فهي جملة معطوفة على جملة.

وتأويل: عبد الطاغوت، أنه بلغ الغاية في طاعة الشيطان .

والطاغوت هنا هو العجل، وقيل: الأحبار، وللعلم فإنّ كل من أطاع أحداً في معصية الله فقد عبده.

السؤال الثاني:

قوله تعالى في الآية: ﴿قُلْ هَلْ أُنَبِّئُكُم بِشَرٍّ مِّن ذَٰلِكَ مَثُوبَةً﴾ والمثوبة هي الثواب ونحن نعلم أنّ هذا اللفظ يستعمل في الأمر المحبوب، فأنت تثيب عاملك مكافأة، ومن ذلك قوله تعالى: ﴿فَأَثَٰبَهُمُ ٱللَّهُ بِمَا قَالُوا۟ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا﴾ [المائدة:٨٥] فكيف عبّر الله عن الشر بالمثوبة؟

الجواب:

انظر كيف بلغ التهكم أقصى درجاته. لقد قال تعالى: ﴿بِشَرٍّ مِّن ذَٰلِكَ مَثُوبَةً﴾ ولم يقلْ: (بِشرٍّ من ذلك عقاباً) للاستخفاف بهم وللتهكم من فعلهم. لقد استخفّوا بأوامر الله فاستخف الله بعقولهم وبمخاطبتهم، فانظر إلى هذا الثواب العظيم الذي وعدهم الله تعالى إياه من اللعنة والغضب والمسخ والعياذ بالله.

السؤال الثالث:

ما إعراب ﴿مَثُوبَةً﴾؟

الجواب:

تمييز منصوب، وللعلم المثوبة مختصة بالإحسان، ولكنها جاءت هنا في سياق الإساءة على طريقة: ﴿فَبَشِّرْهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٢١﴾﴾ أي: بقصد التهكم .

السؤال الرابع:

ما الفرق في الاستعمال القرآني بين ﴿ذَٰلِكَ﴾ في آية المائدة ٦٠ : ﴿قُلْ هَلْ أُنَبِّئُكُم بِشَرٍّ مِّن ذَٰلِكَ﴾ و﴿ذَٰلِكُمُ﴾ في قوله تعالى في آية الحج ٧٢: ﴿قُلْ أَفَأُنَبِّئُكُم بِشَرٍّ مِّن ذَٰلِكُمُ النَّارُ﴾ و كذلك في الآية ﴿وَذَٰلِكُمْ ظَنُّكُمُ الَّذِي ظَنَنتُم بِرَبِّكُمْ﴾ [فُصِّلَت:٢٣]؟

الجواب :

١ـ طبعاً الكاف في (ذلك) حرف خطاب، وحرف الخطاب في اسم الإشارة فيه لغتان:

آ ـ أنْ تجعله مطابقاً للمخاطب، مفرداً أو مفردة أو مثنى أو جمع ذكور أو إناث .

ب ـ ولك أنْ تجعله بلفظ واحد، وهو الإفراد والتذكير أياً كان المخاطَب.

ففي اللغة كله جائز من حيث الحكم النحوي .

٢ـ لكن نسأل من الناحية البيانية: أحياناً يطابق وأحياناً يُفرِد، لماذا؟

هناك فرق بين الحكم النحوي اللغوي والاستخدام البياني، فلماذا استخدم هذا بيانياً؟

هنالك أسباب عدّة لهذا الأمر، ومن جملتها:

أنْ يكون في مقام التوسع والإطالة في التعبير والتفصيل، فيأتي بالحرف المناسب ؛ لأنّ ﴿ذَٰلِكُمْ﴾ أكثر من ﴿ذَٰلِكَ﴾ من حيث الحروف، فإذا كان المقام كله مقام إطالة يأتي بكل ما يفيد الإطالة لغة، وإذا كان في مقام الإيجاز يأتي بكل ما في الإيجاز لغة .

* شواهد قرآنية:

آ ـ في آية المائدة ٦٠ المخاطَب (جماعة): ﴿قُلْ هَلْ أُنَبِّئُكُم بِشَرٍّ مِّن ذَٰلِكَ مَثُوبَةً عِندَ ٱللَّهِ ۚ مَن لَّعَنَهُ ٱللَّهُ وَغَضِبَ عَلَيْهِ وَجَعَلَ مِنْهُمُ ٱلْقِرَدَةَ وَٱلْخَنَازِيرَ وَعَبَدَ ٱلطَّٰغُوتَ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ شَرٌّ مَّكَانًا وَأَضَلُّ عَن سَوَآءِ ٱلسَّبِيلِ﴾ .

ب ـ في آية الحج ٧٢: ﴿قُلْ أَفَأُنَبِّئُكُم بِشَرٍّ مِّن ذَٰلِكُمُ ۗ ٱلنَّارُ وَعَدَهَا ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ۖ وَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ ﴿٧٢﴾﴾ .

فنجد آية فيها ﴿ذَٰلِكَ﴾ والثانية ﴿ذَٰلِكُمْ﴾ ونسأل: أيهما الأكثر؟ الذين كفروا أو الذين جعل منهم القردة والخنازير وعبد الطاغوت؟ والجواب طبعاً: الذين كفروا هم أكثر، فلمّا كانت المجموعة أكثر جمع، فقال: ﴿ذَٰلِكُمْ﴾ ولمّا كانت أقل أفرد ﴿ذَٰلِكَ﴾ .

أي أنّ السبب هو أنّ الجماعة في آية الحج أكبر من الجماعة في آية المائدة؛ لأنّ الله لم يجعل من الكفرة كلهم قردة وخنازير، فلمّا كان الفريق الثاني أكبر وأعم جمع الخطاب، والله أعلم.

السؤال الخامس:

قال في آية المائدة ٦٠: ﴿قُلْ هَلْ أُنَبِّئُكُم بِشَرٍّ مِّن ذَٰلِكَ﴾، وقال في آية الحج ٧٢: ﴿أَفَأُنَبِّئُكُم بِشَرٍّ مِّن ذَٰلِكُمُ ۗ النَّارُ وَعَدَهَا اللَّهُ الَّذِينَ كَفَرُوا ۖ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ ﴿٧٢﴾﴾ وكذلك آيات سورة الكهف (١٠٠-١٠٦) و الشعراء (٢٢١)، فلماذا استخدم (هل) مرة و(الهمزة) مرة أخرى؟

الجواب:

القاعدة اللغوية:

يستعمل القرآن الكريم ﴿هَلْ﴾ لما هو أقوى وآكد في الاستفهام من (الهمزة).

أولاً: الآيات:

آيات المائدة:

- ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا الَّذِينَ اتَّخَذُوا دِينَكُمْ هُزُوًا وَلَعِبًا مِّنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِن قَبْلِكُمْ وَالْكُفَّارَ أَوْلِيَاءَ ۚ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿٥٧﴾ وَإِذَا نَادَيْتُمْ إِلَى الصَّلَاةِ اتَّخَذُوهَا هُزُوًا وَلَعِبًا ۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَّا يَعْقِلُونَ ﴿٥٨﴾ قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ هَلْ تَنقِمُونَ مِنَّا إِلَّا أَنْ آمَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْنَا وَمَا أُنزِلَ مِن قَبْلُ وَأَنَّ أَكْثَرَكُمْ فَاسِقُونَ ﴿٥٩﴾ قُلْ هَلْ أُنَبِّئُكُم بِشَرٍّ مِّن ذَٰلِكَ مَثُوبَةً عِندَ اللَّهِ ۚ مَن لَّعَنَهُ اللَّهُ وَغَضِبَ عَلَيْهِ وَجَعَلَ مِنْهُمُ الْقِرَدَةَ وَالْخَنَازِيرَ وَعَبَدَ الطَّاغُوتَ ۚ أُولَٰئِكَ شَرٌّ مَّكَانًا وَأَضَلُّ عَن سَوَاءِ السَّبِيلِ ﴿٦٠﴾﴾ [المائدة:٥٧-٥٨-٥٩-٦٠].

آيات الشعراء:

- ﴿هَلْ أُنَبِّئُكُمْ عَلَىٰ مَن تَنَزَّلُ ٱلشَّيَٰطِينُ ﴿٢٢١﴾ تَنَزَّلُ عَلَىٰ كُلِّ أَفَّاكٍ أَثِيمٍ ﴿٢٢٢﴾ يُلْقُونَ ٱلسَّمْعَ وَأَكْثَرُهُمْ كَٰذِبُونَ ﴿٢٢٣﴾﴾ [الشعراء:٢٢١-٢٢٢-٢٢٣] .

آيات الكهف:

- ﴿وَعَرَضْنَا جَهَنَّمَ يَوْمَئِذٍ لِّلْكَٰفِرِينَ عَرْضًا ﴿١٠٠﴾ ٱلَّذِينَ كَانَتْ أَعْيُنُهُمْ فِى غِطَآءٍ عَن ذِكْرِى وَكَانُوا۟ لَا يَسْتَطِيعُونَ سَمْعًا ﴿١٠١﴾ أَفَحَسِبَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ أَن يَتَّخِذُوا۟ عِبَادِى مِن دُونِىٓ أَوْلِيَآءَ ۚ إِنَّآ أَعْتَدْنَا جَهَنَّمَ لِلْكَٰفِرِينَ نُزُلًا ﴿١٠٢﴾ قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُم بِٱلْأَخْسَرِينَ أَعْمَٰلًا ﴿١٠٣﴾ ٱلَّذِينَ ضَلَّ سَعْيُهُمْ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا ﴿١٠٤﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِمْ وَلِقَآئِهِۦ فَحَبِطَتْ أَعْمَٰلُهُمْ فَلَا نُقِيمُ لَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَزْنًا ﴿١٠٥﴾ ذَٰلِكَ جَزَآؤُهُمْ جَهَنَّمُ بِمَا كَفَرُوا۟ وَٱتَّخَذُوٓا۟ ءَايَٰتِى وَرُسُلِى هُزُوًا ﴿١٠٦﴾﴾ [الكهف: ١٠٠-١٠٦] .

ثانياً ـ البيـــــان :

في الآيات استعمل (هل) في آيات المائدة والشعراء والكهف مع الفعل (نبأ)، بينما لم يستعملها مع آية الحج، واستعمل بدلا عنها الهمزة، ويبين ذلك السياق.

١ ـ آيات المائدة ذكر فيها أنّ الكفار اتخذوا الدين والنداء والصلاة هزواً ولعباً، وقد وصفهم بالفسق وعدم العقل وأنهم لعنهم الله وغضب عليهم ومسخ منهم قردة وخنازير وأنهم عبدوا الطاغوت، ثم قال: ﴿أُو۟لَٰٓئِكَ شَرٌّ مَّكَانًا وَأَضَلُّ عَن سَوَآءِ ٱلسَّبِيلِ﴾ ويمضي في وصفهم بأقبح الوصف.

وليس الأمر كذلك في آية الحج؛ لذا استعمل في آية الحج (الهمزة) فقال: ﴿أَفَأُنَبِّئُكُم بِشَرٍّ مِّن ذَٰلِكُمُ﴾، واستعمل مع آية المائدة (هل)، فقال: ﴿قُلْ هَلْ أُنَبِّئُكُم بِشَرٍّ مِّن ذَٰلِكَ مَثُوبَةً عِندَ ٱللَّهِ﴾ .

٢ ـ في آيات الشعراء [٢١٠ : ٢٢٣] تجد في السياق قوة وشدة بالغة في الرد على الكفرة المفترين؛ فاستعمل (هل) .

٣ ـ في آيات الكهف تجد في السياق قوة التبكيت والتقريع واضحة في السياق؛ فاستعمل لذلك ﴿هَلْ﴾، ولم يستعمل الهمزة .

السؤال السادس:

في سورة المائدة ٦٠ ذكر تعالى المسخ إلى قردة وخنازير، هل لأنّ الله تعالى مسخ طائفة من بني إسرائيل إلى قردة وخنازير، هل لهذا السبب جاء تحريم الخنزير؟

الجواب :

هذا أمر فقهي والأمور الفقهية نحيلها على أصحابها، لكنّ السؤال لبيان العِلّة أو السبب، نقول: الشيء الأساسي في العبادات هو اتّباع أمر الله سبحانه وتعالى في الحلال والحرام، فحلال الله حلال إلى يوم القيامة وحرام الله حرام إلى يوم القيامة.

أما العلة في التحريم فينبغي ألا نسأل عنها في الحقيقة ؛ لأنّ الخنزير كان قبلهم قبل أن يحوّل الله بعضاً من بني إسرائيل إلى خنازير. فاليهود عندهم أشياء محرمة والنصارى عندهم أشياء محرمة، والمسلمون عندهم أشياء محرمة، وكلٌّ له شرعته: ﴿لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا﴾ [المائدة:٤٨] فنحن إذن نطيع الله سبحانه وتعالى ولا نعلل ولا نفسر لماذا،

والمسألة فقهية واعتقادية، ونحن نعتقد أنّ هذا حرام إذن هو حرام. وربنا حرّمه فنحرّمه.

❁❁❁❁

﴿ وَإِذَا جَآءُوكُمْ قَالُوٓاْ ءَامَنَّا وَقَد دَّخَلُواْ بِٱلْكُفْرِ وَهُمْ قَدْ خَرَجُواْ بِهِۦ ۚ وَٱللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا كَانُواْ يَكْتُمُونَ ﴿٦١﴾ ﴾

السؤال الأول:

قوله تعالى: ﴿وَقَد دَّخَلُواْ بِٱلْكُفْرِ وَهُمْ قَدْ خَرَجُواْ بِهِۦ ۚ﴾ ماذا يعني هذا التصوير؟

الجواب:

١ـ في هذا التعبير دلالة على قسوة القلب وعدم قبوله للإيمان، فهو يدل على أنّ الإيمان لم يخالط قلوبهم طرفة عين، فهم دخلوا كافرين وخرجوا كذلك.

٢ـ نزلت هذه الآية في ناس من اليهود كانوا يدخلون على النبي ﷺ ويظهرون له الإيمان نفاقاً فأخبره الله بشأنهم، وأنهم يخرجون من مجلسه كما دخلوه.

٣ـ الباء في قوله: ﴿وَقَد دَّخَلُواْ بِٱلْكُفْرِ وَهُمْ قَدْ خَرَجُواْ بِهِۦ ۚ﴾ يفيد بقاء الكفر في حالتي الدخول والخروج، كما تقول: دخل زيد بثوبه وخرج به.

٤ـ كلمة (قد) هي تقريب الماضي من الحال، أمّا كلمة ﴿وَهُمْ﴾ فهي لتأكيد إضافة الكفر لهم، أي: أنهم لم يسمعوا من رسول الله ما يوجب كفراً، بل هم الذين خرجوا بالكفر من اختيار أنفسهم.

﴿ لَوۡلَا يَنۡهَىٰهُمُ ٱلرَّبَّٰنِيُّونَ وَٱلۡأَحۡبَارُ عَن قَوۡلِهِمُ ٱلۡإِثۡمَ وَأَكۡلِهِمُ ٱلسُّحۡتَۚ لَبِئۡسَ مَا كَانُواْ يَصۡنَعُونَ ٦٣ ﴾

السؤال الأول:

قوله تعالى في الآية: ﴿لَبِئۡسَ مَا كَانُواْ يَصۡنَعُونَ ٦٣﴾ لِمَ قال تعالى: ﴿يَصۡنَعُونَ﴾ ولم يقل: يعملون؟

الجواب :

لأنّ الصنع أدل على التمكن في العمل والتحري من (يعملون)، وقوله تعالى: ﴿لَبِئۡسَ مَا كَانُواْ يَصۡنَعُونَ ٦٣﴾ ولم يقل مثلاً: (يفعلون)، فكأنّ ذلك هو صنعتهم، فـ(الخياط) يطلق على من يتقن صنعته، لا على من خاط مرة أو مرتين .

السؤال الثاني:

من الربانيون المذكورون في الآية؟

الجواب :

الربانيون هم رؤساء النصارى وينسبون أنفسهم إلى الرب، والأحبار هم رؤساء اليهود .

ومعنى الآية: لماذا لم يتحرك المنسوبون إلى الله لنهي قومهم عن فعل الإثم وأكل السحت؟

ولماذا لم يقوموا بواجبهم في الوعظ؟ فكيف ينصّب هؤلاء الربانيون والأحبار أنفسهم قادة للضمير الديني دون أن يقوموا بواجبهم بين الناس لمنع الانحراف؟ وفي هذا تأكيد على أنّ هؤلاء الربانين والأحبار إنما يريدون فقط سلطة الهيمنة على الناس .

ثم تتجلى دقة الأداء القرآني ـ كما هو دائماً ـ في قوله: ﴿لَبِئْسَ مَا كَانُوا۟ يَصْنَعُونَ ﴿٦٣﴾﴾ ولم يقل مثلاً: يفعلون، فكأن ذلك هو صنعتهم، وبئست الصناعة تلك.

وهكذا باعوا الأحكام لمن يدفع أكثر، أو لصاحب النفوذ الأكثر.

❋❋❋❋

﴿وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ يَدُ ٱللَّهِ مَغْلُولَةٌ ۚ غُلَّتْ أَيْدِيهِمْ وَلُعِنُوا۟ بِمَا قَالُوا۟ ۘ بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ يُنفِقُ كَيْفَ يَشَآءُ ۚ وَلَيَزِيدَنَّ كَثِيرًا مِّنْهُم مَّآ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ طُغْيَـٰنًا وَكُفْرًا ۚ وَأَلْقَيْنَا بَيْنَهُمُ ٱلْعَدَٰوَةَ وَٱلْبَغْضَآءَ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَـٰمَةِ ۚ كُلَّمَآ أَوْقَدُوا۟ نَارًا لِّلْحَرْبِ أَطْفَأَهَا ٱللَّهُ ۚ وَيَسْعَوْنَ فِى ٱلْأَرْضِ فَسَادًا ۚ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ ٱلْمُفْسِدِينَ ﴿٦٤﴾﴾

السؤال الأول:

ما الفرق بين: ﴿ أغرينا وألقينا ﴾ في آية المائدة ١٤ : ﴿وَمِنَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓا۟ إِنَّا نَصَـٰرَىٰٓ أَخَذْنَا مِيثَـٰقَهُمْ فَنَسُوا۟ حَظًّا مِّمَّا ذُكِّرُوا۟ بِهِۦ فَأَغْرَيْنَا بَيْنَهُمُ ٱلْعَدَاوَةَ وَٱلْبَغْضَآءَ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَـٰمَةِ ۚ وَسَوْفَ يُنَبِّئُهُمُ ٱللَّهُ بِمَا كَانُوا۟ يَصْنَعُونَ ﴿١٤﴾﴾ و آية المائدة ٦٤ : ﴿وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ يَدُ ٱللَّهِ مَغْلُولَةٌ ۚ غُلَّتْ أَيْدِيهِمْ وَلُعِنُوا۟ بِمَا قَالُوا۟ ۘ بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ يُنفِقُ كَيْفَ يَشَآءُ ۚ وَلَيَزِيدَنَّ كَثِيرًا مِّنْهُم مَّآ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ طُغْيَـٰنًا وَكُفْرًا ۚ وَأَلْقَيْنَا بَيْنَهُمُ ٱلْعَدَٰوَةَ وَٱلْبَغْضَآءَ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَـٰمَةِ ۚ كُلَّمَآ أَوْقَدُوا۟ نَارًا لِّلْحَرْبِ أَطْفَأَهَا ٱللَّهُ ۚ وَيَسْعَوْنَ فِى ٱلْأَرْضِ فَسَادًا ۚ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ ٱلْمُفْسِدِينَ ﴿٦٤﴾﴾ ؟

الجواب:

انظر الجواب في آية المائدة ١٤.

السؤال الثاني:

قوله تعالى: ﴿بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ﴾ كيف يأتي الفعل (بسط) في الاستعمال القرآني؟

الجواب:

وردت لفظة (بسط) في آيات متعددة وبصيغ مختلفة، وكلمة (بسط) تأتي بمعنى ما تحب وبمعنى ما تكره، أي: تأتي بمعنى ما تكره وما لا تكره، والسياق يحدد ذلك.

* شواهد قرآنية:

﴿وَلَوْ بَسَطَ اللَّهُ الرِّزْقَ لِعِبَادِهِ لَبَغَوْا فِي الْأَرْضِ﴾ [الشورى:٢٧].

﴿بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ يُنفِقُ كَيْفَ يَشَاءُ﴾ [المائدة:٦٤].

﴿لَئِن بَسَطتَ إِلَيَّ يَدَكَ لِتَقْتُلَنِي مَا أَنَا بِبَاسِطٍ يَدِيَ إِلَيْكَ لِأَقْتُلَكَ﴾ [المائدة:٢٨].

﴿وَالْمَلَائِكَةُ بَاسِطُوا أَيْدِيهِمْ﴾ [الأنعام:٩٣] أي: مادُّون أيديهم بالعذاب.

والله أعلم.

السؤال الثالث:

ما دلالة الفعل مجيء الفعل ﴿وَيَسْعَوْنَ﴾ في الآية بصيغة المضارع؟

الجواب :

الفعل المضارع له أزمنة كثيرة، فقد يكون للمضي: ﴿فَلِمَ تَقْتُلُونَ أَنبِيَاءَ اللَّهِ﴾ [البقرة:٩١] أو للحال أو للاستمرار أو الاستقبال.

وفي الآية استعمل الفعل المضارع ﴿وَيَسْعَوْنَ﴾ للمزاولة وليس بالضرورة ما كان للمستقبل فقط، ولو قال: (سعوا) لاحتمل أنْ يكون هذا الساعي قد تاب ولا ينطبق عليه هذا الأمر، لكنّ الذي هو مستمر هو الذي ينطبق عليه هذا الأمر، وهم اليهود لعنهم الله .

وقد ورد هذا الفعل ﴿وَيَسْعَوْنَ﴾ بصيغة المضارع أيضا في سورة المائدة ٣٣ ـ والمائدة ٦٤ .

❋❋❋❋

﴿وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْكِتَابِ آمَنُوا وَاتَّقَوْا لَكَفَّرْنَا عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ وَلَأَدْخَلْنَاهُمْ جَنَّاتِ النَّعِيمِ ﴿٦٥﴾ وَلَوْ أَنَّهُمْ أَقَامُوا التَّوْرَاةَ وَالْإِنجِيلَ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْهِمْ رَبِّهِمْ لَأَكَلُوا مِن فَوْقِهِمْ وَمِن تَحْتِ أَرْجُلِهِم ۚ مِّنْهُمْ أُمَّةٌ مُّقْتَصِدَةٌ ۖ وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ مَا يَعْمَلُونَ ﴿٦٦﴾﴾

السؤال الأول:

ما الفرق بين النعمة والنعيم في الاستعمال القرآني؟

الجواب :

(النعمة) في القرآن هي لنعم الدنيا مجيء الفعل وتستعمل مفرداً وجمعاً كما في الآيات: [البقرة ٢١١ـ آل عمران ١٠٣ـ إبراهيم ٦] وأما (النعيم) فخاص بنعيم الآخرة، وقد وردت كلمة (النعيم) ١٦ مرة في القرآن .

السؤال الثاني:

ما الفرق بين الآيتين ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ أَقَامُوا التَّوْرَاةَ وَالْإِنجِيلَ﴾ [المائدة:٦٦] و ﴿وَأَلَّوِ اسْتَقَامُوا عَلَى الطَّرِيقَةِ لَأَسْقَيْنَاهُم مَّاءً غَدَقًا ﴿١٦﴾﴾ [الجن:١٦] لماذا لم يقل: (ولو أنهم استقاموا على الطريقة)؟

الجواب :

في سورة الجن لم يقل: (ولو أنهم استقاموا) أو (وأنهم لو استقاموا)، وإنما قال: ﴿وَأَلَّوِ اسْتَقَامُوا﴾ [الجن:١٦]، ولو قال: (ولو أنهم استقاموا) لربما أفهم أن ذلك مختص بهم دون غيرهم، لكنّ الكلام عام وليس مختصاً بهم، وإنما لكل من يستقيم على الطريقة.

فلما قال: ﴿وَأَلَّوِ اسْتَقَامُوا﴾ [الجن:١٦] فهذا حكم عام، بينما لو قال:(ولو أنهم استقاموا) فهذا مختص بهم.

وعندما ذكر الضمير في آية المائدة ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ﴾ [المائدة:٦٦] يكون الأمر إخباراً عنهم بهذا الموضع، فهو يختص باليهود والنصارى فقط، وأمّا مع حذف الضمير كما في آية الجن ﴿وَأَلَّوِ﴾ [الجن:١٦] فهذا عام يخص جميع الخلائق: الجن والإنس إلى يوم القيامة .

فالحكم في آية الجن حكم عام لجميع الدنيا على مر الزمان: من يستقم على الطريقة يسقى ماء غدقاً من قبل زمن نوح إلى قيام الساعة، بينما آية المائدة ٦٦ هي حكم خاص باليهود والنصارى فقط.

ومعنى ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ أَقَامُوا التَّوْرَاةَ وَالْإِنْجِيلَ﴾ إقامة الشيء بأن تجعله قائماً، وقد استعمل القرآن الإقامة ﴿أَقَامُوا﴾ للدلالة على عدم الإضاعة، فالشيء الذي يضيع منك يكون مطروحاً وملقى على الأرض، والإنسان في حالة قيامه يكون أقدر على الأشياء.

❁❁❁❁

﴿يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ (٦٧)﴾

السؤال الأول:

جاءت الآية ٦٧ بأمر التبليغ بعد آيات تتحدث عن أهل الكتاب، فما الرابط في ذلك؟ وهل تبليغ الرسول ﷺ متعلق بأهل الكتاب؟ وما الأمر الذي أراد الله تعالى من الرسول أن يبلغه؟

الجواب:

١ـ وقعت هذه الآية في سياق الذين أوتوا الكتاب ومحاربتهم لرسول الله ﷺ والمفروض تبليغهم كتبليغ غيرهم، مع أنهم يكثرون مجادلته ويدّعون العلم، وكانوا كلما جاءتهم رسل قتلوا فريقاً وكذّبوا فريقاً آخر، وطبعاً هذه من المثبطات أنْ تدعو من لا

تأمنه، ودعوة أهل الكتاب هي من المثبطات لما فيها من جدال؛ ولأنهم يقولون: نحن أصحاب الكتب وأصحاب العلم .

لكنّ ربنا أوقع هذه الآية هنا بالذات حتى لا يترك مجالاً لأهل الكتاب أو غيرهم، فأمره بالتبليغ للجميع بشكل عام، بحيث لا يمنعه من ذلك مانع ولا يثبطه مثبط.

٢ـ في الآية (٦٧) التبليغ عام للجميع بما فيهم أهل الكتاب، ولمّا قال: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ بَلِّغۡ مَآ أُنزِلَ إِلَيۡكَ مِن رَّبِّكَۖ﴾ لم يقلْ: بلغ أهل الكتاب، بل أطلق الفعل ولم يحدده.

٣ـ ذكر الله قبل هذه الآية أهل الكتاب، وهم مثبطون له في دعوته فجاءت هذه الآية عامة؛ أن بلّغ الناس جميعاً بما فيهم أهل الكتاب ولو كانوا يحاولون تثبيطك وإيذاءك وقتلك فلا تخف ؛ لأنّ الله سوف يعصمك من أذى الناس فلا يصلون إليك بأذى.

وكان الرسول ﷺ يهاب قريشاً واليهود والنصارى فأزال الله عن قلبه تلك الهيبة بهذه الآية وآمنه من مكر اليهود والنصارى وأمره بإظهار التبليغ من غير مبالاة منه بهم.

٤ـ ثم قال: ﴿وَٱللَّهُ يَعۡصِمُكَ مِنَ ٱلنَّاسِۗ﴾ مع أنهم حاولوا قتله كما قتلوا قبله من الأنبياء وهذا إعجاز ؛ لأنّ الرسول ﷺ كان يُحرس، ولما نزلت الآية صرف الحرس، وقال الرسول ﷺ: «**انصرفوا فقد عصمني الله**»، وهذا دليل على أنه يأتيه الوحي من الله تعالى.

٥ـ في قوله تعالى: ﴿وَٱللَّهُ يَعۡصِمُكَ مِنَ ٱلنَّاسِۗ﴾ وقفت باحثة بلجيكية عند هذه النقطة وقالت: لو كان هذا الرجل يخدع الناس جميعاً ما خدع نفسه في حياته، ولو لم يكن واثقاً

من أن الله يحرسه لما فعل ذلك كتجربة واقعية تدل على ثقته بربه، ثم أعلنت إسلامها بملء اليقين لمجرد وقوفها عند لمحة واحدة من لمحات رسول الله ﷺ .

٦ـ المراد من قوله تعالى: ﴿وَٱللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ ٱلنَّاسِ﴾ هو العصمة من القتل وفيها التنبيه على أنه يجب عليه أنّ يتحمل كل ما دون النفس من أنواع البلاء، ويدخل في ذلك ما حصل للرسول الكريم ﷺ من شج وجهه وكسر رباعيته يوم أحد، علماً بأنّ هذه الآية نزلت بعد يوم أحد.

٧ـ المراد من ﴿ٱلنَّاسِ﴾ ههنا عامة الكفار، بدليل قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٦٧﴾﴾ أي: أنّ الله لا يمكنهم مما يريدون .

٨ـ عن أنس رضي الله عنه قال: كان رسول الله ﷺ يحرسه سعد وحذيفة حتى نزلت الآية، فأخرج رأسه من قبة أدم وقال: «**انصرفوا فقد عصمني الله من الناس**».

٩ـ روي أنه ﷺ نزل تحت شجرة في بعض أسفاره وعلق سيفه عليها فأتاه أعرابي وهو نائم فأخذ سيفه واخترطه وقال: يا محمد من يمنعك مني؟ فقال: الله، فرعدت يد الأعرابي وسقط السيف من يده وضرب برأسه الشجرة حتى انتثر دماغه .

﴿ قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ لَسْتُمْ عَلَىٰ شَىْءٍ حَتَّىٰ تُقِيمُوا۟ ٱلتَّوْرَىٰةَ وَٱلْإِنجِيلَ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْكُم مِّن رَّبِّكُمْ ۗ وَلَيَزِيدَنَّ كَثِيرًا مِّنْهُم مَّآ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ طُغْيَٰنًا وَكُفْرًا ۖ فَلَا تَأْسَ عَلَى ٱلْقَوْمِ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٦٨﴾ ﴾

السؤال الأول:

ما دلالة كلمة ﴿عَلَىٰ شَىْءٍ﴾ في الآية؟

الجواب :

في قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ لَسْتُمْ عَلَىٰ شَىْءٍ﴾ وقعت كلمة (شيء) نكرة في سياق النفي، حيث سبقت بالفعل(ليس)، وهو يدل على النفي، فأفاد هذا الأسلوب أنْ يكون لهم أقل حظ من التدين والتقوى.

السؤال الثاني:

ما الفرق بين استخدام الفاسقين والكافرين في الآيتين [٢٦ و ٦٨] من سورة المائدة؟

الجواب :

الآية ٢٦ في الكلام مع موسى بخصوص قومه الذين امتنعوا عن القتال وقوم موسى ليسوا كفاراً؛ لذا لا يمكن وصفهم بالكافرين .

أمّا الآية ٦٨ فالخطاب للرسول ﷺ في خطابه لأهل الكتاب، فهؤلاء كفرة كما قال تعالى: ﴿وَلَيَزِيدَنَّ كَثِيرًا مِّنْهُم مَّآ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ طُغْيَـٰنًا وَكُفْرًا﴾؛ ولهذا جاءت كلمة (الكافرين) في نهايتها.

❋❋❋❋

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَٱلَّذِينَ هَادُوا۟ وَٱلصَّـٰبِـُٔونَ وَٱلنَّصَـٰرَىٰ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْـَٔاخِرِ وَعَمِلَ صَـٰلِحًا فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٦٩﴾﴾

السؤال الأول:

ما الفرق بين الآيات: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَٱلَّذِينَ هَادُوا۟ وَٱلنَّصَـٰرَىٰ وَٱلصَّـٰبِـِٔينَ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْـَٔاخِرِ وَعَمِلَ صَـٰلِحًا فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٦٢﴾﴾ [البقرة:٦٢] و ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَٱلَّذِينَ هَادُوا۟ وَٱلصَّـٰبِـُٔونَ وَٱلنَّصَـٰرَىٰ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْـَٔاخِرِ وَعَمِلَ صَـٰلِحًا فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٦٩﴾﴾ [المائدة:٦٩]: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَٱلَّذِينَ هَادُوا۟ وَٱلصَّـٰبِـِٔينَ وَٱلنَّصَـٰرَىٰ وَٱلْمَجُوسَ وَٱلَّذِينَ أَشْرَكُوٓا۟ إِنَّ ٱللَّهَ يَفْصِلُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ شَهِيدٌ ﴿١٧﴾﴾ [الحج:١٧] في رفع ونصب الصابئين؟ وما دلالة التقديم والتأخير؟

الجواب:

انظر الجواب في آية البقرة ٦٢.

السؤال الثاني:

ما وجه الاختلاف من الناحية البيانية بين خاتمة آية ٦٢ في سورة البقرة وخاتمة آية ٦٩ في سورة المائدة؟

الجواب :

انظر الجواب في آية البقرة ٦٢.

السؤال الثالث:

ما اللمسات البيانية في قوله تعالى في الآية: ﴿فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٦٩﴾﴾ ؟

الجواب :

١ـ (الفاء) في موضعها هي ليست حرف عطف، ولكنها جواب شرط للذين ﴿إِنَّ الَّذِينَ﴾ ولا يُجاب عليه بغير الفاء، ولا حرف غيرها ينوب مكانها.

٢ـ قوله تعالى: ﴿فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٦٩﴾﴾ تعبير في غاية العجب والدقة من الناحية التعبيرية، ولا تعبير آخر يؤدي مؤدّاه .

٣ـ نفى الخوف بالصورة الاسمية ﴿فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ﴾، ولم يقل: (لا عليهم خوف)، ونفى الحزن بالصورة الفعلية ﴿وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٦٩﴾﴾ وخصّص الحزن بقوله: ﴿وَلَا هُمْ﴾، ولم يقل مثلاً: (ولا يحزنون هم).

أ ـ قوله تعالى: ﴿فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ﴾، ولم يقل: (لا يخافون)، كما قال: (لا يحزنون)، ولا يصح أنْ يقال: (لا يخافون)؛ لأنهم سوف يخافون قبل ذلك اليوم: ﴿يَخَافُونَ يَوْمًا تَتَقَلَّبُ فِيهِ الْقُلُوبُ وَالْأَبْصَارُ ﴿٣٧﴾﴾ [النور:٣٧]، و ﴿إِنَّا نَخَافُ مِن رَّبِّنَا يَوْمًا عَبُوسًا قَمْطَرِيرًا ﴿١٠﴾﴾ [الإنسان:١٠] وهذا مدح لهم قبل يوم القيامة، أمّا يوم القيامة فهم يخافون إلا مَن أمّنه الله تعالى. وكل الخلق

وقتها خائفون: ﴿يَوۡمَ تَرَوۡنَهَا تَذۡهَلُ كُلُّ مُرۡضِعَةٍ عَمَّآ أَرۡضَعَتۡ﴾ [الحج:٢]؛ لذا لا يصح أنْ يقال: (لا يخافون) فالخوف شيء طبيعي موجود في الإنسان.

فقوله تعالى: ﴿فَلَا خَوۡفٌ عَلَيۡهِمۡ﴾ معناها لا يُخشى عليهم خطر، فالخوف موجود يوم القيامة، ولكنّ الأمان جاء من الله تعالى فأمّنهم بأنه (لا خوف عليهم)، وليس المهم أنْ يكون الإنسان خائفاً أو غير خائف، لكنّ المهم هل يكون عليه خطر أم لا .

ب ـ قوله تعالى: ﴿وَلَا هُمۡ يَحۡزَنُونَ ٦٩﴾ جعل الحزن بالصيغة الفعلية، وجاء بالفعل فأسنده إليهم .

لكنْ لماذا لم يقل: (ولا حُزن) على نسق(ولا خوف عليهم)؟ الجواب: لأنه لا يصح المعنى، ولو قالها لكانت تعني: (ولا حُزن عليهم) أي: لا يحزن عليهم أحد. وشيء مهم أنْ لا يكون الإنسان حزيناً لكنْ لا أن يُحزن عليه أحد، فمعناه إمّا لأنه لا يستحق الحزن عليه، أو لأنه لا يشعر.

ج ـ قوله تعالى: ﴿وَلَا هُمۡ يَحۡزَنُونَ ٦٩﴾ بتقديم ﴿هُمۡ﴾، فهذا للحصر، ويُسمّى (التقديم للقصر)، ولم يقل: (لا خوف عليهم ولا حزن لهم)؛ لأنها لا تفيد التخصيص.

ففي قوله تعالى: ﴿فَلَا خَوۡفٌ عَلَيۡهِمۡ وَلَا هُمۡ يَحۡزَنُونَ ٦٩﴾ نفى الخوف المتجدد والثابت ﴿فَلَا خَوۡفٌ﴾، ونفى الحزن المتجدد بقوله: ﴿وَلَا هُمۡ يَحۡزَنُونَ ٦٩﴾، ولا يمكن لعبارة أخرى أن تؤدي هذا المعنى المطلوب.

٤ـ لماذا لم يقل: (لا عليهم خوفٌ)؟ ولماذا لم يقدّم هنا مثل ﴿وَلَا هُمۡ يَحۡزَنُونَ ٦٩﴾؟

والجواب: لأنه لا يصح المعنى كذلك، ولو قالها لكان معناها أنه نفى الخوف عنهم وأثبت أنّ الخوف على غيرهم، وهذا يعني أنه يخاف على الكفار؟ لكنْ من الذي يخاف على الكفار؟ لذا لا يصح أن يقال: (لا عليهم خوفُ) .

٥ـ لماذا قال: ﴿فَلَا خَوْفٌ﴾، ولم يقل: (لا خوفَ عليهم) مبنية على الفتح؟

﴿لا خوفَ﴾: لا النافية للجنس تفيد التنصيص في نفي الجنس، نحو (لا رجلَ)، ومعناها نفينا الجنس كله، أمّا ﴿فَلَا خَوْفٌ﴾ عندما تأتي بالرفع يحتمل نفي الجنس ونفي الواحد، والسياق عيّن أنه لا خوفٌ عليهم ولا هم يحزنون من باب المدح على سبيل الاستغراق.

فالرفع(لا خوفٌ عليهم) أفاد معنيين لا يمكن أنْ يفيدها البناء على الفتح، وبيان ذلك:

آ ـ إمّا أنْ يكون حرف الجر(عليهم) متعلقاً بالخوف (خوفٌ عليهم) والخبر محذوف بمعنى: (لا خوف عليهم من أي خطر) وهو من باب الحذف الشائع.

ب ـ ويحتمل أنْ يكون (الجار والمجرور)﴿عَلَيْهِمْ﴾ هو الخبر.

ومثال ذلك قولنا: (الجلوس في الصف) قد تحتاج إلى خبر فنقول: (الجلوس في الصف نافع وجيّد)، وقد تحتمل معنى أنّ الجلوس (مبتدأ) و (في الصف) خبر بمعنى الجلوس كائن في الصفّ.

ففي الرفع ﴿فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ﴾ تدل على معنيين: لا خوف عليهم من أي شيء، وتحتمل لا خوف كائن عليهم.

أمّا في البناء على الفتح (لا خوفَ عليهم) فلا يمكن أنْ يكون هذا الأمر، ولا بدّ أن يكون الجار والمجرور(عليهم) هوالخبر، ولا يحتمل أنْ يكون متعلقاً، وهذا يؤدي إلى معنى واحد وليس معنيين، أي يأخذ شقاً من المعنيين ويكون متعلقاً بالخبر المحذوف وليس بالخبر.

❁❁❁❁

﴿ لَقَدْ أَخَذْنَا مِيثَٰقَ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ وَأَرْسَلْنَآ إِلَيْهِمْ رُسُلًا ۖ كُلَّمَا جَآءَهُمْ رَسُولٌۢ بِمَا لَا تَهْوَىٰٓ أَنفُسُهُمْ فَرِيقًا كَذَّبُوا۟ وَفَرِيقًا يَقْتُلُونَ ﴿٧٠﴾ ﴾

السؤال الأول:

قوله تعالى في الآية: ﴿فَرِيقًا كَذَّبُوا۟ وَفَرِيقًا يَقْتُلُونَ ﴿٧٠﴾﴾ لِمَ أتى الفعل ﴿كَذَّبُوا۟﴾ ماضياً، بينما جاء الفعل ﴿يَقْتُلُونَ ﴿٧٠﴾﴾ مضارعاً؟

الجواب :

١ـ جاء التكذيب بصيغة الماضي؛ ليقص علينا حالتهم، بينما أتى الفعل (يقتلون) مضارعاً؛ لتستحضر أيها القارئ لكتاب الله الحالة الفظيعة ولتزدري شناعة فاعليها، حتى كأنك ترى وتشاهد هذا الصنع الفظيع منهم.

٢ـ أخبرنا الله عنهم أنهم كذّبوا عيسى وموسى عليهما السلام، وهذا في الماضي ؛ ولذلك قال: ﴿كَذَّبُوا۟﴾ .

وذكر القتل بلفظ المضارع إشارة إلى تجدد الحدث واستمراره، فقد قتلوا زكريا ويحيى وحاولوا قتل عيسى عليه السلام، لكنّ الله منعهم عن مرادهم وهم يزعمون أنهم قتلوه، كما حاولوا قتل النبي محمد ﷺ فهذه هي صفتهم وهي مستمرة في الماضي والحاضر وحتى في زماننا؛ لذلك ناسب الفعل المضارع ﴿يَقْتُلُونَ ﴿٧٠﴾﴾ .

السؤال الثاني:

أين جواب الشرط في قوله تعالى: ﴿كُلَّمَا جَآءَهُمْ رَسُولٌۢ بِمَا لَا تَهْوَىٰٓ أَنفُسُهُمْ﴾ ؟

الجواب :

١ـ قوله تعالى:﴿كُلَّمَا جَآءَهُمْ رَسُولٌۢ بِمَا لَا تَهْوَىٰٓ أَنفُسُهُمْ﴾ شرط وجوابه محذوف، وإنما جاز حذفه؛ لأنّ الكلام المذكور دليل عليه، والتقدير: كلما جاءهم رسول ناصبوه .

فإن قيل: كيف ناصبوه؟ فالجواب هو في قوله تعالى:﴿فَرِيقًا كَذَّبُواْ وَفَرِيقًا يَقْتُلُونَ ﴿٧٠﴾﴾ .

٢ـ كلمة (رسول) في قوله تعالى:﴿كُلَّمَا جَآءَهُمْ رَسُولٌۢ﴾ تدل على كثرة الرسل؛ فناسب أن جعلهم فريقين .

السؤال الثالث:

لِمَ قدّم المفعول به في قوله تعالى: ﴿فَرِيقًا كَذَّبُواْ وَفَرِيقًا يَقْتُلُونَ ﴿٧٠﴾﴾ ؟

الجواب:

قدّم المفعول به في قوله تعالى: ﴿فَرِيقًا كَذَّبُوا۟ وَفَرِيقًا يَقْتُلُونَ ﴿٧٠﴾﴾ لشدة العناية به، لأنّ تكذيب الأنبياء عليهم الصلاة والسلام وقتلهم عمل منكر قبيح، فكان التقديم لهذه الفائدة. والله أعلم.

❊❊❊❊

﴿وَحَسِبُوٓا۟ أَلَّا تَكُونَ فِتْنَةٌ فَعَمُوا۟ وَصَمُّوا۟ ثُمَّ تَابَ ٱللَّهُ عَلَيْهِمْ ثُمَّ عَمُوا۟ وَصَمُّوا۟ كَثِيرٌ مِّنْهُمْ ۚ وَٱللَّهُ بَصِيرٌۢ بِمَا يَعْمَلُونَ ﴿٧١﴾﴾

السؤال الأول:

ما معنى قوله تعالى: ﴿ثُمَّ عَمُوا۟ وَصَمُّوا۟ كَثِيرٌ مِّنْهُمْ ۚ﴾؟

الجواب:

الآية هي في بني إسرائيل، وهي دالة على أنّ عماهم وصممهم عن الهداية إلى الحق حصل مرتين، وبنو إسرائيل ظنوا ورجحوا أنّ تكذيب الرسل وقتلهم ليس فتنة، وأنهم غير محاسبين عليه.

السؤال الثاني:

ما معنى الفعل ﴿وَحَسِبُوٓا۟﴾ في الآية؟

الجواب:

الفعل: (حَسِب) ـ بفتح الحاء وكسر السين ـ بمعنى: الظن، وبفتح الحاء وفتح السين بمعنى: عدّ.

والفعل (حَسِب) لا بد له من مفعولين، وفي الآية: ﴿أَلَّا تَكُونَ فِتْنَةٌ﴾ جملة قامت مقام مفعولي (حسب) بتقدير: وحسبوا الفتنةَ غيرَ نازلة بهم.

السؤال الثالث:

هل هناك قراءة ثانية لقوله تعالى: ﴿أَلَّا تَكُونَ فِتْنَةٌ﴾؟

الجواب:

قرأ حمزة والكسائي ﴿أَنْ لا تَكُونُ فِتْنَةٌ﴾ برفع نون (تكون)، والباقون قرؤوها بالنصب.

السؤال الرابع:

ما أنواع الأفعال حسب درجة ثباتها وعلاقتها بـ (أن) الخفيفة أو الثقيلة؟ وما دلالة قراءة: ﴿أَنْ لا تَكُونُ فِتْنَةٌ﴾ بالرفع والنصب؟

الجواب:

ذكر الواحدي أنّ الأفعال على ثلاثة أنواع من ناحية الثبات والاستقرار وهي:

١ـ فعل يدل على ثبات الشيء واستقراره نحو: العلم واليقين والتبين، وهنا يقع بعده (أنّ) الثقيلة مجانسة للفعل المؤكد دون الخفيفة.

* شواهد قرآنية:

ـ ﴿وَيَعْلَمُونَ أَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ الْمُبِينُ ﴿٢٥﴾﴾ [النور:٢٥].

ـ ﴿أَلَمْ يَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ هُوَ يَقْبَلُ التَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِ﴾ [التوبة:١٠٤].

ـ ﴿أَلَمْ يَعْلَم بِأَنَّ اللَّهَ يَرَىٰ ﴿١٤﴾﴾ [العلق:١٤].

٢ ـ فعل يدل على خلاف الثبات والاستقرار، نحو: أطمع وأخاف وأرجو، فلا يكون بعده إلا (أنْ) الخفيفة الناصبة.

* شواهد قرآنية:

ـ ﴿ وَٱلَّذِىٓ أَطْمَعُ أَن يَغْفِرَ لِى خَطِيٓـَٔتِى ﴾ [الشعراء:٨٢].

ـ ﴿تَخَافُونَ أَن يَتَخَطَّفَكُمُ ٱلنَّاسُ ﴾ [الأنفال:٢٦].

ـ ﴿فَخَشِينَآ أَن يُرْهِقَهُمَا ﴾ [الكهف:٨٠] .

٣ ـ فعل يقع على وجهين: تارة بمعنى: (عَلِمَ) فترفع الفعل، وتارة بمعنى:(طَمَع) فتنصب الفعل، كما هو في هذه الآية: ﴿أَلَّا تَكُونَ فِتْنَةٌ﴾ فجاء فيها قراءتان:

آ ـ فمن رفع قوله: { أَنْ لا تَكُونُ } كان (الحسبان) بمعنى (العلم) عندهم لقوة عنادهم. وكان المعنى: أنّه لا تكون، ثم خففت المشددة وجعلت: ألاّ، عوضاً عن حذف الضمير؛ لأنك لو قلت مثلاً: علمت أنْ يقولُ، بالرفع لم يحسن حتى تأتي بما يكون عوضاً من حذف الضمير نحو السين وسوف كقوله تعالى: ﴿عَلِمَ أَن سَيَكُونُ ﴾ [المزَّمل:٢٠].

ب ـ وفي حالة النصب ﴿تَكُونَ ﴾ كما في قراءة حفص وغيره كان (الحسبان) بمعنى (الطمع)؛ لأنهم عالمون بأنّ قتل الأنبياء خطأ .

٤ـ وكلا الوجهين قد جاء به القرآن.

* شواهد قرآنية: النصب مع(أنْ) الخفيفة:

ـ ﴿أَمْ حَسِبَ ٱلَّذِينَ يَعْمَلُونَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ أَن يَسْبِقُونَا ۚ ﴾ [العنكبوت:٤].

ـ ﴿أَمْ حَسِبَ ٱلَّذِينَ ٱجْتَرَحُوا۟ ٱلسَّيِّـَٔاتِ أَن نَّجْعَلَهُمْ ﴾ [الجاثية:٢١].

ـ ﴿أَحَسِبَ ٱلنَّاسُ أَن يُتْرَكُوٓاْ﴾ [العنكبوت:٢].

*شواهد قرآنية: الرفع مع ﴿أنّ﴾ الثقيلة:

ـ ﴿أَمْ يَحْسَبُونَ أَنَّا لَا نَسْمَعُ سِرَّهُمْ وَنَجْوَىٰهُم﴾ [الزُّخرُف:٨٠].

ـ ﴿أَيَحْسَبُونَ أَنَّمَا نُمِدُّهُم بِهِۦ مِن مَّالٍ وَبَنِينَ ﴿٥٥﴾﴾ [المؤمنون:٥٥] .

* شواهد قرآنية: المذهبان في الظن:

ـ ﴿تَظُنُّ أَن يُفْعَلَ بِهَا فَاقِرَةٌ ﴿٢٥﴾﴾ [القيامة:٢٥] النصب.

ـ ﴿إِن ظَنَّآ أَن يُقِيمَا﴾ [البقرة:٢٣٠] النصب.

ـ ﴿وَأَنَّا ظَنَنَّآ أَن لَّن تَقُولَ ٱلْإِنسُ وَٱلْجِنُّ﴾ [الجن:٥] النصب.

ـ ﴿وَأَنَّهُمْ ظَنُّواْ كَمَا ظَنَنتُمْ أَن لَّن يَبْعَثَ ٱللَّهُ أَحَدًا ﴿٧﴾﴾ [الجن:٧] النصب؛ وذلك لأن (أنْ) تفيد عدم الثبات، و(لن) تفيد التأكيد، فلا تجتمع أنْ الناصبة مع (لن) .

السؤال الخامس:

ما المقصود بالفتنة في الآية؟

الجواب :

١ـ الفتنة تحتمل عذاب الدنيا مثل القحط والوباء والقتل والعداوة والبغضاء، وتحتمل عذاب الآخرة كذلك، وأصل الفتنة الاختبار.

٢ـ اعلم أنّ حسبانهم ﴿أَلَّا تَكُونَ فِتْنَةٌ﴾ يحتمل وجهين:

أـ أنّ النسخ ممتنع على شرع موسى عليه السلام ؛ ولذلك يجب عليهم تكذيب وقتل أي نبي آخر جاء بشرع آخر.

ب ـ أنهم وإنْ اعتقدوا أنهم مخطئون في القتل والتكذيب إلا أنهم يقولون: ﴿نَحْنُ أَبْنَٰٓؤُاْ ٱللَّهِ وَأَحِبَّٰٓؤُهُۥ﴾، وهذا كافٍ لدفع العذاب والعقاب عنهم بسبب القتل والتكذيب.

السؤال السادس:

ما إعراب ﴿أَلَّا تَكُونَ فِتْنَةٌ﴾؟

الجواب:

إعراب: ﴿أَلَّا تَكُونَ فِتْنَةٌ﴾ أنْ: حرف ناصب و (لا) نافية والفعل (تكونَ) تام منصوب بأنْ، و(فتنة) فاعل مرفوع.

السؤال السابع:

ورد في الآية مرتان بأنهم عموا وصموا وبينهما حرف العطف﴿ثُمَّ﴾ ما المراد بهاتين المرتين؟ وما دلالة حرف العطف (ثم)؟

الجواب:

١ ـ قوله تعالى: ﴿ثُمَّ تَابَ ٱللَّهُ عَلَيْهِمْ﴾ (ثم) تفيد التراخي بين المرتين، وأسند الله التوبة إليه ولم يسندها إليهم تجافياً عن التصريح بنسبة الخير إليهم تمهيداً لبيان نقضهم في المرة الثانية .

٢ـ قوله تعالى: ﴿ثُمَّ عَمُواْ وَصَمُّواْ كَثِيرٌ مِّنْهُمْ﴾ :

آـ اختلف المفسرون في المراد بهاتين المرتين، ويرجع بذلك إلى كتب التفسير، وقيل:إنها في زمان يحيى وزكريا وعيسى عليهم السلام، ثم في زمان الرسول محمد ﷺ.

ب ـ قرىء: عُموا وصُموا ـ بالضم ـ على تقدير: عماهم الله وصمهم الله .

السؤال الثامن:

ما إعراب ﴿كَثِيرٌ مِّنْهُمْ﴾؟

الجواب:

﴿كَثِيرٌ مِّنْهُمْ﴾ بدل مرفوع من الضمير في الفعلين في قوله تعالى: ﴿عَمُوا وَصَمُّوا﴾ وهذا الإبدال هنا في غاية الحُسن؛ لأنه لو قال: ﴿عَمُوا وَصَمُّوا﴾ فقط لأوهم ذلك أنّ كلهم صاروا كذلك، فلما قال: ﴿كَثِيرٌ مِّنْهُمْ﴾ دلّ أنّ ذلك للأكثر لا للكل، ومن المعلوم أنّ أكثر اليهود أصر على الكفر بمحمد ﷺ، لكن قليلاً منهم آمن بالنبي ﷺ، مثل عبد الله بن سلام وأصحابه.

وقيل إنّ قوله: ﴿كَثِيرٌ مِّنْهُمْ﴾ خبر مبتدأ محذوف، والتقدير: العمى والصم كثير منهم؛ أي: صادر منهم كثيراً.

وقيل: (فاعل)، وهذه لغة لبعض العرب يعبر عنها النحاة بـ (أكلوني البراغيث)، وهي لغة ضعيفة لا يلتفت إليها.

السؤال التاسع:

ما المراد بالعمى والصمم في الآية؟ وما إعراب ﴿فَعَمُوا وَصَمُّوا﴾؟

الجواب :

١ـ المراد بهذا العمى والصمم (الجهل والكفر)، وهم اختاروا ذلك لأنهم ظنوا أنه علم.

٢ـ إعراب ﴿فَعَمُواْ وَصَمُّواْ﴾ الفاء سببية، وعموا: فعل ماض مبني على الضم المقدر على الياء المحذوفة؛ لاتصاله بواو الجماعة، والواو فاعل .

وصموا: فعل ماض مبني على الضم لاتصاله بواو الجماعة، والواو فاعل .

السؤال العاشر :

ما دلالة قوله تعالى: ﴿وَٱللَّهُ بَصِيرٌۢ بِمَا يَعۡمَلُونَ ۝٧١﴾؟

الجواب :

قوله تعالى: ﴿وَٱللَّهُ بَصِيرٌۢ بِمَا يَعۡمَلُونَ ۝٧١﴾ أي: من قتل الأنبياء وتكذيب الرسل، والمقصود منه التهديد.

وجاء بصيغة الفعل المضارع الذي يفيد تكرار الحدث لإظهار حكاية الحال الماضية استحضاراً لصورتها البشعة، إضافة إلى مراعاة الفاصلة القرآنية .

والجملة تذييل أُشير به إلى بطلان حسبانهم المذكور، ولا يخفى موقع ﴿بَصِيرٌۢ﴾ هنا مع قوله تعالى: ﴿عَمُواْ﴾، والله أعلم.

﴿لَّقَدْ كَفَرَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ ثَالِثُ ثَلَٰثَةٍۘ وَمَا مِنْ إِلَٰهٍ إِلَّآ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌۚ وَإِن لَّمْ يَنتَهُواْ عَمَّا يَقُولُونَ لَيَمَسَّنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنْهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٧٣﴾﴾

السؤال الأول:

قوله تعالى: ﴿وَإِن لَّمْ يَنتَهُواْ عَمَّا يَقُولُونَ لَيَمَسَّنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنْهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ انظر كيف قال تعالى: ﴿عَمَّا يَقُولُونَ﴾ بالمضارع، ولم يقل: عما قالوا، مع أنّ الفعل ﴿يَنتَهُواْ﴾ مضارع، فما الحكمة من تغيير الزمنين في الفعلين؟

الجواب :

لقد جاء الفعل (يقولون) بصيغة المضارع؛ لأنه مناسب لمعنى الفعل ﴿يَنتَهُواْ﴾، فالإنسان ينتهي من شيء مستمر، وفي الآية يأمرهم الله بالكف والانتهاء عن قول مستمر لا عن قول مضى، فلو مضى لما أمر بالانتهاء بل كان أمرهم بالتوبة.

السؤال الثاني:

ما دلالة قوله تعالى: ﴿ثَالِثُ ثَلَٰثَةٍ﴾ في الآية؟

الجواب :

كل ثلاثة يجتمعون معاً يقال لكل واحد منهم (ثالث ثلاثة)، وليس هذا القول ممنوعاً إلا في حالة واحدة،وهي أنْ تقول ثالث ثلاثة آلهة؛ لأنّ الإله لا يتعدد .

وفي آية المجادلة (٧) لم يقل الحق: ما يكون من نجوى اثنين إلا هو ثالثهم؛ لأنّ النجوى لا تكون إلا من ثلاثة، فإنْ جلس اثنان معاً فهما قد يتكلمان بدون نجوى، والنجوى مسارة، وأول النجوى ثلاثة؛ ولذلك بدأها الحق بأول عدد تنطبق عليه .

السؤال الثالث:

ما دلالة استعمال الفعل المضارع ﴿يَنتَهُوا﴾ في الآية كفعل للشرط؟ وماذا عن طريقة استعمال القرآن لفعل الشرط؟

الجواب :

انظر الجواب في آية البقرة ١٩١ .

السؤال الرابع:

قوله تعالى في الآية: ﴿وَمَا مِنْ إِلَٰهٍ إِلَّآ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ﴾ ما الفرق في نفي الجنس بين (ما) و (لا)؟

الجواب:

يقال: لا رجلَ في الدار، ويقال: ما من رجلٍ في الدار، فما الفرق بينهما علماً بأن التعبيرين نص في نفي الجنس؟

ـ لا: تستعمل لجواب سؤال حاصل أو مقدّر هو (هل من) نحو من سأل: عن وجود أحد في الدار؟ فالجواب: لا، ويكون الجواب كالإعلام.

ـ ما: تستعمل كرد على قولٍ أو ما نزل هذه المنزلة نحو من قال: إنّ في الدار لرجلاً، فيكون الرد: ما من رجلٍ في الدار، فهو رد على قول وتصحيح ظن.

* شواهد قرآنية على استعمال (ما) كرد على أقوالهم:

- ﴿لَّقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ ثَالِثُ ثَلَاثَةٍ وَمَا مِنْ إِلَٰهٍ إِلَّا إِلَٰهٌ وَاحِدٌ﴾ [المائدة:٧٣].

- ﴿فَقُلْ تَعَالَوْا نَدْعُ أَبْنَاءَنَا وَأَبْنَاءَكُمْ وَنِسَاءَنَا وَنِسَاءَكُمْ وَأَنفُسَنَا وَأَنفُسَكُمْ ثُمَّ نَبْتَهِلْ فَنَجْعَل لَّعْنَتَ اللَّهِ عَلَى الْكَاذِبِينَ ﴿٦١﴾ إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ الْقَصَصُ الْحَقُّ وَمَا مِنْ إِلَٰهٍ إِلَّا اللَّهُ﴾ [آل عمران:٦١-٦٢]

- ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يَقُولُ آمَنَّا بِاللَّهِ وَبِالْيَوْمِ الْآخِرِ وَمَا هُم بِمُؤْمِنِينَ ﴿٨﴾﴾ [البقرة:٨].

- ﴿وَيَسْتَأْذِنُ فَرِيقٌ مِّنْهُمُ النَّبِيَّ يَقُولُونَ إِنَّ بُيُوتَنَا عَوْرَةٌ وَمَا هِيَ بِعَوْرَةٍ إِن يُرِيدُونَ إِلَّا فِرَارًا ﴿١٣﴾﴾ [الأحزاب:١٣] .

- ﴿وَيَقُولُونَ هُوَ مِنْ عِندِ اللَّهِ وَمَا هُوَ مِنْ عِندِ اللَّهِ﴾ [آل عمران:٧٨] .

- ﴿وَيَحْلِفُونَ بِاللَّهِ إِنَّهُمْ لَمِنكُمْ وَمَا هُم مِّنكُمْ﴾ [التوبة:٥٦].

* شواهد قرآنية على استعمال (لا) كإعلام للمخاطب:

- ﴿ذَٰلِكَ الْكِتَابُ لَا رَيْبَ فِيهِ﴾ [البقرة:٢] .

- ﴿لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَد تَّبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ﴾ [البقرة:٢٥٦] .

- ﴿فَاعْلَمْ أَنَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا اللَّهُ﴾ [محمد:١٩].

﴿مَا ٱلۡمَسِيحُ ٱبۡنُ مَرۡيَمَ إِلَّا رَسُولٞ قَدۡ خَلَتۡ مِن قَبۡلِهِ ٱلرُّسُلُ وَأُمُّهُۥ صِدِّيقَةٞۖ كَانَا يَأۡكُلَانِ ٱلطَّعَامَۗ ٱنظُرۡ كَيۡفَ نُبَيِّنُ لَهُمُ ٱلۡأٓيَٰتِ ثُمَّ ٱنظُرۡ أَنَّىٰ يُؤۡفَكُونَ ﴿٧٥﴾﴾

السؤال الأول:

ما الفرق بين الأفعال ﴿نُصَرِّفُ﴾ و﴿فَصَّلۡنَا﴾ و ﴿نُبَيِّنُ﴾ في قوله تعالى في الآيات:

- ﴿قُلۡ أَرَءَيۡتُمۡ إِنۡ أَخَذَ ٱللَّهُ سَمۡعَكُمۡ وَأَبۡصَٰرَكُمۡ وَخَتَمَ عَلَىٰ قُلُوبِكُم مَّنۡ إِلَٰهٌ غَيۡرُ ٱللَّهِ يَأۡتِيكُم بِهِۗ ٱنظُرۡ كَيۡفَ نُصَرِّفُ ٱلۡأٓيَٰتِ ثُمَّ هُمۡ يَصۡدِفُونَ ﴿٤٦﴾﴾ [الأنعام:٤٦]

- ﴿وَهُوَ ٱلَّذِي جَعَلَ لَكُمُ ٱلنُّجُومَ لِتَهۡتَدُواْ بِهَا فِي ظُلُمَٰتِ ٱلۡبَرِّ وَٱلۡبَحۡرِۗ قَدۡ فَصَّلۡنَا ٱلۡأٓيَٰتِ لِقَوۡمٖ يَعۡلَمُونَ ﴿٩٧﴾﴾ [الأنعام:٩٧]

- ﴿مَا ٱلۡمَسِيحُ ٱبۡنُ مَرۡيَمَ إِلَّا رَسُولٞ قَدۡ خَلَتۡ مِن قَبۡلِهِ ٱلرُّسُلُ وَأُمُّهُۥ صِدِّيقَةٞۖ كَانَا يَأۡكُلَانِ ٱلطَّعَامَۗ ٱنظُرۡ كَيۡفَ نُبَيِّنُ لَهُمُ ٱلۡأٓيَٰتِ ثُمَّ ٱنظُرۡ أَنَّىٰ يُؤۡفَكُونَ ﴿٧٥﴾﴾ [المائدة:٧٥]؟

الجواب:

١- التصريف: هو التغيير من جهة إلى أخرى: ﴿وَتَصۡرِيفِ ٱلرِّيَٰحِ وَٱلسَّحَابِ ٱلۡمُسَخَّرِ بَيۡنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلۡأَرۡضِ لَأٓيَٰتٖ لِّقَوۡمٖ يَعۡقِلُونَ ﴿١٦٤﴾﴾[البقرة:١٦٤].

والتصريف قد يأتي للمسألة الواحدة ويذكرها بصور شتى ويغيّر فيها حتى يوصلها لك. مثلاً: إثبات الحياة بعد الموت، فيأتي بإحياء الأرض بعد موتها: ﴿إِنَّ ٱلَّذِيٓ أَحۡيَاهَا لَمُحۡيِ

ٱلۡمَوۡتَىٰٓۚ﴾ [فُصِّلَت:٣٩] ويعطي مشهداً تمثيلياً وأحياناً يستدل بالحياة الآخرة على خلق الإنسان وتطوره: ﴿أَلَمۡ يَكُ نُطۡفَةٗ مِّن مَّنِيّٖ يُمۡنَىٰ ﴿٣٧﴾ ثُمَّ كَانَ عَلَقَةٗ فَخَلَقَ فَسَوَّىٰ ﴿٣٨﴾ فَجَعَلَ مِنۡهُ ٱلزَّوۡجَيۡنِ ٱلذَّكَرَ وَٱلۡأُنثَىٰٓ ﴿٣٩﴾ أَلَيۡسَ ذَٰلِكَ بِقَٰدِرٍ عَلَىٰٓ أَن يُحۡـِۧيَ ٱلۡمَوۡتَىٰ ﴿٤٠﴾﴾ [القيامة:٣٧-٣٨-٣٩-٤٠] هذا تصريف، ويعني أنه في كل مرة يأتي بشكل مختلف حتى يثبت المسألة، فيصرفها أي يغيرها بصور حتى يوصلها.

٢ـ التفصيل: هو إمّا أنْ يكون التبيين بصورة واسعة وبصور متعددة مختلفة، وإمّا يأتي التفصيل من الفصل أو الحجز بين الشيئين، وهذا هو الأصل.

فمثلاً عندما يذكر صفة أهل الطاعة وأهل الإجرام، وهما ليسا موضوعاً واحداً؛ فهذا تفصيل، وعندما يذكر موضوع الحياة بعد الموت فهو موضوع واحد. مثال قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ فَالِقُ ٱلۡحَبِّ وَٱلنَّوَىٰۖ يُخۡرِجُ ٱلۡحَيَّ مِنَ ٱلۡمَيِّتِ وَمُخۡرِجُ ٱلۡمَيِّتِ مِنَ ٱلۡحَيِّۚ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُۖ فَأَنَّىٰ تُؤۡفَكُونَ ﴿٩٥﴾ فَالِقُ ٱلۡإِصۡبَاحِ وَجَعَلَ ٱلَّيۡلَ سَكَنٗا وَٱلشَّمۡسَ وَٱلۡقَمَرَ حُسۡبَانٗاۚ ذَٰلِكَ تَقۡدِيرُ ٱلۡعَزِيزِ ٱلۡعَلِيمِ ﴿٩٦﴾ وَهُوَ ٱلَّذِي جَعَلَ لَكُمُ ٱلنُّجُومَ لِتَهۡتَدُواْ بِهَا فِي ظُلُمَٰتِ ٱلۡبَرِّ وَٱلۡبَحۡرِۗ قَدۡ فَصَّلۡنَا ٱلۡأٓيَٰتِ لِقَوۡمٖ يَعۡلَمُونَ ﴿٩٧﴾﴾ [الأنعام:٩٥-٩٦-٩٧] انتقل من الحب والنوى إلى الإصباح ثم الشمس والقمر ثم النجوم، ومواضيع أخرى، ثم ينتقل فيذكر أموراً كثيرة، فهذا تفصيل، يأتي بأمور كثيرة مختلفة وليست مسألة واحدة لذا يذكر التفصيل: ﴿قَدۡ فَصَّلۡنَا ٱلۡأٓيَٰتِ﴾ [الأنعام:٩٧] .

٣ـ التبيين: هو توضيح أمر واحد، كما تبين الكلمة الواحدة أو تبين المسألة الواحدة. على سبيل المثال قوله تعالى: ﴿لَقَدۡ كَفَرَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلۡمَسِيحُ ٱبۡنُ مَرۡيَمَۖ وَقَالَ ٱلۡمَسِيحُ يَٰبَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمۡۖ إِنَّهُۥ مَن يُشۡرِكۡ بِٱللَّهِ فَقَدۡ حَرَّمَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِ ٱلۡجَنَّةَ وَمَأۡوَىٰهُ ٱلنَّارُۖ وَمَا لِلظَّٰلِمِينَ مِنۡ أَنصَارٖ ﴿٧٢﴾ لَّقَدۡ كَفَرَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ ثَالِثُ ثَلَٰثَةٖۘ وَمَا مِنۡ إِلَٰهٍ إِلَّآ إِلَٰهٞ

وَٰحِدٞۚ وَإِن لَّمۡ يَنتَهُواْ عَمَّا يَقُولُونَ لَيَمَسَّنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنۡهُمۡ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٧٣﴾ أَفَلَا يَتُوبُونَ إِلَى ٱللَّهِ وَيَسۡتَغۡفِرُونَهُۥۚ وَٱللَّهُ غَفُورٞ رَّحِيمٞ ﴿٧٤﴾ مَّا ٱلۡمَسِيحُ ٱبۡنُ مَرۡيَمَ إِلَّا رَسُولٞ قَدۡ خَلَتۡ مِن قَبۡلِهِ ٱلرُّسُلُ وَأُمُّهُۥ صِدِّيقَةٞۖ كَانَا يَأۡكُلَانِ ٱلطَّعَامَۗ ٱنظُرۡ كَيۡفَ نُبَيِّنُ لَهُمُ ٱلۡأٓيَٰتِ ثُمَّ ٱنظُرۡ أَنَّىٰ يُؤۡفَكُونَ ﴿٧٥﴾﴾ [المائدة:٧٢-٧٣-٧٤-٧٥]، نفس القضية فاستعمل (نبيّن) أي نوضح.

فالتفصيل والتصريف غير التبيين، مع أنّ كلها إيضاح.

السؤال الثاني:

قوله تعالى في الآية: ﴿يُؤۡفَكُونَ ﴿٧٥﴾﴾ ما الفرق بين الكذب و الإفك؟

الجواب:

١ـ الكذب: هو الإخبار بغير الحقيقة والواقع .

٢ـ الإفك: هو الكذب الفاحش، مثل الكذب على الله ورسوله أو على القرآن ومثل قذف المحصنات، وأصل الإفك هو الصرف، نحو قوله تعالى:

- ﴿وَيۡلٞ لِّكُلِّ أَفَّاكٍ أَثِيمٖ ﴿٧﴾﴾ [الجاثية:٧]،

- ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ جَآءُو بِٱلۡإِفۡكِ عُصۡبَةٞ مِّنكُمۡۚ﴾ [النور:١١] .

- ﴿أَنَّىٰ يُؤۡفَكُونَ ﴿٧٥﴾﴾ [المائدة:٧٥] أي: يصرفون عن الحق.

السؤال الثالث:

قوله تعالى في الآية ﴿يُؤۡفَكُونَ ﴿٧٥﴾﴾ لماذا جاء بصيغة المجهول؟ وكم مرة جاء الفعل (يؤفك) مبنياً للمجهول في القرآن؟

الجواب :

ورد الفعل (يؤفك) مبنياً للمجهول في القرآن الكريم ثلاث عشرة مرة وبصيغ مختلفة كقوله تعالى: ﴿يُؤْفَكُ عَنْهُ مَنْ أُفِكَ ﴿٩﴾﴾ [الذاريات:٩] ﴿أَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ ﴿٧٥﴾﴾ [المائدة:٧٥].

والحكمة ـ والله أعلم ـ من حذف الفاعل وبناء الفعل للمجهول أنّ الفاعل يحتمل عدة احتمالات، فقد يكون الذي يصرف الكفار عن الإيمان هو الشيطان أو الهوى أو الشبهة أو الشهوة أو النفس أو القرين أو العرف الباطل أو التقليد الأعمى أو الدنيا الخادعة أو المصلحة الذاتية أو غير ذلك.

لهذا حُذف الفاعل وبُني الفعل للمجهول. والله أعلم.

السؤال الرابع:

لماذا سميت ديار قوم لوط المؤتفكات؟

الجواب :

تسمى الرياح المؤتفكات؛ لأنها تقلب الأرض فتصرفها عما عهدت عليه، وسميت ديار قوم لوط المؤتفكات؛ لأنها قُلبت بهم .

❁❁❁❁

﴿ قُلْ أَتَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَمْلِكُ لَكُمْ ضَرًّا وَلَا نَفْعًا ۚ وَٱللَّهُ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٧٦﴾ ﴾

السؤال الأول:

قوله تعالى: ﴿ قُلْ أَتَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَمْلِكُ لَكُمْ ضَرًّا وَلَا نَفْعًا ۚ وَٱللَّهُ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٧٦﴾﴾ إنّ (ما) الموصولة تستعمل لغير العاقل ويقابلها للعاقل (مَن)، فلِمَ قال تعالى:

﴿مَا لَا يَمْلِكُ﴾ باستعمال (ما) غير العاقلة، ولم يقل: (من لا يملك) باستعمال (من) العاقلة؟

الجواب:

استعمل ربنا (ما) الموصولة لغير العاقل؛ لأن معظم ما عُبِد من دون الله أشياء لا تعقل.

السؤال الثاني:

قوله تعالى: ﴿مَا لَا يَمْلِكُ لَكُمْ ضَرًّا وَلَا نَفْعًا﴾ لِمَ قدّم ربنا الضر على النفع في الآية، ولم يقل: ما لا يملك لكم نفعاً ولا ضراً؟

الجواب:

قدّم الله الضر على النفع في الآية؛ لأنّ النفوس أشد تطلعاً إلى دفعه من تطلعها إلى جلب النفع، فكان أكثر ما يدفع المشركين إلى عبادة الأصنام أنْ يردّوا بها الأضرار عن أنفسهم.

❁❁❁❁

﴿قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لَا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ غَيْرَ الْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعُوا أَهْوَاءَ قَوْمٍ قَدْ ضَلُّوا مِن قَبْلُ وَأَضَلُّوا كَثِيرًا وَضَلُّوا عَن سَوَاءِ السَّبِيلِ (٧٧)﴾

السؤال الأول:

ما دلالة قوله تعالى في الآية: ﴿لَا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ غَيْرَ الْحَقِّ﴾؟

الجواب :

في قوله تعالى: ﴿قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ لَا تَغْلُوا۟ فِى دِينِكُمْ غَيْرَ ٱلْحَقِّ﴾ انظر كيف عدل الله تعالى عن قوله: لا تغلوا في دينكم باطلاً، إلى قوله: ﴿لَا تَغْلُوا۟ فِى دِينِكُمْ غَيْرَ ٱلْحَقِّ﴾ لما في وصف ﴿غَيْرَ ٱلْحَقِّ﴾ من تشنيع الموصوف؛ إذ المعنى أنه مخالف للحق المعروف، ومن ثم فهو مذموم؛ لأنّ الحق محمود فغيره مذموم .

السؤال الثاني:

ما الغلو المذكور في آية المائدة (٧٧)؟ وما وجه الاختلاف في مفهوم الحق بين هذه الآية وآية النساء رقم (١٧١)؟

الجواب:

١ـ الغلو: معناه الإفراط ومجاوزة الحدّ، من (غلا يغلو) في دينه، وهو غير (غلا يغلي غلياناً).

٢ـ قوله تعالى في آية النساء ١٧١: ﴿يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ لَا تَغْلُوا۟ فِى دِينِكُمْ وَلَا تَقُولُوا۟ عَلَى ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْحَقَّ﴾ ما هذا الحق؟ والجواب هو المسيح عيسى بن مريم رسول الله، وكلمته ألقاها إلى مريم.

٣ـ وقوله تعالى في آية المائدة ٧٧: ﴿قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ لَا تَغْلُوا۟ فِى دِينِكُمْ غَيْرَ ٱلْحَقِّ﴾ آية النساء تفسّر آية المائدة، ما الحق الذي يريده؟ الحق أنّ الله سبحانه وتعالى لا شريك له، وأنّ عيسى رسول الله، وليس كما يقولون.

السؤال الثالث:

ما دلالة قوله تعالى في الآية: ﴿قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ لَا تَغْلُوا۟ فِى دِينِكُمْ غَيْرَ ٱلْحَقِّ﴾؟

الجواب:

عندما يوجد شيء مشترك بين النصارى واليهود يحدثهم الله بقوله: ﴿يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ﴾، أمّا الشيء الخاص فهو يتحدث به لكل فئة بمفردها.

والغلو هو الإفراط في الحكم إيجاباً أو سلباً، وهو إمّا الإفراط في المنزلة العالية، وإمّا التفريط في المنزلة الدنيا، ولذلك تجد دائماً المتناقضات مع الغلو، ورسول الله ﷺ يقول لسيدنا علي كرّم الله وجهه: «**يا علي يهلك فيك رجلان محبٌّ غالٍ ومبغضٌ قالٍ**» رواه الطبراني في الأوسط.

إنّ هناك من أحب سيدنا علياً إلى درجة أنهم اعتبروه نبياً وقالوا: إنّ الوحي أخطأ علياً وجاء إلى محمد ﷺ !! وكل ذلك غلو وإفراط.

أمّا الخوارج فقد قالوا عن سيدنا علي: إنه كافر، وهكذا جاء الغلو والإفراط من جهة المحبين ومن جهة المبغضين.

وفي الآية يوضح الحق أنّ أهل الكتاب ضلوا في ذواتهم وهم يحاولون إضلال غيرهم، ولذلك ينبههم الله إلى ألا يفعلوا ذلك لا بضلالهم ولا بإضلال غيرهم، وإلا سوف يحملون الوزرين معاً، كما قال الله تعالى: ﴿لِيَحْمِلُوٓا۟ أَوْزَارَهُمْ كَامِلَةً يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ۙ وَمِنْ أَوْزَارِ ٱلَّذِينَ يُضِلُّونَهُم بِغَيْرِ عِلْمٍ ۗ﴾ [النحل:٢٥]

ولذلك علينا أن نفهم أن قول الحق: ﴿وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ﴾ [الإسراء:١٥] أنّ الوزر الأول هو وزر الضلال، والثاني هو وزر الإضلال.

❁❁❁❁

﴿لُعِنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنۢ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ عَلَىٰ لِسَانِ دَاوُۥدَ وَعِيسَى ٱبْنِ مَرْيَمَۚ ذَٰلِكَ بِمَا عَصَواْ وَّكَانُواْ يَعْتَدُونَ ﴿٧٨﴾ كَانُواْ لَا يَتَنَاهَوْنَ عَن مُّنكَرٍ فَعَلُوهُۚ لَبِئْسَ مَا كَانُواْ يَفْعَلُونَ ﴿٧٩﴾﴾

السؤال الأول:

قوله تعالى في الآية: ﴿ذَٰلِكَ بِمَا عَصَواْ وَّكَانُواْ يَعْتَدُونَ﴾ لماذا استعمل الفعل الأول ﴿عَصَواْ﴾ بالماضي؟ والثاني ﴿يَعْتَدُونَ﴾ بالمضارع؟

الجواب:

عبّر ربنا سبحانه عن عصيان بني إسرائيل بالفعل ﴿عَصَواْ﴾ وهو ماض لنعلم أنّ العصيان قد وقع منهم وتقرر ذلك، بينما عبّر عن الاعتداء بالفعل ﴿يَعْتَدُونَ﴾ وهو مضارع، فلم يقل: (بما عصوا واعتدوا)؛ ليستقر في ذهنك أنّ الاعتداء منهم مستمر، فقد اعتدوا على محمد ﷺ بالتكذيب ومحاولة الفتك والكيد، وما زال هذا شأنهم.

السؤال الثاني:

لماذا أطلق الله سبحانه على ترك التناهي لفظ الفعل في قوله: ﴿لَبِئْسَ مَا كَانُوا۟ يَفْعَلُونَ ۝٧٩﴾؟

الجواب:

أطلق الله سبحانه على ترك التناهي لفظ الفعل في قوله: ﴿لَبِئْسَ مَا كَانُوا۟ يَفْعَلُونَ ۝٧٩﴾؛ ذلك لأنّ السكوت عن المنكر لا يخلو من إظهار الرضا به والمشاركة فيه، وهو فعل، كما جاء في الآية.

السؤال الثالث:

ما اللمسة البيانية في آية المائدة (٧٩) في قوله تعالى: ﴿كَانُوا۟ لَا يَتَنَاهَوْنَ عَن مُّنكَرٍ فَعَلُوهُ﴾؟

الجواب:

آيات سورة المائدة[٧٨ـ٨٠]ترسم بكلمات قليلة صورة واضحة للمجتمع اليهودي المريض الفاسد.

ونجد أنّ الفعل ﴿يَتَنَاهَوْنَ﴾ فعل مضارع، وهو يدل على الحال والاستمرار والمشاركة، أي: أنهم مستمرون على هذا الخلق الذميم، وأمّا الفعل: ﴿فَعَلُوهُ﴾ ففعل ماضٍ، والسؤال: كيف الربط بين الفعل الماضي والفعل المضارع؟

١ـ النص القرآني: ﴿كَانُوا۟ لَا يَتَنَاهَوْنَ عَن مُّنكَرٍ فَعَلُوهُ﴾ يفيد أنهم يفعلون المنكر دائماً ولا يتناهون عنه أبداً، فهذه هي سمة حياتهم، ولا يؤدي هذا المعنى لو كان

النص مثلاً: لم يتناهوا عن منكر فعلوه، أو ما تناهوا عن منكر فعلوه، لأنّ هذه النصوص تعبر عن حالة واحدة، وليس فيها معنى الاستمرار والإصرار على هذا الخلق الذميم.

٢ـ كلمة ﴿مُنكَرٍ﴾ نكرة تفيد التعميم، أي: أنهم لا يتناهون عن كل منكر مهما اختلفت الأحوال والأزمان والعادات والشعوب، ولو قال: ﴿المنكر﴾ لما أفاد هذا التعميم .

❁❁❁❁

﴿ ۞ لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ ٱلنَّاسِ عَدَٰوَةً لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱلۡيَهُودَ وَٱلَّذِينَ أَشۡرَكُواْۖ وَلَتَجِدَنَّ أَقۡرَبَهُم مَّوَدَّةً لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّا نَصَٰرَىٰۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّ مِنۡهُمۡ قِسِّيسِينَ وَرُهۡبَانًا وَأَنَّهُمۡ لَا يَسۡتَكۡبِرُونَ ﴿٨٢﴾ ﴾

السؤال الأول:

قوله تعالى: ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّ مِنۡهُمۡ قِسِّيسِينَ وَرُهۡبَانًا وَأَنَّهُمۡ لَا يَسۡتَكۡبِرُونَ ﴿٨٢﴾﴾ لِمَ خصّ الله القسيسين والرهبان بالذكر بينهم؟

الجواب :

(قسيسين) جمع قسيس وهو عالم دين النصرانية وهي بلغة الروم كذلك، و(الرهبان) جمع راهب وهو من انقطع في دير أو صومعة للعبادة، ولكن لِمَ خصّ الله القسيسين والرهبان بالذكر بينهم؟ لأنه معروف عند العرب حسن أخلاق القسيسين والرهبان وتواضعهم وتسامحهم، وكانوا منتشرين في أماكن عدة من جزيرة العرب، ولا شك أنّ وجود الصنفين بين النصارى سيكون سبباً لإصلاح أخلاق أهل ملّتهم.

السؤال الثاني:

ما دلالة قوله تعالى: ﴿لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ ٱلنَّاسِ عَدَٰوَةً لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱلۡيَهُودَ﴾؟

الجواب:

يبين الحق سبحانه أنّ اليهود أشد عداوة للمؤمنين؛ لأنهم كانوا قد أخذوا سلطة زمنية جعلتهم السادة في المنطقة، أمّا النصارى فلم تكن لهم سيادة ولا سلطة زمنية، وكانوا عاكفين في صوامعهم وبيعهم يعبدون الله، ولذلك لم يعادوا المؤمنين كما فعل اليهود؛ لأنه ليس لديهم سلطة زمنية.

و(القس) هو المتفرغ للعلم الرباني، و(الراهب) هو المتفرغ للعبادة، والحق قد امتن بأنّ من النصارى قسيسين ورهباناً، وبذلك صاروا أقرب مودة للذين آمنوا إنْ ظلوا على هذا الوضع؛ لأن العلة تدور مع المعلول وجوداً وعدماً.

وما دام الحق قد عللها بأنّ منهم قسيسين ورهباناً وأنهم لا يستكبرون أي لا يتطاولون إلى رئاسة وليس لهم تكبر أو ترفع، فإذا غيّر النصارى وضعهم وأصابوا سلطة زمنية، فهذا يعني أنهم تخلوا عن الصفة التي حكم الله لهم بسببها بأنهم أقرب مودة.

❁❁❁❁

﴿وَإِذَا سَمِعُواْ مَآ أُنزِلَ إِلَى ٱلرَّسُولِ تَرَىٰٓ أَعۡيُنَهُمۡ تَفِيضُ مِنَ ٱلدَّمۡعِ مِمَّا عَرَفُواْ مِنَ ٱلۡحَقِّۖ يَقُولُونَ رَبَّنَآ ءَامَنَّا فَٱكۡتُبۡنَا مَعَ ٱلشَّٰهِدِينَ ﴿٨٣﴾﴾

السؤال الأول:

ما دلالة (فيض الدمع) في الآية: ﴿تَرَىٰٓ أَعۡيُنَهُمۡ تَفِيضُ مِنَ ٱلدَّمۡعِ﴾؟

الجواب:

المعنى اللفظي لهذه الآية هو (يفيض منها الدمع)؛ لأنّ حقيقة الفيض أنْ يتجاوز السائل حاويه فيسيل خارجاً عنه، فتقول: فاض الماء، كما تقول: فاض الدمع، ولكن قد يسند الفيض إلى الظرف أو المكان الذي يجري فيه السائل، فتقول: مثلاً (فاض الوادي)، وتريد: (فاض ماء الوادي)، وعلى هذا النمط نسجت الآية، فقلب العبارة من (فاض الدمع من العين) إلى قوله: ﴿أَعْيُنَهُمْ تَفِيضُ مِنَ ٱلدَّمْعِ﴾ للمبالغة في ذرف الدموع.

السؤال الثاني:

ما دلالة قوله تعالى في الآية: ﴿تَرَىٰٓ أَعْيُنَهُمْ تَفِيضُ مِنَ ٱلدَّمْعِ مِمَّا عَرَفُواْ مِنَ ٱلْحَقِّ﴾؟ وما دلالة ورود حرف الجر (من) ثلاث مرات في الآية؟

الجواب:

١ـ يقول العلماء: إنّ للإنسان خمس حواس ظاهرة: العين والأذن والأنف واللسان واليد، وسميت ظاهرة؛ لأنّ هناك أموراً أخرى يشعر بها الإنسان ولا يدرك مصدرها، مثل الشعور بالجوع والعطش والحب والبغض، كما أنّ هناك حاسة العضل تميز بها ثقل الأشياء وغيرها.

وفي علم النفس هناك إدراك يدرك، وهناك وجدان يوجد، وهناك نزوع ينزع، ومثال ذلك إدراك وردة جميلة المنظر في بستان قد تصيب من القلب وجداناً، أي: حباً وعشقاً، وأنت حر في أنْ تدرك ما شئت وأن تجد ما شئت، لكن ليس لك أنْ تمد يدك لتقطف الوردة، وهذا هو النزوع؛ لأنّ الشرع يحرم ذلك، وحارس البستان يمنعك من ذلك،

إذن لك الإدراك ولك الوجدان فهما مباحان، أمّا النزوع فهذا هو الأمر الذي تتدخل فيه الشريعة .

وهذه القاعدة صحيحة إلا في إدراك جمال الأنوثة، فالشرع يتدخل من البداية فيمنعك من الإدراك بغض البصر؛ لأنّ المسألة الجنسية من الصعب أن تفصلها عن بعضها، لأنه بعد الإدراك والوجدان إمّا أن تنزع فتنتهك أعراض الناس، وإمّا أن تكبت فيصيبك القهر والألم، ولذلك يأتي الشرع ليمنع من البداية هذا الإدراك للجمال .

قال الشعراوي رحمه الله تعالى:

سبحان من خلق الجمالَ والانهزامَ لِسَطوَتِهْ
ولذاك يأمُرُنا بِغَضِّ الطرفِ عنه لحكمَتِهْ
من كان يطلبه فلا إلا بِطُهرِ شريعَتِهْ
وبذا يدومُ له التمتُّعُ هاهنا وبجنَّتِهْ

٢ـ وفي الآية جاءت ﴿مِنَ﴾ ثلاث مرات، فالأولى ﴿مِنَ ٱلدَّمۡعِ﴾، وهي تفيد الابتداء؛ لأنها تسبق الدمع، والثانية ﴿مِمَّا عَرَفُواْ﴾ وهي هنا للسببية، أي: بسبب أنهم عرفوا أنّ هذا القرآن منزل من الله، والثالثة ﴿مِنَ ٱلۡحَقِّۖ﴾ وهي هنا للتبعيض، أي: عرفوا بعضاً من الحق؛ لأنهم لم يسمعوا كل القرآن .

وهذه المرات الثلاث جاءت لتناسب مراحل الشعور التي انتهى إليها العلم التجريبي إدراكاً ووجداناً ونزوعاً، والنزوع في الآية هو ﴿ءَامَنَّا فَٱكۡتُبۡنَا مَعَ ٱلشَّٰهِدِينَ﴾، فهم بذلك قد دخلوا الإسلام وصاروا من أمة محمد ﷺ الشاهدة على بقية الأمم .

﴿ وَمَا لَنَا لَا نُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَمَا جَآءَنَا مِنَ ٱلْحَقِّ وَنَطْمَعُ أَن يُدْخِلَنَا رَبُّنَا مَعَ ٱلْقَوْمِ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿٨٤﴾ فَأَثَٰبَهُمُ ٱللَّهُ بِمَا قَالُوا۟ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا ۚ وَذَٰلِكَ جَزَآءُ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٨٥﴾ ﴾

السؤال الأول:

ما دلالة قوله تعالى في الآية: ﴿ وَمَا لَنَا لَا نُؤْمِنُ بِٱللَّهِ ﴾؟

الجواب :

المعنى العام للآية الأولى: أنّ الله لم يطلب منا الإيمان ليحجب حرياتنا أو يمنع عنا شهواتنا، ولكنّ الإيمان جاء ليعلي الحرية ويعلي الشهوة، فلا يأخذها الإنسان عابرة تنتهي بانتهاء الدنيا، ولكن ليأخذها خالدة ما بقيت السماوات والأرض .

أي أنّ الدين جاء بالنفعية العاقلة، ولذلك فالمتأمل بعمق في هذا الدين يقول لنفسه: ﴿ وَمَا لَنَا لَا نُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَمَا جَآءَنَا مِنَ ٱلْحَقِّ وَنَطْمَعُ أَن يُدْخِلَنَا رَبُّنَا مَعَ ٱلْقَوْمِ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴾، والمؤمن يرى أنه من العجيب ألا يؤمن؛ لأنه يطمح إلى مكانة المؤمن الصالح.

أما الآية الثانية فهي إشارة إلى كلمة الحق التي قالها النجاشي وله سلطان لأهل الجاه من قريش عندما جاؤوا إليه ليرد المسلمين ويسلمهم إلى قريش، لذلك كان لهذه الكلمة وزنها فقد قال بعد أن سمع ما نزل من القرآن من سورة مريم: إنّ هذا والذي جاء به عيسى ليخرج من مشكاة واحدة .

وكان قول النجاشي عظيماً، وجاءه التوكيل من رسول الله ليعقد على أم حبيبة بنت أبي سفيان، فعقد عليها وكيلاً عن رسول الله ﷺ وأمهرها من ماله ثم مات .

ولم تكن أحكام الإسلام قد وصلت إليه ليطبقها؛ لذلك كان يكفيه أنه قال هذا القول، ولذلك صلى عليه الرسول صلاة الغائب .

والله يجزل الثواب لكل من ساند الحق ولو بكلمة؛ لأنه سبحانه شكور يعطي على القليل الكثير، وهو محسنٌ يضاعف الجزاء للمحسنين .

السؤال الثاني:

قوله تعالى في الآية: ﴿جَنَّٰتٍ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ﴾ وورد قوله تعالى: ﴿مِن تَحۡتِهِمُ ٱلۡأَنۡهَٰرُ﴾، فلماذا؟

الجواب :

وردت في وصف الجنة ﴿مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ﴾ حوالي ٣٤ مرة، ووردت ﴿مِن تَحۡتِهِمُ ٱلۡأَنۡهَٰرُ﴾ أربع مرات، وهي:[الأنعام ٦ ـ الأعراف ٤٣ـ يونس ٩ـ الكهف ٣١].

فعندما يكون الوصف عن الجنة يستعمل ﴿مِن تَحۡتِهَا﴾، كما في [آية المائدة ٥ـ وآل عمران ١٣٦].

وعندما يكون الوصف عن المؤمنين ساكني الجنة يستعمل ﴿مِن تَحۡتِهِمُ﴾ [الأعراف:٤٣].

والأنهار هي من تحت الجنة وتحت ساكنيها، جعلنا الله منهم مع النجاة من النار، اللهم آمين.

﴿لَا يُؤَاخِذُكُمُ ٱللَّهُ بِٱللَّغْوِ فِيٓ أَيْمَٰنِكُمْ وَلَٰكِن يُؤَاخِذُكُم بِمَا عَقَّدتُّمُ ٱلْأَيْمَٰنَ ۖ فَكَفَّٰرَتُهُۥٓ إِطْعَامُ عَشَرَةِ مَسَٰكِينَ مِنْ أَوْسَطِ مَا تُطْعِمُونَ أَهْلِيكُمْ أَوْ كِسْوَتُهُمْ أَوْ تَحْرِيرُ رَقَبَةٍ ۖ فَمَن لَّمْ يَجِدْ فَصِيَامُ ثَلَٰثَةِ أَيَّامٍ ۚ ذَٰلِكَ كَفَّٰرَةُ أَيْمَٰنِكُمْ إِذَا حَلَفْتُمْ ۚ وَٱحْفَظُوٓا۟ أَيْمَٰنَكُمْ ۚ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمْ ءَايَٰتِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿٨٩﴾﴾

السؤال الأول:

قوله تعالى في الآية: ﴿عَقَّدتُّمُ﴾ بتشديد القاف، وهناك قراءه ثانية بتخفيف القاف: (عَقَدتُم)، فما معنى هذه الكلمة في القراءتين؟

الجواب :

قال تعالى: ﴿وَلَٰكِن يُؤَاخِذُكُم بِمَا عَقَّدتُّمُ ٱلْأَيْمَٰنَ﴾ ﴿عَقَّدتُّمُ ٱلْأَيْمَٰنَ﴾ قرأ الجمهور بتشديد القاف ﴿عَقَّدتُّمُ﴾، وقرأ حمزة والكسائي وأبو بكر عن عاصم وخلف بتخفيف القاف {عَقَدتُّمُ}

فأمّا﴿عَقَّدتُّمُ﴾ بالتشديد، فتفيد المبالغة في الفعل (عقد)، وأمّا قراءة التخفيف فلأن معنى العقد كافٍ في إفادة التثبيت.

السؤال الثاني:

ما الفرق بين كلمة (إطعام) في آية المائدة ٨٩: ﴿فَكَفَّٰرَتُهُۥٓ إِطْعَامُ عَشَرَةِ مَسَٰكِينَ﴾ وكلمة (طعام) في آية المائدة ٩٥: ﴿أَوْ كَفَّٰرَةٌ طَعَامُ مَسَٰكِينَ أَوْ عَدْلُ ذَٰلِكَ صِيَامًا لِّيَذُوقَ وَبَالَ أَمْرِهِۦ ۗ﴾؟

الجواب :

يقول تعالى: ﴿لَا يُؤَاخِذُكُمُ ٱللَّهُ بِٱللَّغْوِ فِىٓ أَيْمَٰنِكُمْ وَلَٰكِن يُؤَاخِذُكُم بِمَا عَقَّدتُّمُ ٱلْأَيْمَٰنَ ۖ فَكَفَّٰرَتُهُۥٓ إِطْعَامُ عَشَرَةِ مَسَٰكِينَ مِنْ أَوْسَطِ مَا تُطْعِمُونَ أَهْلِيكُمْ أَوْ كِسْوَتُهُمْ أَوْ تَحْرِيرُ رَقَبَةٍ ۖ فَمَن لَّمْ يَجِدْ فَصِيَامُ ثَلَٰثَةِ أَيَّامٍ ۚ ذَٰلِكَ كَفَّٰرَةُ أَيْمَٰنِكُمْ إِذَا حَلَفْتُمْ ۚ وَٱحْفَظُوٓا۟ أَيْمَٰنَكُمْ ۚ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمْ ءَايَٰتِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿٨٩﴾﴾ و ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَقْتُلُوا۟ ٱلصَّيْدَ وَأَنتُمْ حُرُمٌ ۚ وَمَن قَتَلَهُۥ مِنكُم مُّتَعَمِّدًا فَجَزَآءٌ مِّثْلُ مَا قَتَلَ مِنَ ٱلنَّعَمِ يَحْكُمُ بِهِۦ ذَوَا عَدْلٍ مِّنكُمْ هَدْيًۢا بَٰلِغَ ٱلْكَعْبَةِ أَوْ كَفَّٰرَةٌ طَعَامُ مَسَٰكِينَ أَوْ عَدْلُ ذَٰلِكَ صِيَامًا لِّيَذُوقَ وَبَالَ أَمْرِهِۦ ۗ عَفَا ٱللَّهُ عَمَّا سَلَفَ ۚ وَمَنْ عَادَ فَيَنتَقِمُ ٱللَّهُ مِنْهُ ۗ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ ذُو ٱنتِقَامٍ ﴿٩٥﴾﴾

١ـ ينبغي أنْ نفهم أنّ الآية (٨٩) تتعلق بكفارة اليمين، والآية (٩٥) تتعلق بعقوبة قتل الصيد للمُحرِم، فالموضوع مختلف.

٢ـ الآية (٨٩) هذه كفارة يمين الإنسان إذا أقسم يميناً وأراد أنْ يتحلل منها فهناك كفارة ينبغي أنْ يفعلها، هذه الكفارة واضحة المعالم؛ ولذلك فصّل فقال: ﴿فَكَفَّٰرَتُهُۥٓ﴾ أي: كفارة اليمين، فذكر الهاء، وقال: ﴿إِطْعَامُ عَشَرَةِ مَسَٰكِينَ مِنْ أَوْسَطِ مَا تُطْعِمُونَ أَهْلِيكُمْ﴾؛ لأن الإنسان هو الذي سيقرر ذلك. ومنها: أُطعم عشرة مساكين من أوسط ما أُطعم أهلي ؛ ولذلك قال: ﴿إِطْعَامُ﴾ أن تقوم أنت بهذه العملية: أن تُطعم أنت .

٣ـ الآية الأخرى (٩٥) التي تتعلق بعقوبة قاتل الصيد أثناء الحرم فلم يوكل الأمر للشخص وإنما أوكله إلى اثنين: ﴿يَحْكُمُ بِهِۦ ذَوَا عَدْلٍ مِّنكُمْ﴾ وهما يقرران؛ ولذلك لا يستطيع أن يقول: إطعام عشرة مساكين أو خمسة مساكين، وهذا أيضاً يرتبط بنوع الصيد المقتول، يعني إذا قتل أرنباً غير ما إذا قتل غزالاً مثلاً، فهذان الرجلان يقوّمان ويبيّنان قيمة

الصيد وعند ذلك يشتريان طعاماً، فهنا العلاقة (طعام) وليس (الإطعام) مباشرة؛ ولذلك قال: ﴿طَعَامُ مَسَٰكِينَ﴾ وقال: ﴿كَفَّٰرَةٌ﴾ ولم يقل: كفارته؛ لأنه ليس في موضع التفصيل للشخص نفسه.

٤ـ في الآية (٨٩) قال: ﴿فَكَفَّٰرَتُهُۥٓ﴾، بينما قال في الآية الثانية (٩٥): ﴿فَجَزَآءٌ﴾، ولم يقل: جزاؤه وتركها مطلقة، فهما يقوّمان قيمة الصيد، والكلام ليس عن الإطعام ولكن عن شراء الطعام.

٥ـ لما نكّر ﴿فَجَزَآءٌ﴾ نكّرفقال: ﴿كَفَّٰرَةٌ﴾ ﴿طَعَامُ مَسَٰكِينَ﴾، ولم يحدد العدد ولا يستطيع أن يحدد العدد،لأنّ الله تعالى أطلقها فجعلها مرتبطة بنوع الصيد وبذوي العدل اللذين سيقرران ثمن الصيد فيُشترى بها يعادل القيمة طعاماً، ويتم توزيعه على المساكين.

٦ـ قوله تعالى:﴿أَوۡ عَدۡلُ ذَٰلِكَ صِيَامًا﴾ معناه أنْ يُقدر أنّ هذا الصيد لو أطعمنا به مساكين كم مسكيناً نطعم؟ كذا مسكيناً. إذن نصوم كذا يوماً، فترك الأمر ليس له وإنما لغيره، وفي الآية الأخرى الأمر له، وهذا هو الفارق.

❁❁❁❁

﴿وَأَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَٱحۡذَرُواْۚ فَإِن تَوَلَّيۡتُمۡ فَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّمَا عَلَىٰ رَسُولِنَا ٱلۡبَلَٰغُ ٱلۡمُبِينُ (٩٢)﴾

السؤال الأول:

لماذا يرد في القرآن أحيانا: ﴿وَأَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ﴾ وأحياناً أخرى يرد ﴿وَأَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ﴾؟

الجواب :

١ـ في القرآن قاعدة عامة، وهي أنه إذا لم يتكرر لفظ الطاعة فالسياق يكون لله وحده في آيات السورة، ولم يجر ذكر الرسول ﷺ في السياق أو أي إشارة إليه، كما جاء في سورة آل عمران ﴿وَأَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴿١٣٢﴾﴾ [آل عمران:١٣٢].

٢ـ والأمر الآخر أنه إذا تكرر لفظ الطاعة فيكون قطعاً قد ذُكر فيه الرسول في السياق. كما في قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَأُوْلِي ٱلْأَمْرِ مِنكُمْۖ فَإِن تَنَٰزَعْتُمْ فِي شَيْءٖ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْأٓخِرِۚ ذَٰلِكَ خَيْرٞ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا ﴿٥٩﴾﴾ [النساء:٥٩] و: ﴿وَأَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَٱحْذَرُواْۚ فَإِن تَوَلَّيْتُمْ فَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّمَا عَلَىٰ رَسُولِنَا ٱلْبَلَٰغُ ٱلْمُبِينُ ﴿٩٢﴾﴾ [المائدة:٩٢] و: ﴿يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْأَنفَالِۖ قُلِ ٱلْأَنفَالُ لِلَّهِ وَٱلرَّسُولِۖ فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَأَصْلِحُواْ ذَاتَ بَيْنِكُمْۖ وَأَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿١﴾﴾ [الأنفال:١] و: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَلَا تَوَلَّوْاْ عَنْهُ وَأَنتُمْ تَسْمَعُونَ ﴿٢٠﴾﴾ [الأنفال:٢٠] و: ﴿قُلْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَۖ فَإِن تَوَلَّوْاْ فَإِنَّمَا عَلَيْهِ مَا حُمِّلَ وَعَلَيْكُم مَّا حُمِّلْتُمْۖ وَإِن تُطِيعُوهُ تَهْتَدُواْۚ وَمَا عَلَى ٱلرَّسُولِ إِلَّا ٱلْبَلَٰغُ ٱلْمُبِينُ ﴿٥٤﴾﴾ [النور:٥٤] و: ﴿۞ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَلَا تُبْطِلُوٓاْ أَعْمَٰلَكُمْ ﴿٣٣﴾﴾ [محمد:٣٣] و: ﴿ءَأَشْفَقْتُمْ أَن تُقَدِّمُواْ بَيْنَ يَدَيْ نَجْوَىٰكُمْ صَدَقَٰتٖۚ فَإِذْ لَمْ تَفْعَلُواْ وَتَابَ ٱللَّهُ عَلَيْكُمْ فَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُواْ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥۚ وَٱللَّهُ خَبِيرُۢ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿١٣﴾﴾ [المجادلة:١٣] و: ﴿وَأَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَۚ فَإِن تَوَلَّيْتُمْ فَإِنَّمَا عَلَىٰ رَسُولِنَا ٱلْبَلَٰغُ ٱلْمُبِينُ ﴿١٢﴾﴾ [التغابن:١٢] وهذا ما جرى عليه القرآن كله كقاعدة عامة.

السؤال الثاني:

في آية المائدة ٩٢ وآية التغابن ١٢ قوله تعالى: ﴿وَأَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ﴾ لكنه زاد في آية المائدة ٩٢ كلمة ﴿وَٱحۡذَرُواْۚ﴾ وكلمة ﴿فَٱعۡلَمُوٓاْ﴾ فما دلالة ذلك؟

الجواب:

زاد في آية المائدة ﴿وَٱحۡذَرُواْۚ﴾ وقوله: ﴿فَٱعۡلَمُوٓاْ﴾ مع اتحاد ما تضمنته الآيتان فيما سوى ذلك؛ والسبب ـ والله أعلم ـ أنّ آية المائدة سبقها الأمر باجتناب الخمر وما ذكر معها من المحرمات، انظر آية المائدة (٩١) وما تجره عليهم هذه المحرمات من شرور، قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِنَّمَا ٱلۡخَمۡرُ وَٱلۡمَيۡسِرُ وَٱلۡأَنصَابُ وَٱلۡأَزۡلَٰمُ رِجۡسٞ مِّنۡ عَمَلِ ٱلشَّيۡطَٰنِ فَٱجۡتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ (٩٠) إِنَّمَا يُرِيدُ ٱلشَّيۡطَٰنُ أَن يُوقِعَ بَيۡنَكُمُ ٱلۡعَدَٰوَةَ وَٱلۡبَغۡضَآءَ فِي ٱلۡخَمۡرِ وَٱلۡمَيۡسِرِ وَيَصُدَّكُمۡ عَن ذِكۡرِ ٱللَّهِ وَعَنِ ٱلصَّلَوٰةِۖ فَهَلۡ أَنتُم مُّنتَهُونَ (٩١) وَأَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَٱحۡذَرُواْۚ فَإِن تَوَلَّيۡتُمۡ فَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّمَا عَلَىٰ رَسُولِنَا ٱلۡبَلَٰغُ ٱلۡمُبِينُ (٩٢)﴾ [المائدة: ٩٠-٩١-٩٢] فناسب ذلك ذكر هذه الزيادة لتأكيد التحذير.

وأمّا آية التغابن فلم يرد قبلها ما يستدعي هذا التأكيد، فجاء كلٌّ على ما يجبُ ويناسب.

❋❋❋❋

﴿لَيۡسَ عَلَى ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ جُنَاحٞ فِيمَا طَعِمُوٓاْ إِذَا مَا ٱتَّقَواْ وَّءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ ثُمَّ ٱتَّقَواْ وَّءَامَنُواْ ثُمَّ ٱتَّقَواْ وَّأَحۡسَنُواْۚ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلۡمُحۡسِنِينَ (٩٣)﴾

السؤال الأول:

ما الفرق بين التعبيرين في القرآن الكريم ﴿لَا جُنَاحَ عَلَيۡكُمۡ﴾ و﴿لَيۡسَ عَلَيۡكُمۡ جُنَاحٌ﴾؟

الجواب :

١ـ ﴿لَّا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ﴾ جملة اسمية، (لا) النافية للجنس وجناح اسمها، وخبرها جار ومجرور (عليكم).

بينما ﴿لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ﴾ جملة فعلية، والقاعدة العامة أنّ الجملة الاسمية أقوى من الفعلية؛ لأنها دالة على الثبوت؛ لأنّ الاسم يدل على الثبوت، والفعل يدل على الحدوث والتجدد، والوصف بالاسم أقوى وأدوم من الوصف بالفعل.

و (لا) أقوى في النفي من (ليس) والنفي درجات، واللغة العربية سهلة ولكنها واسعة تعبر عن أمور كثيرة لا يمكن للغات أخرى أن تعبر عنها وأدوات النفي لها دلالاتها.

٢ـ الاستعمال القرآني للتعبيرين:

أ ـ التعبير ﴿لَّا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ﴾ [البقرة:٢٣٦]:

تستعمل فيما يتعلق بالعبادات بما فيها الصلاة والعمرة والحج والجهاد وتنظيم الأسرة وشؤونها والحقوق والواجبات الزوجية والأمور المهمة.

* شواهد قرآنية:

ـ ﴿إِنَّ ٱلصَّفَا وَٱلْمَرْوَةَ مِن شَعَآئِرِ ٱللَّهِ فَمَنْ حَجَّ ٱلْبَيْتَ أَوِ ٱعْتَمَرَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِ أَن يَطَّوَّفَ بِهِمَا﴾ [البقرة:١٥٨] هذه عبادة.

ـ ﴿فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا فِيمَا ٱفْتَدَتْ بِهِۦ﴾ [البقرة:٢٢٩].

ـ ﴿فَإِن طَلَّقَهَا فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَآ أَن يَتَرَاجَعَآ إِن ظَنَّآ أَن يُقِيمَا حُدُودَ ٱللَّهِ﴾ [البقرة:٢٣٠].

ـ ﴿فَإِنْ أَرَادَا فِصَالًا عَن تَرَاضٍ مِّنْهُمَا وَتَشَاوُرٍ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا ۗ وَإِنْ أَرَدتُّمْ أَن تَسْتَرْضِعُوٓا۟ أَوْلَـٰدَكُمْ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ إِذَا سَلَّمْتُم مَّآ ءَاتَيْتُم بِٱلْمَعْرُوفِ ۗ﴾ [البقرة:٢٣٣] .

ـ ﴿فَإِذَا بَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِيمَا فَعَلْنَ فِىٓ أَنفُسِهِنَّ بِٱلْمَعْرُوفِ ۗ﴾ [البقرة:٢٣٤] .

ـ ﴿وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِيمَا عَرَّضْتُم بِهِۦ مِنْ خِطْبَةِ ٱلنِّسَآءِ أَوْ أَكْنَنتُمْ فِىٓ أَنفُسِكُمْ ۚ﴾ [البقرة:٢٣٥].

ـ ﴿لَّا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ إِن طَلَّقْتُمُ ٱلنِّسَآءَ مَا لَمْ تَمَسُّوهُنَّ أَوْ تَفْرِضُوا۟ لَهُنَّ فَرِيضَةً ۚ﴾ [البقرة:٢٣٦].

ـ ﴿فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِى مَا فَعَلْنَ فِىٓ أَنفُسِهِنَّ مِن مَّعْرُوفٍ ۗ﴾ [البقرة:٢٤٠] .

و هذه الآيات كلها في الحقوق وفي شؤون الأسرة.

ب ـ التعبير ﴿ لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ ﴾

ويستعمل فيما دون ذلك من أمور المعيشة اليومية، كالبيع والشراء والتجارة وغيرها مما هو دون العبادات في الأهمية.

* شواهد قرآنية:

ـ ﴿ لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَن تَبْتَغُوا۟ فَضْلًا مِّن رَّبِّكُمْ ۚ﴾ [البقرة:١٩٨] هذه في التجارة، ليست فى العبادة.

ـ ﴿فَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَلَّا تَكْتُبُوهَا ۗ﴾ [البقرة:٢٨٢] في كتابة الدَّين في التجارة.

ـ ﴿ لَّيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَن تَدْخُلُوا۟ بُيُوتًا غَيْرَ مَسْكُونَةٍ فِيهَا مَتَـٰعٌ لَّكُمْ ۚ﴾ [النور:٢٩] .

ـ ﴿ لَّيْسَ عَلَى ٱلْأَعْمَىٰ حَرَجٌ﴾ [النور:٦١] في الأكل .

ـ ﴿وَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ فِيمَآ أَخْطَأْتُم بِهِۦ﴾ [الأحزاب:٥] في نسب الأولاد لآبائهم .

ج ـ وقد ورد في القرآن الكريم آيتان متتابعتان كل منهما تحتوي على إحدى الجملتين، وهما في سورة النساء: [١٠١ ـ ١٠٢].

الآية (١٠١): فيها ﴿فَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ﴾ وسياق الآية في الضرب في الأرض للتجارة.

الآية (١٠٢): فيها ﴿وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ﴾، وسياق الآية في الصلاة خلال الحرب، ولا شك أن الصلاة أكثر أهمية من التجارة.

د ـ كان عروة بن الزبير قد فهم من قوله تعالى: ﴿فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِ أَن يَطَّوَّفَ بِهِمَا﴾ [البقرة:١٥٨] أنّ السعي ليس بركن، فردت عليه عائشة رضي الله عنها ذلك وقالت: لو كان الأمر كما قلت، لقال: فلا جناح عليه ألا يطوف بهما .

وثبت أنّ طائفة من الناس كانت تطوف بين الصفا والمروة قبل الإسلام للأصنام، فلما جاء الإسلام كرهوا الفعل الذي كانوا يشركون به، فرفع الله ذلك الجناح من قلوبهم وأمرهم بالطواف .

السؤال الثاني:

ما فائدة ورود (ما) بعد (إذا) في الآية في قوله تعالى ﴿إِذَا مَا اتَّقَوا وَءَامَنُوا﴾؟

الجواب :

بشكل مختصر نقول: زاد (ما) بعد (إذا) توكيداً للتقوى.

وبصورة مفصلة نقول:

الأصل في (إذا) أن تكون للمقطوع بحدوثه وللكثير الوقوع، فالمقطوع بحصوله نحو قوله تعالى: ﴿كُتِبَ عَلَيْكُمْ إِذَا حَضَرَ أَحَدَكُمُ ٱلْمَوْتُ﴾ [البقرة:١٨٠] فإنّ كل واحد منا سيحضره الموت، وقوله:﴿وَإِذَا حَلَلْتُمْ فَٱصْطَادُوا۟﴾ [المائدة:٢] ولا بدّ للمحرم من أن يتحلل .

وأما ما يقع كثيراً فنحو قوله تعالى: ﴿وَإِذَا حُيِّيتُم بِتَحِيَّةٍ﴾ [النساء:٨٦] ﴿وَإِذَا قُرِئَ ٱلْقُرْءَانُ﴾ [الأعراف:٢٠٤] .

وتدخل (ما) بعد أدوات الشرط نحو (إذا ما) و (متى ما)، وقد ذهب النحاة فيها إلى أنها تؤدي غرضين:

١ـ إفادة الإبهام والعموم:

فإذا قلت مثلا: سأزورك إذا جنّ الليل، فالراجح أنْ يكون القصد ليل يومكم ذاك. وأما إذا قلت: سأزورك إذا ما جنّ الليل، فانه لا يتعين ليل ذلك اليوم، بل أصبح الكلام يحتمل الليالي الأخرى القابلة؛ وذلك لأن (ما) أبهمتها .

٢ـ إفادة التوكيد:

ومعنى التوكيد أظهر من الإبهام في الاستعمال القرآني والاستعمال العربي، و(ما) تزاد كافة وغير كافة، وتزاد بعد الأحرف المشبهة بالفعل وبعد طائفة من حروف الجر، وحيثما زيدت (ما) مع (إنْ) الشرطية في القرآن الكريم أُكّد شرطها بالنون ولم يتخلف من ذلك موضع واحد، علماً أنها وردت في أربعة عشر موضعاً، نحو:

قال تعالى: ﴿وَإِمَّا تَخَافَنَّ مِن قَوْمٍ خِيَانَةً فَٱنۢبِذْ إِلَيْهِمْ عَلَىٰ سَوَآءٍ﴾ [الأنفال:٥٨].

وقال تعالى: ﴿وَإِن مَّا نُرِيَنَّكَ بَعْضَ ٱلَّذِى نَعِدُهُمْ أَوْ نَتَوَفَّيَنَّكَ﴾ [الرعد:٤٠].

ولذلك يمكن أن نقول: إنّ القاعدة في زيادة (ما) هي أنه: إذا قُصد توكيد معنى الشرط الذي تضمنته (إذا) لقوة معنى الجزاء استعملت (ما) بعدها.

* شواهد على استعمال (ما) بقصد التوكيد لمعنى الشرط:

المجموعة الأولى: مع الفعل (جاء):

الآيات [آية فصلت ٢٠: ﴿إِذَا مَا جَآءُوهَا شَهِدَ﴾ هنا استعمل (ما)] و[آيات الزخرف ٣٨ ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَنَا قَالَ﴾ والزمر ٧١ ﴿إِذَا جَآءُوهَا فُتِحَتْ أَبْوَٰبُهَا﴾ والزمر ٧٣ ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءُوهَا وَفُتِحَتْ أَبْوَٰبُهَا﴾ فلم يستعمل (ما)].

آ ـ في آية فصلت ٢٠: لا يقتضي الشرط وهو المجيء شهادة السمع والبصر والجلود، ألا ترى استنكارهم لها حتى أنهم قالوا لجلودهم: ﴿لِمَ شَهِدتُّمْ عَلَيْنَا﴾، فأجابوا: ﴿أَنطَقَنَا ٱللَّهُ ٱلَّذِىٓ أَنطَقَ كُلَّ شَىْءٍ﴾؛ لذلك استعمل (ما) لتوكيد معنى الشرط، وهو المجيء.

ب ـ أما آية سورة الزخرف ٣٨: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَنَا قَالَ يَٰلَيْتَ بَيْنِى وَبَيْنَكَ بُعْدَ ٱلْمَشْرِقَيْنِ فَبِئْسَ ٱلْقَرِينُ ﴿٣٨﴾﴾

أي: قال الآدمي لقرينه من الجن اللذين اشتركا في الدنيا في معصية الله ثم اشتركا في العذاب في الآخرة: ليتني لم أتبعك وكان بعد المشرقين بيني وبينك، وهذا مما يتوقع منهما، ثم يتبرّى بعضهم من بعض، لذلك ليس في الجزاء ما يوجب قوة الشرط الذي لا يتوقع ولا يستفاد إلا به ومنه.

ج ـ أما في آيتي الزمر ٧١ و ٧٣، فالمجيء يقتضي فتح الأبواب فلم يحتج للتوكيد، بعكس شهادة السمع والأبصار والجلود في آية فصلت فهو أمر مستغرب؛ فأكده لذلك.

المجموعة الثانية:

الآية ٢٨٢ من سورة البقرة، وفيها:

- ﴿إِذَا تَدَايَنتُم بِدَيْنٍ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى فَاكْتُبُوهُ﴾ لم يستعمل (ما) .
- ﴿وَأَشْهِدُوٓاْ إِذَا تَبَايَعْتُمْ﴾ لم يستعمل (ما) .
- ﴿وَلَا يَأْبَ ٱلشُّهَدَآءُ إِذَا مَا دُعُواْ﴾ استعمل (ما) .

زيدت ﴿مَا﴾ في ﴿وَلَا يَأْبَ ٱلشُّهَدَآءُ إِذَا مَا دُعُواْ﴾ مؤكدة على الشهداء حضور الشهادة؛ وذلك لأنّ الشهيد قد يتباطأ أو يتكاسل أو ينكص عن الشهادة؛ لأنه ليس له مصلحة خاصة به أو قد تلحق به ضرراً فاحتاج إلى التوكيد، بخلاف كتابة الدين أو الإشهاد .

المجموعة الثالثة:

[الأنبياء ٤٥ ﴿وَلَا يَسْمَعُ ٱلصُّمُّ ٱلدُّعَآءَ إِذَا مَا يُنذَرُونَ ﴿٤٥﴾﴾ استعمل (ما)

والنمل ٨٠ ﴿لَا تُسْمِعُ ٱلْمَوْتَىٰ وَلَا تُسْمِعُ ٱلصُّمَّ ٱلدُّعَآءَ إِذَا وَلَّوْاْ مُدْبِرِينَ ﴿٨٠﴾﴾ لم يستعمل (ما)]

في آية الأنبياء: المعنى: وإن تطاول الإنذار وتكرر، فأكّد عدم سمعهم وعدم استجابتهم للإنذار؛ فاستعمل (ما) .

أما آية النمل: (٨٠) فإنها لا تحتاج إلى توكيد كالإنذار .

المجموعة الرابعة:

آية يونس ٥١ : ﴿أَثُمَّ إِذَا مَا وَقَعَ ءَامَنتُم بِهِۦٓ﴾ أي: أنهم لا يؤمنون إلا إذا حلّ العذاب يقيناً لا حدساً ولا تخميناً ولا استنتاجاً فأكّد. ويدل على ذلك قوله تعالى قبلها: ﴿قُلْ أَرَءَيْتُمْ إِنْ أَتَىٰكُمْ عَذَابُهُۥ بَيَٰتًا أَوْ نَهَارًا مَّاذَا يَسْتَعْجِلُ مِنْهُ ٱلْمُجْرِمُونَ ﴿٥٠﴾ أَثُمَّ إِذَا مَا وَقَعَ ءَامَنتُم بِهِۦٓ ءَآلْـَٰٔنَ وَقَدْ كُنتُم بِهِۦ تَسْتَعْجِلُونَ ﴿٥١﴾﴾ .

المجموعة الخامسة:

في آية المائدة ٩٣ : ﴿لَيْسَ عَلَى ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ جُنَاحٌ فِيمَا طَعِمُوٓا۟ إِذَا مَا ٱتَّقَوا۟ وَّءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ ثُمَّ ٱتَّقَوا۟ وَّءَامَنُوا۟ ثُمَّ ٱتَّقَوا۟ وَّأَحْسَنُوا۟ ۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٩٣﴾﴾

زاد (ما) بعد (إذا) توكيداً للتقوى، يدلك على ذلك تكرار كلمة (التقوى) ثلاث مرات في نفس الآية .

المجموعة السادسة:

[آية التوبة ٨٦: ﴿وَإِذَآ أُنزِلَتْ سُورَةٌ أَنْ ءَامِنُوا۟ بِٱللَّهِ﴾ لم يستعمل (ما) .

وآية التوبة ١٢٤ : ﴿وَإِذَا مَآ أُنزِلَتْ سُورَةٌ فَمِنْهُم مَّن يَقُولُ﴾ استعمل (ما).

وآية التوبة ١٢٧ : ﴿وَإِذَا مَآ أُنزِلَتْ سُورَةٌ نَّظَرَ بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ﴾ استعمل (ما)].

آ ـ في آية التوبة ١٢٤ استعمل (ما)؛ وذلك لتوكيد معنى الشرط ﴿أُنزِلَتْ﴾ لإعطاء القوة لمعنى الجزاء، وهو زيادة الإيمان للمؤمنين وزيادة رجس المنافقين الذين في قلوبهم نفاق .

ب ـ وأما آية التوبة ١٢٧ فاستعمل (ما)؛ وذلك لتأكيد أنّ ذلك حالهم عند نزول أي سورة، ولتأكيد أنّ الله: ﴿صَرَفَ ٱللَّهُ قُلُوبَهُم بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَّا يَفْقَهُونَ ﴿١٢٧﴾﴾ لسوء فهمهم أو لعدم تدبرهم، فهم إمّا حمقى أو غافلون .

ج ـ وأما آية التوبة ٨٦ فلم يستعمل (ما)؛ لأنّ المراد هنا بالسورة على ما قيل سورة معينة وهي سورة براءة ،أو كل سورة ذكر فيها الإيمان والجهاد.

فهم ـ أي: المنافقون ـ وخاصة أولي الطول، وهم أصحاب الفضل والسعة والقدرة البدنية يطلبون في مثل هذه الحالات الإذن بالقعود، فهذا هو تصرفهم المعتاد، وليس هناك حاجة إلى تأكيد معنى الشرط لتأكيد معنى الجزاء، وهو طلب الاستئذان.

يلاحظ أن (إذا) تكررت في أكثر من ٤٠٠ موضع في القرآن، فأولها في سورة البقرة ١١ وآخرها في سورة الفلق ٥ .

كما تكررت (إذا ما) في ١١ موضعاً، وهي:

[البقرة ٢٨٢ـ المائدة ٩٣ـ التوبة ٩٢ ـ التوبة ١٢٤ـ التوبة ١٢٧ـ يونس ٥١ـ الأنبياء ٤٥ ـ فصلت ٢٠ـ الشورى ٣٧ـ الفجر ١٥ ـ الفجر ١٦]، والله أعلم.

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَقۡتُلُواْ ٱلصَّيۡدَ وَأَنتُمۡ حُرُمٞۚ وَمَن قَتَلَهُۥ مِنكُم مُّتَعَمِّدٗا فَجَزَآءٞ مِّثۡلُ مَا قَتَلَ مِنَ ٱلنَّعَمِ يَحۡكُمُ بِهِۦ ذَوَا عَدۡلٖ مِّنكُمۡ هَدۡيَۢا بَٰلِغَ ٱلۡكَعۡبَةِ أَوۡ كَفَّٰرَةٞ طَعَامُ مَسَٰكِينَ أَوۡ عَدۡلُ ذَٰلِكَ صِيَامٗا لِّيَذُوقَ وَبَالَ أَمۡرِهِۦۗ عَفَا ٱللَّهُ عَمَّا سَلَفَۚ وَمَنۡ عَادَ فَيَنتَقِمُ ٱللَّهُ مِنۡهُۚ وَٱللَّهُ عَزِيزٞ ذُو ٱنتِقَامٍ ﴿٩٥﴾ ﴾

السؤال الأول:

قوله تعالى في الآية: ﴿أَوۡ عَدۡلُ ذَٰلِكَ﴾ ما الفرق بين (العِدل و العَدل)؟

الجواب :

(العِدل) بالكسر هو المِثل تقول: عندي عِدل جاريتك، فلا يكون إلا على جارية مثلها.

وأما (العَدل) فيكون على قيمتها من الثمن، فتقول: عندي عَدل جاريتك، أي: قيمتها، ومنه قوله تعالى: ﴿أَوۡ عَدۡلُ ذَٰلِكَ صِيَامٗا﴾، والله أعلم.

السؤال الثاني:

ما الفرق بين (إطعام) ﴿فَكَفَّٰرَتُهُۥٓ إِطۡعَامُ عَشَرَةِ مَسَٰكِينَ﴾ و(طعام) ﴿أَوۡ كَفَّٰرَةٞ طَعَامُ مَسَٰكِينَ أَوۡ عَدۡلُ ذَٰلِكَ صِيَامٗا لِّيَذُوقَ وَبَالَ أَمۡرِهِۦۗ﴾؟

الجواب :

انظر الجواب في آية المائدة ٨٩.

﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَسۡـَٔلُواْ عَنۡ أَشۡيَآءَ إِن تُبۡدَ لَكُمۡ تَسُؤۡكُمۡ وَإِن تَسۡـَٔلُواْ عَنۡهَا حِينَ يُنَزَّلُ ٱلۡقُرۡءَانُ تُبۡدَ لَكُمۡ عَفَا ٱللَّهُ عَنۡهَاۗ وَٱللَّهُ غَفُورٌ حَلِيمٞ ﴿١٠١﴾ ﴾

السؤال الأول:

قوله تعالى في آية البقرة ٢٢٥ وآية المائدة ١٠١: ﴿غَفُورٌ حَلِيمٞ ﴿١٠١﴾﴾ وتأتي في آيات أخرى: ﴿غَفُورٞ رَّحِيمٌ ﴿١٧٣﴾﴾، فما دلالة كل من التعبيرين في الاختيار القرآني؟

الجواب :

انظر الجواب في آية البقرة ٢٢٥ .

❁❁❁❁

﴿مَا جَعَلَ ٱللَّهُ مِنۢ بَحِيرَةٖ وَلَا سَآئِبَةٖ وَلَا وَصِيلَةٖ وَلَا حَامٖ وَلَٰكِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ يَفۡتَرُونَ عَلَى ٱللَّهِ ٱلۡكَذِبَۖ وَأَكۡثَرُهُمۡ لَا يَعۡقِلُونَ ﴿١٠٣﴾ ﴾

السؤال الأول:

ما دلالة تنكير الكذب و تعريفه؟

الجواب :

١ ـ المعرفة ما دلّ على شيء معين، والكذب يقصد شيئاً معيناً بأمر معين كقوله تعالى: ﴿ قُلۡ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَفۡتَرُونَ عَلَى ٱللَّهِ ٱلۡكَذِبَ لَا يُفۡلِحُونَ ﴿٦٩﴾﴾ [يونس:٦٩] **فعندما يقول (الكذب)** فهو كذب عن أمر معين بالذات مذكور في السياق نحو: ﴿مَا جَعَلَ ٱللَّهُ مِنۢ بَحِيرَةٖ وَلَا سَآئِبَةٖ وَلَا

وَصِيلَةٍ وَلَا حَامٍ وَلَٰكِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ يَفْتَرُونَ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ وَأَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ ﴿١٠٣﴾ ﴾ [المائدة:١٠٣] إذن هذا الكذب معرّف؛ لأنه في مسألة معينة، يتعلق بهذه الذبائح، فاستعمل التعريف (الكذب).

٢ـ أما عندما يقول: (كذب) فإنه يشمل كل كذب، كما في الآية: ﴿وَهَٰذَا كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ مُبَارَكٌ مُّصَدِّقُ ٱلَّذِى بَيْنَ يَدَيْهِ وَلِتُنذِرَ أُمَّ ٱلْقُرَىٰ وَمَنْ حَوْلَهَا ۚ وَٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِٱلْءَاخِرَةِ يُؤْمِنُونَ بِهِۦ ۖ وَهُمْ عَلَىٰ صَلَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ ﴿٩٢﴾ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا﴾ [الأنعام:٩٣]، وليس هنالك مسألة معينة ذكرها، فهذه عامة (كذب).

❁❁❁❁

﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا۟ إِلَىٰ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ وَإِلَى ٱلرَّسُولِ قَالُوا۟ حَسْبُنَا مَا وَجَدْنَا عَلَيْهِ ءَابَآءَنَآ ۚ أَوَلَوْ كَانَ ءَابَآؤُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ شَيْـًٔا وَلَا يَهْتَدُونَ ﴿١٠٤﴾﴾

السؤال الأول:

ما الفرق بين (وجدنا وألفينا) في القرآن الكريم في آيتي البقرة ١٧٠ـ والمائدة ١٠٤؟

الجواب :

انظر الجواب في آية البقرة ١٧٠.

السؤال الثاني:

ما الفرق بين: ﴿لَا يَعْقِلُونَ شَيْـًٔا وَلَا يَهْتَدُونَ ﴿١٧٠﴾﴾ في آية البقرة ١٧٠ و: ﴿لَا يَعْلَمُونَ شَيْـًٔا وَلَا يَهْتَدُونَ ﴿١٠٤﴾﴾ في آية المائدة ١٠٤؟

الجواب :

انظر الجواب في آية البقرة ١٧٠.

❊❊❊❊

﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ شَهَـٰدَةُ بَيْنِكُمْ إِذَا حَضَرَ أَحَدَكُمُ ٱلْمَوْتُ حِينَ ٱلْوَصِيَّةِ ٱثْنَانِ ذَوَا عَدْلٍ مِّنكُمْ أَوْ ءَاخَرَانِ مِنْ غَيْرِكُمْ إِنْ أَنتُمْ ضَرَبْتُمْ فِى ٱلْأَرْضِ فَأَصَـٰبَتْكُم مُّصِيبَةُ ٱلْمَوْتِ ۚ تَحْبِسُونَهُمَا مِنۢ بَعْدِ ٱلصَّلَوٰةِ فَيُقْسِمَانِ بِٱللَّهِ إِنِ ٱرْتَبْتُمْ لَا نَشْتَرِى بِهِۦ ثَمَنًا وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَىٰ ۙ وَلَا نَكْتُمُ شَهَـٰدَةَ ٱللَّهِ إِنَّآ إِذًا لَّمِنَ ٱلْـَٔاثِمِينَ ﴿١٠٦﴾ ﴾

السؤال الأول:

ما الفرق من الناحية البيانية بين إسناد كل من الفعلين (حضر) و(جاء) في القرآن الكريم إلى الموت؟

الجواب :

انظر الجواب في آية البقرة ١٣٣.

السؤال الثاني:

لماذا وردت هنا في الآية ﴿ثَمَنًا﴾، مع أنها وردت في أماكن أخرى ﴿ثَمَنًا قَلِيلًا ۚ﴾؟

الجواب :

١ـ وردت كلمة (ثمن) في القرآن الكريم في ١١موضعاً، وفي موضع واحد في آية المائدة ١٠٦ لم يوصف، بينما وصف في المواضع الأخرى .والسبب في ذلك:

آـ الثمن هو العوض أو المقابل.

ب ـ ذُكرت كلمة ﴿ثَمَنًا﴾ مجردة حتى يشمل الحقير والعظيم والمادي والمعنوي والنفيس والتافه، فنُكّرت كلمة (ثمن) حتى لا يكون هناك أي مجال للتلاعب،وكأنها عبارة قانونية، وحتى لا يجد أحد هذين الشاهدين أي مجال للتنصل.

أي أنّ الآية أكّدت أنه ليس هناك أي مجال للمساومة: ﴿لَا نَشْتَرِى بِهِۦ ثَمَنًا﴾ كأن الثمن هو المأخوذ مهما يكن هذا الثمن مقابل دفع الشهادة، بما في ذلك الثمن المعنوي من أنه سيتخلى عن قَسَمِه (فيقسمان)، ويشهد زوراً من أجله.

٢ـ وُصف الثمن بالقليل في تسع آيات تحقيراً لشأنه وتهويناً من قدره، وجاء مرة واحدة: بثمن بخس، في آية يوسف ٢٠، أي: باعوه دون قدره وقوله تعالى: ﴿وَكَانُوا۟ فِيهِ مِنَ ٱلزَّٰهِدِينَ ﴿٢٠﴾﴾ فقال: ﴿فِيهِ﴾ أي: في بيع يوسف عليه السلام، ولم يقل: (وكانوا من الزاهدين)، وإلا لوصفهم بالزهد أي عدم الطمع.

٣ـ آيات الثمن القليل هي:[البقرة ٤١ـ ٧٩ـ ١٧٤ـ آل عمران ٧٧ـ١٨٧ـ ١٩٩ـ المائدة ٤٤ـ التوبة ٩ـ النحل ٩٥].

السؤال الثالث:

قوله تعالى في الآية: ﴿فَيُقْسِمَانِ بِاللَّهِ﴾، ما الفرق بين (حلف وأقسم) في الاستعمال القرآني؟

الجواب:

في القران استعمل (الحلف) للحلف الكاذب أو الحنث فقط، انظر: [المائدة ٨٩ ـ المجادلة١٤ ـ التوبة ١٠٧].

واستعمل (القسم) في الكذب والصدق، ففي الكذب كما في الآيات [الأعراف٢١ ـ إبراهيم ٤٤ ـ النور ٥٣] واستعمله أيضا في الصدق، كما في الآيات [الواقعة ٧٥-٧٧ المعارج ٤٠].

❁❁❁❁

﴿ فَإِنْ عُثِرَ عَلَىٰٓ أَنَّهُمَا ٱسْتَحَقَّآ إِثْمًا فَـَٔاخَرَانِ يَقُومَانِ مَقَامَهُمَا مِنَ ٱلَّذِينَ ٱسْتَحَقَّ عَلَيْهِمُ ٱلْأَوْلَيَـٰنِ فَيُقْسِمَانِ بِٱللَّهِ لَشَهَـٰدَتُنَآ أَحَقُّ مِن شَهَـٰدَتِهِمَا وَمَا ٱعْتَدَيْنَآ إِنَّآ إِذًا لَّمِنَ ٱلظَّـٰلِمِينَ ﴿١٠٧﴾ ﴾

السؤال الأول:

قال تعالى في آية المائدة ١٠٧: ﴿فَيُقْسِمَانِ بِٱللَّهِ لَشَهَـٰدَتُنَآ أَحَقُّ مِن شَهَـٰدَتِهِمَا﴾ باللام وحدها.

وقال في آية المائدة ٥٣: ﴿أَهَـٰٓؤُلَآءِ ٱلَّذِينَ أَقْسَمُوا۟ بِٱللَّهِ جَهْدَ أَيْمَـٰنِهِمْ ۙ إِنَّهُمْ لَمَعَكُمْ ۚ﴾ بإنّ واللام فما السبب؟

الجواب :

١ـ اجتماع إنّ واللام معاً يؤدي إلى زيادة التوكيد، وهو أقوى من التوكيد بإنّ وحدها أو باللام وحدها.

٢ـ قال تعالى في الآية ١٠٧: ﴿فَيُقْسِمَانِ بِٱللَّهِ لَشَهَٰدَتُنَآ أَحَقُّ مِن شَهَٰدَتِهِمَا﴾ باللام وحدها، وقال في الآية٥٣: ﴿أَهَٰٓؤُلَآءِ ٱلَّذِينَ أَقْسَمُواْ بِٱللَّهِ جَهْدَ أَيْمَٰنِهِمْ إِنَّهُمْ لَمَعَكُمْ﴾ بإن واللام.

والسبب يعود لاختلاف القسمين، فالقسم الثاني فيه مبالغة أكبر بدليل قوله تعالى ﴿جَهْدَ أَيْمَٰنِهِمْ ﴿٥٣﴾﴾، فلمّا بالغوا في القسم بالغوا في التوكيد .

❊❊❊❊

﴿۞ يَوْمَ يَجْمَعُ ٱللَّهُ ٱلرُّسُلَ فَيَقُولُ مَاذَآ أُجِبْتُمْ ۖ قَالُواْ لَا عِلْمَ لَنَآ ۖ إِنَّكَ أَنتَ عَلَّٰمُ ٱلْغُيُوبِ ﴿١٠٩﴾﴾

السؤال الأول:

ما دلالة جواب الرسل في الآية: ﴿قَالُواْ لَا عِلْمَ لَنَآ ۖ إِنَّكَ أَنتَ عَلَّٰمُ ٱلْغُيُوبِ ﴿١٠٩﴾﴾؟

الجواب :

في هذه الآية ينبهنا الله سبحانه إلى أنْ نستعد ليوم الحساب بالالتزام بالمنهج، والله سوف يسأل الرسل في ذلك اليوم ﴿مَاذَآ أُجِبْتُمْ ۖ﴾؟ أي كيف استجاب الناس لأمر المنهج الذي دعوتم إليه؟ وفي هذا تقريع لمن خالف الرسل.

وإجابة الرسل: ﴿قَالُواْ لَا عِلْمَ لَنَآ ۖ إِنَّكَ أَنتَ عَلَّٰمُ ٱلْغُيُوبِ ﴿١٠٩﴾﴾ والسؤال كيف يقولون: ﴿لَا عِلْمَ لَنَآ ۖ﴾ على الرغم أنّ هناك من استجاب لدعوتهم ومن لم يستجب لها؟

وهذا الجواب دقيق؛ لأنّ الآخرة فيها حساب على نوايا القلوب والسرائر، وعلم الرسل هو للأمور العلنية من أقوال وسلوك، ولكنّ الله يحاسب على حسب النية والسلوك، وهو أعلم بالسرائر وما تخفي الضمائر.

لذلك فإنّ إجابتهم هي قمة الأدب مع الله؛ لأنهم يعلمون أنّ علم الله شامل قد وسع كل شيء؛ فلذلك جاء قولهم: ﴿إِنَّكَ أَنتَ عَلَّٰمُ ٱلۡغُيُوبِ ١٠٩﴾ .

وهنا في هذه الآية يجمع الله كل الرسل ويسألهم سؤالاً واحداً على الإجمال، ثم تأتي الآية التي تليها بعيسى بن مريم؛ ليسأله سؤالاً خاصاً عن حادثة معينة، فلماذا؟

إنّ مرد ذلك هو أنّ بعض الذين آمنوا بعيسى قد وضعوه في موضع الألوهية أو بنوة الألوهية، ونعلم أنّ قصارى ما صنعت الأمم السابقة أنّ بعضهم كفر بالرسل، لكن لم يدّعِ أحدٌ من هذه الأمم أنّ الرسول الذي جاء هو إله، وإنْ كان بعض فرق اليهود قد قالوا: إنّ عزيراً هو ابن الله، وهذه الفرقة قد انقرضت ولم يبق يهودي يقول ذلك، والله سبحانه قد جعل الشرك به قمة الكفر الذي لا غفران له.

ولذلك سرد الله في الآيات التي تلي الآية ١٠٩، سرد نعمه على سيدنا عيسى عليه السلام، وليس الهدف من ذلك تنبيه الرسول إلى النعمة؛ لأنه يعلمها جيداً، ولكنه تقريع لمن رأى الأحداث والنعم ولم يلتزم بالإيمان بالله بعدها.

وقد ذكر الله قسمين من النعم:

أ ـ قسماً يقنع أصحاب العقول والألباب والفكر مثل: تعليم الكتاب والحكمة والتوراة والإنجيل.

ب ـ وقسماً يقنع القوم الماديين الذين لا يؤمنون بملكوت الله في غيب الله نحو: الخلق من الطين كهيئة الطير وإحياء الموتى وإبراء الأكمه و الأبرص، وهذه الآيات فيها خرق للناموس المادي؛ ولذلك يُتبع الحقُّ كلَ واحدةٍ منها بذكر كلمة ﴿بِإِذْنِيٓ﴾ .

السؤال الثاني:

من قراءة الآيات الثلاث:[البقرة ١٤٣ـ النساء٤١ـ المائدة ١٠٩] يرد أنّ الأنبياء أولى منا بالشهادة، فما المعنى والحكمة؟

الجواب :

١ـ في آية المائدة ١٠٩ معناه: لا نعلم حقيقة جوابهم باطناً وظاهراً، بل أنت يا رب المتفرد بعلم ذلك إلا ما علمتنا؛ ولذلك قالوا: ﴿إِنَّكَ أَنتَ عَلَّٰمُ ٱلۡغُيُوبِ ١٠٩﴾ والمعنى: أننا نعلم ظاهر جوابهم، أمّا باطنه فأنت أعلم به .

٢ـ ومعناه أيضاً أنّ جوابهم لما كان في حال حياتنا ولا علم لنا بما كان بعد موتنا؛ لأن الأمور بخواتيمها.

﴿ إِذْ قَالَ ٱللَّهُ يَٰعِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ ٱذْكُرْ نِعْمَتِى عَلَيْكَ وَعَلَىٰ وَٰلِدَتِكَ إِذْ
أَيَّدتُّكَ بِرُوحِ ٱلْقُدُسِ تُكَلِّمُ ٱلنَّاسَ فِى ٱلْمَهْدِ وَكَهْلًا ۖ وَإِذْ عَلَّمْتُكَ
ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَٱلتَّوْرَىٰةَ وَٱلْإِنجِيلَ ۖ وَإِذْ تَخْلُقُ مِنَ ٱلطِّينِ كَهَيْـَٔةِ
ٱلطَّيْرِ بِإِذْنِى فَتَنفُخُ فِيهَا فَتَكُونُ طَيْرًۢا بِإِذْنِى ۖ وَتُبْرِئُ ٱلْأَكْمَهَ
وَٱلْأَبْرَصَ بِإِذْنِى ۖ وَإِذْ تُخْرِجُ ٱلْمَوْتَىٰ بِإِذْنِى ۖ وَإِذْ كَفَفْتُ بَنِىٓ
إِسْرَٰٓءِيلَ عَنكَ إِذْ جِئْتَهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ فَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنْهُمْ إِنْ هَٰذَآ إِلَّا
سِحْرٌ مُّبِينٌ (١١٠) ﴾

السؤال الأول:

ما الفرق بين ﴿بِإِذْنِ ٱللَّهِ﴾ في سورة آل عمران ٤٩ و ﴿بِإِذْنِى﴾ في سورة المائدة: ١١٠؟ وما الفرق في استعمال الضمير (فيها وفيه)؟ وما دلالة استعمال (إذ) وعدم استعمالها في آل عمران؟

الجواب :

جاءت﴿بِإِذْنِى﴾ في سورة المائدة؛ لأنّ الله تعالى يعلم أنّ هناك من سيدّعي ألوهية عيسى عليه السلام، فقطع عليهم تعالى خط من زعم الألوهية.

فإذا فهم أحدهم من آية سورة آل عمران ﴿بِإِذْنِ ٱللَّهِ﴾ أنّ عيسى هو الله كما يقولون افتراء عليه، فليعد إلى سورة المائدة التي فيها الكلام موجه من الله تعالى إلى عيسى عليه

السلام؛ حتى يفهم الناس أنّ الذي يبرئ الأكمه والأبرص ويحي الموتى هو الله تعالى، وليس عيسى عليه السلام، فالقرآن يدعم بعضه بعضاً.

لمزيد من التفصيل انظر الجواب في آية آل عمران ٤٩.

السؤال الثاني:

(ذكّر) في آية آل عمران ٤٩ فقال: ﴿فَيَكُونُ طَيْرًا﴾ و(أنّث) في آية المائدة ١١٠ فقال: ﴿فَتَكُونُ طَيْرًا﴾، فما السبب؟

الجواب:

١ـ جاءت آية آل عمران حكاية عن كلام المسيح عليه السلام في ابتداء تحديه بالمعجزة المذكورة، ولم يكن صوّره بعد فحسُنَ التذكير والإفراد ﴿فَأَنفُخُ فِيهِ﴾.

٢ـ وأما آية المائدة فهي من كلام الله تعالى له يوم القيامة معدداً نعمه عليه بعد ما مضت وكان قد اتفق ذلك منه مرات؛ فحسُنَ التأنيث لجماعة ما صوره من ذلك ونفخ فيه ﴿فَتَنفُخُ فِيهَا﴾.

السؤال الثالث:

لماذا الاختلاف في مناداة الله تعالى لعيسى ﴿يَٰعِيسَىٰٓ﴾ في سورة آل عمران ٥٥ و ﴿يَٰعِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ﴾ في آيات سورة المائدة ١١٠ـ ١١٢ ـ ١١٦؟

الجواب:

انظر الجواب في آية آل عمران ٥٥.

﴿ وَإِذْ أَوْحَيْتُ إِلَى ٱلْحَوَارِيِّـۧنَ أَنْ ءَامِنُوا۟ بِى وَبِرَسُولِى قَالُوٓا۟ ءَامَنَّا وَٱشْهَدْ بِأَنَّنَا مُسْلِمُونَ ﴿١١١﴾ ﴾

السؤال الأول:

قوله تعالى في آية المائدة ١١١: ﴿وَٱشْهَدْ بِأَنَّنَا مُسْلِمُونَ ﴿١١١﴾﴾ وقوله في آية آل عمران ٥٢: ﴿وَٱشْهَدْ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ ﴿٥٢﴾﴾ فما السبب في (حذف النون) من آية آل عمران؟

الجواب:

انظر الجواب في آية آل عمران ٥٢.

❊❊❊❊

﴿ إِذْ قَالَ ٱلْحَوَارِيُّونَ يَـٰعِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ هَلْ يَسْتَطِيعُ رَبُّكَ أَن يُنَزِّلَ عَلَيْنَا مَآئِدَةً مِّنَ ٱلسَّمَآءِ ۖ قَالَ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿١١٢﴾ ﴾

السؤال الأول:

كيف قال الحواريون: ﴿هَلْ يَسْتَطِيعُ رَبُّكَ أَن يُنَزِّلَ عَلَيْنَا مَآئِدَةً مِّنَ ٱلسَّمَآءِ ۖ﴾ هل شكّوا في قدرة الله على بعض الممكنات؟ !!!.

ولماذا وصفوه بالاستطاعة مع أن الاستطاعة إنما تكون بالجوارح(وفي هذا تشبيه)؟!!!

علماً أنّ الحواريين هم أخلص أتباع عيسى عليه السلام والمؤمنون به بدليل قوله تعالى عنهم في آية المائدة ١١١: ﴿قَالُوٓا۟ ءَامَنَّا وَٱشْهَدْ بِأَنَّنَا مُسْلِمُونَ ﴿١١١﴾﴾؟

الجواب :

هذا استفهام عن الفعل لا عن القدرة، كما يقول الفقير للغني القادر: هل تقدر أنْ تعطيني ديناراً؟ فهذا يسمى استطاعة المطاوعة لا استطاعة القدرة، وكأنّ معنى سؤالهم: أيستجيب الله وينزل علينا مائدة من السماء؟

وفي قراءة أخرى عن معاذ بن جبل: أقرأني رسول الله ﷺ هل تستطيع ـ بالتاء ـ ربَك ـ بالنصب، أي: هل تستطيع أن تسأل ربك؟

وربما طلبوا ذلك؛ ليحصل لهم مزيد من الطمأنينة، كما قال إبراهيم عليه السلام: ﴿وَلَٰكِن لِّيَطۡمَئِنَّ قَلۡبِيۖ﴾ [البقرة:٢٦٠]

*** سؤال:**

فإن قيل: لو كان المراد هذا المعنى فلِمَ أنكر عليهم عيسى عليه السلام بقوله: ﴿قَالَ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ إِن كُنتُم مُّؤۡمِنِينَ ١١٢﴾؟

والجواب: أنّ إنكاره عليهم؛ لأنهم أتوا بلفظ يحتمل المعنى الذي لا يليق بالمؤمن المخلص إرادته وإنْ كانوا لم يريدوه.

السؤال الثاني:

ما دلالة قوله تعالى في الآية: ﴿أَن يُنَزِّلَ عَلَيۡنَا مَآئِدَةً﴾؟

الجواب :

١ـ قوله تعالى : ﴿أَن يُنَزِّلَ﴾ ليس هنا للتدرج، وإنما هنا للتوكيد .

٢ـ قوله تعالى: ﴿عَلَيۡنَا﴾ استعملوها للعلو، ثم أكدوا ذلك بكلمة ﴿ٱلسَّمَآءِ﴾ فهم يريدونها من السماء .

٣ـ المائدة: (فاعلة) بمعنى (مفعولة)، مثل عيشة راضية، وأصلها مميدة ميد بها صاحبها، والعرب تقول: مادني فلان يميدني إذا أحسن إليه .

السؤال الثالث:

لماذا الاختلاف في مناداة الله تعالى لعيسى ﴿يَٰعِيسَىٰٓ﴾ في سورة آل عمران ٥٥ و﴿يَٰعِيسَى ٱبۡنَ مَرۡيَمَ﴾ في آيات سورة المائدة ١١٠ـ ١١٢ ـ ١١٦؟

الجواب :

انظر الجواب في آية آل عمران ٥٥.

❀❀❀❀

﴿قَالَ عِيسَى ٱبۡنُ مَرۡيَمَ ٱللَّهُمَّ رَبَّنَآ أَنزِلۡ عَلَيۡنَا مَآئِدَةٗ مِّنَ ٱلسَّمَآءِ تَكُونُ لَنَا عِيدٗا لِّأَوَّلِنَا وَءَاخِرِنَا وَءَايَةٗ مِّنكَۖ وَٱرۡزُقۡنَا وَأَنتَ خَيۡرُ ٱلرَّٰزِقِينَ ١١٤﴾

السؤال الأول:

ما دلالة أن كلمة ﴿عِيدٗا﴾ جاءت مفردة في آية المائدة ١١٤؟

الجواب :

١ـ وردت كلمة ﴿عِيدٗا﴾ مرة واحدة في القرآن الكريم بصيغة الإفراد ولم تأتِ بصيغة الجمع، والعيد يأتي مرة في العام أو مرتين .

والعيد ما يعتاده الإنسان من شوق ومرح أو من هم وحزن، وكلتا الدلالتين وردت في الشعر الجاهلي والشعر الإسلامي، ومرور العيد على المرء يجعله عادة في حياته، ثم صار العيد لكثرة استعماله في السرور والمرح يعني اليوم السعيد، وعندما يرتبط العيد بمعنىً قرآني إسلامي ينبغي على المرء ألا يقضيه إلا بما يرضي الله عز وجل من طاعة وعبادة وصلة رحم.

٢ـ كذلك لم ترد كلمة (دين) في القرآن بصيغة الجمع أبداً.

٣ـ بينما وردت كلمة (حزب) و(أحزاب) أي: بصيغة الإفراد والجمع:

أـ حزب: بالإفراد:

وقد وردت في سياق إيجابي: حزب الله، وغير إيجابي: حزب الشيطان، وربما دل ذلك على أنّ الخير والشر في صراع مستمر في هذه الحياة .

ب ـ أحزاب: بالجمع:

فقد وردت ١١ مرة في معاني الشر كله، كما في قوله تعالى: ﴿ فَٱخۡتَلَفَ ٱلۡأَحۡزَابُ مِنۢ بَيۡنِهِمۡۖ ﴾ [الزُّخرُف:٦٥] .

السؤال الثاني:

هل البَدَل يفيد التوكيد؟

الجواب :

للبدل عدة أغراض منها:الإيضاح والتبيين، أو يكون للمدح أو الذمّ، أو يكون للتخصيص أو يكون التفصيل، وقد يكون للتفخيم أو يكون للإحاطة والشمول، كما في

قوله: ﴿قَالَ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ ٱللَّهُمَّ رَبَّنَآ أَنزِلْ عَلَيْنَا مَآئِدَةً مِّنَ ٱلسَّمَآءِ تَكُونُ لَنَا عِيدًا لِّأَوَّلِنَا وَءَاخِرِنَا وَءَايَةً مِّنكَ ۖ وَٱرْزُقْنَا وَأَنتَ خَيْرُ ٱلرَّٰزِقِينَ ﴿١١٤﴾﴾ [المائدة:١١٤]، وقد يكون للتوكيد أيضاً أو غيره .

السؤال الثالث:

ما تعريف البدل وما أقسامه وأغراضه؟ وما فرق البدل عن عطف البيان؟

الجواب :

يعرف النحويون أنّ البدل هو الذي يعتمد بالحديث، وإنما يُذكر الأول لنحو من توطئة؛ وليفاد بمجموعهما فضل تأكيد وتبيين لا يكون في الإفراد.

أهم أقسام البدل:

١ـ البدل المطابق: ويسمى (بدل كل من كل)، نحو: ﴿وَقَالَ مُوسَىٰ لِأَخِيهِ هَٰرُونَ﴾ [الأعراف:١٤٢].

٢ـ (بدل بعض من كل)، نحو:

ـ ﴿وَلِلَّهِ عَلَى ٱلنَّاسِ حِجُّ ٱلْبَيْتِ مَنِ ٱسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا ۚ﴾ [آل عمران:٩٧].

ـ ﴿قُمِ ٱلَّيْلَ إِلَّا قَلِيلًا ﴿٢﴾ نِّصْفَهُۥٓ أَوِ ٱنقُصْ مِنْهُ قَلِيلًا ﴿٣﴾﴾ [المزّمل:٢-٣] .

٣ـ بدل اشتمال: وهو ما دلّ على معنى في متبوعه، نحو ﴿قُتِلَ أَصْحَٰبُ ٱلْأُخْدُودِ ﴿٤﴾ ٱلنَّارِ ذَاتِ ٱلْوَقُودِ ﴿٥﴾﴾ [البروج:٤-٥] فالنار: بدل اشتمال من الأخدود؛ لأنّ الأخدود اشتمل على النار.

أهم أغراض البدل:

١ـ الإيضاح والتبيين، نحو قوله تعالى:

ـ ﴿وَعَلَى ٱلَّذِينَ يُطِيقُونَهُۥ فِدْيَةٌ طَعَامُ مِسْكِينٍ﴾ [البقرة:١٨٤] فالفدية مبهمة يوضحها (طعام مسكين) .

ـ ﴿يَسُومُونَكُمْ سُوٓءَ ٱلْعَذَابِ يُذَبِّحُونَ أَبْنَآءَكُمْ وَيَسْتَحْيُونَ نِسَآءَكُمْ﴾ [البقرة:٤٩] فالعذاب مبهم أوضحه ما بعده.

٢ـ قد يكون الثاني مبيناً حقيقة الأول، كقوله تعالى:

ـ ﴿ وَٱتَّخَذَ قَوْمُ مُوسَىٰ مِنۢ بَعْدِهِۦ مِنْ حُلِيِّهِمْ عِجْلًا جَسَدًا لَّهُۥ خُوَارٌ ﴾ [الأعراف:١٤٨] فحقيقة العجل أنه ليس عجلاً حقيقياً وإنما جسد له خوار، فاتضح الأمر أكثر من اجتماع البدل والمبدل منه.

٣ـ قد يكون للمدح أو الذم، نحو قوله تعالى:

ـ ﴿إِلَىٰ صِرَٰطِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَمِيدِ ۝١ ٱللَّهِ ٱلَّذِى لَهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ﴾ [إبراهيم:١-٢]

فقوله: ﴿ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَمِيدِ ۝١﴾ [إبراهيم:١] صفتان لله تعالى دالتان على المدح.

ـ ﴿إِنَّكَ بِٱلْوَادِ ٱلْمُقَدَّسِ طُوًى ۝١٢﴾ [طه:١٢] فلو قال: (طوى) فقط لما عُلم أنه مقدس.

ـ ﴿وَهَٰذَا ٱلْبَلَدِ ٱلْأَمِينِ ۝٣﴾ [التين:٣] .

ـ ﴿كَلَّا لَئِن لَّمْ يَنتَهِ لَنَسْفَعًۢا بِٱلنَّاصِيَةِ ۝١٥ نَاصِيَةٍ كَٰذِبَةٍ خَاطِئَةٍ ۝١٦﴾ [العلق:١٥-١٦] .

٤ـ وقد يكون للتخصيص، نحو قوله تعالى:

ـ ﴿إِنَّا زَيَّنَّا ٱلسَّمَآءَ ٱلدُّنْيَا بِزِينَةٍ ٱلْكَوَاكِبِ ۝٦﴾ [الصافات:٦] فالزينة عامة خصصت بالكواكب.

- ﴿وَيُطَافُ عَلَيْهِم بِـَٔانِيَةٍ مِّن فِضَّةٍ وَأَكْوَابٍ كَانَتْ قَوَارِيرَا۠ ﴿١٥﴾ قَوَارِيرَا۠ مِن فِضَّةٍ﴾ [الإنسان:١٥-١٦]، فبين جنس القوارير.

- ﴿ثُمَّ أَنزَلَ عَلَيْكُم مِّنۢ بَعْدِ ٱلْغَمِّ أَمَنَةً نُّعَاسًا﴾ [آل عمران:١٥٤] .

٥ـ وقد يكون للتفصيل، كقوله تعالى:

- ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا رَأَوْا۟ مَا يُوعَدُونَ إِمَّا ٱلْعَذَابَ وَإِمَّا ٱلسَّاعَةَ﴾ [مريم:٧٥] ففصّل ما يوعدون.

٦ـ وقد يكون للتفخيم، نحو قوله تعالى:

- ﴿وَقَضَيْنَآ إِلَيْهِ ذَٰلِكَ ٱلْأَمْرَ أَنَّ دَابِرَ هَٰٓؤُلَآءِ مَقْطُوعٌ مُّصْبِحِينَ ﴿٦٦﴾﴾ [الحجر:٦٦] فإنه أبهم الأمر أولاً ثم أوضحه؛ ليكسبه الإعجاب والفخامة.

٧ـ وقد يكون للإحاطة والشمول، كقوله تعالى:

- ﴿أَنزِلْ عَلَيْنَا مَآئِدَةً مِّنَ ٱلسَّمَآءِ تَكُونُ لَنَا عِيدًا لِّأَوَّلِنَا وَءَاخِرِنَا وَءَايَةً مِّنكَ ۖ وَٱرْزُقْنَا وَأَنتَ خَيْرُ ٱلرَّٰزِقِينَ ﴿١١٤﴾﴾ [المائدة:١١٤].

٨ـ وقد يكون للتوكيد، نحو قوله تعالى:

- ﴿تَكُونُ لَنَا عِيدًا لِّأَوَّلِنَا وَءَاخِرِنَا﴾ [المائدة:١١٤].

عطف البيان:

عطف البيان هو قريب من البدل، تقول: أقبل أخوك محمد، ويصح أنْ يعرب عطف البيان بدلاً إلا في مواطن:

آ ـ عطف البيان لا يمكن أنْ يكون فعلاً، بينما البدل قد يكون فعلاً .

ب ـ عطف البيان لا يمكن أنْ يكون جملة ولا تابع لجملة، بينما البدل يمكن أنْ يكون كذلك.

ج ـ عطف البيان لا يمكن أنْ يكون مضمراً، بينما البدل يصح أنْ يكون.

ويأتي أشهر النحاة فيقول: ليس بين البدل وعطف البيان فروق.

❊❊❊❊

﴿ قَالَ ٱللَّهُ إِنِّي مُنَزِّلُهَا عَلَيْكُمْۖ فَمَن يَكْفُرْ بَعْدُ مِنكُمْ فَإِنِّيٓ أُعَذِّبُهُۥ عَذَابًا لَّآ أُعَذِّبُهُۥٓ أَحَدًا مِّنَ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١١٥﴾ ﴾

السؤال الأول:

ما دلالة استخدام الجملة الاسمية المؤكدة في الآية، مع أنها كلام الله؟ ولماذا استعمل ﴿عَلَيْكُمْۖ﴾ ولم يقل: إليكم؟

الجواب :

١ـ قوله تعالى: ﴿إِنِّي مُنَزِّلُهَا﴾ بالجملة الاسمية المؤكدة؛ لتناسب طلبهم في الآية ١١٢ ﴿هَلْ يَسْتَطِيعُ رَبُّكَ أَن يُنَزِّلَ عَلَيْنَا﴾ والجملة الاسمية مع التأكيدات اللفظية بإنّ هو لتأكيد قدرة الله بالإنزال؛ أي: ستنزل، ولم يقل: سأنزلها، بل هي واقع مؤكد يقيني؛ لأنه سيعقد معهم صفقة خاصة .

٢ـ قوله تعالى: ﴿عَلَيْكُمْۖ﴾ استعمل (على) لنزولها من السماء مع تحول الخطاب لهم وهذا فيه التفات، فلم يقل: (إني منزلها عليهم)؛ لأنه سيأخذ عليهم العهد مباشرة وليس بواسطة عيسى عليه السلام، وكأنّ الله سبحانه سوف يعقد معهم صفقة، وهي:

٣ـ قوله تعالى: ﴿فَإِنِّيٓ أُعَذِّبُهُۥ عَذَابٗا لَّآ أُعَذِّبُهُۥٓ أَحَدٗا مِّنَ ٱلۡعَٰلَمِينَ ١١٥﴾ لماذا؟ لأنّ جميع العالمين ما مروا بهذه التجربة، الكل آمن بناء على كلام الرسول أو على معجزة ظاهرة، أمّا هؤلاء فالمعجزة مادية وتذوقوها وأكلوا منها، لذلك من يكفر منهم بعد ذلك يعذبه الله عذاباً خاصاً لا يعذبه أحداً من العالمين. والله أعلم.

❁❁❁❁

﴿وَإِذۡ قَالَ ٱللَّهُ يَٰعِيسَى ٱبۡنَ مَرۡيَمَ ءَأَنتَ قُلۡتَ لِلنَّاسِ ٱتَّخِذُونِي وَأُمِّيَ إِلَٰهَيۡنِ مِن دُونِ ٱللَّهِۖ قَالَ سُبۡحَٰنَكَ مَا يَكُونُ لِيٓ أَنۡ أَقُولَ مَا لَيۡسَ لِي بِحَقٍّۚ إِن كُنتُ قُلۡتُهُۥ فَقَدۡ عَلِمۡتَهُۥۚ تَعۡلَمُ مَا فِي نَفۡسِي وَلَآ أَعۡلَمُ مَا فِي نَفۡسِكَۚ إِنَّكَ أَنتَ عَلَّٰمُ ٱلۡغُيُوبِ ١١٦﴾

السؤال الأول:

قوله تعالى: ﴿وَإِذۡ قَالَ ٱللَّهُ يَٰعِيسَى ٱبۡنَ مَرۡيَمَ ءَأَنتَ قُلۡتَ لِلنَّاسِ ٱتَّخِذُونِي وَأُمِّيَ إِلَٰهَيۡنِ مِن دُونِ ٱللَّهِۖ﴾ الله تعالى يعرف إنْ كان عيسى قد قال هذا الكلام أم لا، فما دلالة السؤال؟

الجواب :

رب العالمين يعلم كل شيء علماً أزلياً، لكنّ التقريرهو لما تتعلق به المحاسبة والجزاء، والأمور لا توكل إلى علمه الأزلي حتى يقيم الحجة، وبالحجة يقيم المحاسبة على عباده.

والسؤال هنا استفهام: أأنت فعلت كذا؟ حتى يقيم الحجة عليه أو له، وهذا استفهام غرضه التقرير، وهو لم ينكر عليه ما ليس فاعله لأنه يعلم.

وهذا السؤال يتكرر كثيراً في القرآن الكريم، وغرضه البلاغي التقرير، وقد يكون للتعجب أو الإنكار أو التقرير، نحو قوله تعالى: ﴿أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ ﴿١﴾﴾ هذا استفهام غرضه التقرير، و﴿أَلَمْ نُهْلِكِ الْأَوَّلِينَ ﴿١٦﴾﴾ [المرسلات:١٦] والمسؤول يعلم. وقد يكون للتعجب: ﴿قَالَتْ يَا وَيْلَتَىٰ أَأَلِدُ وَأَنَا عَجُوزٌ﴾ [هود:٧٢] والاستفهام في اللغة نفهم غرضه في سياق الدلالات الخاصة به.

اللمسة البيانية في السؤال هي أنّ هنالك من قال هذا الكلام، يبقى من قال؟ أأنت قلت أم غيرك؟ أي: قيل هذا الكلام، ويبقى من قاله: أأنت قلته أم غيرك؟ ليس السؤال شكاً في المسألة قيل أم لم يُقل، لكن المسألة عن القائل. ولم يكن عيسى عليه السلام هو القائل؛ وذلك حتى يقيم الحجة له.

❊❊❊❊

﴿إِن تُعَذِّبْهُمْ فَإِنَّهُمْ عِبَادُكَ ۖ وَإِن تَغْفِرْ لَهُمْ فَإِنَّكَ أَنتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿١١٨﴾﴾

السؤال الأول:

لماذا ختمت آية المائدة ١١٨ بـ ﴿فَإِنَّكَ أَنتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿١١٨﴾﴾ ولم تختم مثلاً: فإنك أنت الغفور الرحيم؟

الجواب :

١ ـ ليس كل موطن تذكر فيه المغفرة أو الرحمة ينبغي أن تُختم الآية بها وإنما يعود ذلك إلى السياق،كقوله تعالى في آية الممتحنة ٥ :

﴿رَبَّنَا لَا تَجْعَلْنَا فِتْنَةً لِّلَّذِينَ كَفَرُوا وَاغْفِرْ لَنَا رَبَّنَا إِنَّكَ أَنتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿٥﴾﴾ فإنها لم تختم بالمغفرة مع أنه ورد طلب المغفرة .

٢ ـ لو نظرنا في سياق آية المائدة لوجدنا أنه لا يصح ختم الآية بالمغفرة والرحمة،لأنّ الآية وردت في سياق التبرؤ من قول عظيم قالته طائفة من النصارى ونسبته إلى عيسى عليه السلام حكاه الله تعالى بقوله:

﴿وَإِذْ قَالَ اللَّهُ يَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ أَأَنتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ اتَّخِذُونِي وَأُمِّيَ إِلَٰهَيْنِ مِن دُونِ اللَّهِ قَالَ سُبْحَانَكَ مَا يَكُونُ لِي أَنْ أَقُولَ مَا لَيْسَ لِي بِحَقٍّ إِن كُنتُ قُلْتُهُ فَقَدْ عَلِمْتَهُ تَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِي وَلَا أَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِكَ إِنَّكَ أَنتَ عَلَّامُ الْغُيُوبِ ﴿١١٦﴾ مَا قُلْتُ لَهُمْ إِلَّا مَا أَمَرْتَنِي بِهِ أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ وَكُنتُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا مَّا دُمْتُ فِيهِمْ فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِي كُنتَ أَنتَ الرَّقِيبَ عَلَيْهِمْ وَأَنتَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ ﴿١١٧﴾ إِن تُعَذِّبْهُمْ فَإِنَّهُمْ عِبَادُكَ وَإِن تَغْفِرْ لَهُمْ فَإِنَّكَ أَنتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿١١٨﴾﴾ [المائدة:١١٦-١١٧-١١٨].

فنُسب إلى عيسى أنه طلب من الناس أنْ يتخذوه وأمه إلهين من دون الله .

وهذا الطلب يمنع عيسى من طلب المغفرة أو ترجّيها لهؤلاء الذين جعلوا الله تعالى دون منزلة عيسى وأمه.

٣ ـ لو ختم الآية بالمغفرة والرحمة لضعُف المعنى، لأنّ هذا ينفرد بالشرط الثاني ﴿وَإِن تَغْفِرْ لَهُمْ﴾ ولا يكون له تعلّقٌ بالشرط الأول ﴿إِن تُعَذِّبْهُمْ﴾

في حين أنّ خَتْمَهُ بالعزة والحكمة متعلق بالشرطين، فإنّ تعذيبه ومغفرته منوطان بعزته وحكمته.

٤ ـ فإنْ قلت: المغفرة لا تكون للكفار، فكيف قال: ﴿وَإِن تَغْفِرْ لَهُمْ﴾؟

فالجواب:بنى الكلام على الشرط (إنْ) أي: إنْ غفرت لهم مع كفرهم لم تعدم في المغفرة وجه حكمة؛ لأنّ المغفرة حسنة لكل مجرم، بل متى كان الجرم أعظم جرماً كان العفو عنه أحسن، أي: أنّ الآية مبنية على التسليم لله سبحانه وتفويض الأمر إليه، وليس على التعريض بطلب المغفرة.

٥ ـ إنّ ذكر (العزيز الحكيم) هو من باب الاحتراس؛ وذلك أنّ الله لا يغفر لمن استحق العذاب، لكن إنْ تغفر لهم مع استحقاقهم العذاب فلا معترض عليك في ذلك، والحكمة فيما فعلته.

٦ـ إنّ المقام مقام تبرؤ مما نُسب إليه، وليس مقام طلب عفو ومغفرة، فلا يصح في هذا المقام الصفح والمغفرة.

٧ ـ وقيل: إنه لا يجوز سؤال المغفرة والرحمة؛ لأنّ هؤلاء مقطوع لهم بالعذاب وعدم المغفرة، فلا يصح التعريض بالمغفرة، بل الذي يصح هو تفويض الأمر لله وتركه إلى حكمته سبحانه .

٨ ـ لا يَحْسُن طلب المغفرة لهم من سيدنا عيسى عليه السلام؛ لأنّ في الآيات وضع المسؤول المستنطق عما ادُّعي عليه ودفاعه أنّ هذا افتراء عليه، فلا يصح أدباً أنْ يطلب المغفرة لهؤلاء المفترين الذين أعلَوه وأمه على الله سبحانه .

لذلك يتبين أنّ ختم الآية بها ختم من العزة والحكمة هو الأولى.

ملاحظـات:

آـ في الآية: ﴿إِن تُعَذِّبْهُمْ فَإِنَّهُمْ عِبَادُكَ﴾ لم يقل: مثلاً بأنهم أحقاء بذلك أو ذلك عدل، لأنه لو قال ذلك لم يعن ذاك أنهم عباده؛ لأنّ الذي يعذب شخصاً أو جماعة لا يعني أنّ المعَذَّبين عباده، فاختيار لفظ العبودية أنسب في هذا المقام.

ب ـ الضمير ﴿أَنتَ﴾ وتعريف ﴿ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ﴾ للدلالة على توكيد الحكم وقصر العزة والحكمة عليه، فلم يقل: مثلاً فإنك عزيز حكيم، ولكن قال: ﴿فَإِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿١١٨﴾﴾ فهو الإله حصراً وهو العزيز الحكيم حصراً.

السؤال الثاني:

لماذا لم يقل سيدنا عيسى كما قال سيدنا إبراهيم في آية إبراهيم ٣٦: ﴿فَمَن تَبِعَنِي فَإِنَّهُۥ مِنِّي ۖ وَمَنْ عَصَانِي فَإِنَّكَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٣٦﴾﴾ فإنه سأل المغفرة والرحمة أو عرّض بهما لمن عصاه؟

الجواب:

١ ـ أنّ إبراهيم عليه السلام لم يقل: (ومن عصاك فإنك غفور رحيم)، بل قال: ﴿وَمَنْ عَصَانِي﴾ ومعصية العبد دون معصية الله.

٢ ـ أنّ إبراهيم عليه السلام ذكر المعصية ولم يذكر الشرك، فلم يقل مثلاً: ومن أشرك بك؛ لأنّ المعصية درجات، أمّا الشرك فهو أكبر الكبائر، والله قد يغفر للعاصي غير المشرك، أمّا المشرك فإنّ الله لن يغفر له.

٣ ـ هل يظن أحد أنّ سيدنا إبراهيم عليه السلام كان يمكن أنْ يقول: ومن اتخذني إلهاً من دونك فإنك غفور رحيم؟ !!!، فهذا ما قالته الفرقة المفترية على عيسى عليه السلام.

٤ ـ إنّ سيدنا إبراهيم عليه السلام وإنْ كان أواهاً حليماً كما وصفه الله تعالى تبرأ من أبيه لمّا تبين أنه عدو لله: ﴿وَمَا كَانَ ٱسۡتِغۡفَارُ إِبۡرَٰهِيمَ لِأَبِيهِ إِلَّا عَن مَّوۡعِدَةٖ وَعَدَهَآ إِيَّاهُ فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُۥٓ أَنَّهُۥ عَدُوّٞ لِّلَّهِ تَبَرَّأَ مِنۡهُۚ إِنَّ إِبۡرَٰهِيمَ لَأَوَّٰهٌ حَلِيمٞ ﴿١١٤﴾﴾ [التوبة:١١٤]

فاتضح الفرق بين المقامين .

السؤال الثالث:

لم قدّم العذاب على المغفرة؟

الجواب :

قدّم (إن تعذبهم) على (إن تغفر لهم)؛ لأنّ العذاب هو الأصل، الأصل فيهم أن يُعذبوا، والأصل في المشرك بالله سبحانه وتعالى العذاب، والمغفرة استثناء، فبدأ بالأصل ﴿إِن تُعَذِّبۡهُمۡ﴾ ثم جاء إلى الاستثناء وهو احتمال المغفرة، فقدّم ما هو أصل ثم ثنّى بما هو استثناء على الأصل، وربطه بالعزة والحكمة، وليس بالغفران.

السؤال الرابع:

قوله: ﴿فَإِنَّهُمۡ عِبَادُكَۖ﴾ لِمَ لمْ يقل: فهم عبادك؟

الجواب :

هذا فيه معنى التأكيد أنه لا شك ولا ريب في عبوديتهم لك، هم عبيد لك تفعل بهم ما تشاء. وعندما تؤكد ذلك فهذا نوع من التقدّيم لله تعالى أنه لا أحد يشاركك في هذا

الأمر، فأنت تفعل بهم ما تشاء، وهذا النوع من الإذلال فيه نوع من التقرّب إلى الله سبحانه وتعالى.

والإنسان يتقرب إلى الله تعالى بذكر عبوديته، كما في الحديث الشريف «**اللهم إني عبدك، ابن عبدك، ابن أمتك ناصيتي بيدك، ماضٍ فيّ حكمك، عدلٌ فيّ قضاؤك**» ثم يبدأ يدعو. ففي البداية يقدّم العبودية المطلقة لله سبحانه وتعالى ثم يدعو « **أسألك بكل اسم هو لك، سميت به نفسك، أو علمته أحداً من خلقك، أو أنزلته في كتابك، أو استأثرت به في علم الغيب عندك، أنْ تجعل القرآن العظيم ربيع قلبي**» هذا الربيع الذي ينمو في هذا الجفاف. نسأل الله عز وجل أنْ يجعله ربيع قلوبنا.

السؤال الخامس:

قوله تعالى ﴿وَإِن تَغْفِرْ لَهُمْ فَإِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿١١٨﴾﴾ ما اللمسة البيانية في هذه التركيبة اللغوية؟ لَمَ لم يقل: فأنت العزيز الحكيم؟

الجواب :

الضمير(أنت) هنا يسميه علماؤنا (ضمير الفصل) وفيه معنى التأكيد، لكنْ ما حقيقة المجيء به؟ قالوا: للفصل بين الخبر والصفة. وهو ضمير فصل لا محل له من الإعراب، أي لا يكون في موضع رفع ولا نصب ولا جرّ. ﴿فَإِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿١١٨﴾﴾ [المائدة:١١٨] أنت: ضمير فصل فيه معنى التأكيد؛ أي: أنت وليس سواك، أنت دون غيرك.

السؤال السادس:

لماذا لم يقل في الآية مثلاً: فإنهم عبادك وإن تغفر لهم فإنك أنت الله أو الإله أو الرب؟

الجواب :

لا يستقيم عند ذلك المعنى؛ لأنّ الإله بمعنى المعبود. هو يريد أنْ يبين أنّ جُرمهم عظيم، فلا يقضي فيه إلا عزيز حكيم، ولا يستقيم سوى كلمة العزيز الحكيم مع هذا الجُرم. ولم يشأ الحق أنْ يقول: (الغفور الرحيم)؛ لأنه عند ذلك سيقربهم إلى الغفران، وهو لا يريد أنْ يتدخل في هذا الموضوع بهذا القدر، وإنما مجرد الإشارة إلى أنه هناك مجال للمغفرة، والذي يغفر عزيز حكيم، عزّ فحكم.

وقوله ﴿فَإِنَّهُمْ عِبَادُكَ﴾ يريد أنْ يذكر أنهم عباد لله، والأمر متروك لمشيئته يتصرف بشأن عبيده كيف يشاء، ومنوط بعزته وحكمته، فإنه هو العزيز الحكيم .

❋❋❋❋

﴿ قَالَ ٱللَّهُ هَٰذَا يَوْمُ يَنفَعُ ٱلصَّٰدِقِينَ صِدْقُهُمْ ۚ لَهُمْ جَنَّٰتٌ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ۚ رَّضِىَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا۟ عَنْهُ ۚ ذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿١١٩﴾ ﴾

السؤال الأول:

قال تعالى في آية المائدة ١١٩ : ﴿خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا﴾ وفي آية المجادلة ٢٢ : ﴿خَٰلِدِينَ فِيهَا ۚ رَضِىَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا۟ عَنْهُ﴾، فما السبب في زيادة كلمة ﴿أَبَدًا﴾؟

الجواب :

١ـ في آية المائدة لمّا تقدم وصفهم بالصدق ونفعهم إياهم يوم القيامة بالخلود في الجنة أكّده بقوله: ﴿أَبَدًا﴾ وأكّده بقوله: ﴿رَضِىَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا۟ عَنْهُ﴾ .

٢ـ ولمّا تقدم في المجادلة﴿كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ ٱلْإِيمَٰنَ وَأَيَّدَهُم بِرُوحٖ مِّنْهُۖ﴾ أكّده بقوله: ﴿رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُواْ عَنْهُۚ﴾ .

❁❁❁❁

﴿لِلَّهِ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا فِيهِنَّۚ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٖ قَدِيرُۢ ١٢٠﴾

السؤال الأول:

ما اللمسة البيانية في استخدام ﴿وَمَا﴾ في قوله تعالى: ﴿لِلَّهِ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا فِيهِنَّۚ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٖ قَدِيرُۢ ١٢٠﴾؟

الجواب :

استخدام ﴿وَمَا﴾ في هذه الآية بدل (مَن) لأنها جاءت لغير العاقل؛ لأنّ في الآخرة الناس يتساوون مع الجماد والنبات والحيوان في كونهم مأمورين ولا مُراد للناس في أي أمر؛ لذا جاء استخدام ﴿وَمَا﴾ وليس (مَن)؛ لأنّ كل المخلوقات تساوت عند الله ولا اختيار للناس في الآخرة كما كان لهم في الدنيا.

❁❁❁❁

رابعاً ـ تناسب مفتتح المائدة مع خاتمتها:

قال تعالى في بداية سورة المائدة: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَوْفُواْ بِٱلْعُقُودِۚ أُحِلَّتْ لَكُم بَهِيمَةُ ٱلْأَنْعَٰمِ إِلَّا مَا يُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ﴾ [المائدة:١]. . ﴿حُرِّمَتْ عَلَيْكُمُ ٱلْمَيْتَةُ وَٱلدَّمُ وَلَحْمُ ٱلْخِنزِيرِ وَمَآ أُهِلَّ لِغَيْرِ ٱللَّهِ بِهِۦ﴾ [المائدة:٣]. . ﴿ٱلْيَوْمَ أُحِلَّ لَكُمُ ٱلطَّيِّبَٰتُۖ وَطَعَامُ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْكِتَٰبَ حِلّٞ لَّكُمْ وَطَعَامُكُمْ حِلّٞ لَّهُمْۖ﴾ [المائدة:٥]...

١ ـ فذكر الإيفاء بالعقود وما يتعلق بالأطعمة.

وختمت بذكر المائدة، وهي إنزال الطعام من السماء.

﴿إِذْ قَالَ ٱلْحَوَارِيُّونَ يَٰعِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ هَلْ يَسْتَطِيعُ رَبُّكَ أَن يُنَزِّلَ عَلَيْنَا مَآئِدَةً مِّنَ ٱلسَّمَآءِ ۖ قَالَ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿١١٢﴾ قَالُوا۟ نُرِيدُ أَن نَّأْكُلَ مِنْهَا وَتَطْمَئِنَّ قُلُوبُنَا وَنَعْلَمَ أَن قَدْ صَدَقْتَنَا وَنَكُونَ عَلَيْهَا مِنَ ٱلشَّٰهِدِينَ ﴿١١٣﴾ قَالَ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ ٱللَّهُمَّ رَبَّنَآ أَنزِلْ عَلَيْنَا مَآئِدَةً مِّنَ ٱلسَّمَآءِ تَكُونُ لَنَا عِيدًا لِّأَوَّلِنَا وَءَاخِرِنَا وَءَايَةً مِّنكَ ۖ وَٱرْزُقْنَا وَأَنتَ خَيْرُ ٱلرَّٰزِقِينَ ﴿١١٤﴾﴾ [المائدة:١١٢-١١٣-١١٤] .

٢ ـ ثم إنّه ذكر الوفاء بالعقود في بداية السورة، وذلك قوله: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَوْفُوا۟ بِٱلْعُقُودِ ۚ﴾ [المائدة:١] .

وذكر في خاتمة السورة ما أخذه عيسى على بني إسرائيل أنْ يعبدوا الله فتركوا الوفاء بالعهد، وذلك قوله: ﴿مَا قُلْتُ لَهُمْ إِلَّا مَآ أَمَرْتَنِى بِهِۦٓ أَنِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ رَبِّى وَرَبَّكُمْ ۚ وَكُنتُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا مَّا دُمْتُ فِيهِمْ ۖ﴾ [المائدة:١١٧] .

٣ ـ وذكر في أوائل السورة ما نزل في عرفة من القرآن، وذلك قوله: ﴿ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِى وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا ۚ﴾ [المائدة:٣] .

ويوم عرفة وما بعده هو عيد للمسلمين لأولهم وآخرهم.

وذكر في أواخر السورة أنّ المائدة تكون لهم عيدًا لأولهم وآخرهم، وذلك قوله: ﴿تَكُونُ لَنَا عِيدًا لِّأَوَّلِنَا وَءَاخِرِنَا﴾ [المائدة:١١٤].

وذلك من لطيف المناسبات.

والله أعلم .

سورة الأنعام

أولاً ـ تناسب خاتمة المائدة مع فاتحة الأنعام:

١ ـ قال سبحانه في خاتمة سورة المائدة: ﴿لِلَّهِ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا فِيهِنَّ ۚ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌۢ ﴿١٢٠﴾﴾ [المائدة: ١٢٠]

وقال في بداية سورة الأنعام ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَجَعَلَ ٱلظُّلُمَٰتِ وَٱلنُّورَ ۖ ثُمَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِرَبِّهِمْ يَعْدِلُونَ ﴿١﴾﴾ .

فذكر في خاتمة المائدة أنّ له ملك السماوات والأرض وما فيهن .

وقال في بداية الأنعام أنه سبحانه خلق السماوات والأرض، فهو الخالق والمالك .

٢ ـ ذكر في خواتيم المائدة قسماً ممن عدل عن العبادة واتخذ من دونه معبوداً، فقال: ﴿وَإِذْ قَالَ ٱللَّهُ يَٰعِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ ءَأَنتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ ٱتَّخِذُونِى وَأُمِّىَ إِلَٰهَيْنِ مِن دُونِ ٱللَّهِ ۖ﴾ [المائدة: ١١٦].

وذكر في بداية الأنعام من عدل عن عبادته فقال: ﴿ثُمَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِرَبِّهِمْ يَعْدِلُونَ﴾ .

فناسب خواتيم المائدة مفتتح سورة الأنعام .

ثانياً ـ هدف السورة: التوحيد الخالص لله في الاعتقاد والسلوك:

سورة الأنعام هي أول سورة مكية في ترتيب المصحف بعد ما سبقها من سور مدنية، وهي أول سورة ابتدأت بالحمد ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ﴾، ومن مميزاتها أنها

نزلت ليلاً دفعة واحدة، وأنه شيّعها سبعون ألف ملك، والسبب في هذا الامتياز أنها مشتملة على دلائل التوحيد والعدل والنبوة والمعاد وإبطال مذاهب المبطلين والملحدين، ويقول الإمام القرطبي: إنّ هذه السورة أصلُ في محاجة المشركين وغيرهم من المبتدعين ومن كذّب بالبعث والنشور، وهذا يقتضي إنزالها جملة واحدة، ونزولها ليلاً لما في الليل من سكينة للقلب ومدعاة للتأمل والتفكر في قدرة الله تعالى وعظمته، وتناولت سورة الأنعام القضايا الأساسية الكبرى لأصول العقيدة والإيمان، وهذه القضايا يمكن تلخيصها فيما يلي:

قضية الألوهية.

قضية الوحي والرسالة.

قضية البعث والجزاء.

والحديث في هذه السورة يدور بشدة حول هذه الأصول الأساسية للدعوة ونجد سلاحها في ذلك الحجة والبرهان والدلائل القاطعة للإقناع؛ لأنها نزلت في مكة على قوم مشركين، ومما يلفت النظر في السورة الكريمة أنها عرضت لأسلوبين بارزين لا نكاد نجدهما بهذه الكثرة في غيرها من السور وهما: **أسلوب التقرير وأسلوب التلقين.** ونرى هذين الأسلوبين يأتيان بالتتابع في السورة، فتأتي الآيات التي يذكر الله تعالى لنا فيها البراهين على عظمته وقدرته في الكون، ثم تنتقل الآيات للحجة مع المشركين والملحدين والبعيدين عن التوحيد.

أسلوب التقرير: يعرض القرآن الأدلة المتعلقة بتوحيد الله والدلائل المطلوبة على وجوده وقدرته وسلطانه وقهره في صورة الشأن المسلّم به ويضع لذلك ضمير الغائب عن الحس الحاضر في القلب الذي لا يماري فيه قلب سليم ولا عقل راشد في أنه تعالى المبدع للكائنات صاحب الفضل والإنعام، فيأتي بعبارة (هو) الدالة على الخالق المدبر الحكيم. وفي هذه الآيات تصوير قرآني فني بديع بحيث يستشعر قارئ الآيات عظمة الله وقدرته، وكأن الآيات مشاهد حية تعرض أمام أعيننا. وقد ورد لفظ (هو) ٣٨ مرة في السورة، ومن هذه الآيات:

- ﴿هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن طِينٍ ثُمَّ قَضَىٰٓ أَجَلًا ۖ وَأَجَلٌ مُّسَمًّى عِندَهُۥ ۖ ثُمَّ أَنتُمْ تَمْتَرُونَ ﴿٢﴾﴾.
- ﴿وَهُوَ ٱللَّهُ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَفِى ٱلْأَرْضِ ۖ يَعْلَمُ سِرَّكُمْ وَجَهْرَكُمْ وَيَعْلَمُ مَا تَكْسِبُونَ ﴿٣﴾﴾.
- ﴿وَهُوَ ٱلْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِۦ ۚ وَهُوَ ٱلْحَكِيمُ ٱلْخَبِيرُ ﴿١٨﴾﴾.
- ﴿۞ وَعِندَهُۥ مَفَاتِحُ ٱلْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَآ إِلَّا هُوَ ۚ وَيَعْلَمُ مَا فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ ۚ وَمَا تَسْقُطُ مِن وَرَقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا وَلَا حَبَّةٍ فِى ظُلُمَٰتِ ٱلْأَرْضِ وَلَا رَطْبٍ وَلَا يَابِسٍ إِلَّا فِى كِتَٰبٍ مُّبِينٍ ﴿٥٩﴾﴾.
- ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى يَتَوَفَّىٰكُم بِٱلَّيْلِ وَيَعْلَمُ مَا جَرَحْتُم بِٱلنَّهَارِ ثُمَّ يَبْعَثُكُمْ فِيهِ لِيُقْضَىٰٓ أَجَلٌ مُّسَمًّى ۖ ثُمَّ إِلَيْهِ مَرْجِعُكُمْ ثُمَّ يُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٦٠﴾﴾.
- ﴿وَهُوَ ٱلْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِۦ ۖ وَيُرْسِلُ عَلَيْكُمْ حَفَظَةً حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَ أَحَدَكُمُ ٱلْمَوْتُ تَوَفَّتْهُ رُسُلُنَا وَهُمْ لَا يُفَرِّطُونَ ﴿٦١﴾﴾.
- ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ بِٱلْحَقِّ ۖ وَيَوْمَ يَقُولُ كُن فَيَكُونُ ۚ قَوْلُهُ ٱلْحَقُّ ۚ وَلَهُ ٱلْمُلْكُ يَوْمَ يُنفَخُ فِى ٱلصُّورِ ۚ عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ ۚ وَهُوَ ٱلْحَكِيمُ ٱلْخَبِيرُ ﴿٧٣﴾﴾.

- ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلنُّجُومَ لِتَهْتَدُوا۟ بِهَا فِى ظُلُمَٰتِ ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ ۗ قَدْ فَصَّلْنَا ٱلْءَايَٰتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ﴾.
- ﴿وَهُوَ ٱلَّذِىٓ أَنشَأَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ فَمُسْتَقَرٌّ وَمُسْتَوْدَعٌ ۗ قَدْ فَصَّلْنَا ٱلْءَايَٰتِ لِقَوْمٍ يَفْقَهُونَ ﴿٩٨﴾﴾
- ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى جَعَلَكُمْ خَلَٰٓئِفَ ٱلْأَرْضِ وَرَفَعَ بَعْضَكُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَٰتٍ لِّيَبْلُوَكُمْ فِى مَآ ءَاتَىٰكُمْ ۗ إِنَّ رَبَّكَ سَرِيعُ ٱلْعِقَابِ وَإِنَّهُۥ لَغَفُورٌ رَّحِيمٌۢ ﴿١٦٥﴾﴾.

أمّا أسلوب التلقين فإنه يظهر جلياً في تعليم الرسول ﷺ تلقين الحجة ليقذف بها في وجه الخصم، بحيث تأخذ عليه سمعه وتملك عليه قلبه، فلا يستطيع التخلص أو التفلت منها، ويأتي هذا الأسلوب بطريق السؤال والجواب، يسألهم ثم يجيب، ونلاحظ في السورة كثرة استخدام **كلمة (قل) فقد وردت في السورة (٤٢)** مرة. وهكذا تعرض السورة الكريمة لمناقشة المشركين وإفحامهم بالحجج الساطعة والبراهين القاطعة التي تقصم ظهر الباطل.

ومن هنا كانت أهمية سورة الأنعام في تركيز الدعوة الإسلامية، تقرر حقائقها وتثبت دعائمها وتحاجج المعارضين لها بطريقة المناظرة والمجادلة. والسورة تذكر توحيد الله جلّ وعلا في الخلق والإيجاد وفي التشريع والعبادة، وتذكر موقف المكذبين للرسل وتقص عليهم ما حاق بأمثالهم السابقين، وتذكّر بالبعث والجزاء، وفيما يلي بعض الآيات التي ورد فيها كلمة (قل):

- ﴿قُلْ سِيرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ ثُمَّ ٱنظُرُوا۟ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلْمُكَذِّبِينَ ﴿١١﴾﴾ (تبين الآية أنّ الله تعالى هو الملك المسيطر على المكان).

● ﴿ قُل لِّمَن مَّا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۖ قُل لِّلَّهِۚ كَتَبَ عَلَىٰ نَفۡسِهِ ٱلرَّحۡمَةَۚ لَيَجۡمَعَنَّكُمۡ إِلَىٰ يَوۡمِ ٱلۡقِيَٰمَةِ لَا رَيۡبَ فِيهِۚ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓاْ أَنفُسَهُمۡ فَهُمۡ لَا يُؤۡمِنُونَ ﴿١٢﴾ ﴾ (تبين هذه الآية أنّ الله تعالى هو الملك المسيطر على الزمان).

● ﴿ قُلۡ أَغَيۡرَ ٱللَّهِ أَتَّخِذُ وَلِيّٗا فَاطِرِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَهُوَ يُطۡعِمُ وَلَا يُطۡعَمُۗ قُلۡ إِنِّيٓ أُمِرۡتُ أَنۡ أَكُونَ أَوَّلَ مَنۡ أَسۡلَمَۖ وَلَا تَكُونَنَّ مِنَ ٱلۡمُشۡرِكِينَ ﴿١٤﴾ ﴾ .

● ﴿ قُلۡ إِنِّيٓ أَخَافُ إِنۡ عَصَيۡتُ رَبِّي عَذَابَ يَوۡمٍ عَظِيمٖ ﴿١٥﴾ ﴾ .

● ﴿ قُلۡ أَرَءَيۡتَكُمۡ إِنۡ أَتَىٰكُمۡ عَذَابُ ٱللَّهِ أَوۡ أَتَتۡكُمُ ٱلسَّاعَةُ أَغَيۡرَ ٱللَّهِ تَدۡعُونَ إِن كُنتُمۡ صَٰدِقِينَ ﴿٤٠﴾ ﴾ .

● ﴿ قُلۡ إِنِّي نُهِيتُ أَنۡ أَعۡبُدَ ٱلَّذِينَ تَدۡعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِۚ قُل لَّآ أَتَّبِعُ أَهۡوَآءَكُمۡ قَدۡ ضَلَلۡتُ إِذٗا وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلۡمُهۡتَدِينَ ﴿٥٦﴾ ﴾ .

● ﴿ قُلۡ إِنِّي عَلَىٰ بَيِّنَةٖ مِّن رَّبِّي وَكَذَّبۡتُم بِهِۦۚ مَا عِندِي مَا تَسۡتَعۡجِلُونَ بِهِۦٓۚ إِنِ ٱلۡحُكۡمُ إِلَّا لِلَّهِۖ يَقُصُّ ٱلۡحَقَّۖ وَهُوَ خَيۡرُ ٱلۡفَٰصِلِينَ ﴿٥٧﴾ ﴾ .

● ﴿ قُل لَّوۡ أَنَّ عِندِي مَا تَسۡتَعۡجِلُونَ بِهِۦ لَقُضِيَ ٱلۡأَمۡرُ بَيۡنِي وَبَيۡنَكُمۡۗ وَٱللَّهُ أَعۡلَمُ بِٱلظَّٰلِمِينَ ﴾

● ﴿ قُلۡ مَن يُنَجِّيكُم مِّن ظُلُمَٰتِ ٱلۡبَرِّ وَٱلۡبَحۡرِ تَدۡعُونَهُۥ تَضَرُّعٗا وَخُفۡيَةٗ لَّئِنۡ أَنجَىٰنَا مِنۡ هَٰذِهِۦ لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلشَّٰكِرِينَ ﴿٦٣﴾ ﴾ .

● ﴿ قُلِ ٱللَّهُ يُنَجِّيكُم مِّنۡهَا وَمِن كُلِّ كَرۡبٖ ثُمَّ أَنتُمۡ تُشۡرِكُونَ ﴿٦٤﴾ ﴾ .

● ﴿ قُلۡ هُوَ ٱلۡقَادِرُ عَلَىٰٓ أَن يَبۡعَثَ عَلَيۡكُمۡ عَذَابٗا مِّن فَوۡقِكُمۡ أَوۡ مِن تَحۡتِ أَرۡجُلِكُمۡ أَوۡ يَلۡبِسَكُمۡ شِيَعٗا وَيُذِيقَ بَعۡضَكُم بَأۡسَ بَعۡضٍۗ ٱنظُرۡ كَيۡفَ نُصَرِّفُ ٱلۡأٓيَٰتِ لَعَلَّهُمۡ يَفۡقَهُونَ ﴿٦٥﴾ ﴾ .

- ﴿قُلْ يَٰقَوْمِ ٱعْمَلُوا۟ عَلَىٰ مَكَانَتِكُمْ إِنِّى عَامِلٌ ۖ فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ مَن تَكُونُ لَهُۥ عَٰقِبَةُ ٱلدَّارِ ۗ إِنَّهُۥ لَا يُفْلِحُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿١٣٥﴾﴾ .

- ﴿قُلْ إِنَّنِى هَدَىٰنِى رَبِّىٓ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ دِينًا قِيَمًا مِّلَّةَ إِبْرَٰهِيمَ حَنِيفًا ۚ وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿١٦١﴾﴾

- ﴿قُلْ إِنَّ صَلَاتِى وَنُسُكِى وَمَحْيَاىَ وَمَمَاتِى لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٦٢﴾﴾ .

- ﴿قُلْ أَغَيْرَ ٱللَّهِ أَبْغِى رَبًّا وَهُوَ رَبُّ كُلِّ شَىْءٍ ۚ وَلَا تَكْسِبُ كُلُّ نَفْسٍ إِلَّا عَلَيْهَا ۚ وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ ۚ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُم مَّرْجِعُكُمْ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ ﴿١٦٤﴾﴾ .

وهكذا تتوالى السورة بمجموعة من الآيات التي تدل على قدرة الله تعالى ثم تتبعها آيات مجادلة ومواجهة مع المشركين والملحدين.

ثم تأتي قصة سيدنا إبراهيم مع قومه: وسبب ورود هذه الجزئية من قصة سيدنا إبراهيم في سورة الأنعام مناسب لأسلوب الحجة وإقامة البراهين والأدلة عند مواجهة المشركين والملحدين، فجاءت الآيات تعرض قصة سيدنا إبراهيم ومحاجته لقومه من الآيات[٧٤- ٨٣].

ثم تأتي آية فاصلة في السورة تدلنا على أن آيات الله تعالى في الكون تُرى، ولكن القلوب إذا عميت لا تراها وتجحد بها وتكفر. ﴿قَدْ جَآءَكُم بَصَآئِرُ مِن رَّبِّكُمْ ۖ فَمَنْ أَبْصَرَ فَلِنَفْسِهِۦ ۖ وَمَنْ عَمِىَ فَعَلَيْهَا ۚ وَمَآ أَنَا۠ عَلَيْكُم بِحَفِيظٍ ﴿١٠٤﴾﴾ [الأنعام:١٠٤] .

ثم تختم السورة بربع كامل بالوصايا العشر: التي نزلت في تلك الكتب السابقة ودعا إليها جميع الأنبياء السابقين ﴿۞ قُلْ تَعَالَوْا۟ أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ ۖ﴾ [الأنعام:١٥١] وتنتهي بآية فذة تكشف للإنسان عن مركزه عند ربه في هذه الحياة، وهو أنه خليفة في

الأرض وأنّ الله تعالى جعل عمارة الكون تحت يد الإنسان تتعاقب عليه أجياله، وأنّ الله تعالى فاوت في المواهب بين البشر لغاية سامية وحكمة عظيمة وهي الابتلاء والاختبار في القيام بتبعات هذه الحياة، وذلك شأن يرجع إليه كماله المقصود من هذا الخلق وذلك النظام. وهذا كله مرتبط بهدف سورة البقرة وهو الاستخلاف في الأرض.

سورة الأنعام تتحدث عن ملك الله تعالى في الكون، وكأنما يقول تعالى لنا: وحدوني أملككم الأرض وأجعلكم خلائف: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى جَعَلَكُمْ خَلَٰٓئِفَ ٱلْأَرْضِ وَرَفَعَ بَعْضَكُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَٰتٍ لِّيَبْلُوَكُمْ فِى مَآ ءَاتَىٰكُمْ ۗ إِنَّ رَبَّكَ سَرِيعُ ٱلْعِقَابِ وَإِنَّهُۥ لَغَفُورٌ رَّحِيمٌۢ ﴿١٦٥﴾﴾ [الأنعام:١٦٥] .

سميت السورة (الأنعام): ليس لورود كلمة الأنعام فيها فقط، وإنما لذلك سبب رئيس، وهو أنّ الأنعام عند قريش كانت للأكل والشرب والغذاء والمواصلات والثروة وعصب الحياة، وكان كفار قريش يقولون: نعبد الله لكنها هي عصب الحياة، ولنا أن نتصرف فيها كيف نشاء فنحلل ونحرم ما نشاء فيها، لكنّ الله تعالى يخبرهم أنّ التوحيد يجب أنْ يكون في الاعتقاد وفي التطبيق أيضاً، ويجب أنْ نوحد الله في كل التصرفات وليس في المعتقدات فقط، وهذا توجيه ليس فقط لكفار قريش، وإنما توجيه لعامة الناس الذين يعتقدون بوحدانية الله تعالى، ولكن تطبيقهم ينافي معتقدهم، إذن (لا إله إلا الله) يجب أن تكون في المعتقد والتطبيق، وهذا يناسب ما جاء في سورة المائدة في قوله: ﴿ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِى وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا ۚ﴾ [المائدة:٣] فعلينا أنْ نأخذ الدين كاملاً، وأنْ نوحّد الله تعالى في المعتقد والتطبيق .

ثالثاً ـ من اللمسات البيانية في سورة الأنعام

﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَجَعَلَ ٱلظُّلُمَٰتِ وَٱلنُّورَ ثُمَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِرَبِّهِمْ يَعْدِلُونَ ﴿١﴾﴾

السؤال الأول:

ما الفرق بين الحمد والمدح؟

الجواب:

١ـ المدح أعم من الحمد؛ لأنّ المدح يحصل للعاقل ولغير العاقل، بينما الحمد لا يحصل إلا للفاعل المختار على ما يصدر منه من الإنعام والإحسان.

٢ـ والحمد أعم من الشكر؛ لأنّ الحمد عبارة عن تعظيم الفاعل لأجل ما صدر عنه من الإنعام، سواء كان هذا الإنعام واصلاً إليك أو إلى غيرك، وأمّا الشكر فهو تعظيم الفاعل لأجل إنعامٍ وصل إليك وحصل عندك.

السؤال الثاني:

ما دلالة قوله تعالى في الآية ﴿ثُمَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِرَبِّهِمْ يَعْدِلُونَ ﴿١﴾﴾؟

الجواب:

١ـ قوله تعالى ﴿ثُمَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِرَبِّهِمْ يَعْدِلُونَ ﴿١﴾﴾ أي: أنه خلق هذه الأشياء العظيمة مثل السماوات والأرض التي لا يقدر عليها أحد سواه، ثم إنهم يعدلون، أي: يسوون به جماداً لا يقدر على شيء أصلاً.

٢ـ ومعنى (ثم) فيه استبعاد أنْ يعدلوا به بعد وضوح آيات الله وقدرته .

السؤال الثالث:

ما الفرق بين (جعل وخلق) في سورة الأنعام ﴿ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ ٱلَّذِي خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ وَجَعَلَ ٱلظُّلُمَٰتِ وَٱلنُّورَۖ ثُمَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِرَبِّهِمۡ يَعۡدِلُونَ ۝١﴾؟

الجواب:

١ـ وردت (خلق وجعل) في آية الأعراف ﴿هُوَ ٱلَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفۡسٖ وَٰحِدَةٖ وَجَعَلَ مِنۡهَا زَوۡجَهَا لِيَسۡكُنَ إِلَيۡهَاۖ فَلَمَّا تَغَشَّىٰهَا حَمَلَتۡ حَمۡلًا خَفِيفٗا فَمَرَّتۡ بِهِۦۖ فَلَمَّآ أَثۡقَلَت دَّعَوَا ٱللَّهَ رَبَّهُمَا لَئِنۡ ءَاتَيۡتَنَا صَٰلِحٗا لَّنَكُونَنَّ مِنَ ٱلشَّٰكِرِينَ ۝١٨٩﴾ [الأعراف:١٨٩].

ووردت (خلق وخلق) في آية النساء ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفۡسٖ وَٰحِدَةٖ وَخَلَقَ مِنۡهَا زَوۡجَهَا وَبَثَّ مِنۡهُمَا رِجَالٗا كَثِيرٗا وَنِسَآءٗۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِي تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلۡأَرۡحَامَۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيۡكُمۡ رَقِيبٗا ۝١﴾ فلماذا جاءت هنا خلق وهنا جعل؟

٢ـ الزمخشري يقول في أساس البلاغة: إنّ أصل الخلق هو التقدير. يقال: خلق البزّاز (أي: الخيّاط) الثوب، بمعنى قدّر أبعاده قبل أنْ يقطعه. ومنه خلق الله تعالى الخلق (مجاز) أي قدّرهم على تقدير أوجبته حكمته سبحانه وتعالى. فخلق الخلق بتقدير أوجبته حكمته تعالى جلّت قدرته .

٣ـ أمّا (جعل)، فقد جاء في «تاج العروس»: هولفظ عام في الأفعال كلها وهو أعمّ من (فعل وصنع). يقال: جعل بعضه فوق بعض؛ أي ألقاه، جعل القبيح حسناً أي: صيّره وحوّله، كما في قوله: ﴿إِنَّا جَعَلۡنَا ٱلشَّيَٰطِينَ أَوۡلِيَآءَ﴾ [الأعراف:٢٧]، و(جعل) بمعنى

(سمّى) ﴿ وَجَعَلُوا۟ ٱلْمَلَـٰٓئِكَةَ ٱلَّذِينَ هُمْ عِبَـٰدُ ٱلرَّحْمَـٰنِ إِنَـٰثًا ۚ ﴾ [الزُّخرُف:١٩]، وجعل بمعنى الاعتقاد ﴿ وَيَجْعَلُونَ لِلَّهِ ٱلْبَنَـٰتِ ﴾ [النحل:٥٧] يعتقدون، وجعل بمعنى التبيين.

والجعل فعل عام يحمل معاني كثيرة، منها الصُنع وإيجاد الشيء من الشيء والتبديل والتبيين والاعتقاد والظنّ والشروع في الشيء والحكم بالشيء على الشيء والنسبة والتشريف والخلق والإيجاد وغير ذلك من المعاني.

٤ـ و(الخلق والإيجاد) من ضمن معاني (جعل)، لكن (خلق) عندما تُستعمل وحدها تكون بمعنى الإيجاد على شيء قدّره الله سبحانه وتعالى بحكمته وليس على مثال سابق.

٥ـ في (١٤) موضعاً في القرآن الكريم عندما تجتمع الكلمتان (جعل وخلق) فتتقدم (خلق) وتأتي (جعل) بعدها؛ لأنّ الخلق هو الإيجاد والجعل هو تصرّفٌ بعد الخلق (شيء يلي الخلق)؛ لذلك كلمة (جعل) تأتي دائماً بعد كلمة (خلق).

السؤال الرابع:

ما الفرق بين (فطر وخلق وجعل)؟

الجواب:

١ـ فطر: هو الخلق ابتداء، والفطر هو الابتداء والاختراع وإظهار الحادث بإخراجه من العدم إلى الوجود، ففي (الفطر) معنى ليس في (الفعل) وهو الإظهار بالإخراج إلى الوجود قبل ما لا يستعمل فيه الظهور.

قال ابن عباس رضي الله عنه: كنت لا أدري ما فاطر السموات حتى أتاني أعرابيان يختصمان في بئر فقال أحدهما: أنا فطرتها، أي: ابتدأتها.

٢ـ خلق: وفيه معنيان:

آ ـ أنشأهم على مثال أراده الله تعالى.

ب ـ هو التقدير: وهو ليس خاصاً بالله، كما ورد على لسان عيسى عليه السلام ﴿أَنِّيٓ أَخۡلُقُ لَكُم مِّنَ ٱلطِّينِ﴾ [آل عمران:٤٩] أي: أقدر.

٣ـ جعل: تغيير صورة الشيء بإيجاد الأثر فيه وبغير ذلك، تقول: جعل الطين خزفاً ﴿جَعَلَ فِي ٱلسَّمَآءِ﴾ [الفرقان:٦١] و ﴿وَجَعَلۡنَا مِنَ ٱلۡمَآءِ كُلَّ شَيۡءٍ حَيٍّۚ﴾ [الأنبياء:٣٠] والجعل يدل على الاتصال بشيء آخر، أي يلزمه الملامسة بشيء آخر .

وقوله تعالى ﴿وَجَعَلُواْ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةَ ٱلَّذِينَ هُمۡ عِبَٰدُ ٱلرَّحۡمَٰنِ إِنَٰثًاۚ﴾ [الزُّخرُف:١٩] أي: أخبروا بذلك.

وقوله تعالى: ﴿أَجَعَلۡتُمۡ سِقَايَةَ ٱلۡحَآجِّ﴾ [التوبة:١٩] أي: حكمتم بذلك .

٤ـ تستعمل ﴿خَلَقَ﴾ مع الأجرام والمواد و ﴿وَجَعَلَ﴾ مع الأعراض والصفات .

السؤال الخامس:

لماذا استعمل ﴿خَلَقَ﴾ مع السماوات والأرض، واستعمل ﴿وَجَعَلَ﴾ مع الظلمات والنور؟

الجواب:

١ـ السماوات والأرض أجرام؛ فناسب فيهما ﴿خَلَقَ﴾ .

٢ـ الظلمات والنور أعراض وصفات؛ فناسب فيهما ﴿وَجَعَلَ﴾ .

٣ـ ومثل ذلك كثير في القرآن، كقوله تعالى: ﴿فَلَا تَجْعَلُوا۟ لِلَّهِ أَندَادًا﴾ [البقرة:٢٢] أي: لا تصفوا، وقوله ﴿وَجَعَلُوا۟ لِلَّهِ شُرَكَآءَ﴾ [الأنعام:١٠٠]

السؤال السادس:

لماذا جمع الظلمات وأفرد النور في الآية؟

الجواب:

أفرد النور وجمع الظلمات؛ لأنّ الحق وهو النور واحد، وأمّا الباطل أي الظلمات فكثير، وقيل إنّ الظلمة اسم والنور مصدر، والمصادر لا تجمع.

وقيل: النور هو الإيمان وهو شيء واحد، والظلم هو الكفر وأصنافه كثيرة. والله أعلم .

السؤال السابع:

لماذا قدّم (الظلمات) على (النور) في الآية؟

الجواب:

قدّم الظلمات على النور؛ لأنّ الظلمة متقدمة في التقدير على النور فوجب تقديمها، ولأنّ الظلمة قبل النور، كما في آية الأنبياء ٣٣ ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ﴾ في طريقة التقديم حسب الأولية والقدم في الوجود .

السؤال الثامن:

ما دلالة استعمال ﴿ثُمَّ﴾ في الآية ﴿وَٱلنُّورَ ثُمَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِرَبِّهِمْ يَعْدِلُونَ ①﴾؟ وما الفرق بين (ثُمّ وثَم)؟

الجواب:

أولاً: (ثُم) بضم الثاء حرف عطف يفيد عدة معان:

١ـ للتراخي في الزمان، وهو المعبر عنه بالمهلة.

٢ـ لمجرد الترتيب، وبعضهم خالف ذلك.

٣ـ تكون للتباين في الصفات أو الرتب أو الأحوال أو غيرها من غير قصد مهلة زمانية أو التراخي.

٤ـ قد تكون لمجرد التدرج في الارتقاء، وإنْ لم يكن الثاني مترتباً في الذكر على الأول.

٥ـ للإيغال في التوكيد، كقولك: والله ثم والله .

ثانياً: بشكل عام لفظ (ثُمّ) بضم الثاء يفيد التراخي في الزمان والبعد في الصفات والأحوال .

أما اللفظ الآخر (ثَمّ) بفتح الثاء فيفيد البعد المكاني .

* شواهد قرآنية: على المعنى الأول والثاني:

١ـ آية سورة عبس ٢١ ـ٢٢: عقَّب بالفاء بعد(أماته)؛ لأنّ الإقبار عقب الموت مباشرة، وجاء بثُمّ بعد ذلك؛ لأن النشور يتأخر.

٢ـ آية الروم ٢٠ : جاء بثم؛ لأنّ البشر المنتشر متراخٍ عن كونه تراباً وبينهما مهلة.

٣ـ آية الزمر ٦: فيها دليل على عدم الترتيب، فإنّ خلق الزوج ليس بعد خلقهم من نفس واحدة، وأُجيب أنه في الآية أراد أنْ يذكر بدء خلق الإنسان فذكر أنه خلقهم من

نفس واحدة وخلق منها زوجها، وليس القصد أنه جعل منها زوجها بعد خلقهم من النفس الواحدة .

* شواهد قرآنية: على المعنى الثالث والرابع:

١ـ آية هود ١: (ثم) ليس معناها التراخي ولكن في الحال، كما تقول: فلان كريم الأصل ثم كريم الفعل، ويكون معنى الآية: هي محكمة أحسن الإحكام ثم مفصلة أحسن التفصيل.

٢ـ آية هود ٣: (ثم) هنا لمجرد الارتقاء، أي: بقي على التوبة؛ لأن البقاء عليها أفضل.

٣ـ آية طه ٨٢: (ثم) أي بقي على ذلك الهدى من التوبة والإيمان والعمل الصالح؛ لأنّ البقاء عليها أفضل .

٤ـ آية الأنعام ١: (ثم) هنا لتفاوت رتبة الخلق والجعل من رتبة الكفر حيث إنّ الكفار يعدلون به إلهاً آخر لم يخلق مثل خلقه.

٥ـ آية البلد ١٧: (ثم) لبيان تفاوت رتبة فك الرقبة والإطعام من رتبة الإيمان.

٦ـ آية النساء ١٧: (ثم) لبيان البعد بين الحالين: عمل السوء والتوبة من قريب.

٧ـ آية السجدة ٢٢: (ثم) لبيان البعد بين التذكير بآيات الله واتباعها من ناحية والإعراض عنها من ناحية أخرى.

* شواهد قرآنية: على المعنى الخامس:

١ـ التكاثر (٣ ـ ٤): العلم الأول عند المشاهدة والاحتضار، والعلم الثاني في الآخرة عند الحساب، وبينهما مدة فهي للتراخي الزمني أو داخلة في التوكيد.

٢ـ آية التكاثر ٧: (ثم) للتوكيد.

٣ـ آية الانفطار (١٧ـ١٨): (ثم) لتبعيد المعرفة أو للإيغال في التوكيد.

٤ـ آيةالمدثر(١٨ـ٢٠): (ثم) العطف والتوكيد.

السؤال التاسع:

لم اختيرت كلمة ﴿خَلَقَ﴾ للسموات والأرض واختيرت كلمة ﴿وَجَعَلَ﴾ للظلمات والنور؟ وهل يختلف المعنى إن قلنا: وخلق الظلمات والنور؟

الجواب:

خص ربنا عز وجل السموات والأرض بالخلق دون الجعل؛ لأنّ الخلق فيه معنى التقدير، وخصّ الظلمات والنور بالجعل؛ لأنّ الفعل (جعل) فيه ملاحظة معنى الانتساب والدخول في الآخَر، فالظلمات والنور مخلوقة لتتكيف بهما موجودات السموات والأرض، وهي تكملة لخلق السموات والأرض؛ ولذلك اختير لفظ الجعل للظلمات والنور.

السؤال العاشر:

قوله تعالى: ﴿وَجَعَلَ ٱلظُّلُمَٰتِ وَٱلنُّورَ ﴾ ما الحكمة من إيثار الظلمات والنور بالذكر دون غيرهما من أعراض السموات والأرض؟

الجواب:

خص الله بالذكر من أعراض السموات والأرض عرضين عظيمين وهما الظلمات والنور؛ وذاك لاستواء جميع الناس في إدراكهما والشعور بهما. وفي الاقتصار عليهما تعريض بحالتيّ المخاطبين في الآية، فالظلمات تماثل الكفر؛ لأنه انغماس في الجهالة والحيرة، والإيمان يشبه النور؛ لأنه استبانة الهدى والحق.

❁❁❁❁

﴿ هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن طِينٍ ثُمَّ قَضَىٰٓ أَجَلًا ۖ وَأَجَلٌ مُّسَمًّى عِندَهُۥ ۖ ثُمَّ أَنتُمْ تَمْتَرُونَ ﴿٢﴾ ﴾

السؤال الأول:

قوله تعالى في الآية ﴿هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَكُم﴾ كم مرة وردت لفظة ﴿هُوَ﴾ في سورة الأنعام؟

الجواب:

وردت لفظة ﴿هُوَ﴾ في سورة الأنعام ٣٨مرة .

السؤال الثاني:

ما دلالة قوله في الآية ﴿ثُمَّ قَضَىٰٓ أَجَلًا ۖ وَأَجَلٌ مُّسَمًّى عِندَهُۥ ۖ﴾؟

الجواب:

١ـ قوله ﴿ثُمَّ قَضَىٰٓ أَجَلًا ۖ﴾ أي:حكم بأن خصّص موت كل واحد بوقت معين .

٢ـ قوله: ﴿وَأَجَلٌ مُّسَمًّى عِندَهُۥ ۖ﴾ أي: معلوم عنده في اللوح المحفوظ.

٣ـ فإن قيل: المبتدأ النكرة إذا كان خبره ظرفاً وجب تأخيره، فلِمَ جاز تقديمه هنا؟

والجواب: لأنه تخصّص بالصفة فقارب المعرفة، كقوله تعالى: ﴿وَلَعَبْدٌ مُّؤْمِنٌ خَيْرٌ مِّن مُّشْرِكٍ﴾ [البقرة:٢٢١] والله أعلم .

السؤال الثالث:

قوله تعالى في الآية ﴿ثُمَّ قَضَىٰٓ أَجَلًا﴾ ما الفرق بين (الحكم والقضاء)؟

الجواب:

١ـ القضاء يقتضي فصل الأمر على التمام، من قولك قضاه: إذا أتمه وقطع عمله.

* شواهد قرآنية:

ـ ﴿ثُمَّ قَضَىٰٓ أَجَلًا﴾ [الأنعام:٢] أي: فصل الحُكم به.

ـ ﴿وَقَضَيْنَآ إِلَىٰ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ﴾ [الإسراء:٤] أي: فصلنا الإعلام به.

ـ ﴿فَقَضَىٰهُنَّ سَبْعَ سَمَٰوَاتٍ فِى يَوْمَيْنِ﴾ [فُصِّلَت:١٢] أي: فصل الأمر به .

ـ ﴿فَلَمَّا قَضَيْنَا عَلَيْهِ ٱلْمَوْتَ﴾ [سبأ:١٤] أي: فصلنا أمر موته .

٢ـ وقولك: قضى إليه، أي: أعلمه، وقوله تعالى: ﴿وَقَضَيْنَآ إِلَيْهِ ذَٰلِكَ ٱلْأَمْرَ﴾ [الحِجر:٦٦] أي: أعلمناه .

٣ـ (الحُكم) يقتضي المنع عن الخصومة، نحو قولك: أحكمته إذا منعته، ويجوز أنْ يقال: الحُكم فصل الأمر على الأحكام بما يقتضيه العقل والشرع.

ويستعمل الحُكم في مواضع لا يستعمل فيها القضاء، كقولك: حُكم هذا كحُكم هذا، أي هما متشابهان في السبب أو العلة .

وأحكام الأشياء تنقسم إلى قسمين: حُكم يُردّ إلى أصل، وحُكم لا يُردّ إلى أصل؛ لأنه أول في بابه .

❊❊❊❊

﴿وَهُوَ ٱللَّهُ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَفِي ٱلۡأَرۡضِۖ يَعۡلَمُ سِرَّكُمۡ وَجَهۡرَكُمۡ وَيَعۡلَمُ مَا تَكۡسِبُونَ ٣﴾

السؤال الأول:

ما دلالة لفظ الجلالة (الله)؟

الجواب:

الله هو علمٌ على واجب الوجود، وهو الاسم الذي اختاره الله لنفسه شاملاً لكل صفات الكمال، والصفات الأخرى والتي نسميها الأسماء الحسنى مثل: القادر والسميع والبصير والحي والقيوم كلها صفات صارت أسماءً؛ لأنها مطلقة بالنسبة لله، وهذه الصفات حين تنصرف على إطلاقها فهي لله، ومن الجائز أنْ تضاف في نسبتها الحادثة إلى غير الله، أمّا اسم الله فلا يطلق إلا على الحق سبحانه وتعالى، ويتحدى الله الكافرين به أن يسمي أحدهم أي شيء غيره باسم الله، قال تعالى: ﴿هَلۡ تَعۡلَمُ لَهُۥ سَمِيّٗا ٦٥﴾ [مريم:٦٥].

❊❊❊❊

﴿وَمَا تَأۡتِيهِم مِّنۡ ءَايَةٖ مِّنۡ ءَايَٰتِ رَبِّهِمۡ إِلَّا كَانُواْ عَنۡهَا مُعۡرِضِينَ ٤﴾

السؤال الأول:

قوله تعالى﴿وَمَا تَأۡتِيهِم مِّنۡ ءَايَةٖ﴾ كيف تستعمل كلمة ﴿ءَايَةٖ﴾ تذكيراً وتأنيثاً في القرآن؟

الجواب:

عندما تكون كلمة ﴿ءَايَةٍ﴾ بمعنى الدليل والبرهان تكون بمعنى مذكرٍ فيأتي الفعل بالتذكير .

وأمّا إذا كانت كلمة ﴿ءَايَةٍ﴾ بمعنى الآية القرآنية فإن الفعل يؤنث .

شواهد قرآنية على التذكير: [آية آل عمران ١٣].

شواهد قرآنية على التأنيث: [الأنعام ٤ ـ الأنعام ١٢٤].

❀❀❀❀

﴿ فَقَدْ كَذَّبُواْ بِٱلْحَقِّ لَمَّا جَآءَهُمْ فَسَوْفَ يَأْتِيهِمْ أَنبَٰٓؤُاْ مَا كَانُواْ بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ ﴿٥﴾ ﴾

السؤال الأول:

قوله تعالى في آية الأنعام ٥ ﴿فَسَوْفَ يَأْتِيهِمْ أَنبَٰٓؤُاْ﴾ وفي آية الشعراء ٦ ﴿فَسَيَأْتِيهِمْ ﴾، فلماذا الاختلاف في استخدام (السين وسوف)؟

الجواب:

ذكر في آية الأنعام ٥ ﴿فَسَوْفَ يَأْتِيهِمْ﴾ مع ذكر كلمة ﴿بِٱلْحَقِّ﴾ وفي آية الشعراء٦ ﴿فَسَيَأْتِيهِمْ ﴾ بدون ذكر كلمة (الحق)، ولكل من ذلك سببٌ يدعو له:

١ ـ أما ذكر كلمة ﴿ٱلْحَقُّ﴾ في آية الأنعام فإنه تردد هذا اللفظ في هذه السورة (١٢) مرة، ولم ترد هذه اللفظة في آية سورة الشعراء، فناسب ذكرها في آية الأنعام دون آية الشعراء، إذ هو المناسب للجو التعبيري في هذه السورة .

والمراد بالحق هنا القرآن، ولكنه لم يصرح به .

٢ ـ وأما ذكر ﴿سَوۡفَ﴾ في الأنعام فيفيد تأخير العقوبات إلى زمن أبعد مما في الشعراء. و(سوف) أبعد في الاستقبال من (السين) .

والقرآن يستعمل (السين) للقريب وفي مقام الإيجاز أو إظهار شدة القرب نحو: ﴿سَأُصۡلِيهِ سَقَرَ ٢٦﴾ [المدّثر:٢٦] ﴿سَنَدۡعُ ٱلزَّبَانِيَةَ ١٨﴾ [العلق:١٨] .

ويستعمل (سوف) للبعيد، وفي مقام الإطالة وشدة التوكيد .

٣ـ ولوضع كل من (سوف والسين) عدة أسباب منها:

آ ـ أنّ المعنيِّين في سورة الشعراء هم قوم الرسول ﷺ، يدلك على ذلك قوله تعالى: ﴿لَعَلَّكَ بَٰخِعٞ نَّفۡسَكَ أَلَّا يَكُونُواْ مُؤۡمِنِينَ ٣ إِن نَّشَأۡ نُنَزِّلۡ عَلَيۡهِم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ ءَايَةٗ فَظَلَّتۡ أَعۡنَٰقُهُمۡ لَهَا خَٰضِعِينَ ٤﴾ [الشعراء:٣-٤]وفيها تسلية للرسول، فكأنه قال له: لعلك تقتل نفسك لعدم إيمانهم، فهوّن عليك الأمر .

وأمّا ما ورد في سورة الأنعام فمعلوم للكافرين ﴿ثُمَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِرَبِّهِمۡ يَعۡدِلُونَ﴾، فناسب ذلك تعجيل الوعيد لمن هو أقرب إليه من الكفار الذين حاربوا الرسول وكذبوه قبل الأباعد الذين لم تبلغهم الدعوة بعد .

ب ـ ذكر في سورة الشعراء الأقوام الذين كذبوا أنبياءهم وعقوباتهم في الدنيا؛ فناسب ذلك مجيء (السين) إشعاراً بتعجيل العقوبة لهؤلاء القوم كما عجل للأقوام البائدة، بخلاف ما في آية الأنعام، إذ ليس فيها شيء من ذلك .

ج ـ سورة الأنعام مبنية على تأخير الوعيد والعقوبات بخلاف سورة الشعراء؛ وذلك:

١ـ أُمِرَ الرسولُ في الأنعام أنْ يقول إنه ليس عنده ما يستعجلون به من العذاب ﴿قُلْ إِنِّي عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّي وَكَذَّبْتُم بِهِۦ مَا عِندِي مَا تَسْتَعْجِلُونَ بِهِۦٓ إِنِ ٱلْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ يَقُصُّ ٱلْحَقَّ وَهُوَ خَيْرُ ٱلْفَٰصِلِينَ ﴿٥٧﴾ قُل لَّوْ أَنَّ عِندِي مَا تَسْتَعْجِلُونَ بِهِۦ لَقُضِيَ ٱلْأَمْرُ بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ وَٱللَّهُ أَعْلَمُ بِٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٥٨﴾﴾ فناسب عدم الاستعجال ذكر (سوف) ههنا.

٢ـ ورد في الأنعام قوله: ﴿قُلْ يَٰقَوْمِ ٱعْمَلُوا۟ عَلَىٰ مَكَانَتِكُمْ إِنِّي عَامِلٌ فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ مَن تَكُونُ لَهُۥ عَٰقِبَةُ ٱلدَّارِ إِنَّهُۥ لَا يُفْلِحُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿١٣٥﴾﴾ فذكر (سوف)، ولم يذكر السين، وهو الملائم للجو العام للسورة .

٣ـ وورد أيضا في سورة الأنعام قوله: ﴿كَتَبَ عَلَىٰ نَفْسِهِ ٱلرَّحْمَةَ لَيَجْمَعَنَّكُمْ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ لَا رَيْبَ فِيهِ﴾ وكتابة الرحمة على نفسه تنافي تعجيل العقوبة، وكذلك قوله: ﴿لَيَجْمَعَنَّكُمْ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ﴾ يفيد تأخير العقوبة إلى يوم القيامة، فناسب ذلك كله وضع (سوف) دون السين في الأنعام .

٤ـ وورد أيضا في سورة الأنعام قوله ﴿قُلْ سِيرُوا۟ فِي ٱلْأَرْضِ ثُمَّ ٱنظُرُوا۟ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلْمُكَذِّبِينَ ﴿١١﴾﴾ فقد جاء بـ ﴿ثُمَّ﴾ الدالة على التراخي، بخلاف قوله تعالى في سورة النمل: ﴿قُلْ سِيرُوا۟ فِي ٱلْأَرْضِ فَٱنظُرُوا۟ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلْمُجْرِمِينَ ﴿٦٩﴾﴾ [النمل:٦٩] فقد جاء بالفاء الدالة على التعقيب.

٥ـ قال في ختام سورة الأنعام: ﴿إِنَّ رَبَّكَ سَرِيعُ ٱلْعِقَابِ وَإِنَّهُۥ لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٦٥﴾﴾ فقد أكّد سرعة العقاب بـ (إنّ) وحدها، بينما أكد المغفرة والرحمة بإن واللام .

فتبين من ذلك كله أنّ سورة الأنعام مبنية على تأخير العقوبات والوعيد فناسب ذلك ذكر ﴿سَوْفَ﴾ فيها، بخلاف آية الشعراء. والله أعلم

❁❁❁❁

﴿ أَلَمْ يَرَوْا كَمْ أَهْلَكْنَا مِن قَبْلِهِم مِّن قَرْنٍ مَّكَّنَّاهُمْ فِي الْأَرْضِ مَا لَمْ نُمَكِّن لَّكُمْ وَأَرْسَلْنَا السَّمَاءَ عَلَيْهِم مِّدْرَارًا وَجَعَلْنَا الْأَنْهَارَ تَجْرِي مِن تَحْتِهِمْ فَأَهْلَكْنَاهُم بِذُنُوبِهِمْ وَأَنشَأْنَا مِن بَعْدِهِمْ قَرْنًا آخَرِينَ (٦) ﴾

السؤال الأول:

قال في آية الأنعام ٦ ﴿أَلَمْ يَرَوْا كَمْ أَهْلَكْنَا﴾ وفي آية الشعراء ٧ ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا إِلَى الْأَرْضِ﴾ بزيادة حرف الواو؟ و في آية سبأ ٩ ﴿أَفَلَمْ يَرَوْا إِلَىٰ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ﴾بزيادة حرف الفاء. فما السبب؟

الجواب:

١ـ القاعدة أنه إنْ كان السياق يقتضي النظر والاستدلال لأمر غائب جاء بغير واو، كما في آية الأنعام حيث لم ينظر في الآيات قبل هذه الآية رقم ٦.

٢ـ وإنْ كان السياق يقتضي الاعتبار بالحاضر والمشاهدة جاء بالواو أو الفاء بعد الهمزة التي تدل على الإنكار، كما في قوله في آية الشعراء ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا﴾ ولتدل الواو على العطف على الجمل قبله، وعلى شدة الإنكار كما في قوله تعالى: ﴿ أَوَلَمْ يَنظُرُوا فِي مَلَكُوتِ السَّمَاوَاتِ ﴾ [الأعراف:١٨٥] وقوله تعالى: ﴿ أَفَلَمْ يَرَوْا إِلَىٰ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ ﴾ [سبأ:٩].

٣ـ ولمّا كان المرئي في سورة الشعراء إحياء الأرض وإنبات النبات والشجر، وهو مرئي كل أوان ومشاهد بالحس، كان الإنكار هنا بترك الاعتبار فيه أشد وأقوى؛ فأتى بالواو الدالة على شدة الإنكار.

٤ـ وأما في آية الأنعام: فالمرئي هو إهلاك الأقوام السابقة، وهو أمر غائب غير مشاهد، فالإنكار هنا أقل؛ فلم يأت بالواو، والله أعلم.

السؤال الثاني:

قوله تعالى في الآية ﴿كَمْ أَهْلَكْنَا مِن قَبْلِهِم مِّن قَرْنٍ﴾ و ﴿وَأَنشَأْنَا مِنۢ بَعْدِهِمْ قَرْنًا﴾، فماذا عن (القرن والقرون) بالإفراد والجمع، وخاصة بعد (كم) الخبرية؟

الجواب:

١ـ من المعلوم أنّ (قرون) جمع (قرن)، ومن السهل التفريق بينهما، لكنّ الموضوع هو المفرد بعد ﴿كم﴾ الخبرية، فهو لا يدل على الواحد، وإنما يدل على الكثرة، فقولك: كم رجلٍ أكرمت، لا يدل على أنك أكرمت رجلاً واحداً وإنما يدل على إكرام الكثير، ومن هنا المقارنة بين (القرون) كجمع و (قرن) ﴿كَمْ أَهْلَكْنَا مِن قَبْلِهِم مِّن قَرْنٍ﴾ التي تدل أيضاً على الكثرة.

٢ـ يستعمل القرآن الكريم (القرن) بالإفراد، إذا كان يريد ذكر صفة القرن المُهلَك أو حالة من حالاته، أو لسبب آخر يقتضيه السياق.

بينما يستعمل الجمع (قرون) إذا كان يريد ذكر المجموع على العموم أو يريد أنْ يبين أنّ هذه القرون المهلكة سيحييها ربها ويجمعها، أو لأي سبب آخر يقتضيه السياق.

*** شواهد قرآنية على الإفراد (قرن):**

آية الأنعام ٦:

فقد ذكر فيها صفة القرن الذي أهلكه، ثم ذكر بعد ذلك أنه أنشأ بعده قرناً آخر، أي: أهلك قرناً وأنشأ بعده قرناً آخر، فناسب الإفراد .

آية مريم ٧٤:

وصف فيها القرن المهلَك بأنه أحسن أثاثاً وأحسن منظراً.

آية ق ٣٦:

ذكر فيها صفة القرن بأنهم أشد بطشاً من الكفرة في زمن النبي ﷺ .

*** شواهد قرآنية على الجمع (قرون):**

آية يس ٣١:

ذكر فيها أن الله سيحييها ويجمعها ويحضرها لديه، أي: ذكر العموم .

آية السجدة ٢٥-٢٦:

ذكر فيها أنّ الله يفصل بينهم يوم القيامة .

آية طه ١٢٨:

ذكر في الآيات [١٢٤-١٢٨] القرون في سياق ذكر الآخرة.

آية الإسراء ١٧:

ذكر القرون من دون وصف لها، وقد أراد بيان كثرة القرون المهلكة من بعد نوح .

السؤال الثالث:

ما السبب في تقديم (الظرف) على (القرون) ﴿أَهْلَكْنَا مِن قَبْلِهِم مِّن قَرْنٍ﴾ كما في آية الأنعام ٦، وتقديم (القرون) على (الظرف) ﴿أَهْلَكْنَا الْقُرُونَ مِن قَبْلِكُمْ﴾ [يونس:١٣] و ﴿أَهْلَكْنَا مِنَ الْقُرُونِ مِن بَعْدِ﴾ كما في آية الإسراء ١٧؟

الجواب:

القاعدة في القرآن:

١ـ إذا أراد تهديد المشركين قدّم الظرف (قبلهم) على (القرون)، وورد ذلك في القرآن في ثمانية مواضع، منها [آية الأنعام ٦ـ ويس ٣١].

٢ـ أما إذا لم يرد ذلك قدّم القرون على الظرف، وورد ذلك في موضعين وهما[آية الإسراء ١٧ـ ويونس ١٢].

*** شواهد قرآنية على تقديم القرون:**

آية الإسراء ١٧ : الكلام فيها على من بعد نوح من القرون، وليس فيها تهديد .

آية يونس ١٢ : ليس فيها تهديد، وليس السياق في ذلك .

*** شواهد قرآنية على تقديم الظرف:**

آية الأنعام ٦ : فيها تهديد وبيان إهلاكهم بسبب ذنوبهم .

آية يس ٣١: فيها تهديد.

﴿وَلَوْ نَزَّلْنَا عَلَيْكَ كِتَٰبًا فِى قِرْطَاسٍ فَلَمَسُوهُ بِأَيْدِيهِمْ لَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ إِنْ هَٰذَآ إِلَّا سِحْرٌ مُّبِينٌ ﴿٧﴾ وَقَالُوا۟ لَوْلَآ أُنزِلَ عَلَيْهِ مَلَكٌ ۖ وَلَوْ أَنزَلْنَا مَلَكًا لَّقُضِىَ ٱلْأَمْرُ ثُمَّ لَا يُنظَرُونَ ﴿٨﴾ وَلَوْ جَعَلْنَٰهُ مَلَكًا لَّجَعَلْنَٰهُ رَجُلًا وَلَلَبَسْنَا عَلَيْهِم مَّا يَلْبِسُونَ ﴿٩﴾﴾

السؤال الأول:

قوله تعالى ﴿وَلَوْ نَزَّلْنَا عَلَيْكَ كِتَٰبًا فِى قِرْطَاسٍ فَلَمَسُوهُ بِأَيْدِيهِمْ﴾ اللمس يكون باليد خاصة، فلِمَ حدد الله اللمس بقوله: ﴿بِأَيْدِيهِمْ﴾، مع أن هذا معلوم بداهة من قوله ﴿فَلَمَسُوهُ﴾؟

الجواب:

إنّ اللمس هو وضع اليد على شيء ما للتأكد من وجوده أو لمعرفة ظاهره، وكلمة اللمس تدل على استعمال اليد، ولكنّ الله قيد اللمس باليد ليؤكد معنى اللمس؛ حتى لا يتوهم أنه أراد المجاز، فيُصرف اللمس إلى التأمل، لا بل هو اللمس باليد، وفي هذا تأكيد على معاندتهم ومكابرتهم.

السؤال الثاني:

ما الفرق بين ﴿أنزلنا ونزّلنا﴾ في آيتي سورة الأنعام ﴿وَلَوْ نَزَّلْنَا عَلَيْكَ كِتَٰبًا فِى قِرْطَاسٍ فَلَمَسُوهُ بِأَيْدِيهِمْ لَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ إِنْ هَٰذَآ إِلَّا سِحْرٌ مُّبِينٌ ﴿٧﴾ وَقَالُوا۟ لَوْلَآ أُنزِلَ عَلَيْهِ مَلَكٌ ۖ وَلَوْ أَنزَلْنَا مَلَكًا لَّقُضِىَ ٱلْأَمْرُ ثُمَّ لَا يُنظَرُونَ ﴿٨﴾ وَلَوْ جَعَلْنَٰهُ مَلَكًا لَّجَعَلْنَٰهُ رَجُلًا وَلَلَبَسْنَا عَلَيْهِم مَّا يَلْبِسُونَ ﴿٩﴾﴾ [الأنعام:٧-٨-٩]؟

الجواب:

١ـ السؤال عن آيتين متصلتين في سورة الأنعام، قال تعالى في الأولى: ﴿نَزَّلْنَا﴾ وفي الثانية ﴿أَنزَلْنَا﴾.

في الاستعمال القرآني خاصة: نزّل (فعّل)، وأنزل (أفعل)، (نزّل) أهم وآكد من(أنزل)، كما هو الحال في (وصّى وأوصى)، حيث يستعمل (وصّى) في أمور الدين و(أوصى) في أمور الدنيا، كما في الآيات:

ـ ﴿ ۞ قُلْ تَعَالَوْا۟ أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ ۖ أَلَّا تُشْرِكُوا۟ بِهِۦ شَيْـًٔا ۖ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَـٰنًا ۖ وَلَا تَقْتُلُوٓا۟ أَوْلَـٰدَكُم مِّنْ إِمْلَـٰقٍ ۖ نَّحْنُ نَرْزُقُكُمْ وَإِيَّاهُمْ ۖ وَلَا تَقْرَبُوا۟ ٱلْفَوَٰحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ ۖ وَلَا تَقْتُلُوا۟ ٱلنَّفْسَ ٱلَّتِى حَرَّمَ ٱللَّهُ إِلَّا بِٱلْحَقِّ ۚ ذَٰلِكُمْ وَصَّىٰكُم بِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿١٥١﴾﴾ [الأنعام:١٥١].

ـ ﴿وَوَصَّىٰ بِهَآ إِبْرَٰهِـۧمُ بَنِيهِ وَيَعْقُوبُ يَـٰبَنِىَّ إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَىٰ لَكُمُ ٱلدِّينَ فَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ﴾ [البقرة:١٣٢].

ـ ﴿وَوَصَّيْنَا ٱلْإِنسَـٰنَ بِوَٰلِدَيْهِ حُسْنًا﴾ [العنكبوت:٨]،

ـ ﴿يُوصِيكُمُ ٱللَّهُ فِىٓ أَوْلَـٰدِكُمْ ۖ لِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ ٱلْأُنثَيَيْنِ ۚ﴾ [النساء:١١]. (أوصى) في أمور الميراث

ولم تأت (أوصى) في أمور الدين إلا في موطن واحد اجتمعت فيه الصلاة والزكاة ﴿وَأَوْصَـٰنِى بِٱلصَّلَوٰةِ وَٱلزَّكَوٰةِ مَا دُمْتُ حَيًّا ﴿٣١﴾﴾ [مريم:٣١] .

٢ـ كرّم وأكرم: (كرّم) أوسع من (أكرم)، وكذلك الفعلان: نجّا وأنجا. إذن (نزّل) سيكون معناها أهمّ من (أنزل).

٣ـ لكن كيف تكون أهمّ؟ ولماذا غاير بين الصيغتين؟

قال تعالى ﴿وَلَوْ نَزَّلْنَا عَلَيْكَ كِتَٰبًا فِى قِرْطَاسٍ﴾ تنزيل القرطاس يوحي بصورتين:

آ ـ إما أنْ ينزل القرطاس وحده من السماء، ثم يأتي إلى يد الرسول .

ب ـ وإما أنْ ينزل به ملك، ثم يسلمه للرسول.

وتنزيل القرطاس وحده بحيث يأتي بنفسه ليد الرسول أمر أعجب، بينما الملك عاقل.

٤ـ فقال مع الحالة الأولى الأعجب القرطاس ﴿وَلَوْ نَزَّلْنَا عَلَيْكَ كِتَٰبًا فِى قِرْطَاسٍ﴾ وقال مع الحالة الثانية وهي أقل عجباً ﴿وَلَوْ أَنزَلْنَا مَلَكًا﴾ ؛ لأنّ تنزيل القرطاس أهمّ وآكد وأغرب من تنزيل الملك؛ لذا قال: نزّلنا وأنزلنا.

السؤال الثالث:

ما الفرق بين المعنى هنا في آية الأنعام ٧ وقوله تعالى فى آية الإسراء ١٠٥ ﴿وَبِٱلْحَقِّ أَنزَلْنَٰهُ وَبِٱلْحَقِّ نَزَلَ﴾؟

الجواب:

١ـ الفرق ليس في المرتبة، هنا لدينا فعل (أنزل ونزل)، أنزل فعل متعدٍّ ونزل فعل لازم (نزل من تلقاء نفسه).

٢ـ وهناك فرق بين(أنزل) و(نزل)، قسم يقولون: (أنزل) أي: كله جملة واحدة، و(نزل) منجماً، لكنّ قسماً من النحاة ردوا على هذا القول وقالوا ربنا تعالى قال: ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ ٱلْقُرْءَانُ جُمْلَةً وَٰحِدَةً﴾ [الفرقان:٣٢] .

٣ـ وقسم قالوا: (أنزل) عام، و(نزّل) خاص.

ويقولون: الإنزال عام لا يخص التدرج أو غير التدرج، لكنّ التنزيل هو الذي يخص التدرج.

و القرآن الكريم أنزل دفعة واحدة من اللوح المحفوظ إلى السماء الدنيا﴿إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ فِى لَيْلَةِ ٱلْقَدْرِ ﴿١﴾﴾ ثم نزل منجماً.

٤ـ لكن الذي يبدو أنّ الفرق بين (نزّل وأنزل) أن (نزّل) تفيد الاهتمام نظير (وصّى وأوصى) و(كرّم وأكرم)، ففي المواطن التي فيها توكيد واهتمام بالسياق يأتي بـ ﴿نُزِّلَ﴾ والتي دونها يأتي بـ ﴿أُنزِلَ﴾ .

إذن (نزّل) آكد وأقوى، وهما في موطن الاهتمام أشد من (أنزل).

السؤال الرابع:

ما الفرق بين ﴿أُنزِلَ إِلَيْهِ﴾ و ﴿أُنزِلَ عَلَيْهِ﴾ كما في آية الأنعام (٨) وآية الفرقان (٧)؟

الجواب:

١ـ (على) أقوى من (إلى)، وتأتي (على) في الغالب في العقوبات ﴿ وَفِى عَادٍ إِذْ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمُ ٱلرِّيحَ ٱلْعَقِيمَ ﴿٤١﴾﴾ [الذاريات:٤١] وفيها معنى الاستعلاء، ولذلك كان فيها معنى الشدة والقوة .

٢ـ أمّا (إلى) فليست كذلك، وإنما تفيد منتهى الغاية فقط.

٣ـ وربنا عندما يقول مرة: ﴿لَوْلَآ أُنزِلَ عَلَيْهِ مَلَكٌ﴾ ومرة ﴿لَوْلَآ أُنزِلَ إِلَيْهِ مَلَكٌ﴾ نلاحظ أنّ السياق يختلف، وهناك فرق بين (إليه) و(عليه) .

فقوله تعالى: ﴿وَقَالُواْ لَوْلَآ أُنزِلَ عَلَيْهِ مَلَكٌۖ وَلَوْ أَنزَلْنَا مَلَكًا لَّقُضِيَ ٱلْأَمْرُ ثُمَّ لَا يُنظَرُونَ ﴿٨﴾﴾ [الأنعام:٨] الآية فيها تهديد.

وقوله تعالى: ﴿وَقَالُواْ مَالِ هَٰذَا ٱلرَّسُولِ يَأْكُلُ ٱلطَّعَامَ وَيَمْشِي فِي ٱلْأَسْوَاقِ لَوْلَآ أُنزِلَ إِلَيْهِ مَلَكٌ فَيَكُونَ مَعَهُۥ نَذِيرًا ﴿٧﴾ أَوْ يُلْقَىٰٓ إِلَيْهِ كَنزٌ أَوْ تَكُونُ لَهُۥ جَنَّةٌ يَأْكُلُ مِنْهَاۚ وَقَالَ ٱلظَّٰلِمُونَ إِن تَتَّبِعُونَ إِلَّا رَجُلًا مَّسْحُورًا ﴿٨﴾﴾ [الفرقان:٧-٨] ليس فيها تهديد. فالأقوى (على) .

إذن (نزّل) أقوى من(أنزل)، و(على) أقوى من (إلى).

❊❊❊❊

﴿وَلَقَدِ ٱسْتُهْزِئَ بِرُسُلٍ مِّن قَبْلِكَ فَحَاقَ بِٱلَّذِينَ سَخِرُواْ مِنْهُم مَّا كَانُواْ بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ ﴿١٠﴾﴾

السؤال الأول:

قوله تعالى في نفس الآية ﴿وَلَقَدِ ٱسْتُهْزِئَ﴾ و﴿فَحَاقَ بِٱلَّذِينَ سَخِرُواْ مِنْهُم مَّا كَانُواْ بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ ﴿١٠﴾﴾ ما الفرق بين (استهزأ بـ) و(سخر من)؟

الجواب:

هنالك أمران في اللغة يذكران في الاستعمال القرآني:

١ ـ الفروق في المعنى:

أ ـ الاستهزاء: عام سواء كان بالأشخاص أم بغير الأشخاص.

❊ شواهد قرآنية:

﴿وَإِذَا نَادَيْتُمْ إِلَى ٱلصَّلَوٰةِ ٱتَّخَذُوهَا هُزُوًا وَلَعِبًاۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَّا يَعْقِلُونَ ﴿٥٨﴾﴾ [المائدة:٥٨] الصلاة ليست شخصاً وإنما أقاويل وأفاعيل .

﴿وَلَا تَتَّخِذُوٓاْ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ هُزُوٗاۚ﴾ [البقرة:٢٣١] ليس شخصاً.

﴿قُلۡ أَبِٱللَّهِ وَءَايَٰتِهِۦ وَرَسُولِهِۦ كُنتُمۡ تَسۡتَهۡزِءُونَ ٦٥﴾ [التوبة:٦٥] والرسول شخص .

﴿وَإِذَا عَلِمَ مِنۡ ءَايَٰتِنَا شَيۡـًٔا ٱتَّخَذَهَا هُزُوًاۚ﴾ [الجاثية:٩] ليس شخصاً.

إذن الاستهزاء عام في الأشخاص وفي غير الأشخاص.

ب ـ السخرية: وهي في الأشخاص تحديداً، ولم ترد في القرآن إلا في الأشخاص ﴿وَيَصۡنَعُ ٱلۡفُلۡكَ وَكُلَّمَا مَرَّ عَلَيۡهِ مَلَأٞ مِّن قَوۡمِهِۦ سَخِرُواْ مِنۡهُۚ قَالَ إِن تَسۡخَرُواْ مِنَّا فَإِنَّا نَسۡخَرُ مِنكُمۡ كَمَا تَسۡخَرُونَ ٣٨﴾ [هود:٣٨] .

إذن الاستهزاء عام ورد في الأشخاص وغير الأشخاص .

ومعنى الاستهزاء هو السخرية، وهم يقولون: المزاح في خفية وهو جانب من السخرية. والاستهزاء أعم من السخرية، والسخرية خاصة بالأشخاص،ولم ترد في القرآن إلا للأشخاص.

٢ـ الفرق الآخر في الاستعمال القرآني أنه لم ترد السخرية إلا مع فعل يفعله الشخص، أمّا الاستهزاء فقد يستهزأ به من غير فعل، فالسخرية أن تسخر منه وهو يفعل الفعل، أمّا الاستهزاء فليس كذلك.

مثلاً نوحاً عليه السلام وهو يصنع الفلك (هذا عمل)، وهم سخروا من فعل يفعله، وكذلك في قوله تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ يَلۡمِزُونَ ٱلۡمُطَّوِّعِينَ مِنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ فِي ٱلصَّدَقَٰتِ وَٱلَّذِينَ لَا يَجِدُونَ إِلَّا جُهۡدَهُمۡ فَيَسۡخَرُونَ مِنۡهُمۡ﴾ [التوبة:٧٩] ﴿هذا فعل﴾ .

٣ ـ في آية الأنعام ١٠ قال: ﴿وَلَقَدِ ٱسْتُهْزِئَ بِرُسُلٍ مِّن قَبْلِكَ فَحَاقَ بِٱلَّذِينَ سَخِرُواْ مِنْهُم﴾ جمع الأمرين: الاستهزاء والسخرية، ولو اكتفى بواحد منهما لم يجمع الأمرين.

فقوله: ﴿وَلَقَدِ ٱسْتُهْزِئَ بِرُسُلٍ مِّن قَبْلِكَ﴾ يفيد أنّ الاستهزاء أعم من السخرية على سبيل العموم، سواء فعلوا أم لم يفعلوا، أمّا ﴿فَحَاقَ بِٱلَّذِينَ سَخِرُواْ مِنْهُم﴾ فمقصود به الفعل، إذن لمّا ذكر الاثنين جمع الدلالتين، ولو قال(سخروا) فقط لم يشمل الاستهزاء بالآيات.

السؤال الثاني:

ما دلالة الفعل ﴿فَحَاقَ﴾ في الآية ﴿فَحَاقَ بِٱلَّذِينَ سَخِرُواْ مِنْهُم مَّا كَانُواْ بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ ﴿١٠﴾﴾؟

الجواب:

(حاق) بمعنى أحاط به وأصابه، وإنما خصّ الله إصابتهم بالفعل(حاق) دون (أصاب)؛ لأنّ الفعل (حاق) يعبر عن الإحاطة، وهذا يصور تمكن العذاب منهم حيث لا يقدر أحد على الإفلات من العذاب، فهو محيط بهم إحاطة السوار بالمعصم.

السؤال الثالث:

ما أهم دلالات هذه الآية؟

الجواب:

المعنى العام: هو تسلية لرسول الله ﷺ عما يلقاه من قومه، أي: أنك لست أول رسول استَهزَأَ به قومُه، فكم وكم من رسول فُعل معه ذلك، ولكنّ الله سوف يعاقب من يستهزىء برسله إنْ أصر على ذلك ولم يتب .

١ـ جاء في تصدير الآية بالقسم وحرف التحقيق للاعتناء بالمعنى وإعطائه قوة التحقيق.

٢ـ جاء بالتنوين: ﴿بِرُسُلٍ﴾ للتفخيم والتكثير.

٣ـ ولمّا كان القرب في الزمن في مثل هذا مما يسلي ،وكان كلٌّ من الاستهزاء والإرسال لم يستغرق الزمن أدخل الجار فقال:﴿مِّن قَبۡلِكَ﴾ .

٤ـ قوله تعالى: ﴿فَحَاقَ﴾ بمعنى أحاط للدلالة على شمول العذاب وإحاطته بهم من كل ناحية.

٥ـ الاستهزاء عام في الأشخاص وغير الأشخاص، كالاستهزاء بالصلاة وآيات الله، بينما السخرية في الأشخاص فقط، وهذا ما ورد في جميع القرآن.

٦ـ السخرية تكون من فعل يقوم به المسخور منه، بينما الاستهزاء عام لا يقتضي وجود فعل.

٧ـ وفي الآية جمع الأمرين: الاستهزاء والسخرية .

٨ـ قوله تعالى:﴿مَّا كَانُواْ بِهِۦ يَسۡتَهۡزِءُونَ ١٠﴾ و(ما) هنا فيها قولان:

آ ـ أنّ المراد به القرآن، وهو ما جاء به محمد ﷺ .

ب ـ أنهم كانوا يستهزئون بالعذاب الذي كان يخوفهم الرسول ﷺ بنزوله عليهم إن لم يؤمنوا.

﴿قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ ثُمَّ انظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكَذِّبِينَ ﴿١١﴾﴾

السؤال الأول:

كم مرة وردت كلمة ﴿قُلْ﴾ في سورة الأنعام؟ وما دلالة ذلك؟

الجواب:

نلاحظ في السورة كثرة استخدام كلمة ﴿قُلْ﴾ فقد وردت في السورة (٤٢) مرة، وهو ما يسمى أسلوب التلقين، وهو يظهر جلياً في تعليم الرسول ﷺ تلقين الحجة ليقذف بها في وجه الخصم بحيث تأخذ عليه سمعه وتملك عليه قلبه فلا يستطيع التخلص أو التفلت منها، ويأتي هذا الأسلوب بطريق السؤال والجواب، يسألهم ثم يجيب .

السؤال الثاني:

قوله تعالى ﴿عَاقِبَةُ الْمُكَذِّبِينَ ﴿١١﴾﴾ ما اللمسة البيانية في تذكير كلمة (عاقبة) مرة وتأنيثها مرة أخرى في القرآن الكريم؟

الجواب:

تذكير (الفاعل المؤنث) له أكثر من سبب وأكثر من خط في القرآن الكريم، فإذا قصدنا باللفظ المؤنّث معنى المذكّر جاز تذكيره، وهو ما يُعرف بـ (الحمل على المعنى﴾.

وكلمة (العاقبة) تأتي بالتذكير مرة وبالتأنيث مرة، وعندما تأتي بالتذكير تكون بمعنى (العذاب)، وقد وردت في القرآن الكريم (١٢) مرة بمعنى العذاب؛ أي بالتذكير.

والأمثلة في القرآن كثيرة؛ منها قوله تعالى في سورة الأنعام: ﴿قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ ثُمَّ انظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكَذِّبِينَ ﴿١١﴾﴾ و ﴿وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِم مَّطَرًا ۖ فَانظُرْ كَيْفَ كَانَ

عَـٰقِبَةُ ٱلْمُجْرِمِينَ ﴿٨٤﴾﴾ [الأعراف:٨٤] و ﴿فَٱنظُرْ كَيْفَ كَانَ عَـٰقِبَةُ ٱلْمُنذَرِينَ ﴿٧٣﴾﴾ [الصافات:٧٣] وسورة يونس ﴿فَكَذَّبُوهُ فَنَجَّيْنَـٰهُ وَمَن مَّعَهُۥ فِى ٱلْفُلْكِ وَجَعَلْنَـٰهُمْ خَلَـٰٓئِفَ وَأَغْرَقْنَا ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَـٰتِنَا ۖ فَٱنظُرْ كَيْفَ كَانَ عَـٰقِبَةُ ٱلْمُنذَرِينَ ﴿٧٣﴾﴾ [يونس:٧٣] والمقصود بالعاقبة هنا محل العذاب، فجاء الفعل مذكراً .

وعندما تأتي بـ (التأنيث) لا تكون إلا بمعنى (الجنّة)، كما في قوله تعالى: ﴿وَقَالَ مُوسَىٰ رَبِّىٓ أَعْلَمُ بِمَن جَآءَ بِٱلْهُدَىٰ مِنْ عِندِهِۦ وَمَن تَكُونُ لَهُۥ عَـٰقِبَةُ ٱلدَّارِ ۖ إِنَّهُۥ لَا يُفْلِحُ ٱلظَّـٰلِمُونَ ﴿٣٧﴾﴾ [القصص:٣٧] وفي قوله تعالى في سورة الأنعام ﴿قُلْ يَـٰقَوْمِ ٱعْمَلُوا۟ عَلَىٰ مَكَانَتِكُمْ إِنِّى عَامِلٌ ۖ فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ مَن تَكُونُ لَهُۥ عَـٰقِبَةُ ٱلدَّارِ ۗ إِنَّهُۥ لَا يُفْلِحُ ٱلظَّـٰلِمُونَ ﴿١٣٥﴾﴾ [الأنعام:١٣٥] .

السؤال الثالث:

جاء في آية الأنعام رقم ١١ بـ (ثم) الدالة على التراخي والبعد، فقال: ﴿ثُمَّ ٱنظُرُوا۟﴾ بخلاف آية سورة النمل ٦٩، فقد جاء فيها ﴿فَٱنظُرُوا۟﴾ [النمل:٦٩] أي: بـ (الفاء) الدالة على التعقيب وليس (ثم)، فما السبب؟

الجواب:

جو سورة الأنعام مبني على تأخير الوعيد والعقوبات؛ فاستعمل معها (ثم) وكذلك فإنّ المكذب قد تعطى له مهلة أطول من مهلة المجرم؛ لأنّ المجرم ينبغي أنْ يؤخد بجرمه على وجه التعقيب؛ ولذا جاء مع ﴿ٱلْمُكَذِّبِينَ ﴿١١﴾﴾ بثم ومع ﴿ٱلْمُجْرِمِينَ ﴿٦٩﴾﴾ [النمل:٦٩] بالفاء.

ثم انظر إلى قوله تعالى في سورة النمل الآية ٧٢ ﴿قُلْ عَسَىٰٓ أَن يَكُونَ رَدِفَ لَكُم بَعْضُ ٱلَّذِى تَسْتَعْجِلُونَ ﴿٧٢﴾﴾ [النمل:٧٢] بينما قال في سورة الأنعام: ﴿مَا عِندِى مَا تَسْتَعْجِلُونَ بِهِۦٓ﴾ [الأنعام:٥٧] فناسب ذلك ذكر ﴿ثُمَّ﴾ [الأنعام:١١] في الأنعام وذكر(الفاء) في آية النمل.

السؤال الرابع:

قوله تعالى في الآية ﴿قُلْ سِيرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ﴾ ولم يقل (على الأرض)، فما دلالة ذلك؟

الجواب:

لم يقل الحق أبداً في القرآن الكريم: سيروا على الأرض؛ لأنّ الأرض ظرف يسير فيه الإنسان، والإنسان مظروف في الأرض .

ونعلم أنّ الأرض كروية والهواء يحيط بها من كل جانب، وعندما يسير الإنسان فالهواء يحيطه وعلى ذلك فهو يسير في الأرض؛ لأنه داخل ضمن مجالها، ولو خرج من مجالها لما بقي حياً بسبب فقدان الهواء .

ومن جهة أخرى هناك سير للاعتبار وسير للمصلحة، والسير للاعتبار يعني أنْ يأخذ الإنسان العبرة مباشرة فتأتي الفاء التي تفيد التعقيب من غير تراخٍ، أمّا السير للمصلحة فهو أنْ يأخذ الإنسان العبرة ضمن المصلحة فتأتي (ثم) التي تفيد التراخي، وكان سير قريش بقوافلها إلى الشام واليمن يجعلها قادرة على أنْ ترى آثار المكذبين من أهل ثمود أو قوم عاد أو غيرهم، وكان عليهم أنْ يأخذوا العبرة في أثناء سعيهم للتجارة.

السؤال الخامس:

ما الفرق بين الفعلعين (سار) و(مشى)؟

الجواب:

(سار): يقال: سار القوم إذا امتد بهم السير من جهة إلى جهة أخرى معينة .

(مشى): هو مجرد الانتقال وليس بالضرورة التوجه إلى هدف معين.

والسير في القرآن إمّا أنْ يكون للسير إلى جهة معينة أو للعظة والاعتبار أو للتجارة أو غير ذلك .

* شواهد قرآنية:

آية القصص ٢٩ ﴿وَسَارَ بِأَهْلِهِۦ﴾ السير هنا ممتد من مدين إلى مصر وليس مشيا .

آية الأنعام ١١ ﴿قُلْ سِيرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ﴾ السير هنا للعبرة والاتعاظ، وقد ورد هذا المعنى للسير في ١١ آية قرآنية.

آية الفرقان ٦٣ ﴿ٱلَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى ٱلْأَرْضِ هَوْنًا﴾ هو مجرد الانتقال .

❋❋❋❋

﴿ قُل لِّمَن مَّا فِى ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ قُل لِّلَّهِ ۚ كَتَبَ عَلَىٰ نَفْسِهِ ٱلرَّحْمَةَ ۚ لَيَجْمَعَنَّكُمْ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَـٰمَةِ لَا رَيْبَ فِيهِ ۚ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿١٢﴾ ﴾

السؤال الأول:

ما دلالة قوله تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ﴾ في الآيتين ١٢و ٢٠من سورة الأنعام؟

الجواب:

الآية الأولى للمشركين، وأمّا الآية الثانية فهي لأهل الكتاب ليعم الفريقين.

❊❊❊❊

﴿ قُلْ أَغَيْرَ ٱللَّهِ أَتَّخِذُ وَلِيًّا فَاطِرِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَهُوَ يُطْعِمُ وَلَا يُطْعَمُ ۗ قُلْ إِنِّيٓ أُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ أَوَّلَ مَنْ أَسْلَمَ ۖ وَلَا تَكُونَنَّ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿١٤﴾ ﴾

السؤال الأول:

ما دلالة قوله تعالى في الآية ﴿فَاطِرِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾؟ وما الحكمة في اختياره هنا في الآية؟

الجواب:

الفاطر هو المبدع والخالق وأصله من (الفطر) وهو الشق، وقال ابن عباس رضي الله عنه: ما عرفت معنى الفاطر حتى اختصم إليّ أعرابيان في بئر؟ فقال أحدهما: أنا فطرتها، ولذلك اختير هذا الوصف ﴿فَاطِرِ﴾ من بين صفات الله وأسمائه لدحض دعوى اتخاذ أيّ ولي دون الله، فالله هو الولي، وهو الخالق والفاطر.

❊❊❊❊

﴿ قُلْ إِنِّيٓ أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّى عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿١٥﴾ ﴾

السؤال الأول:

قوله تعالى: ﴿قُلْ إِنِّيٓ أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّى عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿١٥﴾﴾ تأمل هذا التحذير الإلهي، فقد أضاف الله العذاب إلى يوم عظيم فقال: ﴿عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿١٥﴾﴾ فما الهدف

من هذه الإضافة؟ ولِمَ لمْ يوصف العذاب بالعظمة دون ذكر يوم؛ أي لِمَ لمْ يقل: إني أخاف عذاباً عظيماً؟

الجواب:

أضاف الله العذاب إلى كلمة (يوم)؛ لما لهذا الاسم من الدلالة عند العرب؛ لأنهم اعتادوا أنْ يطلقوا اليوم على يوم المعركة الذي ينتهي بنصر فريقٍ وانهزام آخر فيكون هذا اليوم نكالاً على المنهزمين؛ لأنه يكثر فيهم القتل ويُسام المغلوب سوء العذاب، فذكْرُ (يوم) يثير عند العرب من الخيال مخاوف مألوفة ويبث الهول في جوانحهم، وزاد هذا الهول بوصف اليوم والعذاب بالعظيم، حيث قال: ﴿عَذَابَ يَوۡمٍ عَظِيمٍ ١٥﴾ [الأنعام:١٥] .

❋❋❋❋

﴿وَإِن يَمۡسَسۡكَ ٱللَّهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُۥٓ إِلَّا هُوَۖ وَإِن يَمۡسَسۡكَ بِخَيۡرٍ فَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٍ قَدِيرٌ ١٧﴾

السؤال الأول:

ما الفرق بين الضُرّ ﴿وَإِن يَمۡسَسۡكَ ٱللَّهُ بِضُرٍّ﴾ والضَر ﴿قُل لَّآ أَمۡلِكُ لِنَفۡسِي ضَرًّا وَلَا نَفۡعًا﴾ [يونس:٤٩] والضرر ﴿لَّا يَسۡتَوِي ٱلۡقَٰعِدُونَ مِنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ غَيۡرُ أُوْلِي ٱلضَّرَرِ﴾ [النساء:٩٥] والحديث الشريف «**لا ضرر ولا ضرار**»؟

الجواب:

١ـ الضُرُّ: بالضم يكون في البدن من مرض وغيره ﴿أَنِّي مَسَّنِيَ ٱلضُّرُّ﴾ [الأنبياء:٨٣].

٢ـ الضَرُّ: بالفتح مصدر بما يقابل النفع ﴿قُل لَّآ أَمۡلِكُ لِنَفۡسِي نَفۡعًا وَلَا ضَرًّا﴾ [الأعراف:١٨٨].

٣ـ الضَّرَر: هو الاسم العام، أي: النقصان يدخل في الشيء، يقال: دخل عليه ضرر، كما في الآية: ﴿لَّا يَسْتَوِى ٱلْقَـٰعِدُونَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ غَيْرُ أُوْلِى ٱلضَّرَرِ﴾ [النساء:٩٥] أي: الذين فيهم عِلّة.

٤ـ أحياناً يكون التغيير في المصدر بحركة أو بشيء آخر يسمى اسماً، مثلاً: الوَضوء هو الماء، والوُضوء هو عملية التوضؤ نفسها ،وهذا تغيير بالحركة.الضَّر هو المصدر والضَرَر هو العلّة.

السؤال الثاني:

قال في آية الأنعام ١٧ ﴿يَمْسَسْكَ﴾ و ﴿فَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿١٧﴾﴾ وفي آية يونس ١٠٧ ﴿يُرِدْكَ﴾ و﴿فَلَا رَآدَّ لِفَضْلِهِۦ﴾، أي استعمل مع الضر ﴿يَمْسَسْكَ﴾ ومع الخير ﴿يُرِدْكَ﴾، فما الفرق؟

الجواب:

١ـ الضر إذا وقع لا يكشفه إلا الله تعالى، فاستوى فيه الموضعان واتفق الجوابان، فقد قال في كل منهما: ﴿فَلَا كَاشِفَ لَهُۥٓ إِلَّا هُوَ﴾ .

٢ـ وأما الخير فله حالتان: إرادته قبل نيله، ونيله، وذكر الله الحالتين في السورتين .

٣ـ في آية الأنعام ١٧ ذكر الخير حالة نيله فعبّر بالمس المباشر المشعر بوجوده، ثم قال: ﴿فَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿١٧﴾﴾ أي: على ذلك، وفيه بشارة بنيل أمثاله .

٤ـ في آية يونس ١٠٧ حالة إرادة الخير قبل نيله، فقال: ﴿يُرِدْكَ﴾، ثم قال: ﴿فَلَا رَآدَّ لِفَضْلِهِۦ﴾ ؛ ولذلك قال: ﴿يُصِيبُ بِهِۦ مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ﴾ .

وفي الآيتين بشارة له بإرادة الخير ونيله إياه، ولمّا اختلف الافتراضان كان الجواب بحسب ما يقتضيه كل افتراض، والله أعلم.

السؤال الثالث:

ما الفرق بين اللمس والمس؟

الجواب:

(اللمس) يكون باليد خاصة ليُعرف اللين من الخشونة والحرارة من البرودة، و(المس) يكون باليد وبغيرها.

قال تعالى: ﴿مَسَّتۡهُمُ ٱلۡبَأۡسَآءُ﴾ [البقرة:٢١٤] وقال: ﴿وَإِن يَمۡسَسۡكَ ٱللَّهُ بِضُرّٖ﴾ ولم يقل: يلمسك.

❁❁❁❁

﴿وَهُوَ ٱلۡقَاهِرُ فَوۡقَ عِبَادِهِۦۚ وَهُوَ ٱلۡحَكِيمُ ٱلۡخَبِيرُ ١٨﴾

السؤال الأول:

قوله تعالى ﴿وَهُوَ ٱلۡقَاهِرُ فَوۡقَ عِبَادِهِۦۚ﴾ انظر إلى هذه الآية، ألا ترى أنّ الظرف ﴿فَوۡقَ﴾ في هذا الموضع لا يدل على جهة العلو كما يستعمل عادة، فأنت تقول: المصحف فوق الطاولة، فتقصد جهة العلو، فعلام يدل الظرف (فوق) في هذه الآية؟

الجواب:

في الظرف هنا استعارة تمثيلية لحالة القاهر وتشبيه له بالذي يأخذ المغلوب من أعلاه حتى يستسلم؛ لأنه لا يقدر على الحراك والمقاومة.

﴿قُلْ أَيُّ شَيْءٍ أَكْبَرُ شَهَادَةً ۖ قُلِ اللَّهُ ۖ شَهِيدٌ بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ ۚ وَأُوحِيَ إِلَيَّ هَٰذَا الْقُرْآنُ لِأُنذِرَكُم بِهِ وَمَن بَلَغَ ۚ أَئِنَّكُمْ لَتَشْهَدُونَ أَنَّ مَعَ اللَّهِ آلِهَةً أُخْرَىٰ ۚ قُل لَّا أَشْهَدُ ۚ قُلْ إِنَّمَا هُوَ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ وَإِنَّنِي بَرِيءٌ مِّمَّا تُشْرِكُونَ (١٩)﴾

السؤال الأول:

يعالج الله عباده بأسلوبي الإنذار والتبشير، لكنّ هذه الآية اقتصرت على الإنذار، فما حكمة ذلك؟

الجواب:

اقتصر ربنا على جعل علّة نزول القرآن بالإنذار دون البشارة؛ لأنّ المخاطبين كانوا في حالة مكابرة، وهذه الحال لا يناسبها إلا الإنذار.

السؤال الثاني:

ما فائدة التقديم والتأخير في القرآن ﴿شَهِيدٌ بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ﴾ ﴿بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ شَهِيدًا﴾؟ وذلك في الآيات [آية الأنعام ١٩ـ آية يونس ٢٩ـ آية الرعد ٤٣ـ آية الإسراء ٩٦ـ آية العنكبوت ٥٢ـ آية الأحقاف ٨]؟

الجواب:

القاعدة البيانية:

١ـ التقديم والتأخير يفيد الاعتناء والاهتمام، فمثلاً قولك: أكرَم خالداً زيدٌ، و قولك: خالداً أكرمَ زيدٌ، فالأولى فيها زيادة الاعتناء بالكرم وبخالد أكثر من الاعتناء

بزيد، والثانية تكون عنايتك بخالد أكثر من الكرم ومن زيد، فالتقديم يفيد زيادة في الاهتمام.

٢ـ جاء في القرآن كله تقديم كلمة ﴿شَهِيدُۢ﴾ على (بيني وبينكم) في خمسة مواضع، وهي في الآيات:[الأنعام ١٩ـ يونس ٢٩ـ الرعد ٤٣ـ الإسراء ٩٦ـ الأحقاف ٨].

بينما جاءت كلمة ﴿شَهِيدُۢ﴾ متأخرة عن (بيني وبينكم) في موضع واحد وهو آية العنكبوت ٥٢ ﴿كَفَىٰ بِٱللَّهِ بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ شَهِيدًا﴾.

وإليك بيان السبب في التقديم والتأخير:

آية العنكبوت:

قال تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَكْفِهِمْ أَنَّآ أَنزَلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ يُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَرَحْمَةً وَذِكْرَىٰ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿٥١﴾ قُلْ كَفَىٰ بِٱللَّهِ بَيْنِى وَبَيْنَكُمْ شَهِيدًا ۖ يَعْلَمُ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۗ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱلْبَٰطِلِ وَكَفَرُوا۟ بِٱللَّهِ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ ﴿٥٢﴾﴾

١ـ جاء في الآية ٥١ ﴿أَنزَلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ يُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ﴾ أي: بدأ بالرسول ﷺ ثم بهم؛ لذلك ناسب أنْ يقدم (بيني وبينكم) على (شهيداً)؛ لأنّ الخطاب له والاهتمام له.

٢ـ قوله تعالى في الآية ٥٢ ﴿يَعْلَمُ﴾ هي وصف لشهيد، أي: شهيداً عالماً، ولو قدّم (شهيداً) وجعله مثلاً: (كفى بالله شهيدا بيني وبينكم يعلم) لكان هناك فاصل بين الصفة والموصوف، وهذا خلاف اللغة العليا.

٣ـ في آية العنكبوت ٥٢ ختمت الآية بصفات البشر ﴿أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ﴾ لذا اقتضى تقديم ما يتعلق بالبشر (بيني وبينكم) على ﴿شَهِيدًا﴾.

آية الأنعام ١٩:

السؤال في الآية عن الشهادة وليس عن مكانها؛ فقدم ﴿شَهِيدًا﴾ إضافة أنّ كلمة (بيني وبينكم) هما معمولان لكلمة (شهيد)، وهذا شيء طبيعي أن يأتي العامل ثم يأتي المعمول.

فالسؤال عن الشهادة هنا في الآية وليس عن مكانها؛ ولذلك ينبغي أنْ يقدّم في القرآن وفي غيره.

آية يونس ٢٩:

الآيتان [٢٨ـ٢٩] من سورة يونس تصفان الجدل بين المشركين ومن كانوا يعبدونهم من الشركاء من دون الله ﴿وَيَوْمَ نَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا ثُمَّ نَقُولُ لِلَّذِينَ أَشْرَكُوا مَكَانَكُمْ أَنتُمْ وَشُرَكَاؤُكُمْ فَزَيَّلْنَا بَيْنَهُمْ وَقَالَ شُرَكَاؤُهُم مَّا كُنتُمْ إِيَّانَا تَعْبُدُونَ ﴿٢٨﴾ فَكَفَىٰ بِاللَّهِ شَهِيدًا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ إِن كُنَّا عَنْ عِبَادَتِكُمْ لَغَافِلِينَ ﴿٢٩﴾﴾ [يونس:٢٨-٢٩]

والشركاء يريدون شاهداً وليس المهم بيننا وبينهم، ولكنّ المهم أنْ يشهد لهم الشاهد أنهم ما كانوا يعبدونهم؛ ولذلك جاءت ﴿فَكَفَىٰ بِاللَّهِ شَهِيدًا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ﴾ أي قدّم ﴿شَهِيدًا﴾؛ للاعتناء بالشهادة.

آية الرعد ٤٣:

قوله تعالى: ﴿وَيَقُولُ الَّذِينَ كَفَرُوا لَسْتَ مُرْسَلًا ۚ قُلْ كَفَىٰ بِاللَّهِ شَهِيدًا بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ وَمَنْ عِندَهُ عِلْمُ الْكِتَابِ ﴿٤٣﴾﴾ الكلام على الرسالة، والرسالة تحتاج إلى شهيد؛ فقدّم ﴿شَهِيدًا﴾.

آية الإسراء ٩٤ و ٩٦:

قوله تعالى: ﴿وَمَا مَنَعَ ٱلنَّاسَ أَن يُؤْمِنُوٓاْ إِذْ جَآءَهُمُ ٱلْهُدَىٰٓ إِلَّآ أَن قَالُوٓاْ أَبَعَثَ ٱللَّهُ بَشَرًا رَّسُولًا﴾ ﴿قُلْ كَفَىٰ بِٱللَّهِ شَهِيدًۢا بَيْنِى وَبَيْنَكُمْ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ بِعِبَادِهِۦ خَبِيرًۢا بَصِيرًا ﴿٩٦﴾﴾ الكلام عن الرسالة، والاعتناء بها، والرسالة تحتاج إلى شهيد؛ فقدّم ﴿شَهِيدًا﴾.

آية الأحقاف ٨:

قوله تعالى: ﴿أَمْ يَقُولُونَ ٱفْتَرَىٰهُ ۖ قُلْ إِنِ ٱفْتَرَيْتُهُۥ فَلَا تَمْلِكُونَ لِى مِنَ ٱللَّهِ شَيْـًٔا ۖ هُوَ أَعْلَمُ بِمَا تُفِيضُونَ فِيهِ ۖ كَفَىٰ بِهِۦ شَهِيدًۢا بَيْنِى وَبَيْنَكُمْ ۖ وَهُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٨﴾﴾ الكلام عن القرآن ويحتاج إلى شاهد؛ فقدم ﴿شَهِيدًا﴾ . والله أعلم .

السؤال الثالث:

ما دلالة قوله تعالى في الآية ﴿أَئِنَّكُمْ لَتَشْهَدُونَ أَنَّ مَعَ ٱللَّهِ ءَالِهَةً أُخْرَىٰ ۚ﴾؟ وما دلالة دخول (إنّ واللام) في قوله: ﴿أَئِنَّكُمْ لَتَشْهَدُونَ﴾؟

الجواب:

هذا هو كلام الله تعالى كلامه المعجز الذي يفحم أرباب البيان ويرغمهم على الوقوف أمامه مشدوهين، انظر كيف يصور هذا الاستفهام المشركين ويسبغ عليهم جلباب الاستهانة والحماقة، فقد جعل ربنا الاستفهام في الآية ﴿أَئِنَّكُمْ لَتَشْهَدُونَ﴾ داخلاً على إنّ المؤكدة ولام التأكيد، ولم يكتف بأداة الاستفهام (أتشهدون أن مع الله آلهة أخرى)؛ لأنّ دخول همزة الاستفهام (أئنكم) يفيد أنّ شهادتهم هذه مما لا يكاد يصدق السامعون أنهم يشهدونها لاستبعاد صدورها من عقلاء. فأنت لو سألت صديقك عن أمر تستبعده

تقول: (أئنك لتغدر بي)، فإذا أردت الإثبات أجابك بالأسلوب نفسه (نعم إنني لأغدر بك)، فأدخل في الإجابة (إنّ واللام) ليؤكد ما تستبعده، وكذلك الآية تحتاج إلى التأكيد في الإجابة (نعم إنهم ليشهدون أنّ مع الله آلهة أخرى).

❀❀❀❀

﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَىٰ عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أَوْ كَذَّبَ بِآيَاتِهِ ۗ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ (٢١)﴾

السؤال الأول:

ما علاقة الكذب بالظلم كما في الآية؟

الجواب:

أنْ تكذب على أحد فهذا ظلم وجور، والله تعالى قال إنّ الكذب هو ظلم ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَىٰ عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أَوْ كَذَّبَ بِآيَاتِهِ ۗ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ (٢١)﴾ .

السؤال الثاني:

قال تعالى في آية الأنعام ٢١: ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ﴾، وختمها ﴿إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ (٢١)﴾ وقال في يونس١٧: ﴿فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَىٰ عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أَوْ كَذَّبَ بِآيَاتِهِ﴾، وختمها بقوله: ﴿إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الْمُجْرِمُونَ (١٧)﴾ فلماذا الاختلاف في (الواو والفاء) في أول كل آية؟ ولماذا الاختلاف في صيغة الخاتمة؟

الجواب:

١ـ آية الأنعام ليس ما قبلها سبباً لما بعدها فجاءت بالواو الاستئنافية، وختم بالظالمين لتقدم ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ﴾ .

٢ـ آية يونس ما قبلها سبب لما بعدها؛ فجاءت بالفاء المؤذنة بالسببية، أي: بسبب إشراكهم، وختم ببيان عدم فلاح المجرمين؛ لتقدم قوله تعالى: ﴿كَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْقَوْمَ ٱلْمُجْرِمِينَ ﴿١٣﴾﴾.

السؤال الثالث:

ما سبب اختلاف الفاصلة في الآيات: [الأنعام ٢١ ـ يونس ١٧ـ الكهف ١٥ـ العنكبوت ٦٨]؟

الجواب:

١ـ اختلاف الوصف بأنهم مجرمون أو كافرون أو ظالمون أو غير ذلك هو بحسب ما يقتضيه سياق الكلام، بالرغم أنّ بداية الآيات متشابهة (فمن أظلم) و(من أظلم) أي: بمعنى: لا أظلم من هؤلاء المفترين.

٢ـ آية يونس ١٧: وصفهم بأنهم مجرمون؛ وذلك لأنه ذكر في الآية قبلها الأنعام ١٣ ﴿كَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْقَوْمَ ٱلْمُجْرِمِينَ ﴿١٣﴾﴾ [يونس].

٣ـ آية العنكبوت ٦٨: وصفهم بالكفر؛ لأنه تقدمها في الآية ٦٧ قوله تعالى: ﴿أَفَبِٱلْبَٰطِلِ يُؤْمِنُونَ وَبِنِعْمَةِ ٱللَّهِ هُمْ يَكْفُرُونَ﴾؛ فناسب أنْ يصفهم بالكفر.

٤ـ آية الأنعام ٢١ وصفهم بعدم الفلاح؛ لأنهم خسروا أثمن شيء وهو أنفسهم، فمن أين يأتي الفلاح؟ !!! وهذا مناسب لما ورد في الآية التي قبلها ٢٠ ﴿ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓاْ أَنفُسَهُمْ فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾.

٥ـ آية الكهف ١٥: لم يعقب بشيء؛ لأنّ القائل هنا هم الفتية أنفسهم وهؤلاء ليس بوسعهم أنْ يقرروا إنْ كان الله سيهدي قومهم أم لا، فإنّ عِلْم ذلك إلى الله، ولذا لم يتعدوا الوصف. والله أعلم.

السؤال الرابع:

في قوله تعالى في الآية ﴿إِنَّهُۥ لَا يُفۡلِحُ ٱلظَّٰلِمُونَ ۝٢١﴾ ما دلالة استعمال ضمير الشأن في الآية؟

الجواب:

من عادة العرب ولغرض التفخيم أنْ تقدم على الجملة ضميراً تفسره الجملة بعده، ويسمى (ضمير الشأن) نحو: هو زيد منطلق، ويكون منفصلاً ومتصلاً مستتراً وبارزاً على حسب العوامل.

وهناك فرق في معنى الجمل التالية:

ـ قولك: (زيد منطلق) هو إخبار لا غير.

ـ قولك: (زيد هو منطلق) فيها معنى التخصيص.

ـ قولك: (هو زيد منطلق) فيها معنى التفخيم والتعظيم.

* شواهد قرآنية:

ـ ﴿فَإِنَّهَا لَا تَعۡمَى ٱلۡأَبۡصَٰرُ﴾ [الحج:٤٦].

ـ ﴿إِنَّهُۥ لَا يُفۡلِحُ ٱلظَّٰلِمُونَ ۝٢١﴾ كما في الآيات: [الأنعام ٢١ـ ١٣٥ـ يوسف ٢٣ـ القصص ٣٧].

- ﴿وَيْكَأَنَّهُۥ لَا يُفْلِحُ ٱلْكَٰفِرُونَ ﴿٨٢﴾﴾ [القصص:٨٢].

- ﴿يَٰلَيْتَهَا كَانَتِ ٱلْقَاضِيَةَ ﴿٢٧﴾﴾ [الحاقة:٢٧].

ونلاحظ أنّ لضمير الشأن- إضافة إلى معنى التفخيم والتعظيم - مهمة أخرى، وهي إدخال الحروف المشبهة بالفعل على الجمل الفعلية، ولولا (هو) ما أمكن ذلك .

❁❁❁❁

﴿وَمِنْهُم مَّن يَسْتَمِعُ إِلَيْكَ ۖ وَجَعَلْنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَن يَفْقَهُوهُ وَفِىٓ ءَاذَانِهِمْ وَقْرًا ۚ وَإِن يَرَوْا۟ كُلَّ ءَايَةٍ لَّا يُؤْمِنُوا۟ بِهَا ۚ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءُوكَ يُجَٰدِلُونَكَ يَقُولُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ إِنْ هَٰذَآ إِلَّآ أَسَٰطِيرُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿٢٥﴾﴾

السؤال الأول:

ما الفرق بين ﴿قُلْ أُوحِىَ إِلَىَّ أَنَّهُ ٱسْتَمَعَ نَفَرٌ مِّنَ ٱلْجِنِّ فَقَالُوٓا۟ إِنَّا سَمِعْنَا قُرْءَانًا عَجَبًا ﴿١﴾﴾ [الجن:١] والآية ﴿وَمِنْهُم مَّن يَسْتَمِعُ إِلَيْكَ ۖ﴾ [الأنعام:٢٥]؟

ولماذا لم يقل: استمع إليك، في سورة الجن مع أنّ القرآن يستخدم ﴿وَمِنْهُم مَّن يَسْتَمِعُ إِلَيْكَ ۖ﴾؟

الجواب:

١- في سورة الجن ليس المقصود شخص الرسول ﷺ لكن المقصود هو القرآن.

٢ـ هنالك أمر في القرآن الكريم: حيث عدّى الاستماع أي حيث يقول ﴿إِلَيْكَ﴾ لا بد أنْ يجري ذكر الرسول في سياق الآية. فإذا قال: (إليك) فلا بد أنْ يذكر شيئاً يتعلق بالرسول ﷺ.

* شواهد قرآنية:

ـ ﴿وَمِنْهُم مَّن يَسْتَمِعُ إِلَيْكَ وَجَعَلْنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَن يَفْقَهُوهُ وَفِيٓ ءَاذَانِهِمْ وَقْرًا وَإِن يَرَوْا كُلَّ ءَايَةٍ لَّا يُؤْمِنُوا بِهَا حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءُوكَ يُجَٰدِلُونَكَ يَقُولُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا إِنْ هَٰذَآ إِلَّآ أَسَٰطِيرُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿٢٥﴾﴾ [الأنعام:٢٥] المخاطب هو الرسول ﷺ، فلمّا ذكر (إليك) قال بعدها: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءُوكَ يُجَٰدِلُونَكَ يَقُولُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا إِنْ هَٰذَآ إِلَّآ أَسَٰطِيرُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿٢٥﴾﴾.

ـ ﴿وَمِنْهُم مَّن يَسْتَمِعُ إِلَيْكَ حَتَّىٰٓ إِذَا خَرَجُوا مِنْ عِندِكَ قَالُوا لِلَّذِينَ أُوتُوا ٱلْعِلْمَ مَاذَا قَالَ ءَانِفًا أُولَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ طَبَعَ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ وَٱتَّبَعُوٓا أَهْوَآءَهُمْ ﴿١٦﴾﴾ [محمد:١٦] متعلق بالرسول ﷺ ﴿قَالُوا لِلَّذِينَ أُوتُوا ٱلْعِلْمَ مَاذَا قَالَ ءَانِفًا﴾ [محمد:١٦].

ـ ﴿وَمِنْهُم مَّن يَسْتَمِعُونَ إِلَيْكَ أَفَأَنتَ تُسْمِعُ ٱلصُّمَّ وَلَوْ كَانُوا لَا يَعْقِلُونَ ﴿٤٢﴾﴾ [يونس:٤٢] المخاطب هو الرسول ﷺ.

ـ ﴿نَّحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَسْتَمِعُونَ بِهِۦٓ إِذْ يَسْتَمِعُونَ إِلَيْكَ وَإِذْ هُمْ نَجْوَىٰٓ إِذْ يَقُولُ ٱلظَّٰلِمُونَ إِن تَتَّبِعُونَ إِلَّا رَجُلًا مَّسْحُورًا ﴿٤٧﴾﴾ [الإسراء:٤٧].

٣ـ لذلك حيث يقول ﴿يَسْتَمِعُونَ إِلَيْكَ﴾ [الإسراء:٤٧] أو ﴿يَسْتَمِعُ إِلَيْكَ﴾ [الأنعام:٢٥] يجري ذكر الرسول ﷺ في السياق، بينما في آية الجن لم يرد ذكر الرسول مطلقاً، فلم يعدِّ الاستماع إليه.

السؤال الثاني:

ورد في آية الأنعام ٢٥ قوله تعالى: ﴿وَمِنْهُم مَّن يَسْتَمِعُ إِلَيْكَ﴾ بصيغة الإفراد وكذلك في آية يونس ٤٣ ﴿وَمِنْهُم مَّن يَنظُرُ إِلَيْكَ﴾، بينما قال في آية يونس ٤٢ ﴿وَمِنْهُم مَّن يَسْتَمِعُونَ إِلَيْكَ﴾ بصيغة الجمع، فلماذا؟

الجواب:

آيتا يونس: (٤٢ـ٤٣)

١ـ قال تعالى في آية يونس ٤٢ : ﴿يَسْتَمِعُونَ﴾ بصيغة الجمع وبعده ﴿يَنظُرُ﴾ بلفظ المفرد؛ وذلك لأنّ المستمعين أكثر من الرائين على وجه العموم، ألا ترى أننا نستمع إلى أناس كثير لا نراهم في الإذاعات وأشرطة التسجيل وغيرها من وسائل السمع، فجمع (المستمعين)؛ لأنهم أكثر، وإنْ كان لفظ ﴿مَن﴾ يحتمل الجمع والمفرد .

٢ـ وذكر الكرماني في كتابه «البرهان»: إنما فرّق بينهما؛ لأنّ المستمع إلى القران كالمستمع إلى النبي ﷺ بخلاف النظر، فكان في المستمعين كثرة، فجمع ليطابق اللفظ المعنى، ووحّد ﴿يَنظُرُ﴾ حملاً على اللفظ؛ إذ لم يكثروا كثرتهم .

٣ـ من جهة أخرى: فإنّ التأثر بالدعوة يكون بحسب أثر الاستماع لا بحسب الرؤية، فوحّد الرؤية؛ لأنّ رؤيته ﷺ واحدة لا تختلف بالنسبة إلى الرائين، وجمع الاستماع؛ لأنّ

الاستماع يختلف أثره من شخص لآخر، لذلك وحّد المستمعين؛ لأنّ أثر ذلك مختلف عندهم .

آية الأنعام ٢٥:

٤ـ من جهة أخرى آية الأنعام ٢٥ هي في أبي جهل والنضر وأُبيّ بن خلف لّما استمعوا قراءة النبي ﷺ على سبيل الاستهزاء، فقال النضر: ﴿أَسَٰطِيرُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿٢٥﴾﴾ فلما قلّ عددهم أفرد الضمير.

السؤال الثالث:

في الآية قوله تعالى ﴿مَن يَسْتَمِعُ﴾ (من) هو اسم الموصول، لكن هل هو مفرد أم جمع؟ وهل يحمل على اللفظ والمعنى؟

الجواب:

(من) و(ما) من الأسماء الموصولة، وهما في اللفظ مذكران صالحان للمفرد والمثنى والجمع المذكر والمؤنث، فتقول: جاء من فاز ومن فازت ومن فازوا ومن فزن، واشتريت ما باعه خالد وما باعها.

ويجوز مراعاة لفظهما، أي: الإفراد والتذكير كما يجوز مراعاة المعنى، لكن يجب مراعاة المعنى إنْ حصل لَبس في اللفظ، فلا تقول للأنثى (أعط من سألك) بل (أعط من سألتك) .

والعرب على الأغلب تبدأ بذكر ما يدل على اللفظ وهو مفرد مذكر، ثم بما يدل على المعنى.

* شواهد قرآنية:

آ ـ في آية البقرة ٨: أعاد الضمير على لفظ (مَن) وهو الإفراد والتذكير في ﴿يَقُولُ﴾ ثم أعاده فيما بعد على معناه وهو الجمع، فقال: ﴿وَمَا هُم بِمُؤْمِنِينَ﴾ [البقرة:٨] فحُمل الكلام على لفظه في الأول ثم حمله على معناه فيما بعد.

ب ـ في آية الأحزاب٣١: مع ﴿يَقْنُتْ﴾ أعاد الضمير على لفظ (مَن) وهو الإفراد والتذكير، ومع ﴿وَتَعْمَلْ صَٰلِحًا﴾ [الأحزاب:٣١] أعاد الضمير على معناه وهو الإفراد والتأنيث .

ج ـ في آية الأنعام٢٥: بدأ بالحمل على اللفظ، ثم حُمل على المعنى .

د ـ في آية يونس٤٢: في ﴿يَسْتَمِعُونَ﴾ والمراد هنا جميع الكفار، فجمع للدلالة على كثرة المستمعين، وفي ﴿يَنظُرُ﴾ أفرد بعد رعاية اللفظ لقلة الناظرين.

السؤال الرابع:

قوله تعالى في آية الأنعام ٢٥ ﴿إِنْ هَٰذَآ إِلَّآ أَسَٰطِيرُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿٢٥﴾﴾ فنفى بـ﴿إِنْ﴾ بينما نفى بـ ﴿مَا﴾ في آية الأحقاف ١٧ في قوله تعالى: ﴿مَا هَٰذَآ إِلَّآ أَسَٰطِيرُ ٱلْأَوَّلِينَ﴾ فلماذا؟

الجواب:

القاعدة اللغويــة: يستعمل القرآن (إنْ) لما هو آكد من استعماله لـ (ما).

البيــان:

قال في آية الأنعام ٢٥ ﴿إِنْ هَٰذَآ إِلَّآ أَسَٰطِيرُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿٢٥﴾﴾ وقال في آية الأحقاف١٧ ﴿مَا هَٰذَآ إِلَّآ أَسَٰطِيرُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿١٧﴾﴾

وآية الأنعام آكد يدل على ذلك السياق، فقد قال فيها:

- ﴿وَجَعَلْنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَن يَفْقَهُوهُ﴾ .

- ﴿وَفِي ءَاذَانِهِمْ وَقْرًا﴾ .

- ﴿وَإِن يَرَوْا كُلَّ ءَايَةٍ لَّا يُؤْمِنُوا بِهَا﴾ .

لذلك ترى أنّ درجة التكذيب في آية الأنعام أشد مما في آية الأحقاف؛ لأنّ الصفات التي تستدعي قوة التكذيب والإنكار في المكذبين في آية الأنعام أشد وأكثر؛ ولذلك أكد النفي فيها بـ (إنْ) بخلاف الثانية.

❊❊❊❊

﴿وَهُمْ يَنْهَوْنَ عَنْهُ وَيَنْـَٔوْنَ عَنْهُ ۖ وَإِن يُهْلِكُونَ إِلَّآ أَنفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ ﴿٢٦﴾﴾

السؤال الأول:

ما دلالة قوله تعالى في الآية ﴿وَهُمْ يَنْهَوْنَ عَنْهُ وَيَنْـَٔوْنَ عَنْهُ﴾؟

الجواب:

جاء الأداء القرآني معبراً عن أدق تفاصيل هذه الحالة، فالبداية من قريش كانت نهي الآخرين عن أنْ يسمعوا القرآن؛ حتى لا يؤمنوا برسالة رسول الله ﷺ، ثم بعد ذلك ابتعدوا بأنفسهم عن رسول الله ﷺ فصار حظهم أنْ يظلوا على كفرهم، وكان الخسران من نصيبهم بينما آمن غيرهم من الناس، فهم قد ارتكبوا ذنبين: إضلال الآخرين وضلال نفوسهم، فانطبق عليهم قول الحق: ﴿لِيَحْمِلُوٓا۟ أَوْزَارَهُمْ كَامِلَةً يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ ۙ وَمِنْ أَوْزَارِ ٱلَّذِينَ يُضِلُّونَهُم﴾ [النحل:٢٥] .

﴿بَلۡ بَدَا لَهُم مَّا كَانُواْ يُخۡفُونَ مِن قَبۡلُۖ وَلَوۡ رُدُّواْ لَعَادُواْ لِمَا نُهُواْ عَنۡهُ وَإِنَّهُمۡ لَكَٰذِبُونَ ﴿٢٨﴾﴾

السؤال الأول:

في آية الأنعام ٢٨ كيف يُردّون؟ وكيف يعودون؟

الجواب:

١ـ المشهد في الآية من مشاهد النار يوم القيامة ﴿وَلَوۡ تَرَىٰٓ إِذۡ وُقِفُواْ عَلَى ٱلنَّارِ فَقَالُواْ يَٰلَيۡتَنَا نُرَدُّ﴾ [الأنعام:٢٧] يعني: يردهم ربهم إلى الدنيا ﴿وَلَا نُكَذِّبَ بِـَٔايَٰتِ رَبِّنَا وَنَكُونَ مِنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ﴿٢٧﴾﴾ قالوا: يا ليتنا نعود مرة أخرى ولا نكذب بآيات ربنا ونكون من المؤمنين، فردّ عليهم رب العالمين بقوله: ﴿بَلۡ بَدَا لَهُم مَّا كَانُواْ يُخۡفُونَ مِن قَبۡلُۖ وَلَوۡ رُدُّواْ لَعَادُواْ لِمَا نُهُواْ عَنۡهُ﴾ أي لو ردوا كانوا سيفعلون ما نهوا عنه ويرجعون إلى نفس المسألة التي دخلوا بسببها النار، وسيعودون إلى نفس المنكرات والقبائح التي فعلوها بعد أنْ رأوا الموقف بأعينهم، فقال تعالى: ﴿وَلَوۡ رُدُّواْ لَعَادُواْ لِمَا نُهُواْ عَنۡهُ وَإِنَّهُمۡ لَكَٰذِبُونَ﴾ أي: أنّ هذا التمني كاذب؛ فلو ردهم إلى الدنيا لعادوا إلى أفعالهم القبيحة.

٢ـ هل هناك رابط بين (ردوا) و(عادوا)؟ عاد: مبني للمعلوم، ورُدّوا: مبني للمجهول، يعني لو رددناهم إلى الدنيا لعادوا إلى فعلتهم. ردوا: معناه أعيدوا، أي: يعيدهم ربهم إلى الدنيا.

﴿ قَدْ خَسِرَ ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِلِقَآءِ ٱللَّهِ ۖ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَتْهُمُ ٱلسَّاعَةُ بَغْتَةً قَالُوا۟ يَـٰحَسْرَتَنَا عَلَىٰ مَا فَرَّطْنَا فِيهَا وَهُمْ يَحْمِلُونَ أَوْزَارَهُمْ عَلَىٰ ظُهُورِهِمْ ۚ أَلَا سَآءَ مَا يَزِرُونَ ﴿٣١﴾ ﴾

السؤال الأول:

ما دلالة هذه الصورة في الآية ﴿وَهُمْ يَحْمِلُونَ أَوْزَارَهُمْ عَلَىٰ ظُهُورِهِمْ ۚ أَلَا سَآءَ مَا يَزِرُونَ ﴿٣١﴾﴾؟

الجواب:

أطلق العنان لخيالك؛ لتعاين هذا المشهد الصوري الذي تضفيه هذه الآية على المشركين، فالمرء إذا حمل شيئاً على ظهره أنهك قواه، فكيف بهم وهم يحملون أوزاراً وليس ذنوباً؟ لأنّ الوزر هو الحِمل الثقيل، فأراد ربنا سبحانه أن يصور لنا ثقل ما يحملون من الذنوب والجنايات التي ينوء عن حملها الرجال، فيوم القيامة تراهم يقفون في عرصات الآخرة مثقلين متعبين بما كسبوا من الأوزار.

السؤال الثاني:

قوله تعالى في الآية ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَتْهُمُ﴾ ما الفرق بين (جاء وأتى) في القرآن الكريم؟

الجواب:

١ـ في المعاجم اللغوية الفعلان متقاربان بالمعنى، لكنهم يذكرون في بعض تصريفات (أتى) ما يدل على السهولة .

٢ـ وفي القرآن الكريم يستعمل المجيء لما فيه صعوبة ومشقة وشدة ويستعمل (أتى) لما هو أخف وأيسر.

* **شواهد قرآنية: (جاء):**

- ﴿فَإِذَا جَآءَ أَمْرُنَا وَفَارَ ٱلتَّنُّورُ﴾ [المؤمنون:٢٧] في هذا المجيء شدة ومشقة.

- ﴿وَجَآءَتْ سَكْرَةُ ٱلْمَوْتِ بِٱلْحَقِّ﴾ [ق:١٩] .

- ﴿لَقَدْ جِئْتَ شَيْـًٔا إِمْرًا ﴿٧١﴾﴾ [الكهف:٧١] ﴿لَّقَدْ جِئْتَ شَيْـًٔا نُّكْرًا ﴿٧٤﴾﴾ [الكهف:٧٤].

- ﴿قَالُوا۟ يَـٰمَرْيَمُ لَقَدْ جِئْتِ شَيْـًٔا فَرِيًّا ﴿٢٧﴾﴾ [مريم:٢٧].

- ﴿ وَقَالُوا۟ ٱتَّخَذَ ٱلرَّحْمَـٰنُ وَلَدًا ﴿٨٨﴾ لَّقَدْ جِئْتُمْ شَيْـًٔا إِدًّا ﴿٨٩﴾ تَكَادُ ٱلسَّمَـٰوَٰتُ يَتَفَطَّرْنَ مِنْهُ﴾ [مريم:٨٨-٨٩-٩٠] .

﴿ وَقُلْ جَآءَ ٱلْحَقُّ وَزَهَقَ ٱلْبَـٰطِلُ ۚ إِنَّ ٱلْبَـٰطِلَ كَانَ زَهُوقًا ﴿٨١﴾﴾ [الإسراء:٨١].

- ﴿ فَإِذَا جَآءَتِ ٱلصَّآخَّةُ ﴿٣٣﴾ يَوْمَ يَفِرُّ ٱلْمَرْءُ مِنْ أَخِيهِ ﴿٣٤﴾﴾ [عبس:٣٣-٣٤] .

- ﴿ فَإِذَا جَآءَتِ ٱلطَّآمَّةُ ٱلْكُبْرَىٰ ﴿٣٤﴾﴾ [النازعات:٣٤].

وهذا كله مما فيه صعوبة ومشقة .

وقد تقول: ولكنّ الله تعالى قال: ﴿هَلْ أَتَىٰكَ حَدِيثُ ٱلْغَـٰشِيَةِ ﴿١﴾﴾ [الغاشية:١] فجاء بـ (أتى) بدل (جاء)؟

والجواب: أنّ الذي جاء هنا هو الحديث وليس الغاشية، في حين أنّ الذي جاء هناك هو الطامة والصاخة ونحوهما مما ذكر.

- ﴿وَجَآءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِٱلْبَيِّنَـٰتِ﴾ [يونس:١٣] ذكر الفعل ﴿جَآءَ﴾ وذلك أنه ذكر إهلاك القرون لظلمهم وعدم إيمانهم وتكذيبهم وذكر جزاء المجرمين، انظر الآيات يونس [٩ ـ ١٣].

ـ ﴿وَجَآءَتۡهُمۡ رُسُلُهُم بِٱلۡبَيِّنَٰتِۖ﴾ [الروم:٩] ذكر الفعل ﴿جَآءَ﴾ حيث ذكر عاقبة الذين أساؤوا وأنها (السُّوأى) تأنيث الأسوأ، أي: أسوأ الحالات على الإطلاق، وذكر تكذيب الأمم لرسلهم واستهزاءهم بهم.

ـ ﴿جَآءَتۡهُمۡ رُسُلُهُم بِٱلۡبَيِّنَٰتِ﴾ [فاطر:٢٥] .

ذكر تكذيب الأمم السابقة لرسلهم بعد أنْ جاؤوهم بكل ما يدعو إلى الإيمان من البينات والكتاب، وذكر أخذه لهم وعلّق بقوله: ﴿فَكَيۡفَ كَانَ نَكِيرِ ٢٦﴾ [فاطر:٢٦] فذكّر الفعل ﴿جَآءَتۡهُمۡ﴾ [فاطر:٢٥].

ـ ﴿جَآءَتۡهُمۡ رُسُلُهُم بِٱلۡبَيِّنَٰتِ﴾ [غافر:٨٣] .

ذكر أنّ أممهم استهزؤوا برسلهم وبقوا على شركهم حتى رأوا بأس الله ينزل بهم فلم ينفعهم إيمانهم بعد فوات الأوان، فذكر ﴿جَآءَتۡهُمۡ﴾ .

<u>شواهد قرآنية في الآيات المتشابهة التي يختلف فيها الفعلان:</u>

١ـ ﴿أَتَىٰٓ أَمۡرُ ٱللَّهِ﴾ [النحل:١] ﴿فَإِذَا جَآءَ أَمۡرُ ٱللَّهِ﴾ [غافر:٧٨] المجيء في غافر أشق وأصعب لما فيه من قضاء وخسران، في حين لم يزد في آية النحل على الإتيان؛ فاختار لما هو أصعب وأشق (جاء)، ولما هو أيسر (أتى) .

٢ ـ ﴿جَآءَهُمۡ نَصۡرُنَا﴾ [يوسف:١١٠] ﴿أَتَىٰهُمۡ نَصۡرُنَاۚ﴾ [الأنعام:٣٤].

الحالة في آية يوسف أشق وأصعب حيث بلغ الرسل درجة من أصعب درجات اليأس، وهو شعورهم أنّ الله كذبهم ولم يُصدقهم فيما وعدهم، عندها جاءهم النصر ﴿جَآءَهُمۡ نَصۡرُنَا﴾ [يوسف:١١٠] .

بينما في آية الأنعام ذكر أنّ الكافرين كذّبوا الرسل وآذوهم فصبروا، وهذا يحدث عادة، ولكن الوصول إلى درجة اليأس والظن بالله الظنون البعيدة أمر كبير .

وانظر إلى خاتمة الآيتين تر الفرق واضحاً، فما ذكره الله من نجاةٍ للمؤمنين ونزول البأس على الكافرين في آية يوسف مما لا تجده في آية الأنعام .

٣ ـ ﴿فَأَتَىٰهُمُ ٱلْعَذَابُ﴾ [الزُّمَر:٢٥] ﴿وَأَتَىٰهُمُ ٱلْعَذَابُ﴾ [النحل:٢٦] ﴿لَّجَآءَهُمُ ٱلْعَذَابُ﴾ [العنكبوت:٥٣] .

قال في آية الزمر والنحل (أتاهم) وفي آية العنكبوت ﴿لَّجَآءَهُمُ﴾؛ والسبب في ذلك أنّ آية الزمر والنحل في عذاب الدنيا، قال تعالى: ﴿فَأَذَاقَهُمُ ٱللَّهُ ٱلْخِزْيَ فِي ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ وَلَعَذَابُ ٱلْـَٔاخِرَةِ أَكْبَرُ ۚ لَوْ كَانُوا۟ يَعْلَمُونَ ﴿٢٦﴾﴾ [الزُّمَر:٢٦] ﴿ثُمَّ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ يُخْزِيهِمْ﴾ [النحل:٢٧].

في حين أنّ آية العنكبوت في عذاب الآخرة، وحتى لو كانت في عذاب الدنيا فإنّ ما ذكر فيها من العذاب أشق وأشد مما في آيتي الزمر والنحل، بدليل قوله تعالى:﴿وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمُحِيطَةٌۢ بِٱلْكَـٰفِرِينَ ﴿٥٤﴾﴾ [العنكبوت: ٥٤]، وقوله: ﴿يَوْمَ يَغْشَىٰهُمُ ٱلْعَذَابُ مِن فَوْقِهِمْ وَمِن تَحْتِ أَرْجُلِهِمْ﴾ [العنكبوت: ٥٥] فجاء لما هو أشق وأشد بالفعل (جاء)، ولما هو أيسر بـ(أتى).

وقد تقول: ولكن الله قال: ﴿وَلَيَأْتِيَنَّهُم بَغْتَةً﴾ [العنكبوت: ٥٣] في آية العنكبوت فاستعمل الفعل المضارع؟

والجواب: أنّ القرآن الكريم لم يستعمل مضارعاً للفعل (جاء)، وكل ما استعمله في هذا المعنى كان المضارع من (أتى)؛ فلا يدخل المضارع في الموازنة .

٤ ـ ﴿أَتَتْهُمْ رُسُلُهُم بِٱلْبَيِّنَـٰتِ ۖ﴾ [التوبة:٧٠] ﴿جَآءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِٱلْبَيِّنَـٰتِ﴾ [الأعراف:١٠١].

ذكر في آية الأعراف أنّ الأقوام لم يؤمنوا وأنهم طُبع على قلوبهم، وأنه لم يجد لأكثرهم عهداً، الآية ١٠٢، ثم ذكر بعد ذلك ظلم فرعون وملئه لموسى وتكذيبهم بآيات الله وعاقبتهم.

بينما لم يذكر هذه التفاصيل في آية التوبة؛ فاستعمل (أتى) في التوبة و (جاء) في الأعراف.

السؤال الثالث:

ورد في آية الأنعام ٣١ ﴿جَآءَتۡهُمُ ٱلسَّاعَةُ﴾، وفي الأنعام ٤٠ ﴿أَتَتۡكُمُ ٱلسَّاعَةُ﴾ فما الفرق؟

الجواب:

لا بد من النظر في كل الآية لا في جزء منها وكذلك في السياق؛ ليتبين الفرق:

- ﴿قَدۡ خَسِرَ ٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِلِقَآءِ ٱللَّهِۖ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَتۡهُمُ ٱلسَّاعَةُ بَغۡتَةٗ قَالُواْ يَٰحَسۡرَتَنَا عَلَىٰ مَا فَرَّطۡنَا فِيهَا وَهُمۡ يَحۡمِلُونَ أَوۡزَارَهُمۡ عَلَىٰ ظُهُورِهِمۡۚ أَلَا سَآءَ مَا يَزِرُونَ ﴿٣١﴾﴾ [الأنعام:٣١].

- ﴿قُلۡ أَرَءَيۡتَكُمۡ إِنۡ أَتَىٰكُمۡ عَذَابُ ٱللَّهِ أَوۡ أَتَتۡكُمُ ٱلسَّاعَةُ أَغَيۡرَ ٱللَّهِ تَدۡعُونَ إِن كُنتُمۡ صَٰدِقِينَ ﴿٤٠﴾ بَلۡ إِيَّاهُ تَدۡعُونَ فَيَكۡشِفُ مَا تَدۡعُونَ إِلَيۡهِ إِن شَآءَ وَتَنسَوۡنَ مَا تُشۡرِكُونَ ﴿٤١﴾﴾ [الأنعام:٤٠-٤١].

١- آية الأنعام ٣١: هي في الآخرة وفي الذين كذّبوا باليوم الآخر وهم نادمون يتحسرون على ما فرطوا في الدنيا وهم يحملون أوزارهم على ظهورهم، ولم يقل على رؤوسهم؛ لأنّ الظهر أقوى للحمل من الرأس، فأشار إلى ثقل الأوزار.

أما آية الأنعام ٤٠، فهي في الدنيا، بدليل قوله: ﴿أَغَيۡرَ ٱللَّهِ تَدۡعُونَ إِن كُنتُمۡ صَٰدِقِينَ﴾

لذلك الموقف الأول أشق وأشد مما في الثاني؛ فاستعمل الفعل (جاء) في الأولى و (أتى) في الثانية.

٢ـ بشكل عام لم يرد في القرآن فعل مضارع ولا فعل أمر ولا اسم فاعل ولا اسم مفعول لـ (جاء)، بخلاف (أتى) فقد ورد منه الماضي والمضارع والأمر واسم الفاعل واسم المفعول .

فناسب بين ثقل اللفظ وثقل الموقف في (جاء)، وخِفّة اللفظ وخفة الموقف في (أتى).

أمثلة: [أتى ـ يؤتون ـ آتِ ـ آتيه ـ المؤتون ـ إيتاء ـ مأتيا].

❊❊❊❊

﴿وَمَا ٱلۡحَيَوٰةُ ٱلدُّنۡيَآ إِلَّا لَعِبٞ وَلَهۡوٞۖ وَلَلدَّارُ ٱلۡأٓخِرَةُ خَيۡرٞ لِّلَّذِينَ يَتَّقُونَۚ أَفَلَا تَعۡقِلُونَ ٣٢﴾

السؤال الأول:

في الآية ﴿وَمَا ٱلۡحَيَوٰةُ ٱلدُّنۡيَآ إِلَّا لَعِبٞ وَلَهۡوٞۖ﴾ أراد الله أنْ يصغّر الحياة الدنيا في نظرك، فبماذا شبهها؟

الجواب:

جعل الله الحياة الدنيا لعباً ولهواً فكأنه قال الحياة الدنيا لعب، الحياة الدنيا لهو، فلِمَ شُبهت الدنيا بهذين الأمرين: اللعب واللهو؟ وقع هذا التشبيه والقصر؛ لأنّ الأعمال الحاصلة في الحياة كثيرة، وأغلب أعمال الناس يقع تحت إطاري اللعب واللهو إلا من آمن وعمل صالحاً.

السؤال الثاني:

في الآية لِمَ مثّل الله الدنيا باللعب واللهو معاً، ولم يقتصر على أحدهما؟

الجواب:

اللعب هو عمل أو قول في خفة وسرعة وطيش وليست له غاية مفيدة، بل غايته إراحة البال وتقصير الوقت واستجلاب العقول في حالة ضعفها كعقل الصغير وأكثره أعمال صبيان، ولذلك فهو مشتق من (اللعاب) وهو ريق الصبي السائل.

وأما اللهو فهو ما يشتغل به الإنسان مما ترتاح إليه نفسه ولا يتعب بالاشتغال به عقله، فلا يطلق إلا على ما فيه استمتاع ولذة وشهوة.

السؤال الثالث:

قوله تعالى في الآية: ﴿وَلَلدَّارُ ٱلۡأَخِرَةُ خَيۡرٞ لِّلَّذِينَ يَتَّقُونَۚ أَفَلَا تَعۡقِلُونَ ٣٢﴾ لم سمّى ربنا يوم القيامة بالدار ولم يقل عنها (وللآخرة خير للذين يتقون) دون كلمة الدار، وفي هذا اختصار وإيصال للمعنى؟

الجواب:

سمى ربنا الحياة الآخرة بالدار؛ لأنّ الدار هي محل إقامة الناس وهي مكان بنائهم ومنازلهم، وفي هذا إيماء لك أيها المؤمن بأنّ دارك الحقيقية التي تود إشادتها هي الدار الآخرة، وأمّا الدنيا فهي ممر لا مقر.

السؤال الرابع:

قوله تعالى في آية الأنعام ٣٢ ﴿وَمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَآ إِلَّا لَعِبٌ وَلَهْوٌ﴾، وقال في آية العنكبوت ٦٤ ﴿وَمَا هَٰذِهِ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَآ إِلَّا لَهْوٌ وَلَعِبٌ﴾ فما السبب؟ وما الفوراق اللفظية بين الآيتين؟

الجواب:

الآيتان متشابهتان إلى حد كبير، لكن توجد بينهما الفوارق اللفظية التالية:

آية الأنعام ٣٢	آية العنكبوت ٦٤
﴿وَمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَآ﴾	﴿وَمَا هَٰذِهِ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَآ﴾
﴿لَعِبٌ وَلَهْوٌ﴾	﴿لَهْوٌ وَلَعِبٌ﴾
﴿وَلَلدَّارُ ٱلْآخِرَةُ خَيْرٌ﴾	﴿وَإِنَّ ٱلدَّارَ ٱلْآخِرَةَ﴾
﴿خَيْرٌ لِّلَّذِينَ يَتَّقُونَ﴾	﴿لَهِىَ ٱلْحَيَوَانُ﴾
﴿أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿٣٢﴾﴾	﴿لَوْ كَانُوا۟ يَعْلَمُونَ ﴿٦٤﴾﴾

بيـان الفوارق:

١ـ جاء ذكر الدنيا في آية االعنكبوت ٦٣ في قوله تعالى: ﴿فَأَحْيَا بِهِ ٱلْأَرْضَ مِنۢ بَعْدِ مَوْتِهَا﴾، فقال في الآية ٦٤ ﴿وَمَا هَٰذِهِ﴾ إشارة إلى ما سبقها.

أمّا في الأنعام فقد سبقها ذكر الآخرة في الآية ٣١ في قوله تعالى: ﴿وَهُمْ يَحْمِلُونَ أَوْزَارَهُمْ عَلَىٰ ظُهُورِهِمْ﴾ فلم تكن الدنيا في ذلك الوقت في خاطرهم، فقال: ﴿وَمَا الْحَيَوٰةُ الدُّنْيَآ﴾ .

٢ـ الأصل أنّ اللهو أوسع من اللعب، وهو يشمل كل ما يلهي الإنسان عن ربه، وفي أغلب آيات القرآن يقدّم القرآن اللعب على اللهو؛ لأنّ اللعب هو في فترة الطفولة واللهو في فترة الشباب، ولذلك فالتسلسل بين اللعب واللهو تسلسل منطقي في الحياة.

لكنه في آية العنكبوت رقم ٦٤ قدّم اللهو على اللعب؛ لأنه سبقها قوله تعالى في الآية ٦٢ ﴿اللَّهُ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ وَيَقْدِرُ لَهُۥٓ إِنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ﴿٦٢﴾﴾ .والسبب في ذلك هو:

آ ـ الرزق هنا هو المال أي: هو اللهو، والمال يُلهي الشخص الذي بُسط له في ماله لجمعه وكسبه، ويُلهي الشخص الذي قُدِرَ له في ماله كي يحصّل عيشه بصعوبه، فكلاهما يلتهي بموضوع المال، لذلك قدّم اللهو على اللعب في آية العنكبوت، بخلاف آية الأنعام حيث قدّم اللعب على اللهو حسب تسلسلها في الحياة.

ب ـ من جهة أخرى نلاحظ التالي:

في الأنعام: سبقها ذكر الآخرة وإظهارهم للحسرة، وفي الآخرة يبعد الاستغراق عن الدنيا ولهوها فأخّر الأبعد وهو اللهو.

في العنكبوت: سبقها ذكر الدنيا، وهي خداعة تدعو النفوس إلى الإقبال عليها والاستغراق بها؛ فقدّم اللهو؛ لأنّ الإعراض عنه يحسم مادة الشر.

٣ـ في الأنعام كان الحال إظهار الحسرة؛ لذلك ما كان المكلف يحتاج إلى رادع قوي فقال: وللدار الآخرة خير .

بينما في العنكبوت كان الحال حال الاشتغال بالدنيا فاحتاج إلى رادع قوي، فقال: ﴿وَإِنَّ ٱلدَّارَ ٱلْآخِرَةَ﴾ بالتوكيد .

٤ـ قال في الأنعام: ﴿خَيْرٌ لِّلَّذِينَ يَتَّقُونَ﴾ لأنّ الآخرة خير للمتقي، أي: المتقي عن الشرك والكبائر، وأما الكافر فلا، لأن الدنيا جنته فهي خير له من الآخرة، وفي الحديث «**الدنيا سجن المؤمن وجنة الكافر** ».

وقال في العنكبوت: ﴿لَهِيَ ٱلْحَيَوَانُ﴾، وحيث إنّ الآخرة باقية وفيها الحياة الدائمة، فلا تختص الحياة فيها بقوم دون قوم .

٥ـ قال في الأنعام ﴿أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿٣٢﴾﴾ وقال في العنكبوت: ﴿لَوْ كَانُوا۟ يَعْلَمُونَ﴾ ؛ وذلك لأنّ المثبت في الأنعام كون الآخرة خيراً وأنه ظاهر لا يتوقف إلا على العقل.

وأما المثبت في العنكبوت أنه لا حياة إلا حياة الآخرة، وهذا دقيق لا يُعرف إلا بعلم نافع ينبه المرء على أنّ من أكبر الغلط إنزال الدنيا بمنزلة الآخرة .

٦ـ وجملة ﴿لَوْ كَانُوا۟ يَعْلَمُونَ ﴿٦٤﴾﴾ شرطية جوابها محذوف بتقدير: لو كانوا يعلمون ما اختاروا الدنيا الزائلة على الآخرة الدائمة .

السؤال الخامس:

قوله تعالى في آية الأنعام ٣٢ ﴿وَلَلدَّارُ ٱلْآخِرَةُ﴾ أي: مع (التوكيد باللام) وكذلك في آية النحل ٣٠ ﴿وَلَدَارُ ٱلْآخِرَةِ خَيْرٌ وَلَنِعْمَ دَارُ ٱلْمُتَّقِينَ ۝٣٠﴾ لكن القرآن لم يؤكد باللام كما في آية الأعراف ١٦٩، حيث قال: ﴿وَٱلدَّارُ ٱلْآخِرَةُ خَيْرٌ لِّلَّذِينَ يَتَّقُونَ﴾، فما السبب؟

الجواب:

القاعدة اللغوية:

يستعمل القرآن الكريم (اللام) كحرف توكيد، فيضعها في المكان الذي يحتاج إلى توكيد أكثر.

وهنا أكد بـ (اللام) في آيتي النحل والأنعام فقال: [ولنعم، وللدار] ولم يؤكد في الأعراف حيث قال: [والدار]، وذلك:

أولاً: الآيات:

آيات النحل ٢٧ ـ٣٢:

ـ ﴿ثُمَّ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ يُخْزِيهِمْ وَيَقُولُ أَيْنَ شُرَكَآءِىَ ٱلَّذِينَ كُنتُمْ تُشَـٰٓقُّونَ فِيهِمْ ۚ قَالَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ إِنَّ ٱلْخِزْىَ ٱلْيَوْمَ وَٱلسُّوٓءَ عَلَى ٱلْكَـٰفِرِينَ ۝٢٧ ٱلَّذِينَ تَتَوَفَّىٰهُمُ ٱلْمَلَـٰٓئِكَةُ ظَالِمِىٓ أَنفُسِهِمْ ۖ فَأَلْقَوُا۟ ٱلسَّلَمَ مَا كُنَّا نَعْمَلُ مِن سُوٓءٍۭ ۚ بَلَىٰٓ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌۢ بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ۝٢٨ فَٱدْخُلُوٓا۟ أَبْوَٰبَ جَهَنَّمَ خَـٰلِدِينَ فِيهَا ۖ فَلَبِئْسَ مَثْوَى ٱلْمُتَكَبِّرِينَ ۝٢٩ ۞ وَقِيلَ لِلَّذِينَ ٱتَّقَوْا۟ مَاذَآ أَنزَلَ رَبُّكُمْ ۚ قَالُوا۟ خَيْرًا ۗ لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا۟ فِى هَـٰذِهِ ٱلدُّنْيَا حَسَنَةٌ ۚ وَلَدَارُ ٱلْآخِرَةِ خَيْرٌ ۚ وَلَنِعْمَ دَارُ ٱلْمُتَّقِينَ ۝٣٠ جَنَّـٰتُ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَـٰرُ ۖ لَهُمْ فِيهَا مَا يَشَآءُونَ ۚ كَذَٰلِكَ يَجْزِى ٱللَّهُ ٱلْمُتَّقِينَ ۝٣١ ٱلَّذِينَ تَتَوَفَّىٰهُمُ ٱلْمَلَـٰٓئِكَةُ طَيِّبِينَ ۙ يَقُولُونَ سَلَـٰمٌ عَلَيْكُمُ ٱدْخُلُوا۟ ٱلْجَنَّةَ بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ۝٣٢﴾

آيات الأنعام ٢٧ ـ٣٢:

ـ ﴿وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذْ وُقِفُوا۟ عَلَى ٱلنَّارِ فَقَالُوا۟ يَٰلَيْتَنَا نُرَدُّ وَلَا نُكَذِّبَ بِـَٔايَٰتِ رَبِّنَا وَنَكُونَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٢٧﴾ بَلْ بَدَا لَهُم مَّا كَانُوا۟
يُخْفُونَ مِن قَبْلُ ۖ وَلَوْ رُدُّوا۟ لَعَادُوا۟ لِمَا نُهُوا۟ عَنْهُ وَإِنَّهُمْ لَكَٰذِبُونَ ﴿٢٨﴾ وَقَالُوٓا۟ إِنْ هِىَ إِلَّا حَيَاتُنَا ٱلدُّنْيَا وَمَا نَحْنُ بِمَبْعُوثِينَ
﴿٢٩﴾ وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذْ وُقِفُوا۟ عَلَىٰ رَبِّهِمْ ۚ قَالَ أَلَيْسَ هَٰذَا بِٱلْحَقِّ ۚ قَالُوا۟ بَلَىٰ وَرَبِّنَا ۚ قَالَ فَذُوقُوا۟ ٱلْعَذَابَ بِمَا كُنتُمْ تَكْفُرُونَ ﴿٣٠﴾ قَدْ
خَسِرَ ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِلِقَآءِ ٱللَّهِ ۖ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَتْهُمُ ٱلسَّاعَةُ بَغْتَةً قَالُوا۟ يَٰحَسْرَتَنَا عَلَىٰ مَا فَرَّطْنَا فِيهَا وَهُمْ يَحْمِلُونَ أَوْزَارَهُمْ عَلَىٰ
ظُهُورِهِمْ ۚ أَلَا سَآءَ مَا يَزِرُونَ ﴿٣١﴾ وَمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَآ إِلَّا لَعِبٌ وَلَهْوٌ ۖ وَلَلدَّارُ ٱلْءَاخِرَةُ خَيْرٌ لِّلَّذِينَ يَتَّقُونَ ۗ أَفَلَا تَعْقِلُونَ
﴿٣٢﴾﴾

آيات الأعراف ١٦٤ ـ١٦٩:

ـ ﴿وَإِذْ قَالَتْ أُمَّةٌ مِّنْهُمْ لِمَ تَعِظُونَ قَوْمًا ۙ ٱللَّهُ مُهْلِكُهُمْ أَوْ مُعَذِّبُهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا ۖ قَالُوا۟ مَعْذِرَةً إِلَىٰ رَبِّكُمْ وَلَعَلَّهُمْ
يَتَّقُونَ ﴿١٦٤﴾ فَلَمَّا نَسُوا۟ مَا ذُكِّرُوا۟ بِهِۦٓ أَنجَيْنَا ٱلَّذِينَ يَنْهَوْنَ عَنِ ٱلسُّوٓءِ وَأَخَذْنَا ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ بِعَذَابٍۭ بَـِٔيسٍۭ
بِمَا كَانُوا۟ يَفْسُقُونَ ﴿١٦٥﴾ فَلَمَّا عَتَوْا۟ عَن مَّا نُهُوا۟ عَنْهُ قُلْنَا لَهُمْ كُونُوا۟ قِرَدَةً خَٰسِـِٔينَ ﴿١٦٦﴾ وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكَ لَيَبْعَثَنَّ
عَلَيْهِمْ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ مَن يَسُومُهُمْ سُوٓءَ ٱلْعَذَابِ ۗ إِنَّ رَبَّكَ لَسَرِيعُ ٱلْعِقَابِ ۖ وَإِنَّهُۥ لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ
﴿١٦٧﴾ وَقَطَّعْنَٰهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ أُمَمًا ۖ مِّنْهُمُ ٱلصَّٰلِحُونَ وَمِنْهُمْ دُونَ ذَٰلِكَ ۖ وَبَلَوْنَٰهُم بِٱلْحَسَنَٰتِ
وَٱلسَّيِّـَٔاتِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴿١٦٨﴾ فَخَلَفَ مِنۢ بَعْدِهِمْ خَلْفٌ وَرِثُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ يَأْخُذُونَ عَرَضَ هَٰذَا ٱلْأَدْنَىٰ وَيَقُولُونَ
سَيُغْفَرُ لَنَا وَإِن يَأْتِهِمْ عَرَضٌ مِّثْلُهُۥ يَأْخُذُوهُ ۚ أَلَمْ يُؤْخَذْ عَلَيْهِم مِّيثَٰقُ ٱلْكِتَٰبِ أَن لَّا يَقُولُوا۟ عَلَى ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْحَقَّ وَدَرَسُوا۟ مَا فِيهِ ۗ
وَٱلدَّارُ ٱلْءَاخِرَةُ خَيْرٌ لِّلَّذِينَ يَتَّقُونَ ۗ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿١٦٩﴾﴾

ثانياً ـ البيـــــان:

١ـ السياق في آيات النحل والأنعام هو في الدار الآخرة،انظرالآيات (٢٧ـ٣٢) من سورة النحل والآيات (٢٧ ـ ٣٢) من سورة الأنعام .

٢ـ السياق في سورة الأعراف في العقوبات الدنيوية لبني إسرائيل. انظرالآيات (١٦٤ـ ١٦٩)؛ لذلك لمّا كان السياق في آيات النحل والأنعام في الدار الآخرة أكّدها باللام لتتناسب بين السياق والتوكيد، ولمّا كان الكلام في آيات الأعراف عن عقوبات الدنيا لم يؤكد الدار الآخرة باللام، بل أكّد سرعة العقاب؛ لأنه عاجلهم في الدنيا ﴿إِنَّ رَبَّكَ لَسَرِيعُ ٱلْعِقَابِ﴾ [الأعراف:١٦٧].

السؤال السادس:

آية الأنعام ٣٢ هي في ذم الدنيا، فما بعض الأقوال والنصائح والرقائق التي قيلت في ذم الدنيا؟

الجواب:

ـ الدنيا كامرأة بغيٍّ لا تثبت مع زوج، إنما تخطب الأزواج ليستحسنوا عليها، فلا ترضى لهم إلا بالدياثة.

ـ طائر الطبع يرى الحبة، وعين العقل ترى الشَّرَك، غير أنّ عين الهوى عمياء.

ـ اشتر نفسك فالسوق قائمة والثمن موجود.

ـ دخلت دار الهوى فقامرت بعمرك.

ـ الذنوب جراحات، ورُبّ جرحٍ وقع في مقتل.

ـ لا بد من سِنةِ الغفلة ورقاد الهوى، ولكن كن خفيف النوم فحرّاس البلد يصيحون: دنا الصباح.

ـ عرائس الموجودات قد تزينت للناظرين ليبلوهم أيهم يؤثرن على عرائس الآخرة، فمن عرف قدر التفاوت آثر ما ينبغي إيثاره.

ـ من أعجب الأشياء أنك تعلم أنك لا بد لك من ربك وأنك أحوج شيء إليه، ثم أنت عنه مُعرض وفيما يبعدك عنه راغب.

ـ ما مضى من الدنيا أحلام وما بقي منها أماني، والوقت ضائع بينهما.

ـ بينك وبين الفائزين جبلُ الهوى نزلوا بين يديه ونزلت خلفه فاطوِ فضلَ منزل تلحق بالقوم.

ـ في الطبع شَرَهٌ والحمية أوفق.

ـ كن من أبناء الآخرة ولا تكن من أبناء الدنيا فإن الولد يتبع الأم.

ـ دخل الناسُ النار من ثلاثة أبواب:

آ ـ باب شبهة أورثت شكاً في دين الله.

ب ـ باب شهوة أورثت تقديم الهوى على طاعة الله ومرضاته.

ج ـ باب غضب أورث العدوان على خلقه.

ـ أصول الخطايا كلها ثلاثة:

آ ـ الكِبْر: وهو الذي أصار إبليس إلى ما أصاره.

ب ـ الحرص: وهو الذي أخرج آدم من الجنة .

ج ـ الحسد: وهو الذي جرّأ أحد ابني آدم على أخيه.

فمن وُقي شر هذه الثلاثة فقد وقي الشر.

ـ شراب الهوى حلو ولكنه يورث الشَّرَق.

ـ إذا قسا القلب قحطت العين.

ـ من أراد صفاء قلبه فليؤثر الله على شهوته.

ـ قسوة القلب من أربعة أشياء إذا جاوزت قدر الحاجة: الأكل والنوم والكلام والمخالطة.

ـ خراب القلب من الأمن والغفلة، وعمارته من الخشية والذكر.

ـ من عشق الدنيا نظَرتْ إلى قدرها عنده فصيّرته من خدمها وعبيدها وأذلته، ومن أعرض عنها نظرتْ إلى كبر قدره فخدمته وذلت له .

ـ للقلب ستة مواطن يجول فيها لا سابع لها:

ثلاثة سافلة: دنيا تتزين له ونفس تحدثه وعدو يوسوس له.

وثلاثة عالية: علم يتبين له وعقل يرشده وإله يعبده.

ـ أغبى الناس من ضلّ في آخر سفره وقد قارب المنزل.

ـ من قبّل فم اللذة لا ينكر عضّ أسنان الندامة.

ـ لو سُقي الحنظل بماء السكر لم يخرج إلا مراً.

ـ عشاق الدنيا بين مقتول ومأسور، فمنهم من قضى نحبه ومنهم من ينتظر.

ـ من نبت جسمه على الحرام فمكاسبه كبريت به يوقد عليه.

- كم في يم الغرور من تمساح فاحذر يا غائص .

❁❁❁❁

﴿ قَدْ نَعْلَمُ إِنَّهُۥ لَيَحْزُنُكَ ٱلَّذِى يَقُولُونَ ۖ فَإِنَّهُمْ لَا يُكَذِّبُونَكَ وَلَٰكِنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ يَجْحَدُونَ ﴿٣٣﴾ ﴾

السؤال الأول:

ما دلالة ﴿قَدْ﴾ في قوله تعالى ﴿قَدْ نَعْلَمُ إِنَّهُۥ لَيَحْزُنُكَ ٱلَّذِى يَقُولُونَ﴾ ؟

الجواب:

(قد) إذا دخلت على المضارع فمن معانيها التقليل، وقد تأتي للتحقيق والتكثير كما في قوله ﴿قَدْ نَرَىٰ تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِى ٱلسَّمَآءِ﴾ [البقرة:١٤٤] ﴿قَدْ يَعْلَمُ مَآ أَنتُمْ عَلَيْهِ﴾ [النور:٦٤] فهذا تحقيق.

إذن من المعاني التقليل، وليس معناها التقليل فقط، وهذا شأن بقية الحروف إذ لها أكثر من معنى، وهذه اللغة الأعلى في التعبير، وهذه لغة العرب، وأحد المعاني هو التقليل وليس كل المعاني.

السؤال الثاني:

ما الفرق بين (الكفر والتكذيب)؟

الجواب:

لا شك أنّ الكفر أعمّ من التكذيب؛ لأنّ التكذيب حالة من حالات الكفر. التكذيب جزء من الكفر بآيات الله. قال تعالى: ﴿قَدْ نَعْلَمُ إِنَّهُۥ لَيَحْزُنُكَ ٱلَّذِى يَقُولُونَ ۖ فَإِنَّهُمْ لَا يُكَذِّبُونَكَ وَلَٰكِنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ يَجْحَدُونَ ﴿٣٣﴾﴾

هناك جحود وتكذيب وكفر ﴿وَجَحَدُوا۟ بِهَا وَٱسْتَيْقَنَتْهَآ أَنفُسُهُمْ ظُلْمًا وَعُلُوًّا ۚ﴾ [النمل:١٤]. فالكفر ليس حالة جزئية بل هو عام، والتكذيب من الكفر لكن هو حالة جزئية من الكفر.

السؤال الثالث:

قال في آية الأنعام٣٣ ﴿فَإِنَّهُمْ لَا يُكَذِّبُونَكَ﴾ وقال في آية الأنعام١٤٧ ﴿فَإِن كَذَّبُوكَ فَقُل رَّبُّكُمْ ذُو رَحْمَةٍ وَٰسِعَةٍ﴾؟ فما سبب اختلاف الصيغتين؟

الجواب:

أي: أنهم لا يكذبونك في الباطن؛ لأنك عندهم معروف بالأمين، وإنما يكذبونك في الظاهر؛ لشدة عنادهم ليصدوا عنك .

ويؤيد ذلك عندما التقى الأخنس وأبو جهل، فسأل الأخنس أبا جهل فقال: يا أبا الحكم أخبرني عن محمد، أصادق هو أم كاذب؟ فإنه ليس ههنا من قريش أحد غيري و غيرك يسمع كلامنا، فقال أبو جهل: ويحك والله إنّ محمداً لصادق وما كذب محمد قط، ولكن إذا ذهب بنو قصي باللواء والحجابة والسقاية والنبوة، فماذا يكون لسائر قريش؟!!! .

ولذلك قال أبو جهل للنبي ﷺ: ما نتهمك ولكن نتهم الذي جئت به. فأنزل الله الآية .

السؤال الرابع:

ما الفرق بين الآيات: آية الأنعام ٣٣ ﴿فَإِنَّهُمْ لَا يُكَذِّبُونَكَ﴾ و ﴿كَدَأْبِ ءَالِ فِرْعَوْنَ وَالَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ كَذَّبُوا بِـَٔايَـٰتِنَا فَأَخَذَهُمُ اللَّهُ بِذُنُوبِهِمْ وَاللَّهُ شَدِيدُ الْعِقَابِ ﴿١١﴾﴾ [آل عمران:١١] و ﴿كَدَأْبِ ءَالِ فِرْعَوْنَ وَالَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ كَفَرُوا بِـَٔايَـٰتِ اللَّهِ فَأَخَذَهُمُ اللَّهُ بِذُنُوبِهِمْ إِنَّ اللَّهَ قَوِيٌّ شَدِيدُ الْعِقَابِ ﴿٥٢﴾﴾ [الأنفال:٥٢] و ﴿كَدَأْبِ ءَالِ فِرْعَوْنَ وَالَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ كَذَّبُوا بِـَٔايَـٰتِ رَبِّهِمْ فَأَهْلَكْنَـٰهُم بِذُنُوبِهِمْ وَأَغْرَقْنَا ءَالَ فِرْعَوْنَ وَكُلٌّ كَانُوا ظَـٰلِمِينَ ﴿٥٤﴾﴾ [الأنفال:٥٤]؟ أي ما الفرق بين (كذبوا بآياتنا) و(كفروا بآياتنا)؟

الجواب:

انظر الجواب في آية آل عمران ١١.

❁❁❁❁

﴿وَلَقَدْ كُذِّبَتْ رُسُلٌ مِّن قَبْلِكَ فَصَبَرُوا عَلَىٰ مَا كُذِّبُوا وَأُوذُوا حَتَّىٰٓ أَتَـٰهُمْ نَصْرُنَا وَلَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَـٰتِ اللَّهِ وَلَقَدْ جَآءَكَ مِن نَّبَإِي الْمُرْسَلِينَ ﴿٣٤﴾﴾

السؤال الأول:

ما الفرق بين (جاء) و(أتى) في القرآن الكريم؟

الجواب:

انظر الجواب في آية الأنعام رقم ٣١.

﴿ وَإِن كَانَ كَبُرَ عَلَيْكَ إِعْرَاضُهُمْ فَإِنِ ٱسْتَطَعْتَ أَن تَبْتَغِيَ نَفَقًا فِي ٱلْأَرْضِ أَوْ سُلَّمًا فِي ٱلسَّمَآءِ فَتَأْتِيَهُم بِـَٔايَةٍ ۚ وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ لَجَمَعَهُمْ عَلَى ٱلْهُدَىٰ ۚ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ ٱلْجَٰهِلِينَ (٣٥) ﴾

السؤال الأول:

أين جواب الشرط في الآية ﴿فَإِنِ ٱسْتَطَعْتَ أَن تَبْتَغِيَ نَفَقًا فِي ٱلْأَرْضِ﴾؟

الجواب:

الجواب محذوف والتقدير: فافعل. ثم حذف الجواب لدلالة الكلام عليه. ومثل ذلك [آية آل عمران ١٥٢ ـ والزمر ٩].

السؤال الثاني:

قوله تعالى في الآية (نفقاً)، ما كلمات منظومة (الطريق) في القرآن الكريم؟

الجواب:

انظر الجواب في آية الفاتحة ٧ .

❁❁❁❁

﴿إِنَّمَا يَسْتَجِيبُ ٱلَّذِينَ يَسْمَعُونَ ۘ وَٱلْمَوْتَىٰ يَبْعَثُهُمُ ٱللَّهُ ثُمَّ إِلَيْهِ يُرْجَعُونَ (٣٦)﴾

السؤال الأول:

ما دلالة عطف جملة ﴿وَٱلْمَوْتَىٰ يَبْعَثُهُمُ ٱللَّهُ﴾ على جملة ﴿إِنَّمَا يَسْتَجِيبُ ٱلَّذِينَ يَسْمَعُونَ﴾ في هذه الآية؟

الجواب:

اقرأ الآية ثم تأمل العطف فيها، فقد عطف الله جملة ﴿وَٱلۡمَوۡتَىٰ يَبۡعَثُهُمُ ٱللَّهُ﴾ على جملة ﴿إِنَّمَا يَسۡتَجِيبُ ٱلَّذِينَ يَسۡمَعُونَ﴾ وقد وصف الله الفريق الأول بالسامعين فكان السياق يؤذن بأنْ يسمى الفريق الثاني بالصُمّ أو الذين لا يسمعون، فلم سماهم موتى؟

في هذا تعريض بأولئك المعاندين المعرضين بأنهم ولشدة إصرارهم على غيّهم ولرفضهم للحق أصبحوا كالأموات لا ترجى منهم استجابة، وهذا أشد من الأصم أو الذي لا يسمع، فالأصم لا يسمع ولكنه قد يشعر ويعي ما يدور حوله، أمّا الميت فقد فَقَدَ كل إدراك وشعور.

السؤال الثاني:

ما الفرق بين (الاستجابة والإجابة)؟

الجواب:

الاستجابة هي أنْ يجيبك من طلبت منه أمراً ويحققه لك، أمّا الإجابة فهي أن يجيبك من سألت ولو بالرفض، كما في آية الأنعام ٣٦ .

❋❋❋❋

﴿وَقَالُواْ لَوۡلَا نُزِّلَ عَلَيۡهِ ءَايَةٞ مِّن رَّبِّهِۦۚ قُلۡ إِنَّ ٱللَّهَ قَادِرٌ عَلَىٰٓ أَن يُنَزِّلَ ءَايَةٗ وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَهُمۡ لَا يَعۡلَمُونَ ٣٧﴾

السؤال الأول:

ما الفرق اللغوي بين الألفاظ الثلاثة: [قدر ـ استطاع ـ أطاق] في القرآن الكريم؟

الجواب:

١ ـ قدر: تعني أنّ الإنسان يقوم بالعمل دون أي جهد، وأنّ العمل عليه سهل؛ ولذلك وصف الله تعالى ذاته العلية بأنه قدير؛ لأنه سبحانه إذا أراد شيئاً فإنما يقول له : كن فيكون .

* شواهد قرآنية: البقرة ١٤٨ ـ الأنعام ٣٧ ـ النحل ٧٧ ـ الإسراء ٩٩ .

٢ ـ استطاع: الفعل مشتق من الاستطاعة، وهي أنْ تقوم بالعمل الذي يساوي قوتك وجهدك دون أنْ تدخر منه شيئاً أو تتكلف أي جهد إضافي .

* شواهد قرآنية: آل عمران ٩٧ ـ الأنفال ٦٠.

٣ ـ أطاق: من الطاقة، وهي القيام بالأمر ببذل أقصى الجهد والمشقة والتعب الشديد، أي: يقوم بالعمل ببذل مزيد من الجهد والعنت والشقاء .

* شواهد قرآنية:

ـ ﴿وَعَلَى ٱلَّذِينَ يُطِيقُونَهُۥ فِدْيَةٌ طَعَامُ مِسْكِينٍ﴾ [البقرة:١٨٤] .

ـ ﴿رَبَّنَا وَلَا تُحَمِّلْنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِۦ﴾ [البقرة:٢٨٦].

السؤال الثاني:

قوله تعالى في آية الأنعام ٣٧ ﴿لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ ءَايَةٌ مِّن رَّبِّهِۦ﴾ وفي آية العنكبوت ٥٠ ﴿لَوْلَآ أُنزِلَ عَلَيْهِ ءَايَٰتٌ مِّن رَّبِّهِۦ﴾، فما السبب؟

الجواب:

عند قراءة آيات سورة العنكبوت (٥٠ـ٥١) وآيات سورة الأنعام(٢٥ـ٣٧) يظهر من السياق أنّ الموقف في الأنعام أشد، وأنّ موقف الكافرين أعنت والمجادلة بالباطل والتكذيب أظهروأوضح، فاستعمل في الشدة وقوة المواجهة ﴿نُزِّلَ﴾ مضعفاً لما أرادوا من التوكيد، إضافة أنّ آية العنكبوت لم يتقدمها من التهديد وشديد الوعيد ما تقدم آيات الأنعام، فناسب ذلك ورود الفعل غير مضعف .

السؤال الثالث:

قوله تعالى في آية الأنعام ٣٧ ﴿قَادِرٌ عَلَىٰٓ أَن يُنَزِّلَ﴾، وقوله في آية يس ٨١ ﴿بِقَٰدِرٍ﴾ بزيادة الباء، فما السبب؟

الجواب:

١ـ القاعدة اللغوية:

تدخل الباء الزائدة على أخبار [ليس وما ولا وكان المنفية] لتأكيد النفي؛ لأنّ العرب استعملت(الباء) لتأكيد النفي، واستعملت (اللام) في تأكيد الإثبات

* شواهد قرآنية:

ـ في آية الإسراء٩٩ ﴿قَادِرٌ﴾ خبر: أنّ .

ـ في آية يس ٨١ ﴿بِقَٰدِرٍ﴾ هو خبر ليس في أول الآية، فدخلت الباء في خبرها.

ـ في آية الأحقاف ٣٣ ﴿بِقَٰدِرٍ﴾ لمّا أكد النفي بنفي ثان وهو ﴿وَلَمْ يَعْىَ بِخَلْقِهِنَّ بِقَٰدِرٍ ﴿٣٣﴾﴾ ناسب دخول الباء في ﴿بِقَٰدِرٍ﴾ .

٢ـ الفرق بين قدير وقادر:

آ ـ قدير: على وزن (فعيل) من صيغ المبالغة، وتأتي في القرآن إذا عمم القدرة أو أطلقها ﴿وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ۝٤﴾ [هود:٤] و ﴿وَهُوَ ٱلْعَلِيمُ ٱلْقَدِيرُ ۝٥٤﴾ [الروم:٥٤].

ب ـ أما إذا قيد القدرة بشيء فإنه يقول ﴿قَادِرٌ﴾ .

* شواهد قرآنية :

آية الأنعام ٣٧: قيدت بإنزال آية .

آية الأنعام ٦٥ : قيدت بالعذاب.

آية يس ٨١: قيدت بخلق السماوات والأرض .

أي: حيث عمم القدرة أو أطلقها يأتي بصيغة المبالغة ﴿قَدِيرٌ﴾، وحيث قيّدها يأتي باسم الفاعل.

هذا، وقد وردت كلمة (قادر) في القرآن الكريم (٧) مرات، بينما وردت كلمة (قدير) (٣٩) مرة.

❁❁❁❁

﴿وَمَا مِن دَآبَّةٍ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا طَٰٓئِرٍ يَطِيرُ بِجَنَاحَيْهِ إِلَّآ أُمَمٌ أَمْثَالُكُم ۚ مَّا فَرَّطْنَا فِى ٱلْكِتَٰبِ مِن شَىْءٍ ۚ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّهِمْ يُحْشَرُونَ ۝٣٨﴾

السؤال الأول:

ما دلالة قوله تعالى في الآية ﴿مِن دَآبَّةٍ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا طَٰٓئِرٍ يَطِيرُ بِجَنَاحَيْهِ إِلَّآ أُمَمٌ أَمْثَالُكُم ۚ﴾؟ وما اللمسات البيانية في الآية؟

الجواب:

كل الدواب دون الإنسان أعطاها الله الإيمان بالفطرة وهداها إلى الرزق بالغريزة، وميّز الإنسان بالعقل فإنْ استخدمه استخداماً صحيحاً فإنه يصل إلى الإيمان، وإنْ استخدمه استخداماً سيئاً فإنه يضل عن الإيمان.

وكل الكائنات هي أمم أمثالنا مثل النمل والطيور والأسماك والحيوانات والحشرات وحتى الذباب، وقد ذلل الله لنا بعضاً من المسخرات؛ ليثبت للإنسان أنه لم يذلل الأشياء بحيلته، ولكنه جلّ شأنه هو الذي خلقها وذللها للإنسان، لذلك ترى الجمل الضخم يجره طفل صغير، وترى أي رجل مهما تكن قوته يأخذ الحذر من ثعبان صغير.

ولو لم يذللها الله فلن يستطيع أحد أنْ يقترب منها، وعندما قال قائل: لماذا خلق الله الذباب؟ فقال رجل من أهل الإشراق: ليذل به الجبابرة؛ لأنّ سلطانهم لا يمتد إلى هذه الحشرات .

١ـ قوله تعالى: ﴿وَمَا مِن دَآبَّةٍ فِى ٱلْأَرْضِ﴾ شملت كل ما عليها أو تحتها أو في الماء؛ لأنّ الأرض صارت ظرفاً والظرف هو الوعاء كله يدخل فيه .

ولفظ ﴿دَآبَّةٍ﴾ أي: كل ما يدب، وهذا فيه توسع في المعنى .

٢ـ الأمم: مأخوذة من الأُم، أي: الذين يتناسلون فهناك تكاثر وتناسل، نحو: أمة النمل ـ أمة النحل ـ أمة الطيور.

و كل صنف من البهائم أمة، وفي الحديث «**لولا أنّ الكلاب أمة من الأمم لأمرت بقتلها**».

وأفرد الدابة والطائر، وقال تعالى: ﴿إِلَّآ أُمَمٌ أَمۡثَالُكُمۚ﴾؛ لأنّ لفظ الدابة والطائر دالٌّ على الاستغراق، فحمل القول ﴿إِلَّآ أُمَمٌ﴾ على المعنى.

٣ـ وقوله تعالى: ﴿أَمۡثَالُكُمۚ﴾ أي: في كونها أمماً وجماعات يشبه بعضها بعضاً ويؤنس بعضها بعضاً ويتوالد بعضها من بعض كالإنس، وقد تكفل الله برزقها مثلنا، وأحصى أحوالها مثلنا، كما روي عن النبي ﷺ « **يقتص للجماء من القرناء** ».

ولذلك قال بعضهم: ما في الأرض آدمي إلا وفيه شبه من بعض البهائم فمنهم من يقدم إقدام الأسد، ومنهم من يعدو عدو الذئب ،ومنهم من يتطوس كفعل الطاووس، ومنهم من يشبه الخنزير، وهكذا.

٤ـ قوله تعالى: ﴿وَلَا طَٰٓئِرٖ يَطِيرُ بِجَنَاحَيۡهِ﴾ العرب تستعمل كلمة الطائر لما يطير ولما لا يطير كالنعام والدجاج، واستعملوها مجازاً للدلالة على السرعة.

وقوله تعالى في الآية: ﴿يَطِيرُ بِجَنَاحَيۡهِ﴾ يفيد التأكيد، كقولك رأيته بعيني وسمعته بأذني.

٥ـ قوله تعالى: ﴿مَّا فَرَّطۡنَا فِي ٱلۡكِتَٰبِ مِن شَيۡءٖۚ﴾ المراد منه الكتاب المحفوظ في العرش، وقيل إنه القرآن و ﴿مِن﴾ هنا للتبعيض، فكأن المعنى: ما فرطنا في الكتاب بعض شيء يحتاج المكلف إليه إلا يوجد به.

٦ـ و قوله تعالى: ﴿ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّهِمۡ يُحۡشَرُونَ ٣٨﴾ هذه كلها تُحشر إلى الله تعالى فيقتص بعضهم من بعض، ثم يأمر الله تعالى فيكونون تراباً، وهنا يأتي تمني الكافر ﴿وَيَقُولُ ٱلۡكَافِرُ يَٰلَيۡتَنِي كُنتُ تُرَٰبَۢا ٤٠﴾ [النبأ: ٤٠].

فالآية شملت ما يطير وما لا يطير من الطيور، وذكر الجناحين لبيان فضل الله؛ إذ لو كان بجناح واحد لسقط في طيرانه، وذكر الجناحين لغرض التأكيد والمبالغة، وهو نظير قوله تعالى في آية النساء رقم ١٠ ﴿إِنَّمَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ نَارًا﴾ والله أعلم.

❁❁❁❁

﴿وَٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا صُمٌّ وَبُكْمٌ فِى ٱلظُّلُمَٰتِ ۗ مَن يَشَإِ ٱللَّهُ يُضْلِلْهُ وَمَن يَشَأْ يَجْعَلْهُ عَلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٣٩﴾﴾

السؤال الأول:

ما دلالة الواو في الآية ﴿وَٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا صُمٌّ وَبُكْمٌ فِى ٱلظُّلُمَٰتِ﴾ مع أنه في البقرة لم يستخدم الواو ﴿صُمٌّۢ بُكْمٌ عُمْىٌ فَهُمْ لَا يَرْجِعُونَ ﴿١٨﴾﴾؟ ولماذا لم يقل في آية الأنعام: (عمي)؟

الجواب:

١ـ ﴿صُمٌّۢ بُكْمٌ عُمْىٌ﴾ يحتمل أنْ يكون بعضهم صماً وبعضهم بكماً وبعضهم عمياً، ويحتمل أنْ يكونوا في مجموعهم صماً بكماً عمياً.

٢ـ ﴿صُمٌّ وَبُكْمٌ﴾ فلا تحتمل إلا معنىً واحداً، وهو أنهم جميعاً صم وبكم.

من ناحية أخرى لم يقل في الأنعام: ﴿عُمْىٌ﴾ كما في آية البقرة، والسبب أنّ الكلام في سورة البقرة عن المنافقين طويل، وهم عمي عن الحق، والأعمى أشدُّ من الذي في الظلام؛ لأنه لا يرى سواء كان في النور أم في الظلام.

لمزيد من التفصيل انظر الجواب في آية البقرة ١٨ .

السؤال الثاني:

ما أهم الوقفات في هذه الآية؟

الجواب:

في قوله تعالى ﴿وَٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِـَٔايَـٰتِنَا صُمٌّ وَبُكۡمٌ فِي ٱلظُّلُمَـٰتِۗ﴾ يوجد في هذه الآية وقفتان:

الوقفة الأولى: لِمَ قال الله: ﴿صُمٌّ وَبُكۡمٌ فِي ٱلظُّلُمَـٰتِۗ﴾ ولم يقل: (صم بكم عمي) كما في سورة البقرة؟

والجواب أنّ الله وصفهم بالأصم والأبكم التائه في الظلمات؛ ليبين لنا ربنا حالهم، فهم أصموا آذانهم عن سماع الحق وتلقي الهدى وأخرسوا ألسنتهم عن الاستفسار عن الهداية وابتعدوا عن الاسترشاد بمن يمر بهم، واستمروا في ذلك فتاهوا في الضلال الذي خيّم عليهم وعماهم عن الحق وتلقي الهدى، فهم يعلمون أنهم في ظلمات ولكنهم لا يريدون الخروج منها، أمّا الأعمى فقد لا يعلم أين يمشي وأين يمكث.

الوقفة الثانية: لِمَ قال: ﴿فِي ٱلظُّلُمَـٰتِۗ﴾ ولم يقل صم وبكم في الظلام؟ في هذا إشارة إلى تعدد الظلمات، بينما النور واحد وهو الإسلام، أمّا الظلمات فهناك ظلمة الكفر وظلمة العناد وغيرها، فلنسلك مسلك النور الواضح حتى نبلغ النهاية السعيدة .

السؤال الثالث:

قوله تعالى في الآية﴿يَجۡعَلۡهُ عَلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٖ ۝٣٩﴾ لماذا عدّى الفعل بـ﴿على﴾ بدل (في) مثلاً؟

الجواب:

انظر الجواب في آية البقرة ٥ .

السؤال الرابع:

قوله تعالى في الآية ﴿يَجْعَلْهُ عَلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٣٩﴾﴾ما كلمات منظومة الطريق؟

الجواب:

انظر الجواب في آية الفاتحة ٧.

❁❁❁❁

﴿ قُلْ أَرَءَيْتَكُمْ إِنْ أَتَىٰكُمْ عَذَابُ ٱللَّهِ أَوْ أَتَتْكُمُ ٱلسَّاعَةُ أَغَيْرَ ٱللَّهِ تَدْعُونَ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٤٠﴾ ﴾

السؤال الأول:

قال في آية الأنعام٤٦ ويونس ٥٠: ﴿أَرَءَيْتُمْ﴾ وفي آيتي الأنعام رقم ٤٠ و ٤٧ ﴿أَرَءَيْتَكُمْ﴾ بزيادة الكاف إضافة إلى الهمزة، فما السبب؟

الجواب:

هذه الزيادة إنما تكون لغرض توكيد الخطاب وزيادة تنبيه المخاطب، والفرق بين الصورتين ههنا لسببين، والله أعلم:

١ـ في الآية الأولى (٤٦) تجد أنّ فاقد السمع والبصر والمختوم على قلبه يحتاج إلى زيادة الخطاب وتنبيه أكثر من السوي، فقال فيها بعد ﴿أَرَءَيْتُمْ﴾ .

٢ـ أنّ الآية الثانية (٤٧) أشد من الآية الأولى تنكيلا وعذاباً، فإنّ فيها عذاب الله الذي هو أشد من أخذ السمع والبصر، فاحتاج الموقف إلى تنبيهٍ أشد وحذرٍ أكثر، فجاء بكاف الخطاب ﴿أَرَءَيْتَكُمْ﴾ .

وقد تقول: لِمَ قال الله في سورة يونس ٥٠: ﴿أَرَءَيْتُمْ﴾ ولم يقل (أرأيتكم) كما في الأنعام:٤٧ أو الأنعام: ٤٠ والآيات متشابهة والموقف واحد؟

والحقيقة أنّ الموقف مختلف والسياق غير متفق، ففي الأنعام (٣٩-٤٠) وصف الله الذين كذبوا بالصمم والبكم، وأنهم في الظلمات فاحتاجوا إلى زيادة تنبيه وخطاب ليسمعوا وليعوا، وهذا شبيه بالموقف في الأنعام ٤٦ بخلاف سورة يونس التي ليس فيها هذا الأمر .

٣ ـ لفظة ﴿أَرَءَيْتَكُمْ﴾ تكررت في موضعين في سورة الأنعام وليس لها في العربية نظير؛ لأنها جمعت بين علامتي خطاب، وهما (التاء والكاف) والجمع بينهما يدل على أنّ ذلك تنبيه وتأكيد للمخاطب لاستحكام غفلته؛ ولهذا حذفت الكاف في آية يونس٥٠ ؛ لأنه لم يتقدمها ذكر صمم ولا بكم يوجب تأكيد الخطاب .

السؤال الثاني:

ما تركيبة الصيغة ﴿أَرَءَيْتَكَ﴾ في آية الإسراء ٦٢ و ﴿أَرَءَيْتَكُمْ﴾ في آيتي الأنعام ٤٠-٤٧؟

الجواب:

أرأيتك:

١ـ هناك (رأى) البصرية للمشاهدة و(رأى) القلبية بمعنى عَلِمَ .

٢ـ كلمة ﴿أَرَءَيْتَكَ﴾ فيها الفعل (رأى)، وفيها كاف الخطاب، وفيها تاء الخطاب، وكأنه يقول: أرأيت نفسك .

والعرب لم تستعمل: أرأيتك، بمعنى: أرأيت نفسك، وإنما استعملوها بمعنى آخر بمعنى: أعلمني، أو: أخبرني، فتقول العرب مثلاً: أرأيتك إن جاء زيد ستكرمه كما أكرمت أخاه؟ أي أخبرني مع نوع من التأكيد ونوع من التعجب من إكرامه الأول .

وقد تكون للتبكيت، كقولك: أرأيتك ستفعل هذا مع فلان كما فعلت مع فلان؟

٣ـ لكن: أرأيتك، وردت في القرآن الكريم على غير معنى: (أخبرني)

ففي آية الإسراء ٦٢: عندما يخاطب إبليس رب العزة ﴿أَرَءَيْتَكَ﴾ هو لا يريد: أرأيت نفسك، ولا يريد: أخبرني، وإنما إبليس يريد لفت النظر أو التنبيه إلى هذا الإنسان، كما نقول نحن في العامية: شايف ابنك إذا بقي على هذه الحالة لن يتقدم .

وكأن معنى الآية: أترى هذا الذي كرمته علي؟ سأقول لك كلاماً يقينياً بشأنه ولأحتنكن ذريته .

٤ـ الهمزة في: ﴿أَرَءَيْتَكَ﴾ هي همزة سؤال أُريد بها تقرير شيء، كقول الشاعر: (ألستم خير من ركب المطايا)، لذلك هو تقرير وليس سؤالاً .

٥ـ بناء على ذلك تكون الهاء للاستفهام، ورأيت: فعل ماضٍ، والتاء ضمير فاعل، والكاف للخطاب لا محل لها من الإعراب، والجملة مقول القول.

أرأيتكم:

١ـ وردت هذه الصيغة في موضعين في القرآن في سورة الأنعام في الآيتين: ٤٠ ـ٤٧.

٢ـ الصيغة ﴿أَرَءَيْتَكُمْ﴾ فيها نوع من الإفراد والجمع: أرأيت ـ للمفرد، والكاف للجمع، وكأنما الكلمة لتنبيه كل فرد على حدة.

٣ـ آية الأنعام ٤٠ ﴿أَرَءَيْتَكُمْ﴾ بمعنى: أخبروني، وفيها نوع من التأديب والتأنيب، بمعنى: إلى من تلجأون غير الله؟ !!!!.

٤ـ آية الأنعام ٤٧ ﴿أَرَءَيْتَكُمْ﴾ ليس فيها معنى الرؤية، وإنما الإخبار أو طلب الإخبار، أو أنّ المتكلم يخبر السامع بشيء يقين. والله أعلم.

السؤال الثالث:

قوله تعالى في الآية ﴿إِنْ أَتَىٰكُمْ﴾ ما الفرق بين (جاء وأتى) في القرآن الكريم؟

الجواب:

انظر الجواب في آية الأنعام ٣١.

❊❊❊❊

﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَآ إِلَىٰٓ أُمَمٍ مِّن قَبْلِكَ فَأَخَذْنَٰهُم بِٱلْبَأْسَآءِ وَٱلضَّرَّآءِ لَعَلَّهُمْ يَتَضَرَّعُونَ ﴿٤٢﴾﴾

السؤال الأول:

قال في آية الأنعام ٤٢ ﴿يَتَضَرَّعُونَ ﴿٤٢﴾﴾، وفي آية الأعراف ٩٤ ﴿يَضَّرَّعُونَ ﴿٩٤﴾﴾ بالإبدال والإدغام، فما السبب في إبدال التاء؟

الجواب:

١ـ صيغة ﴿يَضَّرَّعُونَ﴾ فيها مبالغة في الحدث والإكثار منه أكثر من صيغة (يتضرعون) بدون الإبدال والإدغام .

٢ـ قال في الأنعام٤٢ ﴿إِلَىٰٓ أُمَمٍ﴾ وفي الأعراف٩٤ ﴿فِى قَرْيَةٍ﴾ والأمم أكثر من القرية، وهذا يعني تطاول الإرسال على مدار التاريخ، فلمّا طال الحدث واستمر جاء بما هو أطول بناء، فقال: ﴿يَتَضَرَّعُونَ﴾، ولمّا كان الإرسال في الأعراف إلى قرية قال: ﴿يَضَّرَّعُونَ﴾، فجاء بما هو أقصر في البناء .

٣ـ استعمل في الأنعام ٤٢ ﴿أَرْسَلْنَآ إِلَىٰٓ﴾ وفي الأعراف٩٤ ﴿أَرْسَلْنَا فِى﴾ والإرسال إلى شخص ما رسالة يقتضي التبليغ ولا يقتضي المكث، وأمّا الإرسال في القرية فإنه يقتضي التبليغ والمكث فإن ﴿فِى﴾ تفيد الظرفية، وهذا يعني بقاء النبي بينهم يبلغهم ويذكرهم بالله، ولا شك أنّ هذا يدعوهم إلى زيادة التضرع والمبالغة فيه، فجاء بالصيغة الدالة على المبالغة في الحدث والإكثار منه، فقال: ﴿لَعَلَّهُمْ يَضَّرَّعُونَ﴾ فوضع كل مفردة في مكانها اللائق بها .

السؤال الثاني:

ما البأساء والضراء؟

الجواب:

البأساء : لغة هي الشدة عموماً والمشقة والبؤس والفقر والحرب ولكنْ أكثر ما تستعمل في الأموال والأنفس.

الضراء: لغة تكون المرض في الأبدان وما يصيب الأموال .

❁❁❁❁

﴿فَلَمَّا نَسُوا۟ مَا ذُكِّرُوا۟ بِهِۦ فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ أَبْوَٰبَ كُلِّ شَىْءٍ حَتَّىٰٓ إِذَا فَرِحُوا۟
بِمَآ أُوتُوٓا۟ أَخَذْنَٰهُم بَغْتَةً فَإِذَا هُم مُّبْلِسُونَ ﴿٤٤﴾﴾

السؤال الأول:

في الآية هناك قراءتان ﴿فَتَحْنَا﴾ و (فَتَّحْنَا) بالتشديد، فما دلالة كلٍ من القراءتين؟

الجواب:

قال تعالى: ﴿فَلَمَّا نَسُوا۟ مَا ذُكِّرُوا۟ بِهِۦ فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ أَبْوَٰبَ كُلِّ شَىْءٍ﴾ في كلمة (فتحنا) قراءتان: قراءة الجمهور: فتحنا، وقرأ ابن عمرو وأبو جعفر ورويس عن يعقوب (فتّحنا) التشديد للمبالغة في الفتح فالتشديد يدل على المضاعفة في العمل، وقد جمع الله (أبواب) ولم يقل (باب كل شيء) ليصور لك كثرة الخيرات وأنواعها التي عمّت حياتهم.

❁❁❁❁

﴿فَقُطِعَ دَابِرُ ٱلْقَوْمِ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ ۚ وَٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٤٥﴾﴾

السؤال الأول:

ختمت الآية بالحمد، وهذه الخاتمة تلفت نظر القارئ، فما توجيه هذه النهاية ولِمَ لَمْ تكن (والله عزيز حكيم) وهذا يناسب العقاب، كما قال تعالى: ﴿فَقُطِعَ دَابِرُ ٱلْقَوْمِ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ ۚ﴾؟

الجواب:

في هذا تنبيه لك أيها المؤمن على حمد الله عند النِعم، فقد وقع قبل الحمد نعمة من نعمه تعالى، ومن لوازم الحمد أنْ يكون على نعمة، ولعلك تسأل أين النعمة؟ فكأنه قد قيل لك: ﴿فَقُطِعَ دَابِرُ ٱلْقَوْمِ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْۚ﴾ وتلك نعمة من نعم الله تقتضي حمده، أوليس هلاك الظلمة نعمة؟ فهلاكهم صلاح للناس والصلاح أعظم النعم، وشكر النعمة واجب.

❁❁❁❁

﴿قُلْ أَرَءَيْتُمْ إِنْ أَخَذَ ٱللَّهُ سَمْعَكُمْ وَأَبْصَٰرَكُمْ وَخَتَمَ عَلَىٰ قُلُوبِكُم مَّنْ إِلَٰهٌ غَيْرُ ٱللَّهِ يَأْتِيكُم بِهِۗ ٱنظُرْ كَيْفَ نُصَرِّفُ ٱلْءَايَٰتِ ثُمَّ هُمْ يَصْدِفُونَ ﴿٤٦﴾﴾

السؤال الأول:

قال في آية الأنعام٤٦ ويونس ٥٠: ﴿أَرَءَيْتُمْ﴾، وفي آياتي الأنعام رقم ٤٠ و ٤٧ ﴿أَرَءَيْتَكُمْ﴾ بزيادة الكاف إضافة إلى الهمزة، فما السبب؟

الجواب:

انظر الجواب في آية الأنعام ٤٠.

السؤال الثاني:

ما الفرق بين (نصرّف ونفصّل ونبيّن) في قوله تعالى: ﴿قُلْ أَرَءَيْتُمْ إِنْ أَخَذَ ٱللَّهُ سَمْعَكُمْ وَأَبْصَٰرَكُمْ وَخَتَمَ عَلَىٰ قُلُوبِكُم مَّنْ إِلَٰهٌ غَيْرُ ٱللَّهِ يَأْتِيكُم بِهِۗ ٱنظُرْ كَيْفَ نُصَرِّفُ ٱلْءَايَٰتِ ثُمَّ هُمْ يَصْدِفُونَ ﴿٤٦﴾﴾ [الأنعام:٤٦] و ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلنُّجُومَ لِتَهْتَدُواْ بِهَا فِى ظُلُمَٰتِ ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِۗ قَدْ فَصَّلْنَا ٱلْءَايَٰتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴿٩٧﴾﴾ [الأنعام:٩٧] و ﴿مَّا ٱلْمَسِيحُ ٱبْنُ مَرْيَمَ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ ٱلرُّسُلُ وَأُمُّهُۥ

صِدِّيقَةٌ ۖ كَانَا يَأْكُلَانِ الطَّعَامَ ۗ انظُرْ كَيْفَ نُبَيِّنُ لَهُمُ الْآيَاتِ ثُمَّ انظُرْ أَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ ﴿٧٥﴾ [المائدة:٧٥]؟

الجواب:

انظر الجواب في آية المائدة ٧٥.

السؤال الثالث:

في سورة الأنعام ما دلالة الفاصلة (يصدفون) في الآيات ﴿أَوْ تَقُولُوا لَوْ أَنَّا أُنزِلَ عَلَيْنَا الْكِتَابُ لَكُنَّا أَهْدَىٰ مِنْهُمْ ۚ فَقَدْ جَاءَكُم بَيِّنَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ ۚ فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن كَذَّبَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَصَدَفَ عَنْهَا ۗ سَنَجْزِي الَّذِينَ يَصْدِفُونَ عَنْ آيَاتِنَا سُوءَ الْعَذَابِ بِمَا كَانُوا يَصْدِفُونَ ﴿١٥٧﴾﴾، ﴿انظُرْ كَيْفَ نُصَرِّفُ الْآيَاتِ ثُمَّ هُمْ يَصْدِفُونَ ﴿٤٦﴾﴾؟

الجواب:

١ـ المعاني اللغوية:

الأصل في الصدف هو الجانب والناحية، و(الصدفان) في آية الكهف ٩٦: هما الجانبان.

صدف عنه: أي: أعرض إعراضاً شديداً .

والصدف: البناء المرتفع، وصدف عن الشيء: مال.

٢ـ هناك فرق بين: صدف عنه وأعرض عنه، فالإعراض قد يكون خفيفاً لكن (صدف عنه) أن تذهب في الجانب عنه فتتركه وتعرض عنه وتمشي فـ(الإعراض) قد يكون في القليل، و(الصدف) مخصص لما هو أشد .

أي: أنّ الصدف هو الإعراض الشديد .

❁❁❁❁

﴿ وَالَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا يَمَسُّهُمُ الْعَذَابُ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ ﴿٤٩﴾ ﴾

السؤال الأول:

ما دلالة ختم الآية بقوله تعالى: ﴿بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ ﴿٤٩﴾﴾ ؟

الجواب:

انظر إلى هذه الآية، فقد ختمت بقوله ﴿بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ ﴿٤٩﴾﴾ فاستعمل الفعل (كان) والفعل ﴿يَفْسُقُونَ ﴿٤٩﴾﴾ ولم يقل: بما فسقوا(بالماضي)؛ للفتة لطيفة وهي أنّ العذاب نزل بهم لإصرارهم على الفسق، فالفعل المضارع ﴿يَفْسُقُونَ﴾ يدل على التجدد والاستمرار.

❁❁❁❁

﴿ قُل لَّا أَقُولُ لَكُمْ عِندِي خَزَائِنُ اللَّهِ وَلَا أَعْلَمُ الْغَيْبَ وَلَا أَقُولُ لَكُمْ إِنِّي مَلَكٌ إِنْ أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَىٰ إِلَيَّ قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الْأَعْمَىٰ وَالْبَصِيرُ أَفَلَا تَتَفَكَّرُونَ ﴿٥٠﴾ ﴾

السؤال الأول:

ما دلالة ذكر(لكم) في قوله تعالى في آية الأنعام ٥٠ : ﴿وَلَا أَقُولُ لَكُمْ إِنِّي مَلَكٌ﴾ وعدم ذكرها في آية هود ٣١ ﴿وَلَا أَقُولُ إِنِّي مَلَكٌ﴾؟ علماً أنه ذكرها أيضاً في آية الكهف ٧٥ ﴿قَالَ أَلَمْ أَقُل لَّكَ إِنَّكَ لَن تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا ﴿٧٥﴾﴾ ؟

الجواب:

١ـ قال تعالى في سورة الأنعام في قصة نوح عليه السلام: ﴿قُل لَّآ أَقُولُ لَكُمْ عِندِى خَزَآئِنُ ٱللَّهِ وَلَآ أَعْلَمُ ٱلْغَيْبَ وَلَآ أَقُولُ لَكُمْ إِنِّى مَلَكٌ ۖ إِنْ أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَىٰٓ إِلَىَّ ۚ قُلْ هَلْ يَسْتَوِى ٱلْأَعْمَىٰ وَٱلْبَصِيرُ ۚ أَفَلَا تَتَفَكَّرُونَ ﴿٥٠﴾﴾ بينما قال في قصة نوح عليه السلام في سورة هود ﴿وَلَآ أَقُولُ لَكُمْ عِندِى خَزَآئِنُ ٱللَّهِ وَلَآ أَعْلَمُ ٱلْغَيْبَ وَلَآ أَقُولُ إِنِّى مَلَكٌ وَلَآ أَقُولُ لِلَّذِينَ تَزْدَرِىٓ أَعْيُنُكُمْ لَن يُؤْتِيَهُمُ ٱللَّهُ خَيْرًا ۖ ٱللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا فِىٓ أَنفُسِهِمْ ۖ إِنِّىٓ إِذًا لَّمِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٣١﴾﴾ [هود:٣١].

٢ـ لو لاحظنا الكلام في سورة الأنعام نجده أشدّ وفيه تحذير شديد، تأمل قوله تعالى: ﴿قُلْ أَرَءَيْتَكُمْ إِنْ أَتَىٰكُمْ عَذَابُ ٱللَّهِ أَوْ أَتَتْكُمُ ٱلسَّاعَةُ أَغَيْرَ ٱللَّهِ تَدْعُونَ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٤٠﴾ بَلْ إِيَّاهُ تَدْعُونَ فَيَكْشِفُ مَا تَدْعُونَ إِلَيْهِ إِن شَآءَ وَتَنسَوْنَ مَا تُشْرِكُونَ ﴿٤١﴾ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَآ إِلَىٰٓ أُمَمٍ مِّن قَبْلِكَ فَأَخَذْنَٰهُم بِٱلْبَأْسَآءِ وَٱلضَّرَّآءِ لَعَلَّهُمْ يَتَضَرَّعُونَ ﴿٤٢﴾ فَلَوْلَآ إِذْ جَآءَهُم بَأْسُنَا تَضَرَّعُوا۟ وَلَٰكِن قَسَتْ قُلُوبُهُمْ وَزَيَّنَ لَهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿٤٣﴾ فَلَمَّا نَسُوا۟ مَا ذُكِّرُوا۟ بِهِۦ فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ أَبْوَٰبَ كُلِّ شَىْءٍ حَتَّىٰٓ إِذَا فَرِحُوا۟ بِمَآ أُوتُوٓا۟ أَخَذْنَٰهُم بَغْتَةً فَإِذَا هُم مُّبْلِسُونَ ﴿٤٤﴾ فَقُطِعَ دَابِرُ ٱلْقَوْمِ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ ۚ وَٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٤٥﴾ قُلْ أَرَءَيْتُمْ إِنْ أَخَذَ ٱللَّهُ سَمْعَكُمْ وَأَبْصَٰرَكُمْ وَخَتَمَ عَلَىٰ قُلُوبِكُم مَّنْ إِلَٰهٌ غَيْرُ ٱللَّهِ يَأْتِيكُم بِهِ ۗ ٱنظُرْ كَيْفَ نُصَرِّفُ ٱلْءَايَٰتِ ثُمَّ هُمْ يَصْدِفُونَ ﴿٤٦﴾ قُلْ أَرَءَيْتَكُمْ إِنْ أَتَىٰكُمْ عَذَابُ ٱللَّهِ بَغْتَةً أَوْ جَهْرَةً هَلْ يُهْلَكُ إِلَّا ٱلْقَوْمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿٤٧﴾﴾ [الأنعام:٤٠-٤١-٤٢-٤٣-٤٤-٤٥-٤٦-٤٧] بينما في سورة هود سياق الآيات فيه تلطّف. وفي التلطّف عادة لا نواجه الشخص فنقول له (قلنا لك).

٣ـ ونظير ذلك ما جاء في قصة الخضر وموسى عليه السلام في المرة الأولى، قال تعالى على لسان الخضر: ﴿قَالَ أَلَمْ أَقُلْ إِنَّكَ لَن تَسْتَطِيعَ مَعِىَ صَبْرًا ﴿٧٢﴾﴾ [الكهف:٧٢] وفي الثانية قال تعالى: ﴿قَالَ أَلَمْ أَقُل لَّكَ إِنَّكَ لَن تَسْتَطِيعَ مَعِىَ صَبْرًا ﴿٧٥﴾﴾ [الكهف:٧٥].

السؤال الثاني:

قوله تعالى:﴿وَلَآ أَقُولُ لَكُمۡ إِنِّي مَلَكٌۖ﴾ ذكرها في آية الأنعام ٥٠ دون آيات هود (٢٥-٢٧-٣١)، فلماذا؟

الجواب:

في آيات سورة هود تقدمها (لكم) عدة مرات، كما في الآيات (٢٥-٢٧-٣١) فاكتفى به تخفيفاً، ولم يتقدم في سورة الأنعام إلا مرة واحدة.

❋❋❋❋

﴿وَأَنذِرۡ بِهِ ٱلَّذِينَ يَخَافُونَ أَن يُحۡشَرُوٓاْ إِلَىٰ رَبِّهِمۡ لَيۡسَ لَهُم مِّن دُونِهِۦ وَلِيّٞ وَلَا شَفِيعٞ لَّعَلَّهُمۡ يَتَّقُونَ ٥١﴾

السؤال الأول:

قوله تعالى: ﴿وَأَنذِرۡ بِهِ﴾ هل الإنذار خاص بالكافرين في القرآن؟

الجواب:

الإنذار في القرآن لا يكون خاصاً بالكافرين والمنافقين، فقد يأتي للمؤمنين لكنه للمؤمن تخويف، وليس فيه توعد.

❋ شواهد قرآنية:

في آية يس ١١: الإنذار ليس فيه تخصيص لمؤمن أو كافر.

في آية الشعراء ٢١٤: إنذار للمؤمنين.

في آية فاطر ١٨: إنذار للمؤمنين.

في آية ابراهيم ٤٤: الإنذار للناس جميعاً.

في آية الأنعام ٥١: الإنذار للناس جميعاً.

السؤال الثاني:

ما الفرق بين النفيين في آيتي الأنعام ٥١ـ٧٠ ﴿لَيْسَ لَهُم مِّن دُونِهِۦ وَلِيٌّ﴾ حيث نفى بـ ﴿لَيْسَ﴾ في آيتي الأنعام، بينما نفى بـ ﴿مَا﴾ في آية السجدة ٤ ﴿مَا لَكُم مِّن دُونِهِۦ مِن وَلِيٍّ﴾، وجاء معها بـ ﴿مِن﴾؟

الجواب:

١ـ الجملة الاسمية أقوى من الجملة الفعلية ؛ ولذلك النفي بـ (ما) أقوى من النفي بـ (ليس).

٢ـ الحرف (من) هو للاستغراق الذي يفيد نفي الجنس وللتوكيد كذلك، فهو يفيد نفي الولي والشفيع على سبيل الاستغراق.

٣ـ وأما سبب ذلك ـ والله أعلم ـ فإنّ الكلام في آيتي الأنعام عن أصناف خاصة من الناس هم ﴿ٱلَّذِينَ يَخَافُونَ أَن يُحْشَرُوٓا۟ إِلَىٰ رَبِّهِمْ﴾ و ﴿أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ أُبْسِلُوا۟ بِمَا كَسَبُوا۟﴾ وأما آية السجدة فالخطاب لعموم من يصح خطابه من الثقلين، وهو خطاب عام لا يخص صنفاً دون صنف.

فلمّا عمّ ذلك الجميع احتاج إلى التوكيد ولا شك، فإنه جارٍ في العادة أن يكون للشخص وليٌّ واحد، أو يكون لمجموعة من الناس ولي واحد، أمّا ألا يكون للخلق إلا

ولي واحد فقط لا غيره، فهذا يحتاج إلى التوكيد، فأكد بالجملة الاسمية و(من) الاستغراقية.

٤ـ والأمر الآخر أنّ الله تعالى لم يذكر في آيتي الأنعام شيئاً من صفاته، وإنما ذكر اسمه العلم، فقال: ﴿مِن دُونِ ٱللَّهِ﴾ وأمّا في السجدة فقد ذكر الله صفاته العظيمة وقدرته التي لا تحد، كما في الآيات: (٤ـ٧)، فناسب ذلك أنْ يؤكد أنه ليس للخلق من دونه ولي ولا شفيع، وإنما هو الولي الأوحد للخلق أجمعين.

٥ـ لم يذكر الله معصية للصنف المذكور في آية الأنعام ٥١، وإنما قال عنهم: إنهم يخافون أنْ يحشروا إلى ربهم، فهم مقرون بالحشر ويخافون أن يحشروا .

وأما آية الأنعام ٧٠ فأمر الله رسوله بترك الذين اتخذوا دينهم لعباً ولهواً كما أمره بتذكيرهم بالقرآن ولم يذكر لهم ذنباً.

بينما آية السجدة فإنها في سياق من ينسب إلى رسول الله الكذب وافتراء القرآن ومن ينكر الحشر والمعاد، فقال تعالى: ﴿أَمْ يَقُولُونَ ٱفْتَرَىٰهُ﴾ [السجدة:٣] وقال: ﴿وَقَالُوٓاْ أَءِذَا ضَلَلْنَا فِى ٱلْأَرْضِ أَءِنَّا لَفِى خَلْقٍ جَدِيدٍۭ بَلْ هُم بِلِقَآءِ رَبِّهِمْ كَٰفِرُونَ ﴿١٠﴾﴾ [السجدة:١٠]؛ لذلك اقتضى السياق توكيد نفي الولي والشفيع من دون الله في آية السجدة من كل وجه. والله أعلم.

السؤال الثالث:

قوله تعالى في آية الأنعام ٥١ ﴿مِّن دُونِهِۦ وَلِىٌّ﴾ وفي آية البقرة ١٢٠ ﴿مَا لَكَ مِنَ ٱللَّهِ مِن وَلِىٍّ﴾ أي بزيادة التأكيد بـ(من)، فلماذا؟

الجواب:

انظر الجواب في آية البقرة ١٢٠.

❁❁❁❁

﴿وَكَذَٰلِكَ فَتَنَّا بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لِّيَقُولُوٓاْ أَهَٰٓؤُلَآءِ مَنَّ ٱللَّهُ عَلَيْهِم مِّنۢ بَيْنِنَآۗ أَلَيْسَ ٱللَّهُ بِأَعْلَمَ بِٱلشَّٰكِرِينَ ﴿٥٣﴾﴾

السؤال الأول:

ما إعراب (أعلمَ) في قوله تعالى ﴿أَلَيْسَ ٱللَّهُ بِأَعْلَمَ بِٱلشَّٰكِرِينَ ﴿٥٣﴾﴾ و(أحكمِ) في قوله ﴿أَلَيْسَ ٱللَّهُ بِأَحْكَمِ ٱلْحَٰكِمِينَ ﴿٨﴾﴾؟

الجواب:

أعلمَ: خبر ليس مجرور لفظاً منصوب محلاً؛ لأنه ممنوع من الصرف وليس مضافاً.

أما (بأحكمِ) الباء حرف جر زائد، أحكم خبر ليس مجرور لفظاً منصوب محلاً، وعلامة جره الكسرة الظاهرة، وهو مضاف، (الحاكمين): مضاف إليه.

﴿ وَإِذَا جَآءَكَ ٱلَّذِينَ يُؤۡمِنُونَ بِـَٔايَٰتِنَا فَقُلۡ سَلَٰمٌ عَلَيۡكُمۡۖ كَتَبَ عَلَىٰ نَفۡسِهِ ٱلرَّحۡمَةَۖ أَنَّهُۥ مَنۡ عَمِلَ مِنكُمۡ سُوٓءَۢا بِجَهَٰلَةٖ ثُمَّ تَابَ مِنۢ بَعۡدِهِۦ وَأَصۡلَحَ فَأَنَّهُۥ غَفُورٞ رَّحِيمٞ ﴿٥٤﴾ ﴾

السؤال الأول:

قوله تعالى:﴿ وَإِذَا جَآءَكَ ٱلَّذِينَ يُؤۡمِنُونَ بِـَٔايَٰتِنَا فَقُلۡ سَلَٰمٌ عَلَيۡكُمۡۖ ﴾ السلام هو سمت للداخل على الآخرين يلقي عليهم تحية الإسلام، فكيف طلب الله تعالى من النبي ﷺ أنْ يحييهم تحية الإسلام مع أنهم هم الداخلون؟

الجواب:

هذه كرامة من الله تعالى للمؤمنين المستضعفين؛ فقد أمر الله النبي ﷺ أنْ يبدأهم بالسلام حين الدخول عليه إشارة لشأنهم عند الله، وقد نزّل النبي ﷺ في هذه الآية منزلة القادم عليهم؛ لأنه زفّ إليهم بشرى رضوان الله عنهم.

❊❊❊❊

﴿وَكَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ ٱلۡأٓيَٰتِ وَلِتَسۡتَبِينَ سَبِيلُ ٱلۡمُجۡرِمِينَ ﴿٥٥﴾ ﴾

السؤال الأول:

وردت كلمة (سبيل) في القرآن الكريم مؤنثة، كما في آية الأنعام ٥٥، ووردت أيضاً بصيغة المذكر، كما في قوله تعالى ﴿ وَإِن يَرَوۡاْ سَبِيلَ ٱلرُّشۡدِ لَا يَتَّخِذُوهُ سَبِيلٗا ﴾ الأعراف ١٤٦، فما دلالة ذلك؟

الجواب:

يريد الحق بذلك أنْ يعلمنا أنّ القرآن الذي نزل بلسان عربي مبين قد استقبلته قبائل من العرب بعضها له السيادة كقبيلة قريش؛ لأنها تسكن مكة والكعبة في مكة، وكل القبائل تحج إلى الكعبة .

ويريد الله أن ينهي هذه السيادة؛ لذلك جاء القرآن ببعض الألفاظ التي تنطقها القبائل الأخرى، ومنها كلمة (سبيل) التي تؤنث في لغة الحجاز وجاء بها مرة أخرى مذكراً كما تنطقها تميم.

ولم يأت الحق بكل ألفاظ القرآن مطابقة لأسلوب قريش؛ حتى لا تظن قريش أنّ سيادتها التي كانت لها في الجاهلية قد انسحبت إلى الإسلام، فقد جاء الإسلام للجميع .

❋❋❋❋

﴿ قُلْ إِنِّي نُهِيتُ أَنْ أَعْبُدَ ٱلَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ ۚ قُل لَّآ أَتَّبِعُ أَهْوَآءَكُمْ ۙ قَدْ ضَلَلْتُ إِذًا وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُهْتَدِينَ ﴿٥٦﴾ ﴾

السؤال الأول:

قوله تعالى ﴿قُل لَّآ أَتَّبِعُ أَهْوَآءَكُمْ ﴾ أمر النبي ﷺ بهجران المشركين وأعمالهم فلِمَ قال هنا ﴿لَّآ أَتَّبِعُ أَهْوَآءَكُمْ ﴾ ولم يقل على الأصل: لا أتبعكم؟

الجواب:

هذه نكتة لطيفة، فالأهواء جمع (هوى)، وهو المحبة المفرطة التي تعمي عن الحق؛ ولذلك قال: ﴿لَّآ أَتَّبِعُ أَهْوَآءَكُمْ ﴾ للإشارة إلى أنهم في دينهم تابعون للهوى نابذون لدليل

العقل، وفي هذا تجهيل لهم في إقامة دينهم على أصل هش لا أساس له سوى التشهي والهوى.

❊❊❊❊

﴿ ۞ وَعِندَهُۥ مَفَاتِحُ ٱلْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَآ إِلَّا هُوَ ۚ وَيَعْلَمُ مَا فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ ۚ وَمَا تَسْقُطُ مِن وَرَقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا وَلَا حَبَّةٍ فِى ظُلُمَٰتِ ٱلْأَرْضِ وَلَا رَطْبٍ وَلَا يَابِسٍ إِلَّا فِى كِتَٰبٍ مُّبِينٍ ﴿٥٩﴾ ﴾

السؤال الأول:

ما دلالة تقديم ﴿وَعِندَهُۥ﴾ في قوله تعالى ﴿وَعِندَهُۥ مَفَاتِحُ ٱلْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَآ إِلَّا هُوَ ۚ وَيَعْلَمُ مَا فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ ۚ وَمَا تَسْقُطُ مِن وَرَقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا وَلَا حَبَّةٍ فِى ظُلُمَٰتِ ٱلْأَرْضِ وَلَا رَطْبٍ وَلَا يَابِسٍ إِلَّا فِى كِتَٰبٍ ﴿٥٩﴾﴾؟

الجواب:

هذا تقديم الخبر إذا كان المبتدأ معرفة و﴿مَفَاتِحُ ٱلْغَيْبِ﴾ معرفة؛ لأنها عُرِّفت بالاضافة إلى معرفة، فلا يجوز الابتداء بالنكرة، ومثل هذا التقديم أي تقديم الخبر على المبتدأ، وتقديم المعمول على العامل أكثر وأهمّ غرض له هو التخصيص والحصر. ومعنى الآية: أنّ مفاتح الغيب عند الله تعالى حصراً، وليس هناك ذات أخرى عندها مفاتح الغيب، فهذا تقديم للحصر والقصر.

في اللغة يمكن أن تقول: عنده كتاب، وهذا يعني أنّ عنده كتاباً وقد يكون عند غيره كتاب، أما إذا قلنا: عنده الكتاب، أي: ليس الكتاب عند أحد آخر إلا عنده. ومثل ذلك قوله تعالى ﴿إِيَّاكَ نَعۡبُدُ وَإِيَّاكَ نَسۡتَعِينُ ۝٥﴾ [الفاتحة:٥].

السؤال الثاني:

ما دلالة قوله تعالى في الآية ﴿وَعِندَهُۥ مَفَاتِحُ ٱلۡغَيۡبِ﴾؟ وما معنى مفاتح؟

الجواب:

١ـ مفاتح: هي جمع (مِفْتَح) وهو آلة الفتح، وآلة الفتح هي المفتاح، أو جمع: (مَفْتَح) وهو الشيء الذي يقع عليه الفتح مثل الخزانة .

وكلا المعنيين مراد، فالله سبحانه يملك المفاتيح التي تفتح على الغيب، والمراد بذلك علم الله بالغيب، وهو أيضاً الذي عنده خزائن الغيب والمراد به القدرة على سائر الممكنات، وكلا الأمرين لا زمان له، والخزائن لا يوضع فيها إلا كل نفيس، وهو مخزون لأوانه ولكل خزانة مفتاح .

٢ـ والله سبحانه أخبرنا في هذه الآية أنه يعلم أوقات تحركات كل ورقة من أية شجرة، وعن الحبة في باطن الأرض وأحوالها، وعن كل رطب ويابس، وهذا يدل على كمال الإحاطة والعلم، فضلاً على أنّ هذه الأمور لا يترتب عليها ثواب ولا عقاب، فكيف بالأمور التي يترتب عليها الثواب والعقاب؟ !!! لا بد أنه سبحانه يعلمها ويعلم تفاصيلها.

ونلاحظ في الآية أنّ الله تعالى:

ـ قدّم ذكر البر على البحر؛ لأنّ الإنسان شاهد أحوال البر وما فيه أكثر من البحر وما فيه.

ـ وقوله: ﴿وَعِندَهُۥ مَفَاتِحُ ٱلْغَيْبِ﴾ يفيد الحصر، أي: عنده لا عند غيره.

ـ وقوله: ﴿إِلَّا فِى كِتَٰبٍ مُّبِينٍ ﴿٥٩﴾﴾ فهو علم الله تعالى وقد كتب هذه الأحوال في اللوح المحفوظ.

السؤال الثالث:

ما دلالة هذه الآية؟

الجواب:

١ـ المعنى أنه أية ورقة وأية حبة في هذا الكون سواء خلقت في الماضي أم الحاضر أم المستقبل يعلم الله سبحانه حركتها؛ ولذلك جاءت هاتان الكلمتان في الآية على شكل نكرة (ورقة، حبة) .

وعلم الله سبحانه بحركتهما علم مستمر وموجود دائماً، سواء وجدتا في عالم المادة والمكان والزمان أم قبل وجودهما أم بعد خروجهما من هذا العالم ولذلك عبّر القرآن عن ذلك بصيغة الاستمرارية (تسقط، يعلم).

وعلم الله سبحانه يحيط بكل مكان وزمان في الوقت نفسه؛ لأنّ وجود الله تعالى ليس مقيداً في مكان محدد ولا زمان محدد .

٢ـ الله سبحانه وتعالى يحيط بكل مكان وزمان، وهو يرى الكون مكاناً وزماناً من لحظة ميلاده إلى نهايته دفعة واحدة، ويرى انسياب الزمن بكل اتجاه، فلا فارق عنده في رؤية نتائج الأحداث سواء وُجدت مقدماتها في عالم المادة والمكان والزمان أم لم توجد. والله سبحانه أسمى من أن يشبه بأي شيء ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴿١١﴾﴾ [الشورى:١١].

﴿وَهُوَ ٱلَّذِى يَتَوَفَّىٰكُم بِٱلَّيْلِ وَيَعْلَمُ مَا جَرَحْتُم بِٱلنَّهَارِ ثُمَّ يَبْعَثُكُمْ فِيهِ لِيُقْضَىٰٓ أَجَلٌ مُّسَمًّى ۖ ثُمَّ إِلَيْهِ مَرْجِعُكُمْ ثُمَّ يُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٦٠﴾﴾

السؤال الأول:

قوله تعالى: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى يَتَوَفَّىٰكُم بِٱلَّيْلِ وَيَعْلَمُ مَا جَرَحْتُم بِٱلنَّهَارِ ثُمَّ يَبْعَثُكُمْ فِيهِ لِيُقْضَىٰٓ أَجَلٌ مُّسَمًّى ۖ ثُمَّ إِلَيْهِ مَرْجِعُكُمْ ثُمَّ يُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٦٠﴾﴾ فهل كلمة (جرحتم) هي من الجرح أم من الألم؟ أو ما مدلولها في اللغة العربية؟

الجواب:

من معاني الجرح (الفعل)، الجرح هو الشقّ بالسيف أو الآلة، والجوارح هي اليدان والرجلان، وسميت الجوارح؛ لأنه يجرح بهما الخير والشر ويكتسب بهما. الجوارح هي الأعضاء العامة. ما جرحتم، أي: ما عملتم، ما كسبتم. واجترحوا السيئات: أي: اكتسبوها وفعلوها.

السؤال الثاني:

قوله تعالى ﴿وَيَعۡلَمُ مَا جَرَحۡتُم بِٱلنَّهَارِ﴾ لِمَ خص الله تعالى علمه بما يكسبه العبد في النهار دون الليل؟

الجواب:

وقع الاقتصار على الإخبار بعلمه تعالى بما يكسب الإنسان في النهار دون الليل مراعاة للغالب؛ لأنّ النهار هو وقت أكثر الأعمال والاكتساب، وفي الإخبار بأنه يعلم ما يقع فيه تحذير لنا من اكتساب ما لا يرضاه الله وفيه تهديد للكافرين.

السؤال الثالث:

ما دلالة هذه الآية؟

الجواب:

في قوله تعالى: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِي يَتَوَفَّىٰكُم بِٱلَّيۡلِ وَيَعۡلَمُ مَا جَرَحۡتُم بِٱلنَّهَارِ ثُمَّ يَبۡعَثُكُمۡ فِيهِ لِيُقۡضَىٰٓ أَجَلٞ مُّسَمّٗىۖ﴾ انتقال بديع وحجج دامغة لكل إنسان في هذا الوجود؛ فقد انتقل السياق القرآني من بيان سعة علمه تعالى إلى بيان عظمة قدرته، وقد جرت عادة القرآن بذكر دلائل الوحدانية في أنفس الناس، كما في قوله: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِي يَتَوَفَّىٰكُم بِٱلَّيۡلِ وَيَعۡلَمُ مَا جَرَحۡتُم بِٱلنَّهَارِ﴾ عقب ذكر دلائل الوحدانية في الآفاق.

السؤال الرابع:

قوله تعالى: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِي يَتَوَفَّىٰكُم بِٱلَّيۡلِ﴾ ما معنى الوفاة في آيات القرآن الكريم؟

الجواب:

الوفاة في القرآن جاءت بثلاثة معانٍ هي:

١ـ وفاة النوم: قال تعالى: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى يَتَوَفَّىٰكُم بِٱلَّيْلِ﴾ [الأنعام:٦٠].

٢ـ وفاة الموت: قال تعالى: ﴿ٱللَّهُ يَتَوَفَّى ٱلْأَنفُسَ حِينَ مَوْتِهَا وَٱلَّتِى لَمْ تَمُتْ فِى مَنَامِهَا فَيُمْسِكُ ٱلَّتِى قَضَىٰ عَلَيْهَا ٱلْمَوْتَ وَيُرْسِلُ ٱلْأُخْرَىٰٓ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٤٢﴾﴾ [الزُّمَر:٤٢].

٣ـ وفاة الرفع: قال تعالى: ﴿يَٰعِيسَىٰٓ إِنِّى مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ إِلَىَّ﴾ [آل عمران:٥٥].

فالوفاة من معانيها الموت، لكن ليس حصراً هذا المعنى.

والتَّوَفِّي: هو قبض الروح، والرفع هو رفع الجسم الحي.

ومعنى الوفاة أي: تمام الشيء، كاستيفاء المال، أو قولك: توفيتُ مالَ فلان، أي: قبضته، ووفى فلان عمله، أي: أتمه.

فقوله تعالى: ﴿إِنِّى مُتَوَفِّيكَ﴾ أي: إني أنهي عملك عند هذه المرحلة وإني طالبك إليّ تاماً، أي: جسداً وروحاً؛ لأنك في الأرض عرضة لأغيار البشر من البشر، لكني سآتي بك إلى مكان تكون خالصاً لي وحدي، لقد أخذتك من البشر تاماً، أي: أنّ الروح في جسدك بكل مواصفاته، فالذي يقدرون عليه من هدم البنية لن يتمكنوا منه.

إذن فقول الحق: ﴿وَرَافِعُكَ إِلَىَّ﴾ يأتي مستقيماً مع قول الحق: ﴿مُتَوَفِّيكَ﴾ أي: أنّ الله أنهى عمله آنذاك أي بعد تمام مهمته ورفعه الله إليه؛ ليطهره من خبث الذين كفروا .

والبعض يظن أنّ الرفع تبرئة من الموت، لا؛ لأنّ عيسى عليه السلام سينزل إلى الأرض مرة أخرى في آخر الزمن، كما جاء في الحديث الذي رواه البخاري ومسلم «**كيف أنتم إذا نزل ابن مريم فيكم وإمامكم منكم**» وبعد نزوله سيموت مثل باقي البشر.

السؤال الخامس:

قوله تعالى في الآية ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى يَتَوَفَّىٰكُم بِٱلَّيۡلِ﴾ أي: وفاة النوم. فما النوم؟ وما شبه النوم بالوفاة؟

الجواب:

النوم ليس عملية اختيارية، بل هو عملية قسرية يخلقها الله في الإنسان لتردعه عن الحركة بعد أنْ يستنفد كل قدرته على التحرك، وفي بعض الأحيان نرى من يسلط الله عليه الهموم، فلا يعرف النوم طريقاً إلى جفونه.

والنوم نعمة من الله جعلها في التكوين الذاتي للإنسان؛ ولذلك إذا أردت أن تنام فليس ذلك بمقدورك، ولكنه بمقدور الحق عز وجل، وقيل: عن النوم: ضيف إن طلبته عنّتك، أي: أتعبك، وإن طلبك أراحك، ويأتي النوم للمتعب ولو نام على الحصى، وقد لا يأتي النوم لمن يتهيأ له، ولو كان على فراش من حرير.

والنوم آية من آيات الله، ولا يأتي النوم بالليل فقط، ولكن يأتي بالنهار أيضاً؛ لأنّ هناك أعمالاً تتطلبها حركة الوجود ويقوم بها أناس في أثناء الليل؛ لذلك ينامون في النهار.

ولكن لماذا جعل الحق النوم كالوفاة؟

١ـ الوفاة هي فصل الروح عن الجسد، وكأنّ الحق يقول لنا: إياكم أن تظنوا أنّ وجود الروح في الجسد هو الذي يعطي للإنسان الحياة والحركة والتصرف، لا، إنني سأحتفظ بالروح في الجسد ولا أقدره على التصرف الاختياري؛ وذلك حتى لا تفتتنوا في الروح، وهناك أجهزة أخرى لا دخل لاختيارك فيها مثل نبض القلب والتنفس وغير ذلك، وعندما ينام الإنسان تعجز الروح عن الحركة الاختيارية، فتقطع هذه الحركة الاختيارية، وتبقى الحركات الاضطرارية .

٢ـ لذلك سمى الحق النوم وفاة والاستيقاظ بعثاً، وعندما يشل الله الجوارح ويمنعها من الحركة ينام الإنسان، وعندما يأخذ الروح ويمسكها يحدث الموت، ولذلك للنوم قانون، ولليقظة قانون، وللموت قانون، ولكلٍ قانون وقواعد.

٣ـ ومن هنا نرى أنّ الله تعالى دبّر تعلق جوهر النفس وهي الروح بالجسد على ثلاثة أوجه:

ـ أنْ يقع ضوء النفس على جميع أجزاء البدن ظاهره وباطنه، وذلك هواليقظة.

ـ أنْ يرتفع ضوء النفس عن ظاهر البدن من بعض الوجوه دون باطنه وذلك هو النوم.

ـ أنْ يرتفع ضوء النفس عن البدن بالكلية فذلك الموت.

إذن الله يتوفانا بالليل ويعلم ما جرحنا في النهار، أي: ما اكتسبنا، والمراد منه أعمال الجوارح، كما في قوله تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ ٱجۡتَرَحُواْ ٱلسَّيِّـَٔاتِ﴾ [الجاثية:٢١] والكسب أكثر ما يكون

بالنهار؛ لأنه زمان حركة الإنسان؛ ولذلك عمم النهار، والله يعلم ما جرحنا بالنهار والليل وليس النهار فقط، ثم يرسلنا إلى أجل يعلمه سبحانه إلى أنْ نبلغ آجالنا، ثم يبعثنا في يوم القيامة لينبئنا بكل أعمالنا.

وكان الرسول ﷺ يقول للمشركين: «**إني نذير لكم بين يدي عذاب شديد، إنكم لتموتن كما تنامون ولتبعثن كما تستيقظون ولتجزون بالإحسان إحساناً وبالسوء سوءاً، وإنها لجنة أبداً أو لنار أبداً**»

❁❁❁❁

﴿ وَهُوَ ٱلْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِۦ ۖ وَيُرْسِلُ عَلَيْكُمْ حَفَظَةً حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَ أَحَدَكُمُ ٱلْمَوْتُ تَوَفَّتْهُ رُسُلُنَا وَهُمْ لَا يُفَرِّطُونَ ﴿٦١﴾ ﴾

السؤال الأول:

ما الفرق بين ﴿يَتَوَفَّى﴾ و ﴿جَآءَ أَحَدَهُمُ ٱلْمَوْتُ﴾؟

الجواب:

١ـ الموت ليس هو الذي يأخذ الروح، لكن الموت إيذان بانتهاء العمر، فعندما لا يبقى لهذا الإنسان من عمره شيء فهو ميّت. والله الذي يتوفى هذه الأنفس ﴿وَهُوَ ٱلْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِۦ ۖ وَيُرْسِلُ عَلَيْكُمْ حَفَظَةً حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَ أَحَدَكُمُ ٱلْمَوْتُ تَوَفَّتْهُ رُسُلُنَا وَهُمْ لَا يُفَرِّطُونَ ﴿٦١﴾﴾ فتأتي الملائكة و تأخذ الروح، لكنّ هذه الملائكة ليست هي التي تتوفى الأنفس؛ لأن ﴿ٱللَّهُ يَتَوَفَّى ٱلْأَنفُسَ حِينَ مَوْتِهَا وَٱلَّتِى لَمْ تَمُتْ فِى مَنَامِهَا ۖ﴾ [الزُّمَر:٤٢] فالنسبة الحقيقية؛ أي الفاعل الحقيقي لهذا التوفي هو الله سبحانه وتعالى، والملائكة وسيلة، والموت سبب.

والموت نهاية العمر فهو سبب الوفاة الظاهري، والذي يتوفى الأرواح الرسل من الملائكة بأمر من الله سبحانه وتعالى، فالذي يتوفى الأرواح على الحقيقة هو الله سبحانه وتعالى.

٢ـ ﴿جَآءَ﴾ ففيه معنى القرب الشديد وتحقق الوقوع، هذا الفعل استعمل في القرآن بهذه الصيغة.

قال تعالى في سورة الأنعام: ﴿وَهُوَ ٱلْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِۦ وَيُرْسِلُ عَلَيْكُمْ حَفَظَةً حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَ أَحَدَكُمُ ٱلْمَوْتُ تَوَفَّتْهُ رُسُلُنَا وَهُمْ لَا يُفَرِّطُونَ ﴿٦١﴾﴾ و مجيء الموت هنا معناه وصول عمر الحيّ إلى نهايته، فكأن الموت يخبر بهذه النهاية، وتقدير الكلام: إذا جاء قضاء الموت على الحيّ توفت روحه الملائكة أي: أخذتها وافية غير منقوصة. ﴿جَآءَ أَحَدَكُمُ ٱلْمَوْتُ﴾ أي: اقترب منه ووقع حدث الموت. واستوفت الملائكة روحه.

وفي سورة المؤمنون ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَ أَحَدَهُمُ ٱلْمَوْتُ قَالَ رَبِّ ٱرْجِعُونِ ﴿٩٩﴾﴾ قد يقول قائل: هو يتكلم وما أدركه الموت، كلا. الكافر يقول: رب ارجعون بعد قبض روحه، هو يريد أنْ يرجع إلى الدنيا بعد أنْ يخرج من الدنيا، فإذن هنا معناه ﴿جَآءَ أَحَدَهُمُ ٱلْمَوْتُ﴾ أي: اقترب منه وفارقته الروح، عند ذلك عندما يرى ما يرى من هول الحساب يبدأ يقول: رب ارجعون، فطلب الرجوع إنما يكون لمن فارق الحياة، وليس لمن هو في هذه الدنيا.

السؤال الثاني:

ما دلالة تقديم المفعول به مع ذكر الموت؟

الجواب:

انظر الجواب في آية البقرة ١٣٣.

السؤال الثالث:

ما دلالة إسناد كل من الفعل (جاء) والفعل (حضر) إلى الموت؟

الجواب:

انظر الجواب في آية البقرة ١٣٣.

❁❁❁❁

﴿قُلۡ مَن يُنَجِّيكُم مِّن ظُلُمَٰتِ ٱلۡبَرِّ وَٱلۡبَحۡرِ تَدۡعُونَهُۥ تَضَرُّعٗا وَخُفۡيَةٗ لَّئِنۡ أَنجَىٰنَا مِنۡ هَٰذِهِۦ لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلشَّٰكِرِينَ ﴿٦٣﴾﴾

السؤال الأول:

لماذا ذكر (الخوف والخيفة) في آيتي الأعراف ٥٥ـ ٢٠٥ ﴿تَضَرُّعٗا وَخِيفَةٗ﴾ ولم يذكره في آية الأنعام ٦٣ وإنما قال ﴿تَضَرُّعٗا وَخُفۡيَةٗ﴾ والخُفية نقيض الجهر؟

الجواب:

١ـ الدعاء والذكر المذكوران في آيتي الأعراف[٥٥ـ٢٠٥]إنما هما في مقام العبادة، والخوف المذكور فيهما إنما هو الخوف من الله تعالى دعاء وذكراً

٢ـ وأما آية الأنعام٦٣: فهي في مقام الخوف مما قد يحيط بالناس في ظلمات البر والبحر، فلو ذكر الخوف لانصرف إلى هذه الأمور المخوفة، ولم ينصرف إلى الخوف من الله تعالى.

والخوف في مثل هذه المواطن مما يعتري النفس البشرية، وهذا ظاهر معلوم وقد بينت الآية تضرعهم وتذللهم إلى الله وطلب النجاة، وقال القرآن بعدها: ﴿قُلِ ٱللَّهُ يُنَجِّيكُم مِّنْهَا وَمِن كُلِّ كَرْبٍ﴾ فاتضح الفرق بين الموضعين؛ فناسب كل تعبير موضعه. والله أعلم.

❊❊❊❊

﴿قُلْ هُوَ ٱلْقَادِرُ عَلَىٰٓ أَن يَبْعَثَ عَلَيْكُمْ عَذَابًا مِّن فَوْقِكُمْ أَوْ مِن تَحْتِ أَرْجُلِكُمْ أَوْ يَلْبِسَكُمْ شِيَعًا وَيُذِيقَ بَعْضَكُم بَأْسَ بَعْضٍ ۗ ٱنظُرْ كَيْفَ نُصَرِّفُ ٱلْـَٔايَٰتِ لَعَلَّهُمْ يَفْقَهُونَ ﴿٦٥﴾﴾

السؤال الأول:

قوله تعالى في آية الأنعام ٦٥ ﴿هُوَ ٱلْقَادِرُ﴾ وفي آية الأنعام ٣٧ ﴿قَادِرٌ عَلَىٰٓ أَن يُنَزِّلَ﴾ وقوله في آية يس ٨١ ﴿بِقَـٰدِرٍ﴾ بزيادة (الباء)، فما السبب؟

الجواب:

انظر الجواب في آية الأنعام ٣٧.

السؤال الثاني:

قدّم خسف الأرض على إرسال الحاصب في آية الملك [١٦ـ١٧]، وأخّر عذاب الأرض عما يأتي من السماء في آية الأنعام ٦٥، فما السبب؟

الجواب:

١ ـ في آية الملك: قدّم خسف الأرض على إرسال الحاصب؛ ذلك أنّ آية الملك تقدمها الآية ١٥: ﴿هُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ ذَلُولًا فَٱمْشُوا۟ فِى مَنَاكِبِهَا وَكُلُوا۟ مِن رِّزْقِهِۦ﴾ [المُلك:١٥] فكان من المناسب في الموعظة تذكيرهم بخسفها من تحتهم.

٢ ـ أما آية الأنعام ٦٥ فتقدمها قوله تعالى: ﴿وَهُوَ ٱلْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِۦ وَيُرْسِلُ عَلَيْكُمْ حَفَظَةً حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَ أَحَدَكُمُ ٱلْمَوْتُ تَوَفَّتْهُ رُسُلُنَا وَهُمْ لَا يُفَرِّطُونَ ﴿٦١﴾﴾ فصَرفَ هذا الخطاب تفكرَ النفس في عين الجهة التي ذكر منها القهر، وكان أنسب شيء ذكر التخويف من تلك الجهة بخلاف آية الملك.

٣ ـ مما زاد ذلك حسناً قوله تعالى: ﴿وَيُرْسِلُ عَلَيْكُمْ حَفَظَةً﴾ [الأنعام:٦١] والحفظة هم الملائكة ومسكنهم في السماء، وربنا يرسلهم من فوق؛ فناسب تقديم هذه الجهة.

❁❁❁❁

﴿وَكَذَّبَ بِهِۦ قَوْمُكَ وَهُوَ ٱلْحَقُّ ۚ قُل لَّسْتُ عَلَيْكُم بِوَكِيلٍ ﴿٦٦﴾﴾

السؤال الأول:

ما الفرق بين ﴿وَمَآ أَنَا۠ عَلَيْكُم بِوَكِيلٍ ﴿١٠٨﴾﴾ في آية يونس ١٠٨ و﴿لَّسْتُ عَلَيْكُم بِوَكِيلٍ﴾ في آية الأنعام ٦٦؟ وما الفرق في الاستعمال بين (ليس و ما)؟

الجواب:

١ـ (ليس عليكم) جملة فعلية، والقاعدة العامة أنّ الجملة الاسمية أقوى من الفعلية؛ لأنها دالة على الثبوت؛ لأنّ الاسم يدل على الثبوت والفعل يدل على الحدوث والتجدد، والوصف بالاسم أقوى وأدوم من الوصف بالفعل. قال تعالى: ﴿قُل لَّسْتُ عَلَيْكُم بِوَكِيلٍ ﴿٦٦﴾﴾ وقال: ﴿وَمَآ أَنَا۠ عَلَيْكُم بِوَكِيلٍ ﴿١٠٨﴾﴾ [يونس:١٠٨] إذن هناك فرق، وللنفي درجات ودلالات.

٢ـ الفعل(ليس)وحرف النفي (ما) ليسا متماثلين في النفي تماماً، بل إنّ الحرف: (ما) أقوى في النفي من(ليس) للأسباب التالية:

أـ جملة ليس جملة فعلية، بينما جملة ما جملة اسمية، والجملة الاسمية أقوى وأثبت من الجملة الفعلية .

ب ـ وردت (ليس) في القرآن الكريم في ٤١ موضعاً اسمها نكرة لم تدخل (من) الزائدة على موطن واحد منها، بل كلها مجردة منها.

في حين وردت (ما) في القرآن في(٩١) موضعاً مرفوعها نكرة كلها دخلت عليها (من) الزائدة الدالة على الاستغراق والتوكيد، كما في قوله تعالى ﴿مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥٓ﴾ وكما في الآيات:[الأنعام ٥١ ـ ٧٠ ـ الأحقاف ٣٢ ـ الرعد ١١ ـ ٣٧ ـ البقرة ١٠٧ ـ ١٢٠ ـ التوبة ١١٦ ـ العنكبوت ٢٢ ـ الشورى ٣١].

٣ـ ورد خبر ما مقترناً بالباء الزائدة الدالة على التوكيد في ٧٦ موضعاً، وفي ثلاثة مواضع غير مقترن بالباء: [يوسف ٣١ ـ المجادلة ٢ ـ الحاقة ٤٧].

انظر الجدول التالي:

فعل النفي	خبر (ما) مقترن بالباء الزائدة	خبر (ما) غير مقترن بالباء الزائدة
ما	٧٦ موضعاً	٣ مواضع
ليس	٢٣ موضعاً	٥ مواضع

٤ـ إنّ الجمل التي تحتاج إلى توكيدٍ كثيرٍ استعملها القرآن منفية بـ (ما) كقوله تعالى: ﴿مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥٓ﴾ [هود:٥٠]، ولم يرد مثل هذا التعبير في القرآن منفياً بليس، وهنا في الآية من أهم المواطن التي تحتاج إلى التوكيد؛ لأنه في نفي الشرك، قارن بين الآيتين التاليتين:

ـ ﴿وَكَذَّبَ بِهِۦ قَوْمُكَ وَهُوَ ٱلْحَقُّ ۚ قُل لَّسْتُ عَلَيْكُم بِوَكِيلٍ ﴿٦٦﴾﴾ [الأنعام:٦٦].

ـ ﴿وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَآ أَشْرَكُوا۟ ۗ وَمَا جَعَلْنَٰكَ عَلَيْهِمْ حَفِيظًا ۖ وَمَآ أَنتَ عَلَيْهِم بِوَكِيلٍ ﴿١٠٧﴾﴾ [الأنعام:١٠٧].

أمثلة أخرى: الآيات:[الزمر ٤١ ـ الشورى ٦ ـ يونس ١٠٨].

٥ـ وردت (ما) في جواب القسم الذي يعني التوكيد، ولم ترد (ليس) في القرآن الكريم جواباً للقسم البتة، فدلّ ذلك على أن (ما) آكد من (ليس).

انظر الآيات:[البقرة ١٢٠ ـ المائدة ٢٨ ـ الرعد ٣٧ ـ القلم ١ ـ ٢].

السؤال الثاني:

في الآية السابقة قال تعالى: ﴿لَعَلَّهُمْ يَفْقَهُونَ ﴿٦٥﴾﴾ فكان السياق يؤذن أن يقول: (كذبوا وهو الحق)، فلم عدل عن المضمر (كذبوا) إلى إظهار كلمة ﴿قَوْمُكَ﴾؟

الجواب:

إنّ التعبير عن المكذبين بقوله ﴿قَوۡمُكَ﴾ تسجيل عليهم لسوء معاملتهم لمن هو من أنفسهم ومن بين ظهرانيهم، ألا ترى أنّ ظلم ذوي القربى أشد إيلاماً ولذلك قال طرفة بن العبد:

وظلـمُ ذوي القربـى أشـد مضاضـةً ... عـلى المـرء مـن وقـع الحسـام المهنَّـدِ

❋❋❋❋

﴿لِّكُلِّ نَبَإٖ مُّسۡتَقَرّٞۚ وَسَوۡفَ تَعۡلَمُونَ ٦٧﴾

السؤال الأول:

ما الفرق بين (الخبر والنبأ والحديث والقصص)؟

الجواب:

النبأ:

النبأ هو الخبر العظيم المدهش المهم، ويكون للإخبار بما لا يعلمه المُخْبَر.

الخبر:

الخبر هو الخبر العادي، ويحتمل الصدق والكذب، ويكون من نفسك ومن غيرك؛ ولذلك ليس كل خبر نبأ.

الحديث:

الأصل أنْ تخبر به عن نفسك، وسمي حديثاً؛ لأنه حدث لك فحدثت به، ثم كثر استعمال الخبر والحديث، وسمي كل واحد باسم الآخر، فقيل للحديث خبر وللخبر حديث. والحديث يكون قصيراً وطويلاً، فإذا طال سمي قصصاً.

القصص:

هو الحديث الطويل عن سلف، ولا يقال لله قاص؛ لأنّ الوصف بذلك قد صار علماً لمن يتخذ القصص صناعة، كما في قوله تعالى: ﴿وَكُلًّا نَّقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنۢبَآءِ ٱلرُّسُلِ﴾ [هود:١٢٠].

وأصل القصص هو اتباع الشيء ﴿وَقَالَتْ لِأُخْتِهِۦ قُصِّيهِ﴾ [القصص:١١].

❋❋❋❋

﴿وَمَا عَلَى ٱلَّذِينَ يَتَّقُونَ مِنْ حِسَابِهِم مِّن شَىْءٍ وَلَٰكِن ذِكْرَىٰ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ ﴿٦٩﴾﴾

السؤال الأول:

ما دلالة تكرار لفظ التقوى في آية الأنعام ٦٩؟

الجواب:

١ـ قال ابن عباس: قال المسلمون لئن كنا كلما استهزأ المشركون بالقرآن وخاضوا فيه قمنا عنهم لما قدرنا أنْ نجلس في المسجد الحرام وأنْ نطوف بالبيت، فنزلت هذه الآية وحصلت تلك الرخصة للمؤمنين بأن يقعدوا معهم ويذكّرونهم.

٢ـ تكررت كلمة ﴿يَتَّقُونَ﴾ مرتين، والأولى بمعنى: الذين يتقون الله في أوامره ونواهيه ويتقون الشرك والكبائر، والثانية بمعنى: يتقون الاستهزاء والتكذيب من المشركين.

٣ـ المعنى العام للآية: ما على الذين يتقون الله في أوامره ونواهيه من حساب الكفار فيما فعلوه من الاستهزاء والتكذيب مآثم يؤاخذون بها، ولكنْ عليهم أن يذكِّروهم بالله وآياته لعلهم يتقون ما هم عليه من الاستهزاء والتكذيب.

٤ـ قوله تعالى: ﴿ذِكْرَىٰ﴾ قد تكون في محل رفع بتقدير: (ولكن عليكم ذكرى) أو في محل نصب بتقدير: (ذكروهم ذكرى لعلهم يتقون) أي: لعلّ تلك الذكرى تؤثر بهم وتمنعهم من الخوض في القرآن وغيره إكراماً للجليس. والله أعلم.

❊❊❊❊

﴿وَذَرِ ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ دِينَهُمْ لَعِبًا وَلَهْوًا وَغَرَّتْهُمُ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا ۚ وَذَكِّرْ بِهِۦٓ أَن تُبْسَلَ نَفْسٌۢ بِمَا كَسَبَتْ لَيْسَ لَهَا مِن دُونِ ٱللَّهِ وَلِىٌّ وَلَا شَفِيعٌ وَإِن تَعْدِلْ كُلَّ عَدْلٍ لَّا يُؤْخَذْ مِنْهَآ ۗ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ أُبْسِلُواْ بِمَا كَسَبُواْ ۖ لَهُمْ شَرَابٌ مِّنْ حَمِيمٍ وَعَذَابٌ أَلِيمٌۢ بِمَا كَانُواْ يَكْفُرُونَ ﴿٧٠﴾﴾

السؤال الأول:

ما الفرق بين النفيين في آيتي الأنعام ٥١ـ ٧٠ ﴿لَيْسَ لَهُم مِّن دُونِهِۦ وَلِىٌّ﴾ و﴿لَيْسَ لَهَا مِن دُونِ ٱللَّهِ وَلِىٌّ وَلَا شَفِيعٌ﴾ [الأنعام:٧٠] حيث نفى بـ ﴿لَيْسَ﴾ والنفى بـ ﴿مَا﴾ في آية السجدة٤ ﴿مَا لَكُم مِّن دُونِهِۦ مِن وَلِىٍّ﴾ وجاء معها بـ ﴿مِّن﴾؟

الجواب:

انظر الجواب في آية الأنعام ٥١.

❁❁❁❁

﴿ قُلْ أَنَدْعُواْ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَنفَعُنَا وَلَا يَضُرُّنَا وَنُرَدُّ عَلَىٰٓ أَعْقَابِنَا بَعْدَ إِذْ هَدَىٰنَا ٱللَّهُ كَٱلَّذِى ٱسْتَهْوَتْهُ ٱلشَّيَٰطِينُ فِى ٱلْأَرْضِ حَيْرَانَ لَهُۥٓ أَصْحَٰبٌ يَدْعُونَهُۥٓ إِلَى ٱلْهُدَى ٱئْتِنَا ۗ قُلْ إِنَّ هُدَى ٱللَّهِ هُوَ ٱلْهُدَىٰ ۖ وَأُمِرْنَا لِنُسْلِمَ لِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٧١﴾ ﴾

السؤال الأول:

ما دلالة قوله تعالى في الآية ﴿وَنُرَدُّ عَلَىٰٓ أَعْقَابِنَا﴾؟

الجواب:

الأعقاب جمع عقب، وهو مؤخر القدم وعقب كل شيء آخره. فإذا قلت عن رجل: إنه رجع على عقبيه أو نكص على عقبيه، فقد قصدت بأنه رجع إلى المكان الذي جاء منه، ولكن عبارة ﴿وَنُرَدُّ عَلَىٰٓ أَعْقَابِنَا﴾ تمثل عودة الإنسان للتلبس في حالة ذميمة كان قد فارقها ثم عاد إليها؛ ولذلك لا نقول عن رجل حج بيت الله: رجع على عقبيه.

وهذه الآية تمثل حال المرتد إلى الشرك بعد أنْ أسلم بحال من خرج في شأن مهم، فرجع على عقبيه ولم يقض ما خرج له، وهذا التصور أبلغ في تمثيل سوء الحالة من أن يقال: نرجع إلى الكفر من بعد الإيمان.

السؤال الثاني:

ما دلالة هذا التمثيل البديع في الآية ﴿كَالَّذِي اسْتَهْوَتْهُ الشَّيَاطِينُ فِي الْأَرْضِ حَيْرَانَ لَهُ أَصْحَابٌ يَدْعُونَهُ إِلَى الْهُدَى ائْتِنَا﴾؟

الجواب:

انظر إلى هذا الإيجاز البديع وهذا التصوير الذي يجعلك أمام مشهد تمثيلي شاخص وكأنك تبصره، فالله يصور في هذا التمثيل العجيب حالة مَن رَضي ارتداده إلى ضلالة الشرك بعد هدى الإسلام وأذعن لدعوة المشركين وهجر أصحابه المسلمين الذين يحوطونه بالرعاية، شبّه حاله هذه بحال من فسد عقله باستهواءٍ من الشياطين فَتاهَ في الأرض بعد أنْ كان عاقلاً عارفاً بمسالكها، انظر إلى هذا المشهد، فقد اشتمل على تصاوير عدة: فقد شبّه المرتدين عن الإيمان بمن فقد عقله فجُنّ، وشبّه الكافر بالهيام في الأرض وشبّه المشركين الذين يفتنون المرء عن دينه بالشياطين، وشبّه دعوة الله وملائكته للإيمان بالأصحاب الذين يدعون إلى الهدى.

السؤال الثالث:

ما دلالة ضمير الفصل (هُوَ) في آية البقرة ١٢٠، قوله تعالى: ﴿إِنَّ هُدَى اللَّهِ هُوَ الْهُدَى﴾ بينما قال في آية آل عمران ٧٣: ﴿إِنَّ الْهُدَى هُدَى اللَّهِ﴾ وفي آية الأنعام ٧١ ﴿إِنَّ هُدَى اللَّهِ هُوَ الْهُدَى﴾؟

الجواب:

انظر الجواب في آية البقرة ١٢٠ .

﴿ وَأَنْ أَقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَٱتَّقُوهُ ۚ وَهُوَ ٱلَّذِىٓ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ ﴿٧٢﴾ ﴾

السؤال الأول:

ما دلالة قوله تعالى في الآية ﴿وَأَنْ أَقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَٱتَّقُوهُ ۚ﴾؟

الجواب:

أمرنا الله في هذه الآية بثلاثة أشياء:

١ـ أن نسلم لرب العالمين، وهذا في آخر الآية السابقة، أي: نفعل ما يريد وننتهي عما ينهى عنه؛ لتأتي حركتنا طبقاً لما رسم في ضوء: افعل ولا تفعل.

٢ـ نقيم الصلاة، وهذا سيد الأفعال.

٣ـ نتقي الله بترك المحارم .

وبعد ذلك هناك غاية، وهي: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِىٓ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ ﴿٧٢﴾﴾ أي: أنك ستصير إلى من يحاسبك، فإنْ كنت لا تأخذ أمور الإيمان لصلاحية حياتك فخذها خوفاً من الجزاء والعقاب.

❁❁❁❁

﴿ ۞ وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِيمُ لِأَبِيهِ ءَازَرَ أَتَتَّخِذُ أَصْنَامًا ءَالِهَةً ۖ إِنِّىٓ أَرَىٰكَ وَقَوْمَكَ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٧٤﴾ ﴾

السؤال الأول:

ليس من عادة القرآن التعرض لذكر أسماء غير الأنبياء، فلِمَ ذكر اسم آزر والد إبراهيم دون غيره؟

الجواب:

إنّ اسم آزر فيه قراءتان: فقد قرأ الجمهور (آزرَ) بفتح الراء، وقرأ يعقوب بضمّها، وعلى قراءة الضم فآزر منادى، فكأن إبراهيم يقول: يا آزرُ أتتخذ أصناماً آلهة؟ ولذلك فإنّ ذكر اسم أبيه فيه غلظة لما بدا منه من تصلب في الشرك وإصرار على غِيِّه، وهذا الأسلوب لا شك أنّ إبراهيم عليه السلام سلكه استقصاء لأساليب الموعظة؛ لعلّ بعضها أنْ يكون أنجع في نفس أبيه من بعض، فقد سلك معه من قبل أسلوب اللين واللطف ﴿قَالَ سَلَٰمٌ عَلَيۡكَۖ سَأَسۡتَغۡفِرُ لَكَ رَبِّيٓۖ إِنَّهُۥ كَانَ بِي حَفِيّٗا ٤٧﴾ [مريم:٤٧].

❊❊❊❊

﴿وَكَذَٰلِكَ نُرِيٓ إِبۡرَٰهِيمَ مَلَكُوتَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَلِيَكُونَ مِنَ ٱلۡمُوقِنِينَ ٧٥﴾

السؤال الأول:

ما الفرق بين الملك والملكوت؟

الجواب:

١ـ المُلك هو ما تشاهده أمامك، والملكوت هو ما وراء هذا المُلك، والملكوت صيغة مبالغة في المُلك، مثل: رحمة ورحموت، وعالم الملكوت يصحح الأمور الشاذة في عالم المُلك، كما في الأمور بين موسى عليه السلام والخضر في مسألة السفينة والغلام والجدار.

٢ـ كلمة المُلك والملكوت من اشتقاق واحد، وهناك قاعدة في اللغة تتمثل في أنّ زيادة المبنى تؤدي إلى زيادة المعنى؛ لذلك كلمة الملكوت هي أوسع من كلمة المُلك، وبهذا المعنى استعملت في القرآن الكريم.

٣ـ المُلك قد يُوجه إلى عبد من عباد الله سبحانه وتعالى ﴿تُؤْتِي ٱلْمُلْكَ مَن تَشَآءُ﴾ [آل عمران:٢٦] ﴿وَءَاتُوهُم مِّن مَّالِ ٱللَّهِ ٱلَّذِىٓ ءَاتَىٰكُمْ﴾[النور:٣٣] لكن لم يرد في القرآن أنه أعطى الملكوت لبشر، فالملكوت مُلك الله خاصة، وهو أشمل من المُلك والمُلك داخل في الملكوت.

٤ـ الملكوت: يعني لغةً: العز والسلطان .

٥- الملكوت هو مُلك الله الخاص به، ولذلك قال في آية الأنعام:﴿نُرِىٓ﴾ أي: أنّ الله هو الذي أراه بعضه وليس كله فجعله يتفكر في السماوات والأرض .

٦ـ وردت كلمة (الملكوت) في القرآن أربع مرات، وليس فيها إشارة إلى إعطائها لأحد.

٧ـ كلمة (ملكوت) عربية على وزن رهبوت، أي: الرهبة العظيمة.

❁❁❁❁

﴿فَلَمَّا جَنَّ عَلَيْهِ ٱلَّيْلُ رَءَا كَوْكَبًا ۖ قَالَ هَٰذَا رَبِّى ۖ فَلَمَّآ أَفَلَ قَالَ لَآ أُحِبُّ ٱلْءَافِلِينَ ﴿٧٦﴾﴾

السؤال الأول:

إنّ إبراهيم عليه السلام كان عالماً أنّ الكواكب ليست إلا خلقاً من مخلوقات الله، فلِم قال: ﴿هَٰذَا رَبِّى﴾ ولم يقل بالتنكير: هذا رب؟

الجواب:

إنّ تعريف جزئي المبتدأ والخبر ﴿هَٰذَا رَبِّي﴾ [الأنعام:٧٦] يفيد القصر، بخلاف (هذا رب) الذي يدل على أنه ربه من بين الأرباب؛ ولذلك استعمل إبراهيم عليه السلام أسلوب القصر ﴿هَٰذَا رَبِّي﴾ [الأنعام:٧٦]؛ لأنه أراد استدراج قومه فابتدأه بإظهار أنه لا يرى تعدد الآلهة ليصل بهم إلى التوحيد، واستغل واحداً من معبوداتهم وهو الكوكب، ففرض استحقاقه الإلهية؛ لكي لا ينفروا من الإصغاء إلى استدلاله.

السؤال الثاني:

ما دلالة قوله تعالى في الآية ﴿رَءَا كَوْكَبًا قَالَ هَٰذَا رَبِّي﴾؟

الجواب:

تساءل العلماء كيف يقول إبراهيم عليه السلام ﴿هَٰذَا رَبِّي﴾ بجملة خبرية تحمل معنى الشرك، وهو الذي قال الله عنه: ﴿وَإِذِ ابْتَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ رَبُّهُ بِكَلِمَاتٍ فَأَتَمَّهُنَّ﴾ [البقرة:١٢٤]؟ وخاصة أنّ هذه الآية جاءت مباشرة بعد قوله تعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ نُرِي إِبْرَاهِيمَ مَلَكُوتَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلِيَكُونَ مِنَ الْمُوقِنِينَ ﴿٧٥﴾﴾ أي: أنه شاهد ملك الله في السماوات حتى رأى العرش والكرسي وما تحتهما إلى ما تحت الثرى، وجاء بعدها ﴿فَلَمَّا جَنَّ عَلَيْهِ اللَّيْلُ﴾ بالفاء التي تفيد التعقيب؟

لذلك من الخير أنْ نفهم هذه الكلمة بطريقة لا تخدش وفاءه الإيماني، ومن ذلك أنّ:

١ـ قومه كانوا يعبدون الكواكب وأراد إبراهيم عليه السلام أنْ يلفتهم إلى فساد هذه العقيدة، فلو استعمل معهم لغة الهجوم مثل: يا أهل الضلال يا كذابون، لما سمعوا له ولما اهتموا بأمره.

٢ـ لذلك استعمل إبراهيم عليه السلام معهم ما يسمى في الجدل بـ: مجاراة الخصم؛ ليستميل آذانهم وليعلموا أنه غير متحامل عليهم فيأخذ بأيديهم .

لذلك عندما قال لهم: ﴿هَٰذَا رَبِّي﴾ كأنه قال لهم: سلمنا جدلاً أنه ربكم، لكنه يأفل ويغيب عنكم، وبالتالي يكون هذا نوعاً من الإنكار أنْ يكون هذا الكوكب رباً، وقوله: ﴿لَآ أُحِبُّ ٱلْـَٔافِلِينَ ٧٦﴾ يعني أنه غير متعصب، لكنّ اعتبار هذا الكوكب رباً أمر غير منطقي.

٣ـ ثم استعمل معهم نفس الطريقة مع القمر والشمس، حتى وصل بهم بالمنطق إلى أنّ عبادة الكواكب لا تصلح، وأنّ هذه الربوبية للكواكب فاسدة.

٤ـ لذلك ألا يصح لإبراهيم أنْ يقول: هذا ربي، بما تحتمل من أساليب حتى ينجي أمة بأسرها من الشرك؟ !!!.

٥ـ وشبيه بذلك قول الحق عن نفسه﴿ وَيَوْمَ يُنَادِيهِمْ فَيَقُولُ أَيْنَ شُرَكَآءِيَ﴾ [القصص:٦٢] والله يعلم أنه لا شركاء له، ولكنّ الشركاء هم من زعم المشركين.

٦ـ وروي عن الرسول ﷺ أنه كان ينادي في بعض القوم: (يا إله الآلهة) لأنه كان يعلم أنّ قوماً قد ألهوا ظواهر طبيعية في الكون، فأراد أنْ ينبههم إلى أنّ هناك إلهاً حقاً واحداً.

٧ـ استعمل مع الشمس التذكير ﴿هَٰذَا رَبِّي﴾ مع أنّ الشمس مؤنثة، كما قال في الكوكب والقمر، فجعل الأمر على نسق واحد؛ ليشير إلى أنه لو تبدل الأمر من كوكب لآخر فهو حالة واحدة في التفكير، ولا يغير النتيجة تغيير الكوكب.

أو أراد أنْ ينزه كلمة الرب تنزيهاً مطلقاً عن أن تلحق بها علامة التأنيث؛ لأنّ التأنيث فرع التذكير، والشمس ليست مؤنثاً حقيقياً، بل هي مؤنث معنوي.

❁❁❁❁

﴿ فَلَمَّا رَءَا ٱلْقَمَرَ بَازِغًا قَالَ هَٰذَا رَبِّى ۖ فَلَمَّآ أَفَلَ قَالَ لَئِن لَّمْ يَهْدِنِى رَبِّى لَأَكُونَنَّ مِنَ ٱلْقَوْمِ ٱلضَّآلِّينَ ﴿٧٧﴾ ﴾

السؤال الأول:

قال تعالى: ﴿فَلَمَّا رَءَا ٱلْقَمَرَ بَازِغًا قَالَ هَٰذَا رَبِّى ۖ فَلَمَّآ أَفَلَ قَالَ لَئِن لَّمْ يَهْدِنِى رَبِّى لَأَكُونَنَّ مِنَ ٱلْقَوْمِ ٱلضَّآلِّينَ ﴿٧٧﴾﴾ ابتدأ سيدنا إبراهيم هذا الاستدلال بنفسه، فقال: ﴿لَئِن لَّمْ يَهْدِنِى رَبِّى﴾ فلم قال: ﴿لَأَكُونَنَّ مِنَ ٱلْقَوْمِ ٱلضَّآلِّينَ ﴿٧٧﴾﴾ ولم يقل: لأكونن ضالاً؟

الجواب:

تناسباً مع مبتدئه في هذا تعريض بقومه أنهم ضالون، وقد هيأهم قبل المصارحة بأنهم ضالون، فقوله: ﴿لَأَكُونَنَّ مِنَ ٱلْقَوْمِ ٱلضَّآلِّينَ﴾ يُدخل على نفوسهم الشك في معتقدهم أنْ يكون ضلالاً.

❁❁❁❁

﴿ فَلَمَّا رَءَا ٱلشَّمْسَ بَازِغَةً قَالَ هَٰذَا رَبِّى هَٰذَآ أَكْبَرُ ۖ فَلَمَّآ أَفَلَتْ قَالَ يَٰقَوْمِ إِنِّى بَرِىٓءٌ مِّمَّا تُشْرِكُونَ ﴿٧٨﴾ ﴾

السؤال الأول:

ما الفرق بين (البزوغ والطلوع والشروق)؟

الجواب:

١ـ البزوغ: هو أول الطلوع؛ ولهذا قال تعالى: ﴿فَلَمَّا رَءَا ٱلشَّمْسَ بَازِغَةً﴾ أي: لما رآها في أول أحوالها تفكّر فيها فوقع له أنها ليست بإله، ومن معاني البزوغ: البروز.

٢ـ الشروق هو الطلوع، والطلوع أعم، تقول: طلع الرجل ولا تقول شرق الرجل.

السؤال الثاني:

قوله تعالى في الآية: ﴿إِنِّي بَرِيٓءٌ مِّمَّا تُشْرِكُونَ ﴿٧٨﴾﴾ متى تستعمل: إنا وإننا، أو: إني وإنني؟

الجواب:

انظر الجواب في آية المائدة ٢٤.

السؤال الثالث:

جاء في آية الأنعام ٧٨ كلمة ﴿بَرِيٓءٌ﴾، وجاء في آية الزخرف ٢٦ لفظة: ﴿بَرَآءٌ﴾، فما دلالة ذلك؟

الجواب:

١ـ مقام سيدنا إبراهيم في آية الأنعام هو مقام الحيرة والبحث عن الحقيقة، بينما في آية الزخرف هو في مقام التبليغ، فقد أصبح نبياً مرسلاً من ربه أعلن حربه على الشرك وأعلن البراءة مما يعبد قومه، فهناك فرق بين المقامين والبراءتين .

٢ ـ (برآء) مأخوذة من براءة بصيغة المصدر الذي هو الحدث المجرد، فقولك: رجل عدل، أبلغ من: رجل عادل؛ لأنّ معناه أنه أصبح هو العدل لكثرة ممارسته له. ونحوه: هو رجل سوء، أبلغ من: هو رجل سيء، ومثله قوله تعالى في ابن نوح عليه السلام ﴿إِنَّهُ

﴿لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ إِنَّهُۥ عَمَلٌ غَيْرُ صَٰلِحٍ﴾ [هود:٤٦] أي: أن ابنك تحول إلى عمل غير صالح ولم يبق فيه من عنصر الذات شيء، أي إنّ العمل السيء لو تجسد لكان ابنك، فالبراءة في آية الزخرف أشد.

٣ ـ ناسب هذه القوة في البراءة والشدة بتوكيد الكلمة بمجيء نون الوقاية في آية الزخرف زيادة في التوكيد، فقال: ﴿إِنَّنِى﴾ [الزُّخرُف:٢٦] ولم يأت بها في الأنعام، بل قال: ﴿إِنِّي﴾ [الأنعام:٧٨] والنون في مثل هذا المقام تفيد التوكيد .

❀❀❀❀

﴿إِنِّي وَجَّهْتُ وَجْهِيَ لِلَّذِى فَطَرَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ حَنِيفًا ۖ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿٧٩﴾﴾

السؤال الأول:

قوله تعالى في الآية ﴿فَطَرَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ﴾ ما الفرق بين ﴿فَطَرَ﴾ و ﴿خَلَقَ﴾ و ﴿جَعَلَ﴾؟

الجواب:

١ـ فطر الخلق ابتداء، والفطر هو الابتداء والاختراع وإظهار الحادث بإخراجه من العدم إلى الوجود، ففي الفطر معنىً ليس في الفعل، وهو الإظهار بالإخراج إلى الوجود قبل ما لا يستعمل فيه الظهور .

قال ابن عباس رضي الله عنه: كنت لا أدري ما فاطر السموات حتى أتاني أعرابيان يختصمان في بئر، فقال أحدهما: أنا فطرتها، أي: ابتدأتها.

٢ـ خلق: وفيه معنيان:

الأول: أنشأهم على مثال أراده الله تعالى.

الثاني: هو التقدير، وهو ليس خاصاً بالله، كما ورد على لسان عيسى عليه السلام ﴿أَنِّيٓ أَخۡلُقُ لَكُم مِّنَ ٱلطِّينِ﴾ [آل عمران:٤٩] أي: أقدّر.

٣ـ جعل: هو تغيير صورة الشيء بإيجاد الأثر فيه وبغير ذلك، تقول: جعل الطين خزفاً، ﴿وَجَعَلۡنَا مِنَ ٱلۡمَآءِ كُلَّ شَيۡءٍ حَيٍّۚ﴾ [الأنبياء:٣٠] والجعل يدل على الاتصال بشيء آخر أي يلزمه الملامسة بشيء آخر.

وقوله تعالى: ﴿ وَجَعَلُواْ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةَ ٱلَّذِينَ هُمۡ عِبَٰدُ ٱلرَّحۡمَٰنِ إِنَٰثًاۚ﴾ أي: أخبروا بذلك.

وقوله تعالى: ﴿أَجَعَلۡتُمۡ سِقَايَةَ ٱلۡحَآجِّ﴾ [التوبة:١٩] أي: حكمتم بذلك .

❋❋❋❋

﴿ وَحَآجَّهُۥ قَوۡمُهُۥۚ قَالَ أَتُحَٰٓجُّوٓنِّي فِي ٱللَّهِ وَقَدۡ هَدَىٰنِۚ وَلَآ أَخَافُ مَا تُشۡرِكُونَ بِهِۦٓ إِلَّآ أَن يَشَآءَ رَبِّي شَيۡـٔٗاۗ وَسِعَ رَبِّي كُلَّ شَيۡءٍ عِلۡمًاۚ أَفَلَا تَتَذَكَّرُونَ ﴿٨٠﴾ ﴾

السؤال الأول:

لم يحذف التاء في الآية، بل قال: ﴿تَتَذَكَّرُونَ﴾ فلماذا؟

الجواب:

هذا كلام سيدنا إبراهيم عليه السلام مع قومه ومحاجته لهم وهم أناس عريقون في الشرك وعبادة الأوثان، فهم محتاجون إلى التذكر وإدامة التفكر والتأمل ليهتدوا إلى التوحيد، كما فعل سيدنا إبراهيم عليه السلام وهو ينظر إلى ملكوت السماوات والأرض

حتى اهتدى إلى خالقه بعد التأمل والنظر والتفكر، انظر الآيات: ﴿٧٥ ـ ٧٩﴾ ثم انتهى إلى المحاجّة مع قومه .

فهذا مما يحتاج إلى طول تذكر وتفكير، فجاء بالفعل كاملاً لم يحذف منه شيئا، فقال: ﴿تَتَذَكَّرُونَ ﴿٨٠﴾﴾ كما ناسب مقام الإطالة والتفصيل فيما حكي عن سيدنا إبراهيم من رؤية الكوكب فالقمر ثم الشمس، ثم انتهى إلى الحقيقة الكبرى حقيقة التوحيد.

السؤال الثاني:

ما الفرق بين ﴿تَذَكَّرُونَ﴾ و ﴿تَتَذَكَّرُونَ﴾؟

الجواب:

سبب الفرق هو الاختلاف في المعنى:

١ـ أنه عندما تأتي (تَتَذَكَّرُونَ) تكون مساحة التأمل أوسع. كما في قوله تعالى ﴿وَحَآجَّهُۥ قَوۡمُهُۥۚ قَالَ أَتُحَٰٓجُّوٓنِّي فِي ٱللَّهِ وَقَدۡ هَدَىٰنِۚ وَلَآ أَخَافُ مَا تُشۡرِكُونَ بِهِۦٓ إِلَّآ أَن يَشَآءَ رَبِّي شَيۡـٔٗاۗ وَسِعَ رَبِّي كُلَّ شَيۡءٍ عِلۡمًاۚ أَفَلَا تَتَذَكَّرُونَ ﴿٨٠﴾﴾ [الأنعام:٨٠] وقبلها كان الكلام عن النظر في آيات الله في الكون، و(هذا ربي) ثم (هذا ربي) ثم (هذا ربي)، وهذه أمور تحتاج إلى طول زمن.

٢ـ ولكن عندما نأتي إلى (تذكّرون) أو (تذّكّرون)- بالتشديد على الذال أو بدون تشديد - نجد أنّ المسألة منحصرة بمنحيين:

آ ـ إمّا في أوامر من الله عز وجل، يأمرهم بتنفيذها، مثل ﴿وَلَا تَقۡرَبُواْ مَالَ ٱلۡيَتِيمِ إِلَّا بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُ حَتَّىٰ يَبۡلُغَ أَشُدَّهُۥۚ وَأَوۡفُواْ ٱلۡكَيۡلَ وَٱلۡمِيزَانَ بِٱلۡقِسۡطِۖ لَا نُكَلِّفُ نَفۡسًا إِلَّا وُسۡعَهَاۖ وَإِذَا قُلۡتُمۡ فَٱعۡدِلُواْ وَلَوۡ كَانَ ذَا قُرۡبَىٰۖ وَبِعَهۡدِ ٱللَّهِ أَوۡفُواْۚ ذَٰلِكُمۡ وَصَّىٰكُم بِهِۦ لَعَلَّكُمۡ تَذَكَّرُونَ ﴿١٥٢﴾﴾ [الأنعام:١٥٢]

﴿ ٱتَّبِعُواْ مَآ أُنزِلَ إِلَيۡكُم مِّن رَّبِّكُمۡ وَلَا تَتَّبِعُواْ مِن دُونِهِۦٓ أَوۡلِيَآءَۗ قَلِيلٗا مَّا تَذَكَّرُونَ ﴿٣﴾ ﴾ [الأعراف:٣] فالمسألة منحصرة مجتزأة في أمر معين لا تحتاج معه إلى طول الوقت الذي احتاجته التأملات التي في خلق السموات والأرض، وهذا ربي وهذا ربي إلى آخره في قصة إبراهيم عليه السلام.

ب ـ وأما التشديد على الذال فهو للتأكيد، وللعلم فإن كل ما قرأه حفص ﴿تَذَكَّرُونَ ﴿٣﴾﴾ قرأه نافع وورش {تَذَّكَّرُون} بالتشديد على الذال، وأجمعوا على قراءة يذّكرون- بالتشديد على الذال- وحيثما وردت بالتشديد كان فيها معنى التأكيد.

السؤال الثالث:

ما الفرق بين (تذكرون) و(تتذكرون) في الآيات التالية:

ـ ﴿وَسِعَ رَبِّي كُلَّ شَيۡءٍ عِلۡمًاۚ أَفَلَا تَتَذَكَّرُونَ ﴿٨٠﴾﴾ [الأنعام:٨٠] .

ـ ﴿مَا لَكُم مِّن دُونِهِۦ مِن وَلِيّٖ وَلَا شَفِيعٍۚ أَفَلَا تَتَذَكَّرُونَ ﴿٤﴾﴾ [السجدة:٤] .

ـ ﴿وَمَا يَسۡتَوِي ٱلۡأَعۡمَىٰ وَٱلۡبَصِيرُ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَلَا ٱلۡمُسِيٓءُۚ قَلِيلٗا مَّا تَتَذَكَّرُونَ ﴿٥٨﴾﴾ [غافر:٥٨] .

ـ ﴿ ۞ مَثَلُ ٱلۡفَرِيقَيۡنِ كَٱلۡأَعۡمَىٰ وَٱلۡأَصَمِّ وَٱلۡبَصِيرِ وَٱلسَّمِيعِۚ هَلۡ يَسۡتَوِيَانِ مَثَلًاۚ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿٢٤﴾﴾ [هود:٢٤] .

الجواب:

أ ـ يحذف من الفعل حرف مثل التاء؛ للدلالة على أنّ الحدث أقل مما لم يحذف منه، فإذا حذف فمعناه أنّ الزمن المحذوف منه أقصر، فيقتطع للدلالة على الاقتطاع من الحدث.

ب ـ وإذا كان المقام مقام إيجاز يوجز فيقول (تذكرون)، وإذا كان المقام تفصيل يقول: (تتذكرون).

* شواهد قرآنية:

أولاً ـ على الاقتطاع من الحدث:

١ـ قوله تعالى: ﴿مَثَلُ ٱلْفَرِيقَيْنِ كَٱلْأَعْمَىٰ وَٱلْأَصَمِّ وَٱلْبَصِيرِ وَٱلسَّمِيعِ ۚ هَلْ يَسْتَوِيَانِ مَثَلًا ۚ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿٢٤﴾﴾ [هود:٢٤] لو سألنا أي واحد مهما كانت ثقافته: هل يستوي الأعمى مع البصير؟ و هل يستوي الأصم مع السميع؟ سيقول مباشرة: لا، إذن لا يحتاج إلى طول تذكر، وإنما يجيب مباشرة: لا، وهذا لا يحتاج إلى طول تذكر؛ لذا قال ﴿أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿٢٤﴾﴾ [هود:٢٤].

٢ـ وقوله تعالى: ﴿وَمَا يَسْتَوِى ٱلْأَعْمَىٰ وَٱلْبَصِيرُ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَلَا ٱلْمُسِىٓءُ ۚ قَلِيلًا مَّا تَتَذَكَّرُونَ ﴿٥٨﴾﴾ [غافر:٥٨] هنا لدينا إيمان وعمل صالحات مقابل الكفر والعمل السيء، فهذه أطول من الأولى وتحتاج إلى تأمل وتفكير، والرسول يدعو مطولاً إلى الإيمان والعمل الصالح، فناسب هنا ﴿قَلِيلًا مَّا تَتَذَكَّرُونَ ﴿٥٨﴾﴾؛ لأنها تحتاج إلى طول تذكر.

٣ـ وقوله تعالى: ﴿أَفَمَن يَخْلُقُ كَمَن لَّا يَخْلُقُ ۗ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿١٧﴾﴾ [النحل:١٧] اسأل أي واحد سيقول: لا، هذه لا تحتاج إلى طول تذكر.

٤ـ وقوله تعالى: ﴿أَفَرَءَيْتَ مَنِ ٱتَّخَذَ إِلَٰهَهُۥ هَوَىٰهُ وَأَضَلَّهُ ٱللَّهُ عَلَىٰ عِلْمٍ وَخَتَمَ عَلَىٰ سَمْعِهِۦ وَقَلْبِهِۦ وَجَعَلَ عَلَىٰ بَصَرِهِۦ غِشَٰوَةً فَمَن يَهْدِيهِ مِنۢ بَعْدِ ٱللَّهِ ۚ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿٢٣﴾﴾ [الجاثية:٢٣](ختم على سمعه وبصره غشاوة وأضله على علم لا تحتاج إلى طول تفكر)، فقال: ﴿تَذَكَّرُونَ ﴿٢٣﴾﴾ .

ثانياً ـ على مقام الإيجاز والتفصيل:

آ ـ قال تعالى في السجدة: ﴿ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ ۖ مَا لَكُم مِّن دُونِهِۦ مِن وَلِىٍّ وَلَا شَفِيعٍ ۚ أَفَلَا تَتَذَكَّرُونَ ﴿٤﴾ يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ إِلَى ٱلْأَرْضِ ثُمَّ يَعْرُجُ إِلَيْهِ فِى يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُۥٓ أَلْفَ سَنَةٍ مِّمَّا تَعُدُّونَ ﴿٥﴾﴾ [السجدة:٤-٥] .

ب ـ وقال في يونس: ﴿ إِنَّ رَبَّكُمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ ۖ يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ ۖ مَا مِن شَفِيعٍ إِلَّا مِنۢ بَعْدِ إِذْنِهِۦ ۚ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ فَٱعْبُدُوهُ ۚ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿٣﴾﴾ [يونس:٣] وختمت إحداهما بـ(تتذكرون) والأخرى بـ(تذكرون).

المقارنة بين الموضعين:

آ ـ قال في يونس: ﴿خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ﴾ وفي السجدة قال: ﴿خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ﴾ ولم يقل: ﴿وَمَا بَيْنَهُمَا﴾ في يونس.

ب ـ قال في يونس: ﴿يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ ۖ﴾ فقط، وفي السجدة قال: ﴿ يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ إِلَى ٱلْأَرْضِ ثُمَّ يَعْرُجُ إِلَيْهِ فِى يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُۥٓ أَلْفَ سَنَةٍ مِّمَّا تَعُدُّونَ ﴿٥﴾﴾

ج ـ قال في يونس: ﴿مَا مِن شَفِيعٍ إِلَّا مِنۢ بَعْدِ إِذْنِهِۦ ۚ﴾ وفي السجدة قال: ﴿مَا لَكُم مِّن دُونِهِۦ مِن وَلِىٍّ وَلَا شَفِيعٍ ۚ﴾ ففي السجدة تفصيل أكثر؛ لذلك ناسب ﴿تَتَذَكَّرُونَ ﴿٤﴾﴾ في السجدة و﴿تَذَكَّرُونَ ﴿٣﴾﴾ في يونس.

والله أعلم .

❁❁❁❁

﴿ وَكَيْفَ أَخَافُ مَآ أَشْرَكْتُمْ وَلَا تَخَافُونَ أَنَّكُمْ أَشْرَكْتُم بِٱللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِۦ عَلَيْكُمْ سُلْطَٰنًا ۚ فَأَىُّ ٱلْفَرِيقَيْنِ أَحَقُّ بِٱلْأَمْنِ ۖ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٨١﴾ ﴾

السؤال الأول:

قوله تعالى في الآية ﴿أَحَقُّ بِٱلْأَمْنِ﴾ ما الفرق بين (الأمن والأمنة)؟

الجواب:

١ـ الأمن: هو الطمأنينة مع زوال سبب الخوف، وقد وردت تلك الكلمة في القرآن الكريم خمس مرات .

* شواهد قرآنية :

آ ـ آيتا الأنعام ٨١ـ٨٢: على لسان إبراهيم عليه السلام عندما هدده قومه وخوفوه فردّ عليهم بأن بيّن لهم من هو الأولى بالخوف ومن هو الجدير بالأمن، ثم قدّم لهم الجواب القاطع الدائم ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَلَمْ يَلْبِسُوٓا۟ إِيمَٰنَهُم بِظُلْمٍ أُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلْأَمْنُ وَهُم مُّهْتَدُونَ ﴿٨٢﴾﴾.

ب ـ آية النور ٥٥: وفيها تصريح بتبديلهم أمناً بعد الخوف، أي: أنّ الأمن يعقب الخوف فيزيله ويزيل أسبابه.

٢ـ الأمنة: هي الطمأنينة مع وجود سبب الخوف، وقد وردت مرتين في القرآن، وكلاهما في سياق واحد وهو تثبيت الله للمؤمنين في معاركهم مع الكفار وإنزاله سبحانه الجنود الربانيين ليكونوا معهم، مثل الملائكة والمطر والنعاس .والآيتان هما:

الآية الأولى: الأنفال ١١: وهي تتحدث عن تثبيت المؤمنين في غزوة بدر، والآية الثانية: هي آية آل عمران ١٥٤ في غزوة أُحد حيث، تحدثت الآية عن النعاس يغشى المؤمنين ليزيل شعورهم بالخوف، والخائف لا ينام عادة وكذلك المهموم والمغموم، ولكنّ الله جعل المؤمنين في غزوتي بدر وأحد ينعسون ليزيل عنهم الشعور بالخوف، علماً بأنّ المعركة ما زالت مستمرة وأسباب الخوف ما زالت قائمة، فهو أمر معنوي نفسي.

ولم تستعمل الأمنة إلا في سياق المعارك. والله أعلم .

❁❁❁❁

﴿وَتِلْكَ حُجَّتُنَآ ءَاتَيْنَٰهَآ إِبْرَٰهِيمَ عَلَىٰ قَوْمِهِۦۚ نَرْفَعُ دَرَجَٰتٍ مَّن نَّشَآءُۗ إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٌ ﴿٨٣﴾ وَوَهَبْنَا لَهُۥٓ إِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَۚ كُلًّا هَدَيْنَاۚ وَنُوحًا هَدَيْنَا مِن قَبْلُۖ وَمِن ذُرِّيَّتِهِۦ دَاوُۥدَ وَسُلَيْمَٰنَ وَأَيُّوبَ وَيُوسُفَ وَمُوسَىٰ وَهَٰرُونَۚ وَكَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٨٤﴾ وَزَكَرِيَّا وَيَحْيَىٰ وَعِيسَىٰ وَإِلْيَاسَۖ كُلٌّ مِّنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿٨٥﴾ وَإِسْمَٰعِيلَ وَٱلْيَسَعَ وَيُونُسَ وَلُوطًاۚ وَكُلًّا فَضَّلْنَا عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٨٦﴾﴾

السؤال الأول:

ما دلالة تعدد الأنبياء في سورة الأنعام وتعدد الوصف في فواصل الآيات (٨٣ – ٨٦)؟

الجواب:

١ـ قوله تعالى: ﴿وَوَهَبْنَا لَهُۥٓ إِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ ۚ كُلًّا هَدَيْنَا ۚ﴾ ذكر أنه أنعم عليهم بالهداية، فنوحاً هداه وكذلك داود أصبح قائداً وصار ملكاً، وسليمان وهبه الله ملكاً لا ينبغي لأحد من بعده، وأيوب آتاه الله أهله ومثله معهم وآتاه مالاً كثيراً، ويوسف صار عزيز مصر، وموسى وهارون أكرمهما الله بالرسالة ونصرهما على فرعون.

أمّا يعقوب أبو الأسباط فقد رفعه ابنه على العرش. فالله تعالى جازاهم كلهم، والمحسن يجزيه ربه كما جزى هؤلاء فناسب ﴿وَكَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُحْسِنِينَ﴾.

٢ـ بعدها قال ﴿وَزَكَرِيَّا وَيَحْيَىٰ وَعِيسَىٰ وَإِلْيَاسَ ۖ كُلٌّ مِّنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿٨٥﴾﴾ زكريا قُتل، يحيى قُتل، عيسى حاولوا قتله، إلياس طلبه الملك فهرب إلى الجبال فلا يستوي أنْ يختم الآية بـ(كذلك نجزي المحسنين)، وإنما قال: ﴿كُلٌّ مِّنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿٨٥﴾﴾.

٣ـ بعدها قال: ﴿وَإِسْمَٰعِيلَ وَٱلْيَسَعَ وَيُونُسَ وَلُوطًا ۚ وَكُلًّا فَضَّلْنَا عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٨٦﴾﴾ إسماعيل لم يكن ملكاً وإنما جاء فقط برسالة، إسماعيل واليسع ويونس ولوط لم يصبهم ما أصاب الآخرين من الأذى، ولم ينالوا من الملك ما ناله الآخرون، إنما أكرمهم الله تعالى فأعطاهم وصفاً آخر ووساماً عالياً، وهو التفضيل على العالمين، فهم ليسوا ملوكاً، وإنما قال: ﴿وَكُلًّا فَضَّلْنَا عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٨٦﴾﴾.

إذن كل خاتمة مناسبة لما ورد من مجموعة الأنبياء المذكورين الذين تتحدث عنهم.

وخاتمة كل آية مناسبة لمن ذكر فيها من الأنبياء، وإنْ كانت كل فاصلة تصح على جميع الأنبياء.

السؤال الثاني:

ما دلالة ترتيب ذكر الأنبياء في الآيات ٨٣ إلى ٨٦ في سورة الأنعام؟

الجواب:

استعرض الحق عز وجل في هذه الآيات ١٨ نبياً من أصل ٢٥ نبياً مذكورين في القرآن أمرنا أن نؤمن بهم تفصيلاً، وقد جُمعوا في قول الشاعر:

في تلك حجتنا منهم ثمانية   من بعد عشر ـ ويبقى سبعة وهمُ

إدريس هود شعيب صالح وكذا   ذو الكفل آدم بالمختار قد ختموا

أولاً ـ الهيكلية:

من استعراض الآيات نلاحظ أنّ القرآن يذكر ثلاثة من الأنبياء ثم يعود إلى الأقدم، ثم يكرر ذلك .

١ ـ ذكر: إبراهيم وإسحاق ويعقوب، ثم عاد إلى نوح وهو أقدم المذكورين.

٢ ـ ذكر: داود و سليمان وأيوب، ثم عاد إلى يوسف وهو أقدم المذكورين.

٣ ـ ذكر: زكريا ويحيى وعيسى، ثم عاد إلى إلياس وهو أقدم المذكورين.

٤ ـ ذكر: إسماعيل واليسع ويونس، ثم عاد إلى لوط وهو أقدم المذكورين.

٥ـــ موسى وهارون .

ثانياً ـ الروابط:

نجد أنّ الروابط بين:

١ـ إبراهيم وإسحاق ويعقوب:هي البنوة، أي: يعقوب بن إسحاق بن إبراهيم.

٢ـ داود وسليمان: الرابطة بينهما البنوة والملك.

٣ـ أيوب ويوسف: الرابطة بينهما أنهما اشتركا في الإنعام بعد البلوى.

٤ـ سليمان وأيوب: الرابطة بينهما أنهما قال الله فيهما: ﴿نِعْمَ ٱلْعَبْدُ ۖ إِنَّهُۥٓ أَوَّابٌ ﴿٣٠﴾﴾ [ص:٣٠] فأيوب هو العبد الصابر، وسليمان هو العبد الشاكر، والصبر والشكر جماع الإيمان .

٥ ـ موسى وهارون: الرابطة بينهما الأخوة، وأخذا شهرة الأتْباع.

٦ ـ زكريا ويحيى: الرابطة بينهما البنوة.

٧ ـ يحيى وعيسى: كلاهما مستغرب في الولادة فيحيى من أبوين أحدهما شيخ والثاني عقيم، وعيسى من أم بلا أب.

٨ ـ عيسى: ختم الله تعالى هذه المجموعة من ولد إسحق بعيسى؛ لأنه ليس له أب فكان خاتمة النسب الأول عنده، والمذكورون بعد عيسى سلسلة أخرى ليست من ذرية إسحاق، فكان عيسى عليه السلام الحد الفاصل بين السلسلتين .

والعنصر البشري في عيسى هو الأم، وبمثل هذا احتج أبو جعفر محمد الباقر أمام الحجاج حين قال له: أنتم تدّعون أنكم من آل رسول الله ومن نسله مع أنّ رسول الله ليس له ذرية !!

قال له الإمام الباقر رضي الله عنه: كأنك لم تقرأ القرآن !!

قال له: وأي شيء في القرآن؟

قال اقرأ: (ومن ذريته .....وعيسى) فعيسى من ذرية نوح منْ (أَبٍ) أمْ من (أمٍّ)؟

قال له: من أم، فقال له: نحن كذلك من ذرية محمد ﷺ.

ثالثاً ـ السلالات والروابط:

١ ـ إلياس ليس من ذرية إسحق وإنما من ولد إسماعيل.

٢ ـ إسماعيل أخو إسحق، ولم يُذكر معه بل أُخّر ذكرُه؛ لأنّ الذكر هنا لأنبياء بني إسرائيل وهم بأسرهم أولاد إسحق ويعقوب، أمّا إسماعيل فإنه ما خرج من صلبه من الأنبياء إلا محمد ﷺ ولا يجوز ذكر سيدنا محمد في هذا المقام؛ لأنه تعالى أمر محمداً أنْ يحتج على العرب في نفي الشرك بالله وبأنّ إبراهيم لما ترك الشرك وأصر على التوحيد رزقه الله النعم العظيمة في الدين والدنيا، ومنها أنْ آتاه الله إبراهيم عليه السلام أولاداً كانوا أنبياء وملوكاً، فإذا كان المحتج بهذه الحجة هو محمد ﷺ امتنع أنْ يذكر نفسه في هذا المعرض، ولهذا السبب لم يذكر إسماعيل مع إسحق.

٣ ـ اليسع صاحب إلياس، وحيث ورد اليسع يسبقه بذكر إسماعيل.

٤ ـ يونس ولوط ليسا من ذرية إبراهيم، ويونس ولوط كلاهما مهاجر وترك قومه، وقد جمع الله بينهما في سورة الصافات، فبدأ بالذاهب إلى ربه إبراهيم ﴿وَقَالَ إِنِّي ذَاهِبٌ إِلَىٰ رَبِّي سَيَهْدِينِ ﴿٩٩﴾﴾ [الصافات:٩٩] وخُتمت بالمهاجر إلى ربه لوط ﴿فَآمَنَ لَهُۥ لُوطٌ ۘ وَقَالَ إِنِّي مُهَاجِرٌ إِلَىٰ رَبِّيٓ ۖ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٢٦﴾﴾ [العنكبوت:٢٦].

رابعاً ـ ملاحظات:

حرف الواو لا يوجب الترتيب لا بحسب الشرف ولا بحسب الزمان، لكنّ الترتيب له وجه معين عند جمهور العلماء حسب المراتب التالية:

١ـ الملك والسلطان والقدرة: داود وسليمان.

٢ـ البلاء والمحن ثم الإنعام: أيوب ويوسف.

٣ـ قوة المعجزات وكثرة البراهين : موسى وهارون.

٤ـ الصلاح والزهد الشديد والإعراض عن الدنيا: زكريا ويحيى وعيسى وإلياس.

٥ـ الذين لم يبق لهم بين الخلق أتباع: إسماعيل واليسع ويونس ولوط.

هذا يدل على أنّ الترتيب الذي ورد له حكمة إلهية بالإضافة إلى الهيكلية. والله أعلم.

خامساً ـ أسئلة خاصة بالموضوع:

١ ـ لِمَ بدأ بسيدنا إبراهيم ولم يبدأ بسيدنا نوح عليه السلام؟

والجواب: أنّ الكلام والسياق هو في سيدنا إبراهيم، واستمر ذلك من الآية ٧٤ وحتى الآية ٨٣، فكان ذلك هو المناسب.

٢ ـ قال تعالى: ﴿وَمِنْ ءَابَآئِهِمْ وَذُرِّيَّٰتِهِمْ وَإِخْوَٰنِهِمْ﴾ [الأنعام: ٨٧] فلِم لمْ يقل (وأزواجهم)؟

والجواب: أنّ السياق في ذكر الأنبياء،والنساء لسن كذلك؛ فلا يناسب ذكر الأزواج.

السؤال الثالث:

قال تعالى في آية النساء ١٦٣ : ﴿إِنَّآ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ كَمَآ أَوْحَيْنَآ إِلَىٰ نُوحٍ وَٱلنَّبِيِّـۧنَ مِنۢ بَعْدِهِۦۚ وَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰٓ إِبْرَٰهِيمَ وَإِسْمَٰعِيلَ وَإِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ وَٱلْأَسْبَاطِ وَعِيسَىٰ وَأَيُّوبَ وَيُونُسَ وَهَٰرُونَ وَسُلَيْمَٰنَۚ وَءَاتَيْنَا دَاوُۥدَ زَبُورًا ﴿١٦٣﴾﴾

وقال في آية الأنعام ٨٤: ﴿وَمِن ذُرِّيَّتِهِۦ دَاوُۥدَ وَسُلَيْمَٰنَ وَأَيُّوبَ وَيُوسُفَ وَمُوسَىٰ وَهَٰرُونَ﴾ فما الحكمة في هذا الترتيب؟

الجواب:

انظر الجواب في آية النساء ١٦٣.

السؤال الرابع:

قوله تعالى في آية الأنعام ٨٤ ﴿وَنُوحًا هَدَيْنَا مِن قَبْلُ﴾ فما دلالة هذا التقديم؟

الجواب:

هذا من باب المدح والثناء لا التخصيص؛ إذ ليس المعنى أن الله لم يهدِ إلا نوحاً.

❁❁❁❁

﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحُكْمَ وَٱلنُّبُوَّةَ ۚ فَإِن يَكْفُرْ بِهَا هَٰٓؤُلَآءِ فَقَدْ وَكَّلْنَا بِهَا قَوْمًا لَّيْسُواْ بِهَا بِكَٰفِرِينَ ﴿٨٩﴾﴾

السؤال الأول:

عبّر الله عن (الإعطاء) بالوكالة فقط ﴿فَقَدْ وَكَّلْنَا بِهَا﴾ فلِم قال: ﴿وَكَّلْنَا﴾ ولم يقل: (فقد آتيناها)؟

الجواب:

إذا رجعنا إلى معنى التوكيل رأيناه: أنْ تسند تدبير أمر لك إلى شخص يتولى تدبيره ورعايته والحفاظ عليه، ولذلك خصّ الله إيتاء الإيمان بالوكالة؛ لأنها تقتضي الأخذ للإيمان مع الحفظ والرعاية، ففيها أخذ وصون، وأمّا الإيتاء فيقتضي الأخذ، ولكن ليس بالضرورة أنْ يحفظ ما أخذه.

السؤال الثاني:

ذكر العائد في آية الزمر ١٨ فقال: ﴿هَدَىٰهُمُ ٱللَّهُ﴾ ولم يذكره في آية البقرة ١٤٣ وآية الأنعام رقم ٩٠، ما دلالة ذلك؟

الجواب:

انظر الجواب في آية البقرة ١٤٣.

❁❁❁❁

﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ هَدَى ٱللَّهُۖ فَبِهُدَىٰهُمُ ٱقْتَدِهْۗ قُل لَّآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًاۖ إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرَىٰ لِلْعَٰلَمِينَ ﴿٩٠﴾﴾

السؤال الأول:

قوله تعالى ﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ هَدَى ٱللَّهُۖ فَبِهُدَىٰهُمُ ٱقْتَدِهْۗ قُل لَّآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًاۖ إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرَىٰ لِلْعَٰلَمِينَ ﴿٩٠﴾﴾ وقال تعالى ﴿وَمَا تَسْـَٔلُهُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍۚ إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِّلْعَٰلَمِينَ ﴿١٠٤﴾﴾ [يوسف:١٠٤] فمتى تأتي ﴿مِنْ أَجْرٍۚ﴾ ومتى تأتي ﴿أَجْرًاۖ﴾؟

الجواب:

نقرأ الآيتين:

في الأنعام قال تعالى: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ هَدَى ٱللَّهُۖ فَبِهُدَىٰهُمُ ٱقْتَدِهْۗ قُل لَّآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًاۖ إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرَىٰ لِلْعَٰلَمِينَ ﴿٩٠﴾﴾ وتكلم قبلها عن الأنبياء السابقين.

وقال في آية يوسف: ﴿وَمَآ أَكْثَرُ ٱلنَّاسِ وَلَوْ حَرَصْتَ بِمُؤْمِنِينَ ﴿١٠٣﴾ وَمَا تَسْـَٔلُهُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍۚ إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِّلْعَٰلَمِينَ ﴿١٠٤﴾ وَكَأَيِّن مِّنْ ءَايَةٍ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ يَمُرُّونَ عَلَيْهَا وَهُمْ عَنْهَا مُعْرِضُونَ

﴿١٠٥﴾ وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُم بِاللَّهِ إِلَّا وَهُم مُّشْرِكُونَ ﴿١٠٦﴾ أَفَأَمِنُوٓا۟ أَن تَأْتِيَهُمْ غَٰشِيَةٌ مِّنْ عَذَابِ ٱللَّهِ أَوْ تَأْتِيَهُمُ ٱلسَّاعَةُ
بَغْتَةً وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿١٠٧﴾ قُلْ هَٰذِهِۦ سَبِيلِىٓ أَدْعُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ ۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِى ۖ وَسُبْحَٰنَ ٱللَّهِ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ
ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿١٠٨﴾﴾

١ـ من ناحية الحكم النحوي: فإنّ تعبير ﴿مِنْ أَجْرٍ﴾ آكد من تعبير ﴿أَجْرًا﴾ لأن(من) هنا استغراقية مؤكدة فاستغرق أي أجر مهما يكن.

٢ـ من الناحية البيانية:

آ ـ آية الأنعام هي آية واحدة لا غير وليست في التبليغ والدعوة إلى الله.

ب ـ آية يوسف وما سبقها وتلاها عدة آيات في الدعوة والتبليغ إلى الله.

٣ـ نلاحظ أنه في:

آ ـ آية يوسف: جاء فيها كلمة ﴿ذِكْرٌ﴾، وتعني الشرف والرفعة ﴿وَإِنَّهُۥ لَذِكْرٌ لَّكَ وَلِقَوْمِكَ﴾ [الزُّخرُف:٤٤] إذن الذكر شرف ورفعة والذكرى من التذكر.

ب ـ آية الأنعام: جاء فيها كلمة ﴿ذِكْرَىٰ﴾ وهي من التذكر، كما أنه تقدم في الأنعام قوله تعالى: ﴿فَلَا تَقْعُدْ بَعْدَ ٱلذِّكْرَىٰ﴾ فناسب في آية الأنعام ٩٠ قوله: ﴿إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرَىٰ لِلْعَٰلَمِينَ ﴿٩٠﴾﴾ .

٤ـ عندما تقول: (سأرفعك وأعطيك منزلة ومكاناً) أو(تتذكر)، أيها التي تحتاج إلى توكيد؟ طبعاً الذي يُرفع يحتاج لتوكيد، إذن ناسب ﴿وَمَا تَسْـَٔلُهُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ ۚ إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِّلْعَٰلَمِينَ﴾ [يوسف:١٠٤]؛ لأنّ هذا يحتاج إلى أجر.

٥ـ لذلك فإن الصيغة المؤكدة ﴿مِنْ أَجْرٍ﴾ الاستغراقية تناسب آية يوسف للأسباب المبينة أعلاه، فوضع الصيغة المؤكدة في مكانها والأقل توكيداً في مكانها. والله أعلم.

السؤال الثاني:

ما دلالة الهاء في كلمة ﴿اقْتَدِهْ﴾ في آية (٩٠) سورة الأنعام؟

الجواب:

قال تعالى في سورة الأنعام: ﴿أُولَٰئِكَ الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ ۖ فَبِهُدَاهُمُ اقْتَدِهْ ۗ قُل لَّا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا ۖ إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرَىٰ لِلْعَالَمِينَ ﴿٩٠﴾﴾ والهاء في (اقتده) تسمى هاء السكتة وهي جائزة، وكان يمكن القول (اقتد)، لكن جاء بهاء السكتة وهي علامة الوقف، وهذا يدل على أنه أمر يجب أنْ يقف عند هداهم فلا يتعدّاه ولا يسأل عن هدى غيرهم؛ ولذا قدّم تعالى (فبهداهم) لتفيد الحصر .

وقد ذكر تعالى قسماً من الأنبياء كإبراهيم ونوح وغيرهم، كما في الآيات ﴿وَتِلْكَ حُجَّتُنَا آتَيْنَاهَا إِبْرَاهِيمَ عَلَىٰ قَوْمِهِ ۚ نَرْفَعُ دَرَجَاتٍ مَّن نَّشَاءُ ۗ إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٌ ﴿٨٣﴾ وَوَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ ۚ كُلًّا هَدَيْنَا ۚ وَنُوحًا هَدَيْنَا مِن قَبْلُ ۖ وَمِن ذُرِّيَّتِهِ دَاوُودَ وَسُلَيْمَانَ وَأَيُّوبَ وَيُوسُفَ وَمُوسَىٰ وَهَارُونَ ۚ وَكَذَٰلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ ﴿٨٤﴾ وَزَكَرِيَّا وَيَحْيَىٰ وَعِيسَىٰ وَإِلْيَاسَ ۖ كُلٌّ مِّنَ الصَّالِحِينَ ﴿٨٥﴾ وَإِسْمَاعِيلَ وَالْيَسَعَ وَيُونُسَ وَلُوطًا ۚ وَكُلًّا فَضَّلْنَا عَلَى الْعَالَمِينَ ﴿٨٦﴾﴾ [الأنعام:٨٣-٨٤-٨٥-٨٦] ثم قال (فبهداهم اقتده) أي: اسكت هنا ولا تسأل عن هدى غيرهم، واقتد بهداهم فقط وكفّ عند هذا الحد، بمعنى: قف هنا.

﴿وَمَا قَدَرُواْ ٱللَّهَ حَقَّ قَدۡرِهِۦٓ إِذۡ قَالُواْ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ عَلَىٰ بَشَرٖ مِّن شَيۡءٖۗ قُلۡ مَنۡ أَنزَلَ ٱلۡكِتَٰبَ ٱلَّذِي جَآءَ بِهِۦ مُوسَىٰ نُورٗا وَهُدٗى لِّلنَّاسِۖ تَجۡعَلُونَهُۥ قَرَاطِيسَ تُبۡدُونَهَا وَتُخۡفُونَ كَثِيرٗاۖ وَعُلِّمۡتُم مَّا لَمۡ تَعۡلَمُوٓاْ أَنتُمۡ وَلَآ ءَابَآؤُكُمۡۖ قُلِ ٱللَّهُۖ ثُمَّ ذَرۡهُمۡ فِي خَوۡضِهِمۡ يَلۡعَبُونَ ٩١﴾

السؤال الأول:

قوله تعالى في آية الأنعام ٩١ ﴿جَآءَ بِهِۦ مُوسَىٰ نُورٗا وَهُدٗى لِّلنَّاسِۖ﴾ ما دلالة كلمة ﴿نُورٗا﴾ وكلمة ﴿ضِيَآءٗ﴾ [يونس:٥] وهل يمكن استخدام الضياء في آية النور ٣٥ حيث إن الضياء أقوى؟

الجواب:

انظر الجواب في آية المائدة ٤٤.

السؤال الثاني:

قال في آية يس ١٥: ﴿وَمَآ أَنزَلَ ٱلرَّحۡمَٰنُ مِن شَيۡءٍ﴾ فأسند الفعل إلى (الرحمن) وقال في الملك ٩ والأنعام ٩١: ﴿مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ عَلَىٰ بَشَرٖ مِّن شَيۡءٖۗ﴾ فأسند الفعل إلى (الله) فلماذا؟

الجواب:

إنّ كل تعبير هو الأنسب في مكانه، وبيان ذلك:

سورة الملك:

١ـ يشيع فيها ذكر العذاب ومعاقبة الكفار ومشاهد الذين كفروا في النار. انظر الآيات: [٥ـ١١].

وسبق ذلك تحذير الكفار من عقوبة الله وبطشه في الدنيا ومن أن يأمنوا عذابه من فوقهم أو من تحت أرجلهم، انظر الآيات:[١٦ـ١٨]، ثم حذَّرهم مرة أخرى وهددهم في الآيات:[٢٠ـ٢١].

وعاد مرة أخرى فذكر إنكار الكفار ليوم البعث، وحذَّرهم من العقوبات في الدنيا والآخرة، كما في الآيات:[٢٥ـ٣٠]

ولم يذكر بخصوص المؤمنين إلا آية واحدة، وهي قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُم بِٱلْغَيْبِ لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ كَبِيرٌ ﴿١٢﴾﴾ [الملك:١٢] .

فلا يناسب إزاء كل هذا التهديد والتحذير وما أعد الله لعذابهم في جهنم أنْ يقرنه باسم الرحمن.

٢ـ القائلون في آية الملك إنما هم في جهنم بعد أن أُلقوا فيها فوجاً بعد فوج، وقد اشتد غضب الله عليهم ولم تدركهم رحمته؛ فلا يناسب ذكر الرحمن هنا.

سورة الأنعام:

وهي أيضاً يشيع فيها التحذير والتهديد والتوعد، وليس فيها من مشاهد الجنة، وإنما فيها صور غير قليلة من مشاهد النار.

كما أنّ سورة الأنعام على طولها لم يرد فيها اسم (الرحمن)، بينما تكرَّر فيها لفظ الجلالة (الله) ٨٧ مرة؛ فناسب ذكر ﴿مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ﴾ .

سورة يس:

القائلون في سورة يس إنما هم في الدنيا وهم يتقلبون في نعم الله ورحمته فناسب اختيار لفظ (الرحمن). والله أعلم .

❋❋❋❋

﴿وَهَٰذَا كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ مُبَارَكٌ مُّصَدِّقُ ٱلَّذِى بَيْنَ يَدَيْهِ وَلِتُنذِرَ أُمَّ ٱلْقُرَىٰ وَمَنْ حَوْلَهَا ۚ وَٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِٱلْءَاخِرَةِ يُؤْمِنُونَ بِهِۦ ۖ وَهُمْ عَلَىٰ صَلَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ ﴿٩٢﴾﴾

السؤال الأول:

قوله تعالى في الآية ﴿وَلِتُنذِرَ أُمَّ ٱلْقُرَىٰ﴾ ما دلالة تسمية مكة بهذا الاسم؟

الجواب:

أم القرى هي مكة المكرمة وسميت بهذا الاسم؛ لأنّ الأم هي مرجع الطفل وحولها يلتف، ومكة هي أقدم القرى وأشهرها، وما تقرت القرى في بلاد العرب إلا بعدها، وإليها يؤوب الناس ويتجهون وحول كعبتها يطوفون فهي أم لكل القرى.

﴿ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا أَوْ قَالَ أُوحِىَ إِلَىَّ وَلَمْ يُوحَ إِلَيْهِ شَىْءٌ وَمَن قَالَ سَأُنزِلُ مِثْلَ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ ۗ وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذِ ٱلظَّٰلِمُونَ فِى غَمَرَٰتِ ٱلْمَوْتِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ بَاسِطُوٓا۟ أَيْدِيهِمْ أَخْرِجُوٓا۟ أَنفُسَكُمُ ۖ ٱلْيَوْمَ تُجْزَوْنَ عَذَابَ ٱلْهُونِ بِمَا كُنتُمْ تَقُولُونَ عَلَى ٱللَّهِ غَيْرَ ٱلْحَقِّ وَكُنتُمْ عَنْ ءَايَٰتِهِۦ تَسْتَكْبِرُونَ ﴿٩٣﴾ ﴾

السؤال الأول:

ما دلالة تنكير الكذب أو تعريفه؟

الجواب:

انظر الجواب في آية آل عمران ٩٤.

السؤال الثاني:

قوله تعالى: ﴿ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا ﴾ انظر إلى هذا الأسلوب في الرد على المفترين ونفي مزاعمهم،حيث استخدم ربنا أسلوب الاستفهام. فما دلالة هذا الاستفهام؟

الجواب:

إنه استفهام إنكاري يفيد النفي، وكأنّ الآية تقول: لا أحد أظلم من هؤلاء، وإنما ابتدأ الله هذا الرد بالاستفهام دون النفي المباشر؛ لما لأسلوب الاستفهام من رسم صورة الحوار، فتبعث في النفس أنّ سائلاً سأل والكل رفض الدعوة.

السؤال الثالث:

ما دلالة المشهد في الآية ﴿وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذِ ٱلظَّٰلِمُونَ فِى غَمَرَٰتِ ٱلْمَوْتِ﴾؟

الجواب:

نقف عند هذا المشهد المهيب مشهد الظالمين وهم يرون تبعة أفعالهم ونفوسهم تعتلج بالخوف؛ ولذلك عبّر الله عن هذا الألم وهذه الشدة بقوله: ﴿فِى غَمَرَٰتِ ٱلْمَوْتِ﴾ والغمرة هي ما يعم ويغمر، فلا يترك للمغمور مخلصاً، تخيل ذاك الإنسان وقد أحاطت به أمواج متلاطمة من كل اتجاه، كيف تكون نفسه وجلة حين يغمره الوادي أو السيل، وهذا هو شأن الظالم وهو مغمور بذنوبه التي ارتكبها فلا منجى منها ولا خلاص.

ولا أدل على ذلك من قوله تعالى ﴿غَمَرَٰتِ﴾، ألا ترى أنه جمع الغمرة مع أن الكلام يتم بالإفراد (في غمرة الموت)، ولكن هذا الجمع أُتي به للمبالغة في تهويل ما يصيبهم من أصناف الشدائد وألوانها وأنواعها.

السؤال الرابع:

ما أهم دلالات هذه الآية؟

الجواب:

قوله تعالى: ﴿وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذِ ٱلظَّٰلِمُونَ فِى غَمَرَٰتِ ٱلْمَوْتِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ بَاسِطُوٓا۟ أَيْدِيهِمْ أَخْرِجُوٓا۟ أَنفُسَكُمُ﴾، وفي تفسيرها وجوه:

أ ـ أي عند نزول الموت بالظالمين والملائكة باسطو أيديهم لقبض أرواح الظالمين يقولون لهم: أخرجوا أنفسكم من هذه الشدائد.

ب ـ أنّ قوله: ﴿أَخۡرِجُوٓاْ أَنفُسَكُمُۖ﴾ أي: أخرجوها إلينا من أجسادكم، وهذا تعبير عن العنف والتشديد في إزهاق الروح.

ج ـ خلال غمرات الموت ووجودهم في جهنم الملائكة باسطو أيديهم عليهم بالعذاب ويقولون لهم: أخرجوا أنفسكم من هذا العذاب الشديد إنْ قدرتم.

د ـ وهذا كناية عن شدة حالهم وأنهم بلغوا في البلاء والشدة إلى حيث تولى كل واحد بنفسه إزهاق روحه.

هـ ـ قوله: ﴿أَخۡرِجُوٓاْ أَنفُسَكُمُۖ﴾ ليس بأمر، بل هو وعيد وتقريع .والله أعلم.

❁❁❁❁

﴿ وَلَقَدۡ جِئۡتُمُونَا فُرَٰدَىٰ كَمَا خَلَقۡنَٰكُمۡ أَوَّلَ مَرَّةٖ وَتَرَكۡتُم مَّا خَوَّلۡنَٰكُمۡ وَرَآءَ ظُهُورِكُمۡۖ وَمَا نَرَىٰ مَعَكُمۡ شُفَعَآءَكُمُ ٱلَّذِينَ زَعَمۡتُمۡ أَنَّهُمۡ فِيكُمۡ شُرَكَٰٓؤُاْۚ لَقَد تَّقَطَّعَ بَيۡنَكُمۡ وَضَلَّ عَنكُم مَّا كُنتُمۡ تَزۡعُمُونَ ٩٤ ﴾

السؤال الأول:

أين فاعل (تقطّع) في الآية ﴿لَقَد تَّقَطَّعَ بَيۡنَكُمۡ وَضَلَّ عَنكُم مَّا كُنتُمۡ تَزۡعُمُونَ ٩٤﴾؟

الجواب:

علماؤنا يرجحون أنْ يكون الفاعل مفهوماً أو ضميراً مستتراً تقديره هو يعود على المعنى المفهوم من كلمة ﴿شُرَكَٰٓؤُاْۚ﴾، وعندها يكون المعنى: لقد تقطّع الوصل بينكم، و(الوصل) مفهوم من كلمة ﴿شُرَكَٰٓؤُاْ﴾ ؛لأنّ الشريك يتصل بشريكه، وتكون ﴿بَيۡنَكُمۡ﴾ ظرف.

فالفاعل ضمير مستتر تقديره (هو) يعود على المعنى المفهوم من كلمة ﴿شُرَكَٰٓؤُاْ﴾.

❊❊❊❊

﴿۞ إِنَّ ٱللَّهَ فَالِقُ ٱلْحَبِّ وَٱلنَّوَىٰ ۖ يُخْرِجُ ٱلْحَىَّ مِنَ ٱلْمَيِّتِ وَمُخْرِجُ ٱلْمَيِّتِ مِنَ ٱلْحَىِّ ۚ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ ۖ فَأَنَّىٰ تُؤْفَكُونَ ﴿٩٥﴾ فَالِقُ ٱلْإِصْبَاحِ وَجَعَلَ ٱلَّيْلَ سَكَنًا وَٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ حُسْبَانًا ۚ ذَٰلِكَ تَقْدِيرُ ٱلْعَزِيزِ ٱلْعَلِيمِ ﴿٩٦﴾﴾

السؤال الأول:

ما اللمسة البيانية في الآية في استخدام فعل ﴿يُخْرِجُ﴾ مرة، والاسم ﴿وَمُخْرِجُ﴾ مرة أخرى في نفس الآية رقم ٩٥؟

الجواب:

١ـ الاسم يدل على الثبوت، والفعل يدل على الحدوث والتجدد، وهذه الآية تدخل في هذه القاعدة، ومن أبرز صفات الحيّ الحركة والتجديد (من الحياة)، وقد قال تعالى مع الحيّ: ﴿يُخْرِجُ ٱلْحَىَّ مِنَ ٱلْمَيِّتِ﴾ جاء بالصيغة الفعلية التي تدل على الحركة، ومن صفات الميّت السكون؛ لذا جاء بالصيغة الاسمية مع ما تقتضيه من السكون ﴿وَمُخْرِجُ ٱلْمَيِّتِ مِنَ ٱلْحَىِّ﴾.

٢ـ وكذلك في قوله تعالى في سورة الأنعام أيضاً ﴿فَالِقُ ٱلْإِصْبَاحِ وَجَعَلَ ٱلَّيْلَ سَكَنًا وَٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ حُسْبَانًا ۚ ذَٰلِكَ تَقْدِيرُ ٱلْعَزِيزِ ٱلْعَلِيمِ ﴿٩٦﴾﴾ فالليل فيه السكون والهدوء فجاءت معه الصيغة

الفعلية ﴿وَجَعَلَ ٱلَّيۡلَ سَكَنًا﴾، والإصباح يدلّ على الحركة والحياة، فجاء بالصيغة الاسمية ﴿فَالِقُ﴾، وكلمة ﴿يُخۡرِجُ﴾ لا تأتي دائماً مع الحركة، وإنما تأتي حسب السياق .

لو نقرأ الآية ﴿فَالِقُ ٱلۡإِصۡبَاحِ﴾ نجدها مطلقة ولم يُذْكَر منتفع، بينما ﴿وَجَعَلَ ٱلَّيۡلَ سَكَنًا﴾ السكن لمن يسكن ﴿وَٱلشَّمۡسَ وَٱلۡقَمَرَ حُسۡبَانًاۚ﴾ حسباناً لمن يحسب.

إذن الإصباح موجود ثابت سواء كان هناك منتفع أو لم يكن هناك منتفع. بينما ﴿وَجَعَلَ ٱلَّيۡلَ سَكَنًا﴾ إذا كان هناك من يسكن، فإذا لم يكن هناك من يسكن فهو ليس سكناً لأحد.

٣ـ إذن أيها الأثبت؟ الأثبت والأدوم (فالق الإصباح) سواء كان هناك منتفع أم لا، بينما قيّد الليل بالسكن ﴿وَجَعَلَ ٱلَّيۡلَ سَكَنًا﴾ لمن يسكن، وجاء بالإصباح مطلقاً، فقال: (فالق الإصباح).

وقوله تعالى ﴿وَٱلشَّمۡسَ وَٱلۡقَمَرَ حُسۡبَانًاۚ﴾ لمن يحسب، وهنا قيّد أيضاً الشمس والقمر وعطفها على الفعل ﴿وَجَعَلَ﴾ .

فعندما وضع منتفعاً قيّد ؛ لأنه إذا فُقِد المنتفع انتهت المسألة. فالله هو ﴿فَالِقُ ٱلۡإِصۡبَاحِ﴾ حتى قبل خلق آدم ولم يكن هناك منتفع؛ فقال: ﴿فَالِقُ ٱلۡإِصۡبَاحِ﴾ وأما (سكنا) فيجب أن تكون بعد الخلق، فلو هلك كل الأحياء على الأرض يبقى (فالق الإصباح) لكن لا يوجد سكن، فالأدوم هو الإصباح فأتى بالاسم الدال على الثبوت ﴿فَالِقُ ٱلۡإِصۡبَاحِ﴾ .

٤ـ وهناك آية أخرى فيها ﴿تُولِجُ ٱلَّيۡلَ فِي ٱلنَّهَارِ وَتُولِجُ ٱلنَّهَارَ فِي ٱلَّيۡلِۖ وَتُخۡرِجُ ٱلۡحَيَّ مِنَ ٱلۡمَيِّتِ وَتُخۡرِجُ ٱلۡمَيِّتَ مِنَ ٱلۡحَيِّۖ وَتَرۡزُقُ مَن تَشَآءُ بِغَيۡرِ حِسَابٖ ٢٧﴾ [آل عمران:٢٧] هذه الآية في التغييرات التي يحدثها الله تعالى، وليست باقية على حالها ﴿قُلِ ٱللَّهُمَّ مَٰلِكَ ٱلۡمُلۡكِ تُؤۡتِي ٱلۡمُلۡكَ مَن تَشَآءُ وَتَنزِعُ ٱلۡمُلۡكَ مِمَّن تَشَآءُ وَتُعِزُّ مَن تَشَآءُ وَتُذِلُّ مَن تَشَآءُۖ بِيَدِكَ ٱلۡخَيۡرُۖ إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ ٢٦﴾ [آل عمران:٢٦] حيث لا يبقى أحد على حاله وليس هناك حالة ثبات، والآية في سياق التغييرات؛ فقال﴿ وَتُخۡرِجُ ٱلۡحَيَّ مِنَ ٱلۡمَيِّتِ وَتُخۡرِجُ ٱلۡمَيِّتَ مِنَ ٱلۡحَيِّ﴾ أمّا الآية الآخرى السابقة فهي ليست في التغييرات؛ ولذا بدأ بها بالجملة الاسمية ﴿فَالِقُ ٱلۡإِصۡبَاحِ﴾.

السؤال الثاني:

لماذا جيء بجملة ﴿يُخۡرِجُ ٱلۡحَيَّ مِنَ ٱلۡمَيِّتِ﴾ والفعل متجدد ويتكرر في كل آن، ثم أتبعها بقوله ﴿وَمُخۡرِجُ ٱلۡمَيِّتِ مِنَ ٱلۡحَيِّۚ﴾ بصيغة الاسم لا الفعل؟

الجواب:

جيء بجملة ﴿يُخۡرِجُ ٱلۡحَيَّ مِنَ ٱلۡمَيِّتِ﴾ [الأنعام:٩٥] فعلية للدلالة على أنّ هذا الفعل متجدد ويتكرر في كل آن فهو أمر متكرر معلوم، ثم تلاها بقوله: ﴿وَمُخۡرِجُ ٱلۡمَيِّتِ مِنَ ٱلۡحَيِّۚ﴾ بصيغة الاسم لا الفعل للدلالة على الدوام والثبات، وبذلك عبّر عن معنيين وحالتين هما التجدد والثبوت من خلال الفعل المضارع ﴿يُخۡرِجُ﴾ والاسم ﴿وَمُخۡرِجُ﴾ .

السؤال الثالث:

ما وجه اختلاف ﴿وَٱلشَّمۡسَ وَٱلۡقَمَرَ حُسۡبَانٗاۚ﴾ [الأنعام:٩٦] عن ﴿ٱلشَّمۡسُ وَٱلۡقَمَرُ بِحُسۡبَانٖ﴾ [الرحمن:٥]؟

الجواب:

﴿وَٱلشَّمۡسَ وَٱلۡقَمَرَ حُسۡبَانٗاۚ﴾ [الأنعام:٩٦] أي: وسيلة لحساب الزمن، وقوله تعالى بعدها: ﴿لِتَعۡلَمُواْ عَدَدَ ٱلسِّنِينَ وَٱلۡحِسَابَۚ﴾ [يونس:٥] يدل على أنّ الشمس لها حسابٌ والقمر له حساب. أما الآية الثانية ﴿ٱلشَّمۡسُ وَٱلۡقَمَرُ بِحُسۡبَانٖ﴾ [الرحمن:٥] أي: يجريان بحسابٍ دقيق مقرر معلوم من الحق سبحانه وتعالى.

السؤال الرابع:

قوله تعالى في الآية ﴿تُؤۡفَكُونَ﴾ لماذا جاء بصيغة المجهول، وكم مرة جاء الفعل (يؤفك) مبنياً للمجهول في القرآن؟

الجواب:

انظر الجواب في آية المائدة ٧٥.

﴿ وَهُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلنُّجُومَ لِتَهْتَدُوا۟ بِهَا فِى ظُلُمَٰتِ ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ ۗ قَدْ
فَصَّلْنَا ٱلْءَايَٰتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴿٩٧﴾ وَهُوَ ٱلَّذِىٓ أَنشَأَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ
فَمُسْتَقَرٌّ وَمُسْتَوْدَعٌ ۗ قَدْ فَصَّلْنَا ٱلْءَايَٰتِ لِقَوْمٍ يَفْقَهُونَ ﴿٩٨﴾ وَهُوَ ٱلَّذِىٓ
أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَخْرَجْنَا بِهِۦ نَبَاتَ كُلِّ شَىْءٍ فَأَخْرَجْنَا مِنْهُ خَضِرًا
نُّخْرِجُ مِنْهُ حَبًّا مُّتَرَاكِبًا وَمِنَ ٱلنَّخْلِ مِن طَلْعِهَا قِنْوَانٌ دَانِيَةٌ وَجَنَّٰتٍ
مِّنْ أَعْنَابٍ وَٱلزَّيْتُونَ وَٱلرُّمَّانَ مُشْتَبِهًا وَغَيْرَ مُتَشَٰبِهٍ ۗ ٱنظُرُوٓا۟ إِلَىٰ ثَمَرِهِۦٓ إِذَآ
أَثْمَرَ وَيَنْعِهِۦٓ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكُمْ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿٩٩﴾ ﴾

السؤال الأول:

ما وجه اختصاص كل آية بخاتمتها؟

الجواب:

١ـ حساب الشمس والقمر والاهتداء بالنجوم يختص بالعلماء؛ فناسب في الآية ٩٧ ﴿يَعْلَمُونَ﴾ .

٢ـ إنشاء الخلائق من نفس واحدة ونقلهم من صلب إلى رحم ثم إلى الدنيا ثم إلى مستقر ومستودع، ثم إلى حياة وموت، والنظر والتفكر في ذلك ناسبه في الآية ٩٨ ﴿يَفْقَهُونَ﴾ أي: يفهمون، وهو اشتعال الذهن بما يتوصل به إلى غيره فيتوصل في ذلك إلى صحة وقوع البعث والنشور.

٣ـ لمّا ذكر ما أنعم به على عباده من الأرزاق والأقوات والثمار ناسب ذلك ختمه بالإيمان الداعي إلى شكره تعالى على نعمه في الآية ٩٩، فقال: ﴿لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴾ [الأنعام:٩٩].

السؤال الثاني:

ما المستقر والمستودع المذكوران في الآية ٩٨؟

الجواب:

قوله تعالى: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِىٓ أَنشَأَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ فَمُسْتَقَرٌّ وَمُسْتَوْدَعٌ ۗ قَدْ فَصَّلْنَا ٱلْـَٔايَٰتِ لِقَوْمٍ يَفْقَهُونَ ﴿٩٨﴾﴾ انظر إلى هذا السر العجيب وهذا اللفظ الساحر الذي يذهب بالنفس كل مذهب، فالله خلق كل نفس وجعل لها أجلاً ومبدأ، ولكن الله عبّر عن حياتك بمستقر ومستودع، والمستقر هو القرار، تقول: استقر في المكان بمعنى قرّ فيه. والاستيداع هو أنْ تودع مالاً إلى أجل ثم تسترده فهو يؤذِن بوضع مؤقت. والاستقرار يؤذن بوضع طويل أو دائم، وهذا يطلق العنان للخيال لتختار مستقرها وتزهد باستيداعها، فشأنك أيها الإنسان استقرار واستيداع، فأنت تحيا في الأرض وديعة لتغادرها إلى من أودعك فيها، كما ترجع الوديعة إلى صاحبها، ثم تذهب إلى دار الاستقرار، وأوثر التعبير بالاستقرار والاستيداع دون الحياة الآخرة؛ ليبين لك قيمة كل منهما، ولتعلم قيمة كل مرحلة منهما ودورك فيها.

السؤال الثالث:

قال في سورة الأنعام وحدها وفي الآية ٩٨: ﴿أَنشَأَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ﴾ ولم يقل مثل ذلك في سائر سور القرآن، في حين قال: (خلقكم) في المواطن الأخرى، كما في آية النساء: ١ والأعراف ١٨٩ والزمر ٦، فلماذا؟

الجواب:

السبب أن الفعل (أنشأ) ورد في الأنعام في أربعة مواضع، وهي الآيات: [٦ـ ٩٨ـ١٣٣ـ١٤١].

ولم يرد أصلاً في السور الثلاث الأخرى، فاستعمله للتناسب اللفظي في هذه السورة دون غيرها. والله أعلم .

السؤال الرابع:

قوله تعالى في آية الأنعام ٩٨ :﴿قَدْ فَصَّلْنَا ٱلْآيَٰتِ﴾، فما الفرق بين:(نصرف ـ نفصل ـ نبين)؟

الجواب:

١ـ التصريف: هو التغيير من جهة إلى أخرى: ﴿وَتَصْرِيفِ ٱلرِّيَٰحِ وَٱلسَّحَابِ﴾ [البقرة:١٦٤]

وقد يأتي التصريف بالمسألة الواحدة فيذكرها في صور شتى حتى يوصلها لك ويثبتها في ذهنك، كذكر الله أمثلة متعددة في القرآن على خلق الإنسان وتطوره وإعادة إنبات الأرض الجرز؛ ليثبت معنى البعث والحياة الآخرة.

٢ ـ التفصيل: هو التبيين بصورة واسعة وبصور متعددة مختلفة، انظر آيات الأنعام (٩٦ـ ٩٧)، وقد يأتي التفصيل من الفصل بين الشيئين .

٣ ـ التبيين: هو توضيح أمر واحد كما تبين الكلمة الواحدة أو المسألة الواحدة، كما في آية المائدة ٧٥ .

السؤال الخامس:

ما دلالة استعمال جملة ﴿مُشْتَبِهًا وَغَيْرَ مُتَشَٰبِهٍ﴾ في آية سورة الأنعام ٩٩؟

الجواب:

قال تعالى في سورة الأنعام: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَخْرَجْنَا بِهِۦ نَبَاتَ كُلِّ شَىْءٍ فَأَخْرَجْنَا مِنْهُ خَضِرًا نُّخْرِجُ مِنْهُ حَبًّا مُّتَرَاكِبًا وَمِنَ ٱلنَّخْلِ مِن طَلْعِهَا قِنْوَانٌ دَانِيَةٌ وَجَنَّٰتٍ مِّنْ أَعْنَابٍ وَٱلزَّيْتُونَ وَٱلرُّمَّانَ مُشْتَبِهًا وَغَيْرَ مُتَشَٰبِهٍ ۗ ٱنظُرُوٓا۟ إِلَىٰ ثَمَرِهِۦٓ إِذَآ أَثْمَرَ وَيَنْعِهِۦٓ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكُمْ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ (٩٩)﴾ . وقال أيضاً في نفس السورة: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِىٓ أَنشَأَ جَنَّٰتٍ مَّعْرُوشَٰتٍ وَغَيْرَ مَعْرُوشَٰتٍ وَٱلنَّخْلَ وَٱلزَّرْعَ مُخْتَلِفًا أُكُلُهُۥ وَٱلزَّيْتُونَ وَٱلرُّمَّانَ مُتَشَٰبِهًا وَغَيْرَ مُتَشَٰبِهٍ ۚ كُلُوا۟ مِن ثَمَرِهِۦٓ إِذَآ أَثْمَرَ وَءَاتُوا۟ حَقَّهُۥ يَوْمَ حَصَادِهِۦ ۖ وَلَا تُسْرِفُوٓا۟ ۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلْمُسْرِفِينَ (١٤١)﴾ .

١ـ الاشتباه هو شدة التشابه وكثرته بحيث يؤدي ذلك إلى الإشكال، ويقال: اشتبه عليه الأمر إذا أشكل عليه والتبس، ويقال: اشتبهت عليه القِبلة، و(اشتبه) الاختلاط فيه أكثر من (تشابه)، وقد يؤدي إلى الاختلاط بين الشيئين بحيث لا يمكن أن يميّز بينهما.

٢ـ التشابه قد يكون في وجه من الأوجه أو في أمر بسيط، لكن لا يصل لدرجة الإشكال والاشتباه.

٣ـ قال في كلا الموضعين: ﴿وَغَيْرَ مُتَشَٰبِهٍۗ﴾ فنفى التشابه دون الاشتباه، فلماذا؟

ذلك لأنّ نفي التشابه ينفي الاشتباه، بينما نفي الاشتباه لا ينفي التشابه، فإذا قلت: (هذان الشيئان غير متشابهين) فقد نفيت التشابه بينهما، ونفيت الاشتباه من باب أولى، وذلك لأنّ الاشتباه إنما يحصل من شدة التشابه بين الشيئين، فإذا نفيت التشابه زال الالتباس والاشتباه .

أمّا إذا قلت: (هذان الشيئان غير مشتبهين) فقد نفيت الاشتباه بينهما لكنك لم تنفِ التشابه، فقد يكون بينهما تشابه لا يوقع في اللبس .

فلو قال في الآية الأولى: (مشتبهاً وغير مشتبه) لنفى الاشتباه لكن لم ينفِ التشابه. فعلى هذا يمكن أنْ يكون النوعان متشابهين في وجه من الوجوه، فأراد أنْ ينفي ذلك فقال: ﴿وَغَيْرَ مُتَشَٰبِهٍۗ﴾ وهذا أدلّ على القدرة، فإنّ جعل الأشياء بعضها متشابهاً وبعضها مختلفاً أدلّ على القدرة من جعلها كلها متشابهة أو جعلها كلها مختلفة. والله أعلم.

السؤال السادس:

ما الفرق بين الآيتين (٩٩) و (١٤١) في سورة الأنعام؟

الجواب:

قال في الآية الأولى رقم ٩٩: ﴿وَٱلزَّيْتُونَ وَٱلرُّمَّانَ مُشْتَبِهًا وَغَيْرَ مُتَشَٰبِهٍۗ﴾ وقال في الآية الثانية رقم ١٤١: ﴿وَٱلزَّيْتُونَ وَٱلرُّمَّانَ مُتَشَٰبِهًا وَغَيْرَ مُتَشَٰبِهٍۚ﴾ فنفى التشابه دون الاشتباه؟

لقد ذكر المفسرون أنّ (اشتبه وتشابه) بمعنى واحد كاختصم وتخاصم واشترك وتشارك ونحوها مما اشترك فيه باب الافتعال والتفاعل .

لكن بالتدقيق يتبين أنّ كل لفظة اختصت بالموطن المناسب لها، وذلك بالرجوع إلى الآيات والسياق .

١ـ سياق الآية الأولى في بيان قدرة الله وآياته الباهرة في خلقه، قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ فَالِقُ ٱلْحَبِّ وَٱلنَّوَىٰ ۖ يُخْرِجُ ٱلْحَىَّ مِنَ ٱلْمَيِّتِ وَمُخْرِجُ ٱلْمَيِّتِ مِنَ ٱلْحَىِّ ۚ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ ۖ فَأَنَّىٰ تُؤْفَكُونَ ﴿٩٥﴾ فَالِقُ ٱلْإِصْبَاحِ وَجَعَلَ ٱلَّيْلَ سَكَنًا وَٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ حُسْبَانًا ۚ ذَٰلِكَ تَقْدِيرُ ٱلْعَزِيزِ ٱلْعَلِيمِ ﴿٩٦﴾ وَهُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلنُّجُومَ لِتَهْتَدُوا۟ بِهَا فِى ظُلُمَٰتِ ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ ۗ قَدْ فَصَّلْنَا ٱلْـَٔايَٰتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴿٩٧﴾ وَهُوَ ٱلَّذِىٓ أَنشَأَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ فَمُسْتَقَرٌّ وَمُسْتَوْدَعٌ ۗ قَدْ فَصَّلْنَا ٱلْـَٔايَٰتِ لِقَوْمٍ يَفْقَهُونَ ﴿٩٨﴾ وَهُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَخْرَجْنَا بِهِۦ نَبَاتَ كُلِّ شَىْءٍ فَأَخْرَجْنَا مِنْهُ خَضِرًا نُّخْرِجُ مِنْهُ حَبًّا مُّتَرَاكِبًا وَمِنَ ٱلنَّخْلِ مِن طَلْعِهَا قِنْوَانٌ دَانِيَةٌ وَجَنَّٰتٍ مِّنْ أَعْنَابٍ وَٱلزَّيْتُونَ وَٱلرُّمَّانَ مُشْتَبِهًا وَغَيْرَ مُتَشَٰبِهٍ ۗ ٱنظُرُوٓا۟ إِلَىٰ ثَمَرِهِۦٓ إِذَآ أَثْمَرَ وَيَنْعِهِۦٓ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكُمْ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿٩٩﴾﴾ [الأنعام:٩٥-٩٦-٩٧-٩٨-٩٩].

٢ـ أمّا سياق الآية الثانية ففي بيان الأطعمة وما يحلُّله أهل الكفر افتراء على الله وبيان عقائدهم الباطلة، قال تعالى: ﴿وَجَعَلُوا۟ لِلَّهِ مِمَّا ذَرَأَ مِنَ ٱلْحَرْثِ وَٱلْأَنْعَٰمِ نَصِيبًا فَقَالُوا۟ هَٰذَا لِلَّهِ بِزَعْمِهِمْ وَهَٰذَا لِشُرَكَآئِنَا ۖ فَمَا كَانَ لِشُرَكَآئِهِمْ فَلَا يَصِلُ إِلَى ٱللَّهِ ۖ وَمَا كَانَ لِلَّهِ فَهُوَ يَصِلُ إِلَىٰ شُرَكَآئِهِمْ ۗ سَآءَ مَا يَحْكُمُونَ ﴿١٣٦﴾ وَكَذَٰلِكَ زَيَّنَ لِكَثِيرٍ مِّنَ ٱلْمُشْرِكِينَ قَتْلَ أَوْلَٰدِهِمْ شُرَكَآؤُهُمْ لِيُرْدُوهُمْ وَلِيَلْبِسُوا۟ عَلَيْهِمْ دِينَهُمْ ۖ وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَا فَعَلُوهُ ۖ فَذَرْهُمْ وَمَا يَفْتَرُونَ ﴿١٣٧﴾ وَقَالُوا۟ هَٰذِهِۦٓ أَنْعَٰمٌ وَحَرْثٌ حِجْرٌ لَّا يَطْعَمُهَآ إِلَّا مَن نَّشَآءُ بِزَعْمِهِمْ وَأَنْعَٰمٌ حُرِّمَتْ ظُهُورُهَا وَأَنْعَٰمٌ لَّا يَذْكُرُونَ ٱسْمَ ٱللَّهِ عَلَيْهَا ٱفْتِرَآءً عَلَيْهِ ۚ سَيَجْزِيهِم بِمَا كَانُوا۟ يَفْتَرُونَ ﴿١٣٨﴾ وَقَالُوا۟ مَا فِى بُطُونِ هَٰذِهِ ٱلْأَنْعَٰمِ خَالِصَةٌ لِّذُكُورِنَا وَمُحَرَّمٌ عَلَىٰٓ أَزْوَٰجِنَا ۖ وَإِن يَكُن مَّيْتَةً فَهُمْ فِيهِ شُرَكَآءُ ۚ سَيَجْزِيهِمْ وَصْفَهُمْ ۚ إِنَّهُۥ حَكِيمٌ عَلِيمٌ ﴿١٣٩﴾ قَدْ خَسِرَ ٱلَّذِينَ

﴿قَتَلُوٓاْ أَوۡلَٰدَهُمۡ سَفَهَۢا بِغَيۡرِ عِلۡمٖ وَحَرَّمُواْ مَا رَزَقَهُمُ ٱللَّهُ ٱفۡتِرَآءً عَلَى ٱللَّهِۚ قَدۡ ضَلُّواْ وَمَا كَانُواْ مُهۡتَدِينَ ١٤٠ ۞ وَهُوَ ٱلَّذِيٓ أَنشَأَ جَنَّٰتٖ مَّعۡرُوشَٰتٖ وَغَيۡرَ مَعۡرُوشَٰتٖ وَٱلنَّخۡلَ وَٱلزَّرۡعَ مُخۡتَلِفًا أُكُلُهُۥ وَٱلزَّيۡتُونَ وَٱلرُّمَّانَ مُتَشَٰبِهٗا وَغَيۡرَ مُتَشَٰبِهٖۚ كُلُواْ مِن ثَمَرِهِۦٓ إِذَآ أَثۡمَرَ وَءَاتُواْ حَقَّهُۥ يَوۡمَ حَصَادِهِۦۖ وَلَا تُسۡرِفُوٓاْۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلۡمُسۡرِفِينَ ١٤١﴾ [الأنعام:١٣٦-١٣٧-١٣٨ - ١٣٩ -١٤٠-١٤١] ويستمر السياق .

فاتضح الفرق بين السياقين، فالآية الأولى في بيان قدرة الله وآياته والأخرى في بيان ما يؤكل من الفواكه والزرع، وإليك بيان ذلك:

أ ـ قال تعالى في الآية الأولى: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِيٓ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءٗ﴾، فبدأ بمرحلة ما قبل الإنبات، وبيّن أنّ الله هو الذي أنزل الماء من السماء، ولم يذكر ذلك في الآية الثانية.

ب ـ ذكر في الآية الأولى أنه أخرج به نبات كل شيء على وجه العموم ولم يخصصه بنوع معين من أنواع النبات، وهو مما يدل على القدرة الباهرة، ولم يذكر مثل ذلك في الآية الثانية.

ج ـ ذكر في الأولى أنه أخرج منه خضراً مشيراً إلى تسلسل عملية النمو والإنبات، ولم يذكر مثل ذلك في الآية الثانية.

د ـ ذكر في الأولى أنه أخرج منه حباً متراكباً، ولم يشر إلى الحبوب في الآية الثانية.

هـ ـ أنّ القصد الأول في الآية الأولى بيان قدرة الله فقال: ﴿وَمِنَ ٱلنَّخۡلِ مِن طَلۡعِهَا قِنۡوَانٞ دَانِيَةٞ﴾ فذكر طَلعَها وقِنوانها، في حين كان المقصد الأول في الآية الثانية ذكر المطعومات فقال: ﴿وَٱلنَّخۡلَ وَٱلزَّرۡعَ مُخۡتَلِفًا أُكُلُهُۥ وَٱلزَّيۡتُونَ وَٱلرُّمَّانَ﴾ فذكر ما يؤكل من ثمار الزرع

ولم يشر إلى الطلع والقنوان، (الطلع أول ما يخرج من التمر، والقنوان هي العناقيد أو العراجين أو الأعذاق).

و ـ قال في الأولى: ﴿انظُرُوٓاْ إِلَىٰ ثَمَرِهِۦٓ إِذَآ أَثۡمَرَ وَيَنۡعِهِۦٓۚ﴾ وهو نظرُ تدبُّرٍ وتأمُّلٍ، في حين قال في الثانية: ﴿كُلُواْ مِن ثَمَرِهِۦٓ إِذَآ أَثۡمَرَ﴾ وانظر إلى تناسب ﴿مُخۡتَلِفًا أُكُلُهُۥ﴾ مع قوله: ﴿كُلُواْ مِن ثَمَرِهِۦٓ إِذَآ أَثۡمَرَ﴾ .

ز ـ قال في الأولى: ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكُمۡ لَأٓيَٰتٖ لِّقَوۡمٖ يُؤۡمِنُونَ ٩٩﴾ وهي الآيات الدالة على قدرته وبديع صنعه، بينما قال في الثانية: ﴿وَلَا تُسۡرِفُوٓاْۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلۡمُسۡرِفِينَ ١٤١﴾ فاتضح الفرق بين السياقين والآيتين .

٢ـ نعود الآن إلى أصل المسألة، وهو أنه لماذا قال في الآية الأولى: ﴿مُشۡتَبِهٗا وَغَيۡرَ مُتَشَٰبِهٍ﴾ [الأنعام:٩٩] وفي الثانية: ﴿مُتَشَٰبِهٗا وَغَيۡرَ مُتَشَٰبِهٖۚ﴾؟

إنّ الفعل (اشتبه) أكثر ما يفيد الالتباس والإشكال مثل: اشتبه الأمر عليَّ، واشتبهت القبلة عليَّ، وإنّ الفعل (تشابه) أكثر ما يفيد التشابه بين الشيئين أو الأشياء.

ومعلوم أنّ الذي يستطيع أن يُشَبِّه الأمور حتى تلتبس على الناظر أو المتأمل فلا يميز بينها أقدر من الذي يقدر على أنْ يجعل مجرد تشابه بين شيئين، وأنّ الأمور المشبهة كلما دقت كانت أدل على القدرة والبراعة.

من ناحية أخرى فإنّ الأمور المشتبهة تحتاج إلى زيادة نظر وتأمل لإدراك حقيقة أمرها؛ فوضع ﴿مُشۡتَبِهٗا﴾ في السياق الدال على قدرته وآياته وفي موضع الأمر بالنظر قال:

﴿ٱنظُرُوٓاْ إِلَىٰ ثَمَرِهِۦٓ﴾ دون الموضع الآخر مما ليس في هذا السياق، فكان كل تعبير أنسب في سياقه الذي ورد فيه .

٣ـ وأما لماذا قال في الموضعين: ﴿وَغَيۡرَ مُتَشَٰبِهٍۗ﴾ فنفى التشابه دون الاشتباه،؛ فالسبب: أنّ نفي التشابه ينفي الاشتباه، ونفي الاشتباه لا ينفي التشابه .

وإيضاح ذلك أنك إذا قلت: هذان الشيئان غير متشابهين، فقد نفيت التشابه بينهما ونفيت الاشتباه من باب أولى؛ وذلك لأنّ الاشتباه إنما يحصل من شدة التشابه بين الشيئين، فإذا نفيت التشابه زال الالتباس والاشتباه .

أما إذا قلت: هذان الشيئان غير مشتبهين، فقد نفيت الاشتباه، ولكنك لم تنف التشابه، فقد يكون بينهما تشابه لا يوقع في اللبس.

فلو قال مثلاً في الآية الأولى: (مشتبهاً وغير مشتبه) لكان قد نفى الاشتباه ولم ينف عنه التشابه، فأراد أنْ ينفي ذلك، فقال: وغير متشابه، وهذا يدل على القدرة؛ فإنّ جعل الأشياء بعضها متشابهاً وبعضها مختلفاً أدل على القدرة من جعلها كلها متشابهة أو جعلها كلها مختلفة. والله أعلم .

السؤال السابع:

ما الفرق بين (ذلك) و(ذلكم) في الاستعمال القرآني، كما في الآيات البقرة ٢٣٢ـ الأنعام ٩٩ـ ق ٢٠؟

الجواب:

انظر الجواب في آية البقرة ٢٣٢.

﴿ وَجَعَلُواْ لِلَّهِ شُرَكَآءَ ٱلْجِنَّ وَخَلَقَهُمْۖ وَخَرَقُواْ لَهُۥ بَنِينَ وَبَنَٰتِۭ بِغَيْرِ عِلْمٍۚ سُبْحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يَصِفُونَ ﴿١٠٠﴾ ﴾

السؤال الأول:

ما دلالة قوله تعالى في الآية ﴿ وَجَعَلُواْ لِلَّهِ شُرَكَآءَ ٱلْجِنَّ وَخَلَقَهُمْۖ وَخَرَقُواْ لَهُۥ بَنِينَ وَبَنَٰتِۭ بِغَيْرِۚ ﴾؟

الجواب:

١ـ قوله تعالى ﴿ وَجَعَلُواْ لِلَّهِ شُرَكَآءَ ٱلْجِنَّ ﴾ أي: وجعلوا الجن شركاء لله، والتقديم للاهتمام في استعظام أنْ يُتَّخَذَ لله شريك سواء كان مَلَكاً أو جنياً أو إنسياً؛ ولهذا السبب تم تقديم اسم الله على الشركاء.

٢ـ قوله تعالى ﴿وَخَلَقَهُمْۖ﴾ يحتمل وجهين:

آـ أنه خلقهم وحده بلا شريك، فَلِمَ جعلوا له في العبادة شريكاً .

ب ـ أنه خلق من جعلوه شريكاً فكيف صار في العبادة شريكاً؟

السؤال الثاني:

ما معنى ﴿وَخَرَقُواْ﴾؟ وما دلالة فاصلة الآية؟

الجواب:

آ ـ قرأ نافع (وخرَّقوا) مشددة الراء، والباقون ﴿وَخَرَقُواْ﴾ خفيفة الراء، والاختيار التخفيف، والتشديد للمبالغة والتكثير.

ب ـ معنى ﴿وَخَرَقُواْ﴾ افتعلوا وافتروا، وقال الفراء: خرقوا واخترقوا وخلقوا واختلقوا وافتروا واحد.

يقال: تخرق الكذب وتخلقه، وسئل الحسن عن هذه الكلمة فقال: كلمة عربية كانت تقولها العرب، وكان الرجل إذا كذب كذبة في نادي القوم يقول له بعضهم: قد خرقها.

ثم قال: ويجوز أن يكون من خرق الثوب إذا شقه، أي: شقوا له بنين وبنات.

و الخرق هو القطع والشق على سبيل الفساد ومن غير تعقل وتدبر، فهم يقولون، ولكنهم يفترون ويكذبون، وهذا الكذب فاضح لا يكتم نفسه.

ج ـ ختم الله هذه الآية بقوله ﴿سُبْحَـٰنَهُۥ وَتَعَـٰلَىٰ عَمَّا يَصِفُونَ ﴿١٠٠﴾﴾ أي: تنزيه لله عن كل ما لا يليق به، وتعالى الله عن كل اعتقاد باطل وقول فاسد، أي: تعالى الله في ذاته عن الصفات الباطلة التي يقولها المبطلون.

السؤال الثالث:

ما إعراب كلمة (الجن) في الآية ﴿وَجَعَلُوا۟ لِلَّهِ شُرَكَآءَ ٱلْجِنَّ وَخَلَقَهُمْ ۖ وَخَرَقُوا۟ لَهُۥ بَنِينَ وَبَنَـٰتٍۭ بِغَيْرِ عِلْمٍ ۚ سُبْحَـٰنَهُۥ وَتَعَـٰلَىٰ عَمَّا يَصِفُونَ ﴿١٠٠﴾﴾؟ هل هي مفعول أوّل مؤخّر أم بدل من (شركاء)؟

الجواب:

١ـ بعض العلماء يرى أنه هنا تقديم وتأخير للاهتمام؛ لأنّ الفعل (جعل) يتعدى إلى مفعولين عندما يكون بمعنى (صيّر)، أي: إعراب (الجن) مفعول به أول منصوب. و(شركاء) مفعول به ثان مقدم منصوب .

والقول بالتقديم والتأخير لا بأس به، والجار والمجرور يتعلقان بـ (جعل) .

٢ـ والرأي الآخر يقول هي: ﴿وَجَعَلُوا لِلَّهِ شُرَكَاءَ﴾ الجار والمجرور هو متعلق بأحد المفعولين و(شركاء) هو المفعول الآخر، و(الجن) عند ذلك يمكن أن يكون مفعولاً به لفعل محذوف تقديره (أعني)، أو يكون بدلاً أو عطف بيان من كلمة (شركاء).

ولو نظرنا في نظام الآية كأنها أريد لها أن لا تكون لفظة (الجن) متصلة بكلمة الله سبحانه وتعالى، حتى في النظم وحتى في الترتيب.

❀❀❀❀

﴿بَدِيعُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ أَنَّىٰ يَكُونُ لَهُ وَلَدٌ وَلَمْ تَكُن لَّهُ صَاحِبَةٌ وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ (١٠١)﴾

السؤال الأول:

لماذا اختار كلمة (صاحبة) في آية الأنعام ١٠١، وكذلك في قوله تعالى ﴿وَأَنَّهُ تَعَالَىٰ جَدُّ رَبِّنَا مَا اتَّخَذَ صَاحِبَةً وَلَا وَلَدًا (٣)﴾ [الجن:٣]؟ وهل كل امرأة تعد صاحبة؟

الجواب:

١ـ القاعدة العامة التي نجدها في القرآن الكريم أنّ القرآن الكريم عندما يذكر الصاحبة يذكر معها الولد.

* شواهد قرآنية:

ـ ﴿بَدِيعُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ أَنَّىٰ يَكُونُ لَهُ وَلَدٌ وَلَمْ تَكُن لَّهُ صَاحِبَةٌ وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ [الأنعام:١٠١].

ـ ﴿وَأَنَّهُ تَعَالَىٰ جَدُّ رَبِّنَا مَا اتَّخَذَ صَاحِبَةً وَلَا وَلَدًا (٣)﴾ [الجن:٣].

ـ ﴿يُبَصَّرُونَهُمْ ۚ يَوَدُّ ٱلْمُجْرِمُ لَوْ يَفْتَدِى مِنْ عَذَابِ يَوْمِئِذٍۭ بِبَنِيهِ ﴿١١﴾ وَصَٰحِبَتِهِۦ وَأَخِيهِ ﴿١٢﴾﴾ [المعارج:١١-١٢].

ـ ﴿وَصَٰحِبَتِهِۦ وَبَنِيهِ ﴿٣٦﴾﴾ [عبس:٣٦].

ولم ترد إلا في هذه المواطن الأربعة كلمة (صاحبة)، وعندما يقول (صاحبة) يذكر معها الولد، فكأنما هذا الاستعمال يشير إلى أنّ الزوجة التي تسمى صاحبة ينبغي أن تكون قد صحبته مدة بحيث حصل منها ولد حتى تسمى صاحبة، أما بمجرد العقد فهي زوجة فقط.

فالزوجة قد تكون صاحبة وقد لا تكون، مع ملاحظة أنّ القرآن الكريم لم يستعمل لفظ (زوجة) بالتاء بتاتاً، وإنما استعمل كلمة (زوج)، و(الزوج) هو أحد شيئين:

٢ـ الزوج ومقلوبه (جوز):(الجوزة) تتكون عادة من فلقتين، هاتان الفلقتان تشكلان جوزاً. الزوج والزوج كلاهما يشكلان زوجاً، والعرب صارت تستعمل الزوج للواحد من الاثنين المتلازمين.

٣ـ استعمل القرآن كلمة (زوج) للمفرد الذي يكون معه نظيره، كما في آية الأنعام ١٤٣، حيث ذكر ثمانية أزواج ﴿ثَمَٰنِيَةَ أَزْوَٰجٍ ۖ مِّنَ ٱلضَّأْنِ ٱثْنَيْنِ وَمِنَ ٱلْمَعْزِ ٱثْنَيْنِ﴾ ﴿وَمِنَ ٱلْإِبِلِ ٱثْنَيْنِ وَمِنَ ٱلْبَقَرِ ٱثْنَيْنِ ۗ﴾ فذكر أربعة أجناس، وقال ثمانية أزواج.

٤ـ هي زوجه وهو زوجها والقرآن استعملها بهذه الصيغة، فاستعمل كلمة ﴿زوج﴾ للمذكر والمؤنث، كما في قوله تعالى: ﴿وَقُلْنَا يَٰٓـَٔادَمُ ٱسْكُنْ أَنتَ وَزَوْجُكَ﴾ [البقرة:٣٥] للمرأة و﴿فَإِن طَلَّقَهَا فَلَا تَحِلُّ لَهُۥ مِنۢ بَعْدُ حَتَّىٰ تَنكِحَ زَوْجًا غَيْرَهُۥ ۗ﴾ [البقرة:٢٣٠] للرجل.

فالمرأة زوج والرجل زوج. وكلمة زوج وأزواج استعمل معها الذرية والأبناء والبنين والحفدة .

٥ـ إذن كلمة (زوج) أشمل من كلمة (صاحبة) الزوج قد تكون منجبة، وقد لا تكون، وقد تكون مصاحبة وقد لا تكون، فقد تطول صحبتها أوتقصر .

❋❋❋❋

﴿ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۖ خَٰلِقُ كُلِّ شَيْءٖ فَٱعْبُدُوهُۚ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٖ وَكِيلٞ ١٠٢﴾

السؤال الأول:

ما دلالة تقديم/ تأخير ﴿لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۖ﴾ في آية الأنعام ١٠٢ وآية غافر ٦٢؟

الجواب:

آيات الأنعام ١٠٠ـ١٠٢:

ـ ﴿وَجَعَلُواْ لِلَّهِ شُرَكَآءَ ٱلْجِنَّ وَخَلَقَهُمْۖ وَخَرَقُواْ لَهُۥ بَنِينَ وَبَنَٰتِۭ بِغَيْرِ عِلْمٖۚ سُبْحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يَصِفُونَ ١٠٠ بَدِيعُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِۖ أَنَّىٰ يَكُونُ لَهُۥ وَلَدٞ وَلَمْ تَكُن لَّهُۥ صَٰحِبَةٞۖ وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٖۖ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٞ ١٠١ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۖ خَٰلِقُ كُلِّ شَيْءٖ فَٱعْبُدُوهُۚ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٖ وَكِيلٞ ١٠٢﴾ .

آيات غافر ٥٧ـ٦٢:

ـ ﴿لَخَلْقُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ أَكْبَرُ مِنْ خَلْقِ ٱلنَّاسِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ٥٧ وَمَا يَسْتَوِي ٱلْأَعْمَىٰ وَٱلْبَصِيرُ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَلَا ٱلْمُسِيٓءُۚ قَلِيلٗا مَّا تَتَذَكَّرُونَ ٥٨ إِنَّ ٱلسَّاعَةَ لَأٓتِيَةٞ لَّا رَيْبَ فِيهَا وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يُؤْمِنُونَ ٥٩ وَقَالَ رَبُّكُمُ ٱدْعُونِيٓ أَسْتَجِبْ لَكُمْۚ إِنَّ

ﭐلَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ ﴿٦٠﴾ ﭐللَّهُ ٱلَّذِي جَعَلَ لَكُمُ ٱلَّيْلَ لِتَسْكُنُوا۟ فِيهِ وَٱلنَّهَارَ مُبْصِرًا ۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى ٱلنَّاسِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ ﴿٦١﴾ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ خَٰلِقُ كُلِّ شَيْءٍ لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ فَأَنَّىٰ تُؤْفَكُونَ ﴿٦٢﴾﴾ .

البيـــــان: قدّم في آية الأنعام ١٠٢ ﴿لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ﴾ وأخّر ﴿خَٰلِقُ كُلِّ شَيْءٍ﴾ وفي آية غافر ٦٢ جاء بالعكس ؛ وذلك:

١ ـ أنّ سياق آيات الأنعام: ١٠٠–١٠٢ في الإنكار على الشرك، والدعوة إلى التوحيد الخالص ونفي الشركاء؛ ولذا قدّم كلمة التوحيد ﴿لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ﴾ على ﴿خَٰلِقُ كُلِّ شَيْءٍ﴾ .

إضافة إلى أنه قال: ﴿وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ﴾ بعد قوله ﴿أَنَّىٰ يَكُونُ لَهُۥ وَلَدٌ وَلَمْ تَكُن لَّهُۥ صَٰحِبَةٌ﴾ فأخّر الخلق بعد التوحيد، وهو نظير تأخيره في قوله ﴿لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ خَٰلِقُ كُلِّ شَيْءٍ﴾ وهو تناظر جميل .

٢ ـ أما سياق آيات سورة غافر: ٥٧–٦٢ فهو في سياق الخلق وتعداد النعم وفضله على الناس لا في سياق التوحيد، فقدّم الخلق لذلك، ووضع كل تعبير في مكانه المناسب.

﴿ لَّا تُدْرِكُهُ ٱلْأَبْصَٰرُ وَهُوَ يُدْرِكُ ٱلْأَبْصَٰرَ ۖ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلْخَبِيرُ ﴿١٠٣﴾ ﴾

السؤال الأول:

ما دلالة قوله تعالى في الآية ﴿لَّا تُدْرِكُهُ ٱلْأَبْصَٰرُ وَهُوَ يُدْرِكُ ٱلْأَبْصَٰرَ ۖ﴾؟

الجواب:

لماذا لا تدركه الأبصار؟ لأنّ البصر آلة إدراك لها قانونها بأن ينعكس الشعاع من المرئي إلى الرائي ويحدده، فلو أنّ الأبصار تدركه لحددته وأصبح من يراه قادراً عليه، والقادر لا ينقلب مقدوراً عليه أبداً.

لذلك من عظمته أنه لا يُدرك؛ لأن الإدراك معناه الإحاطة، كما قال أصحاب موسى (إنا لمدركون).

وبالتالي فهو لا تدركه الأبصار، لكنه هو يدرك الأبصار؛ لأنه قادر بذاته .

❊❊❊❊

﴿ وَكَذَٰلِكَ نُصَرِّفُ ٱلْءَايَٰتِ وَلِيَقُولُواْ دَرَسْتَ وَلِنُبَيِّنَهُۥ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴿١٠٥﴾ ﴾

السؤال الأول:

ما دلالة هذه الآية؟ وما معنى: درستَ؟

الجواب:

١ـ قوله تعالى ﴿وَكَذَٰلِكَ نُصَرِّفُ ٱلْءَايَٰتِ﴾ أي: انظروا ما صرفنا لكم في القرآن من الآيات يتلو بعضها بعضاً، وأوضحنا بها من شريف الدلالات وعجائب التصاريف

وغرائب التعاريف، وأنّ الآية الواحدة قد تنصرف في معانٍ متغايرة مبالغة في الإعجاز ومباينة لكلام البشر؛ ولذلك تلزمكم الحجة.

٢ـ قوله تعالى: ﴿وَلِيَقُولُواْ دَرَسْتَ﴾ في الكلام حذف بتقدير: (ولئلا يقولوا درست) وحذف ذلك إيجازاً، أي: دارست وتعلمت من غيرك من أهل الكتاب؛ ولذلك يقول الحق: ﴿وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّهُمْ يَقُولُونَ إِنَّمَا يُعَلِّمُهُۥ بَشَرٌ﴾ [النحل:١٠٣] ويأتي الرد من الحق: ﴿لِّسَانُ ٱلَّذِى يُلْحِدُونَ إِلَيْهِ أَعْجَمِىٌّ وَهَٰذَا لِسَانٌ عَرَبِىٌّ مُّبِينٌ ﴿١٠٣﴾﴾ [النحل:١٠٣].

٣ـ في كلمة (درستَ) خمس قراءات يختلف تأويلها بحسب اختلافها:

آـ الأولى: ﴿دَرَسْتَ﴾ أي قرأت وتعلمت، قراءة حمزة والكسائي.

ب ـ الثانية: {دَارَسْتَ} بمعنى ذاكرت وقارأت، قراءة لابن كثير وأبي عمرو.

ج ـ الثالثة: {دَرَسَتْ} بتسكين التاء بمعنى انمحت وتقادمت، قراءة ابن عامر.

د ـ الرابعة : {دُرِسَتْ} بضم الدال لما لم يسم فاعله، قاله قتادة .

هـ ـ الخامسة: {دَرَسَ} بمعنى قرأ وتلا، قاله أُبي بن كعب وابن مسعود.

٤ـ اللام في قوله تعالى: ﴿وَلِنُبَيِّنَهُۥ﴾ هي لبيان الغرض، وليست لام العاقبة .

والمراد الإبلاغ في البيان فيهتدي من كان للعلم أهلاً فلا يقولون: درست، بل يقولون: إنه من عند الله. والله أعلم .

﴿ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا أَشْرَكُوا ۗ وَمَا جَعَلْنَاكَ عَلَيْهِمْ حَفِيظًا ۖ وَمَا أَنتَ عَلَيْهِم بِوَكِيلٍ (١٠٧) ﴾

السؤال الأول:

ما الفرق بين ﴿وَمَا أَنَا عَلَيْكُم بِوَكِيلٍ (١٠٨)﴾ في آية يونس ١٠٨ و ﴿وَمَا أَنتَ عَلَيْهِم بِوَكِيلٍ (١٠٧)﴾ في آية الأنعام ١٠٧ و﴿لَّسْتُ عَلَيْكُم بِوَكِيلٍ (٦٦)﴾ في آية الأنعام ٦٦؟ وما الفرق في الاستعمال بين ليس و ما؟ وهل (ما) آكد من (ليس)؟

الجواب:

انظر الجواب في آية الأنعام ٦٦.

❁❁❁❁

﴿ وَلَا تَسُبُّوا الَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِ اللَّهِ فَيَسُبُّوا اللَّهَ عَدْوًا بِغَيْرِ عِلْمٍ ۗ كَذَٰلِكَ زَيَّنَّا لِكُلِّ أُمَّةٍ عَمَلَهُمْ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّهِم مَّرْجِعُهُمْ فَيُنَبِّئُهُم بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ (١٠٨) ﴾

السؤال الأول:

في الآية أسلوب شرطي فيه جزاء مترتب على ما قبله، فما جواب الطلب في الآية؟

الجواب:

عادة يجزم الفعل المضارع بعد أدوات الجزم الظاهرة مثل: (لم ـ لمّا ـ لام الأمر ـ لا الناهية)، وقد يجزم بغير أداة ظاهرة، وهو الذي يسميه النحاة جواب الطلب، نحو: زرني أزرْك، والنحاة تقدر المعنى: إن تزرني أزرْك .

وهذا الأسلوب أسلوب شرطي فيه جزاء مترتب على ما قبله ومرتبط به ارتباط الجزاء بالشرط، فإن لم يرتبط الفعل بما قبله هذا الارتباط لم يجزم.

* شواهد قرآنية:

ـ ﴿ وَأَخِى هَـٰرُونُ هُوَ أَفْصَحُ مِنِّى لِسَانًا فَأَرْسِلْهُ مَعِىَ رِدْءًا يُصَدِّقُنِىٓ ﴾ [القصص:٣٤] فإنه رفع (يصدِّقُني)؛ لأنه ليس على إرادة الشرط، إذ ليس معناه إنْ ترسله يصدقني، وإنما المعنى: أرسله ردءاً فإنه يصدقني.

وفي قوله: يصدقني، قراءتان بضم القاف وسكونها، أي: إن القراءتين جمعتا معاني الشرط والوصفية والاستئناف .

ـ ﴿فَهَبْ لِى مِن لَّدُنكَ وَلِيًّا ۝٥ يَرِثُنِى﴾ [مريم:٥-٦] لم يقصد الجزاء؛ فرفع.

ـ ﴿ثُمَّ ذَرْهُمْ فِى خَوْضِهِمْ يَلْعَبُونَ ۝٩١﴾ [الأنعام:٩١] .

ـ (زرني أزرْك) مجزوم؛ لأنّ فيه معنى الشرط.

ـ (زرني أزورك)بالرفع؛ لأنّه ليس فيه معنى الشرط، وإنما المعنى: أنا ممن يزورك.

تخلف فعلِ الجزاء عن معنى الشرط:

١ـ فعل الجزاء إذا تخلف عن معنى الشرط لا يصح جزمه، وهذا يكون غالباً في الشرط بعد النهي أو النفي.

آ ـ ففي النهي لا يصح أنْ تقول: لا تدنُ من النار تحترقْ، بالجزم؛ لأنه لا يصح أن تقول: إنْ لا تدن من النار تحترق، بخلاف قولك: لا تدن من النار تسلمْ، فإنه يصح القول: إنْ لا تدن من النار تسلم، ولذا يجزم الفعل (تسلم) ولا يجزم الفعل: تحترق .

ب ـ وأمّا في النفي فلا يجوز إسقاط الفاء وجزم الفعل؛ لأنه لا يصح تقدير الشرط إذا حذفت؛ لذلك يصح أنْ تقول: لا تدن من الأسد فيأكلَك، فالفاء هنا لبيان علة عدم الاقتراب من الأسد.

بينما لا يصح أنْ تقول: لا تدن من الأسد يأكلْك، فإنه لا يصح فيه الجزم إذ لا يقال: إنْ لا تدن من الأسد يأكلْك .

٢ـ أنّ ما نُصب بعد فاء السببية في الطلب إذا أسقطت منه الفاء جزمت .

تقول: (أين بيتك فأزورَك) فالفعل منصوب بعد فاء السببية، فإذا أسقطت الفاء منه وبقي في الجملة معنى السبب جزمت، فتقول:(أين بيتك أزرْك) وهذا يدل على أنّ معنى الجزم أنْ يكون الثاني مسبباً عن الأول، وهو المقصود من الشرط، فإنْ لم يصح تقدير الشرط بعد إسقاط الفاء لم يصح جزم الفعل.

* شواهد قرآنية:

ـ ﴿وَلَا تَقْرَبَا هَٰذِهِ ٱلشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٩﴾﴾ [الأعراف:١٩].

ـ ﴿ وَلَا تَسُبُّوا۟ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ فَيَسُبُّوا۟ ٱللَّهَ عَدْوًۢا بِغَيْرِ عِلْمٍ ﴾ [الأنعام:١٠٨].

ـ ﴿وَلَا تَمَسُّوهَا بِسُوٓءٍ فَيَأْخُذَكُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٧٣﴾﴾ [الأعراف:٧٣].

ـ ﴿لَا تَقْصُصْ رُءْيَاكَ عَلَىٰٓ إِخْوَتِكَ فَيَكِيدُوا۟ لَكَ كَيْدًا﴾ [يوسف:٥].

ـ ﴿لَا يُقْضَىٰ عَلَيْهِمْ فَيَمُوتُوا۟﴾ [فاطر:٣٦].

في هذه الأمثلة لا يصح إسقاط الفاء وجزم الفعل؛ لأنه لا يصح تقدير الشرط إذا حذفت الفاء، فلا يصح (إن لا يُقض عليهم يموتوا)، وأما الفاء فهي لبيان العلة والسبب.

الملخص والنتيجة:

١ـ جواب الطلب هو أسلوب شرطي، لكنه مختلف عن أسلوب الشرط المشهور والذي يتضمن أداة الشرط وفعله وجزاءه، نحو: إنْ تزرني أزرك، ووجوه الاختلاف هي:

آ ـ أنّ الارتباط هنا ليس بأداة الشرط، بل بمعنى الجزاء.

ب ـ أنّ الشرط في الأسلوب المشهور يكون فعلاً ماضياً أو مضارعاً، بينما في جواب الطلب يكون الشرط فيه طلباً دائماً.

ج ـ في الشرط المشهور ترتبط الأسباب بمسبباتها، بينما في جواب الطلب تتحقق هذه الفائدة ويتحقق معها إفادة معنى الطلب من أمر ونهي واستفهام وتمنٍّ مما لا يتحقق بالشرط.

٢ـ في حالة وجود فاء السببية لا يصح إسقاط الفاء من جواب الطلب وجزمه؛ لأنه لا يصح تقدير الشرط إذا حذفت في النهي والنفي، والفاء لمجرد بيان السبب، وأمّا إسقاطها فعلى إرادة الشرط والجزاء، وهناك فرق في المعنى بين ذكر الفاء وإسقاطها والجزم على الطلب.

* شواهد قرآنية على الفاء:

آ ـ ﴿هَلْ عِندَكُم مِّنْ عِلْمٍ فَتُخْرِجُوهُ لَنَآ﴾[الأنعام:١٤٨] .

لا يحسن إسقاط الفاء؛ لأنّ الاستفهام مستمر إلى ما بعد الفاء، بخلاف ما لو جزمت فسينقطع الاستفهام ويصبح أسلوباً شرطياً بمعنى: إنْ كان عندكم علم تخرجوه لنا، وهو مخالف للمقصود.

ب ـ ﴿لَوْ أَنَّ لَنَا كَرَّةً فَنَتَبَرَّأَ مِنْهُمْ﴾ [البقرة:١٦٧] فإنّ التمني مستمر إلى ما بعد الفاء.

ج ـ ﴿أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَتَكُونَ لَهُمْ قُلُوبٌ يَعْقِلُونَ بِهَآ﴾ [الحج:٤٦] فالاستفهام مستمر بخلاف ما لو أسقطت الفاء وجزمت، فإن المعنى لا يصح.

د ـ ﴿يَا هَامَانُ ابْنِ لِي صَرْحًا لَّعَلِّي أَبْلُغُ الْأَسْبَابَ ﴿٣٦﴾ أَسْبَابَ السَّمَاوَاتِ فَأَطَّلِعَ إِلَىٰ إِلَٰهِ مُوسَىٰ وَإِنِّي لَأَظُنُّهُ كَاذِبًا﴾ [غافر:٣٦-٣٧] فلا يحسن إسقاط الفاء من (فأطلعَ)؛ لأنّ الترجي مستمر إلى ما بعد الفاء، ولو جزمت فقلت: (أطَّلِعْ) فسيكون المعنى: إذا بلغت الأسباب اطلعت إلى إله موسى، وهذا غير مراد، ولا يصح المعنى.

هـ ـ ﴿وَأَنفِقُوا مِن مَّا رَزَقْنَاكُم مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِيَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ فَيَقُولَ رَبِّ لَوْلَآ أَخَّرْتَنِيٓ إِلَىٰٓ أَجَلٍ قَرِيبٍ فَأَصَّدَّقَ وَأَكُن مِّنَ الصَّالِحِينَ ﴿١٠﴾﴾ [المنافقون:١٠] فقد نصب الفعل بعد الفاء (فأصدّق) ثم عطف عليه بالجزم (وأكنْ) فأسقط الفاء على إرادة الشرط ولو عطف لكانا شيئاً واحداً.

﴿ وَأَقْسَمُواْ بِٱللَّهِ جَهْدَ أَيْمَٰنِهِمْ لَئِن جَآءَتْهُمْ ءَايَةٌ لَّيُؤْمِنُنَّ بِهَا ۚ قُلْ إِنَّمَا ٱلْءَايَٰتُ عِندَ ٱللَّهِ ۖ وَمَا يُشْعِرُكُمْ أَنَّهَآ إِذَا جَآءَتْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿١٠٩﴾ ﴾

السؤال الأول:

قوله تعالى في الآية ﴿وَأَقْسَمُواْ بِٱللَّهِ جَهْدَ أَيْمَٰنِهِمْ﴾ الجهد هو المشقة، والاجتهاد أخذ النفس ببذل الطاقة وتحمل المشقة، فتقول: جهدت رأيي وأجهدته إذا أتعبته بالفكر، فما صلة هذه المعاني بالأيمان (المواثيق)؟

الجواب:

هذا تصوير لأولئك القوم الذين أرادوا تغليظ أيمانهم، وكأنهم بذلوا غاية طاقتهم لبلوغ مرادهم، فقد بالغوا واجتهدوا في الحلف أن يأتوا به على أبلغ ما في وسعهم ليثبتوا باطلهم.

السؤال الثاني:

ما دلالة استعمال ﴿يُشْعِرُكُمْ﴾ في الآية وما دلالة النفي في الآية ﴿لَا يُؤْمِنُونَ ﴿١٠٩﴾﴾؟

الجواب:

١ـ قوله تعالى:﴿وَمَا يُشْعِرُكُمْ﴾ ليس نفياً وإنما استفهام بمعنى وما يدريكم؟. والمفسرون والنُّحاة ذهبوا في هذه الآية أكثر من مذهب.

٢ـ قسم ذهب أنه في اللغة تأتي (أنّ) بمعنى (لعلّ) وهي لغة عربية قديمة مستعملة، والمعنى: (وما يشعركم لعلّها إذا جاءت لا يؤمنون؟) .

٣ـ بالنسبة لهذه اللغة (أنّ) بمعنى (لعلّ)، هم خرّجوها على زيادة (لا) لو أبقينا على معناها ؛ لأنّ (لا) النافية قد تُزاد في القرآن وغير القرآن، كما في قوله تعالى: ﴿ قَالَ يَٰٓإِبۡلِيسُ مَا مَنَعَكَ أَن تَسۡجُدَ لِمَا خَلَقۡتُ بِيَدَيَّۖ ﴾ [ص:٧٥] وفي آية أخرى ﴿قَالَ مَا مَنَعَكَ أَلَّا تَسۡجُدَ إِذۡ أَمَرۡتُكَۖ ﴾ [الأعراف:١٢] فإذا كان المعنى مفهوماً معلوماً يؤتى بها للتوكيد كأي حرف يؤتى به للتوكيد.

لذلك فإن معنى: ما منعك أن تسجد، أي: ما منعك من السجود، والآية ﴿أَلَّا تَسۡجُدَ﴾ [الأعراف:١٢] لها نفس معنى ﴿أَن تَسۡجُدَ﴾ [ص:٧٥]؛ لذا قالوا: هي زائدة للتوكيد لأنها بمعناها، وكما في قوله تعالى أيضاً ﴿لِّئَلَّا يَعۡلَمَ أَهۡلُ ٱلۡكِتَٰبِ أَلَّا يَقۡدِرُونَ عَلَىٰ شَيۡءٖ مِّن فَضۡلِ ٱللَّهِۙ﴾ [الحديد:٢٩] بشرط أن تكون واضحة الدلالة ليس فيها لبس ولا إشكال، فلا تزاد إذا لم يؤمن اللبس.

٤ـ وقسم ذهب إلى أنها لغة، والقرآن قد يستعمل اللغات، وفيها قراءة متواترة بالكسر (إِنَّهَا) وليس﴿أَنَّهَآ﴾ وهذه قراءة متواترة،وتكون (إِنَّهَا) للتوكيد، أي: يؤكّد ربنا أنها إذا جاءت لا يؤمنون، أي: ليس بمعنى (لعلّ) وإنما للتوكيد، فالقراءة بالكسر واضحة لا تحتاج إلى سؤال، وهي قراءة متواترة وأكثر من القراءة بالفتح.

٥ـ إذن لماذا لم يقل (لعلّ)؟ والجواب: حتى تأخذ معنى(إنّ ولعلّ)، ولو قال: (لعلّ) لا يصلح معنى إنّ؛ لأنّ (إنّ) تقوم مقامين: مقام إنّ ومقام لعلّ، أما (لعلّ) فتعطي معنى واحداً فقط.

السؤال الثالث:

ما دلالة قوله تعالى في الآية ﴿لَّيُؤۡمِنُنَّ﴾ بالصيغة الفعلية؟ ولماذا لم يستعمل الصيغة الاسمية؟

الجواب:

كثيراً ما استعمل القرآن للإيمان الصيغة الاسمية؛ وذلك لأنّ الإيمان له حقيقةٌ ثابتةٌ تقوم بالقلب، وليس كالإنفاق يحدث وينقطع، كما هو واضح بآية السجدة ١٨ ﴿مُؤۡمِنًا﴾ وطه ١١٢ ﴿وَهُوَ مُؤۡمِنٞ﴾ والروم ٤٧ ﴿ٱلۡمُؤۡمِنِينَ﴾.

كما استعمله بالصيغة الفعلية في المواطن الدالة على الحدوث: كما في سورة الأنعام ١٠٩ ﴿لَّيُؤۡمِنُنَّ﴾ ؛لأنه لم يحصل بعد، وكما في البقرة:١٣ ﴿ءَامِنُواْ﴾ و ﴿أَنُؤۡمِنُ﴾.

كذلك التقوى والصبر والشكر والهدى والضلال والعمى والبصر، كل هذه لها مسميات حقيقيةٌ أو مجازيةٌ يليق بها، فحيث يُراد تجدد حقائقها أو آثارها فالأفعال، وحيث يُراد الاتصاف بها فالأسماء .

السؤال الرابع:

كم مرة ورد الفعل: ﴿لَتُؤۡمِنُنَّ﴾ مؤكداً بنون التوكيد الثقيلة في القرآن الكريم؟ وماذا يفيد في دلالته؟

الجواب:

انظر الجواب في آية آل عمران ٨١ .

﴿ وَنُقَلِّبُ أَفْئِدَتَهُمْ وَأَبْصَٰرَهُمْ كَمَا لَمْ يُؤْمِنُوا۟ بِهِۦٓ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَنَذَرُهُمْ فِى طُغْيَٰنِهِمْ يَعْمَهُونَ ﴿١١٠﴾ ﴾

السؤال الأول:

قوله تعالى في الآية ﴿وَنُقَلِّبُ﴾ من الفعل (قلب)، فما كلمات منظومة الثني والقلب في القرآن؟

الجواب:

الكلمات هي: **ثنى ـ عطف ـ عوج ـ قلب ـ لوى ـ طوى** .

ثنى:

ـ ثنيت الثوب جعلته نصفين وجعلت النصف الأول فوق النصف الثاني.

ـ الفاتحة نصفان: نصف للعبد ونصف لله تعالى فهي مثنية.

ـ ثنيات الوداع: هي الطريق على شكلٍ منحنٍ .

ـ قوله تعالى: ﴿أَلَآ إِنَّهُمْ يَثْنُونَ صُدُورَهُمْ لِيَسْتَخْفُوا۟ مِنْهُ ﴾ [هود:٥] أي: انحنوا كاملاً كأنهم نصفان، الرأس على القدم من شدة الهروب من الشيء.

وقد يكون الثني معنوياً يدل على شدة الإغلاق؛ لأنّ الصدر مكان الهداية فهم فوق الانثناء يضعون ثيابهم على وجوههم، بحيث لا تُرى ملامحهم ﴿يَسْتَغْشُونَ ثِيَابَهُمْ﴾ [هود:٥].

ـ الثني يكون باعتبار العدد أو باعتبار التكرير أو بكليهما معاً.

* شواهد قرآنية:

ـ ﴿ثَانِيَ ٱثۡنَيۡنِ﴾ [التوبة:٤٠] ﴿مَثۡنَىٰ وَثُلَٰثَ وَرُبَٰعَ﴾ [فاطر:١] ﴿ٱثۡنَتَا عَشۡرَةَ عَيۡنٗا﴾ [البقرة:٦٠]

ـ ﴿أَلَآ إِنَّهُمۡ يَثۡنُونَ صُدُورَهُمۡ لِيَسۡتَخۡفُواْ مِنۡهُۚ﴾ [هود:٥].

عطف:

في الطريق المستقيم إذا رجع كاملاً يسمى: رجع.

في الطريق المستقيم إذا رجع رجوعاً جزئياً يسمى: عوج.

في الطريق المستقيم إذا انحرف يسمى: عطف.

عوج:

عَوَج: تُقال للأشياء مثل الطريق والقلم.

عِوَج: تُقال للفكر والنظريات.

* شواهد قرآنية:

ـ ﴿قُرۡءَانًا عَرَبِيًّا غَيۡرَ ذِي عِوَجٖ﴾ [الزُّمَر:٢٨] أي: لا يمكن لأي شيء فيه أن ينحني.

ـ ﴿وَيَبۡغُونَهَا عِوَجٗا﴾ [الأعراف:٤٥] الآية لأهل الكتاب، ولم يقل: (ويجعلونها عوجاً) بمعنى أنهم يحاولون أنْ يتهموا الإسلام اتهامات باطلة.

قلب:

هو تغيير حال الشيء إلى عكسه.

القلب والتقليب في الأمور المادية، وقد يكون التقليب من الباطل إلى الحق ومن الكفر إلى الإيمان.

* شواهد قرآنية:

- ﴿وَنُقَلِّبُ أَفْئِدَتَهُمْ وَأَبْصَٰرَهُمْ﴾ [الأنعام:١١٠].

- ﴿تَتَقَلَّبُ فِيهِ ٱلْقُلُوبُ وَٱلْأَبْصَٰرُ ﴿٣٧﴾﴾ [النور:٣٧]

- ﴿فَأَصْبَحَ يُقَلِّبُ كَفَّيْهِ﴾ [الكهف:٤٢].

- ﴿لَا يَغُرَّنَّكَ تَقَلُّبُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ فِى ٱلْبِلَٰدِ ﴿١٩٦﴾﴾ [آل عمران:١٩٦].

لوى:

- من (اللَّي) وهو فتل الحبل،ويعني الإمالة، ولوى لسانه كناية عن الكذب.

- فلان لا يلوي على أحد: إذا أمعن في الهزيمة.

* شواهد قرآنية:

- ﴿لَوَّوْا۟ رُءُوسَهُمْ﴾ [المنافقون:٥].

- ﴿يَلْوُۥنَ أَلْسِنَتَهُم بِٱلْكِتَٰبِ﴾ [آل عمران:٧٨].

- ﴿إِذْ تُصْعِدُونَ وَلَا تَلْوُۥنَ عَلَىٰٓ أَحَدٍ﴾ [آل عمران:١٥٣].

طوى:

- طويت الشيء طياً، ويعبّر بالطي عن مضي العمر.

- (طوى) هو اسم واد، وقال آخرون: هو اسم مكان طويت فيه المسافة بين السماء والأرض.

* شواهد قرآنية:

- ﴿يَوْمَ نَطْوِي ٱلسَّمَآءَ كَطَيِّ ٱلسِّجِلِّ لِلْكُتُبِ﴾ [الأنبياء:١٠٤].

- ﴿إِنَّكَ بِٱلْوَادِ ٱلْمُقَدَّسِ طُوًى ﴿١٢﴾﴾ [طه:١٢].

❀❀❀❀

﴿۞ وَلَوْ أَنَّنَا نَزَّلْنَآ إِلَيْهِمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ وَكَلَّمَهُمُ ٱلْمَوْتَىٰ وَحَشَرْنَا عَلَيْهِمْ كُلَّ شَىْءٍ قُبُلًا مَّا كَانُوا۟ لِيُؤْمِنُوٓا۟ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ يَجْهَلُونَ ﴿١١١﴾﴾

السؤال الأول:

ما دلالة قوله تعالى في الآية ﴿مَا كَانُوا۟ لِيُؤْمِنُوٓا۟﴾؟

الجواب:

ألا ترى كيف يكشف الله خفايا النفوس وما تنطوي عليها؟ فالنفس عالم خاص لا يطلع عليه إلا الله، ولذلك عبّر الله عن عدم إيمان المشركين بقوله ﴿مَا كَانُوا۟ لِيُؤْمِنُوٓا۟﴾، ولم يقل (لا يؤمنون)؛ لأن عبارة ﴿مَا كَانُوا۟ لِيُؤْمِنُوٓا۟﴾ أشد في تقوية نفي إيمانهم مع رؤية المعجزات كلها؛ لأنهم معاندون مكابرون غير طالبين للحق.

السؤال الثاني:

في قوله تعالى في الآية ﴿نَزَّلْنَآ إِلَيْهِمُ﴾ و ﴿وَحَشَرْنَا عَلَيْهِمْ﴾ ما دلالة استعمال الحرف ﴿إِلَى﴾، والحرف (على) في الآية؟

الجواب:

١ـ في قوله تعالى: ﴿نَزَّلْنَآ إِلَيْهِمُ﴾ استعمل (إليهم)، والحرف (إلى) يفيد انتهاء الغاية، فكفار مكة طلبوا من النبي نزول الملائكة إليهم حتى يروهم معاينة؛ فناسب استعمال الحرف (إلى) أي: ينزلون إلى مكان الكفار.

٢ـ واستعمل في قوله تعالى: ﴿وَحَشَرْنَا عَلَيْهِمْ﴾ الحرف (على) الذي يفيد الاستعلاء؛ لأنّ الحشر هو سَوق وفيه ضغط، وهو من الاستعلاء المجازي نحو قولهم: عليّ دين، والدَّين فيه هم وذل وضغط على صاحبه.

وقوله تعالى ﴿وَحَشَرْنَا عَلَيْهِمْ كُلَّ شَيْءٍ قُبُلًا﴾ أي: جاء الله لهم بكل ما طلبوا من آيات، وزاحم بعضها بعضاً لكثرتها، فلن يؤمنوا إلا أنْ يشاء الله. والله أعلم.

❁❁❁❁

﴿ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا شَيَٰطِينَ ٱلْإِنسِ وَٱلْجِنِّ يُوحِى بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ زُخْرُفَ ٱلْقَوْلِ غُرُورًا ۚ وَلَوْ شَآءَ رَبُّكَ مَا فَعَلُوهُ ۖ فَذَرْهُمْ وَمَا يَفْتَرُونَ ﴿١١٢﴾ ﴾

السؤال الأول:

قوله تعالى في الآية ﴿شَيَٰطِينَ ٱلْإِنسِ وَٱلْجِنِّ﴾ كيف أضيفت كلمة شياطين إلى الإنس؟

الجواب:

الشيطان أصله نوع من الموجودات المجردة الخفية، وهو نوع من جنس الجن، ويطلق الشيطان على المضلل الذي يفعل الخبائث من الناس مجازاً؛ لأنّ الإنسان مشتق من التأنس والإلف، ولأنّ البشر يألف البشر ويأنس به، فإذا قام الإنسان بما يخالف تسميته

ولجأ إلى المكر والخديعة فقد تقمص شخصية الشيطان الذي من بعض معانيه التباعد عن الآخرين، ولذلك أضيفت كلمة شياطين إلى الإنس؛ لأنهم صاروا يفعلون فعلهم.

السؤال الثاني:

قال في آية الأنعام ١١٢ ﴿وَلَوْ شَآءَ رَبُّكَ مَا فَعَلُوهُ﴾، وقال في آية الأنعام ١٣٧ ﴿وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَا فَعَلُوهُ﴾ فلماذا؟

الجواب:

١ـ لمّا ذكر في الأولى ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا﴾ وهو تسلية له ﷺ ناسب ذلك ﴿وَلَوْ شَآءَ رَبُّكَ مَا فَعَلُوهُ﴾.

٢ـ وأما الثانية فتقدمها في الآية ١٣٦ ﴿وَجَعَلُوا۟ لِلَّهِ مِمَّا ذَرَأَ مِنَ ٱلْحَرْثِ وَٱلْأَنْعَٰمِ نَصِيبًا﴾؛ فناسب ذلك ﴿وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَا فَعَلُوهُ﴾ أي: ولو شاء الله الذي جعلوا له ذلك ما فعلوه.

السؤال الثالث:

أين المفعول به للفعل (شاء) في الآية ﴿وَلَوْ شَآءَ رَبُّكَ﴾؟

الجواب:

انظر الجواب في آية البقرة ٢٠.

﴿ أَفَغَيْرَ ٱللَّهِ أَبْتَغِى حَكَمًا وَهُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ إِلَيْكُمُ ٱلْكِتَٰبَ مُفَصَّلًا ۚ وَٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ يَعْلَمُونَ أَنَّهُۥ مُنَزَّلٌ مِّن رَّبِّكَ بِٱلْحَقِّ ۖ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ ٱلْمُمْتَرِينَ ﴿١١٤﴾ ﴾

السؤال الأول:

ما دلالة قوله تعالى في الآية ﴿ أَفَغَيْرَ ٱللَّهِ أَبْتَغِى حَكَمًا ﴾؟

الجواب:

تأمل هذا التنسيق المبدع في تأليف هذه العبارة القرآنية من اختيار للفظ ﴿حَكَمًا﴾ إلى نظمها في ترتيب ونسق خاص يقف البيان أمامه عاجزاً. فانظر إلى قول الله ﴿حَكَمًا﴾، فقد طلب النبي ﷺ أن يكون الله تعالى هو الحكم لا غيره، وقال ﴿حَكَمًا﴾ ولم يقل: حاكماً؛ لأن (حكماً) هو الحاكم المتخصص بالحكم الذي لا يُنقض حكمه، فهو أخصّ من الحاكم؛ ولذلك كان من أسمائه تعالى(الحَكَم) ولم يكن منها الحاكم.

السؤال الثاني:

قال تعالى في آية البقرة ١٤٧، وفي آية الأنعام ١١٤، وآية يونس ٩٥: ﴿فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ ٱلْمُمْتَرِينَ ﴿١١٤﴾﴾، بينما قال في آية آل عمران ٦٠: ﴿فَلَا تَكُن مِّنَ ٱلْمُمْتَرِينَ ﴿٦٠﴾﴾ فما السبب؟

الجواب:

انظر الجواب في آية البقرة ١٤٧.

السؤال الثالث:

جاء في آية البقرة ٥٣ ﴿ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ﴾ وجاء في آية آل عمران ١٨٦ ﴿أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ﴾ وجاء في آية الأنعام ١١٤ ﴿وَٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ﴾ فما دلالة ذلك؟

الجواب:

انظر الجواب في آية البقرة ٥٣.

❁❁❁❁

﴿إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ مَن يَضِلُّ عَن سَبِيلِهِۦ ۖ وَهُوَ أَعْلَمُ بِٱلْمُهْتَدِينَ ﴿١١٧﴾﴾

السؤال الأول:

ما اللمسة البيانية في التعبير ﴿إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِۦ﴾ [النجم:٣٠] الوارد في الآيات النحل ١٢٥ـ النجم ٣٠ـ القلم ٧، باستعمال الباء (بمن)، بينما لم يستعملها في آية الأنعام ١١٧؟

الجواب:

١ـ العرب تقول: أسرع من مشى ـ أكرم من أطعم ـ أطيب من تعطر ـ أغلى من مات، وهكذا، وليس من عادتهم أن يقولوا: أفصح بمن أنشد، أي: بزيادة الباء.

بينما في الآيات الثلاث اتصلت الباء بـ(من)؛ لأنّ في حذف هذه الباء فساداً للمعنى.

٢ـ والسبب في ذلك أنه وضع الباء، لكي يفصل بين معنى أفعل التفضيل: ﴿أَعْلَمُ﴾ وما يأتي بعده.

ويؤيده ذلك آخر الآية ﴿وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ ﴿١١٧﴾﴾ فتكررت هذه الباء لتؤكد المعنى الأول.

٣ـ في آية الأنعام ١١٧ ﴿إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ مَن يَضِلُّ عَن سَبِيلِهِۦ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ﴾ فإنك لا تجد هذه الباء، والفعل ﴿يَضِلُّ﴾ بالمضارع بدلاً من الماضي (ضل)، فما السر في ذلك؟

والجواب أنّ هذه الآية من سورة الأنعام تتحدث عن أمور في المستقبل، أي: أنّ الله أعلم بالذين سيضلون عن سبيله، بدليل قوله تعالى في الآية السابقة لها ﴿وَإِن تُطِعْ أَكْثَرَ مَن فِي الْأَرْضِ يُضِلُّوكَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ إِن يَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَإِنْ هُمْ إِلَّا يَخْرُصُونَ ﴿١١٦﴾﴾ [الأنعام:١١٦].

فتلاحظ أن الأفعال ﴿يُضِلُّوكَ﴾ ﴿يَتَّبِعُونَ﴾ ﴿يَخْرُصُونَ﴾ كلها أفعال مضارعة تدل على الحال والمستقبل؛ فناسبها أنْ يكون الفعل مضارعاً مثلها ﴿أَعْلَمُ مَن يَضِلُّ عَن سَبِيلِهِۦ﴾ ولا ينصرف الذهن إلى معنى غير ذلك.

أمّا الآيات الأخرى فكانت تتحدث عن أشياء ماضية حدثت بالفعل وعُرِفَ أصحابها، انظر آية سورة النجم مثلاً: ﴿ذَٰلِكَ مَبْلَغُهُم مِّنَ الْعِلْمِ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِۦ وَهُوَ أَعْلَمُ بِمَنِ اهْتَدَىٰ ﴿٣٠﴾﴾ [النجم:٣٠] وكذلك آيات سورة القلم.

﴿وَمَا لَكُمْ أَلَّا تَأْكُلُوا۟ مِمَّا ذُكِرَ ٱسْمُ ٱللَّهِ عَلَيْهِ وَقَدْ فَصَّلَ لَكُم مَّا حَرَّمَ عَلَيْكُمْ إِلَّا مَا ٱضْطُرِرْتُمْ إِلَيْهِ ۗ وَإِنَّ كَثِيرًا لَّيُضِلُّونَ بِأَهْوَآئِهِم بِغَيْرِ عِلْمٍ ۗ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِٱلْمُعْتَدِينَ ﴿١١٩﴾﴾

السؤال الأول:

ختام الآية من حيث الظاهر أنه هو يكون أعلم بالضالين، فلِمَ سماهم بالمعتدين، فقال: ﴿هُوَ أَعْلَمُ بِٱلْمُعْتَدِينَ ﴿١١٩﴾﴾؟ ولم يقل: هو أعلم بالضالين؟

الجواب:

﴿لَّيُضِلُّونَ﴾ قرأها نافع وابن كثير وأبو عمرو وابن عامر ويعقوب ﴿لَيَضِلُّونَ﴾ على أنهم ضالون بأنفسهم، وقرأها عاصم وحمزة والكسائي وخلف بضم الياء ﴿لَّيُضِلُّونَ﴾ على معنى أنهم: يُضلون الناس.

ولو تأملت المعنيين لرأيت أنّ دلالتهما واضحة، فالضال من شأنه أن يُضل غيره، والمضل لا يكون في الغالب إلا ضالاً، والمقصود التحذير منهم وذلك حاصل في القراءتين، وقد سمى الله فعلهم ضلالاً، فقال: ﴿لَّيُضِلُّونَ بِأَهْوَآئِهِم﴾ فكان ختام الآية من حيث الظاهر أنه هو يكون أعلم بالضالين، فلِمَ سماهم بالمعتدين، فقال: ﴿هُوَ أَعْلَمُ بِٱلْمُعْتَدِينَ ﴿١١٩﴾﴾ ولم يقل: هو أعلم بالضالين؟

سماهم الله معتدين؛ لأنّ الاعتداء هو الظلم، وهم عندما تقلدوا الضلال دون حجة ولا نظر كانوا معتدين على أنفسهم ومعتدين على كل من دعوه إلى موافقتهم، وفي هذا

إشارة لكل من تكلم في الدين بما لا يعلمه أو دعا الناس إلى شيء لا يعلم أنه حق أو باطل، فهو معتدٍ ظالمٌ لنفسه وللناس.

❀❀❀❀

﴿وَذَرُوا۟ ظَٰهِرَ ٱلْإِثْمِ وَبَاطِنَهُۥٓ ۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكْسِبُونَ ٱلْإِثْمَ سَيُجْزَوْنَ بِمَا كَانُوا۟ يَقْتَرِفُونَ ﴿١٢٠﴾﴾

السؤال الأول:

ما دلالة قوله تعالى في الآية ﴿يَكْسِبُونَ ٱلْإِثْمَ﴾؟ وما دلالة الفعل ﴿يَقْتَرِفُونَ﴾؟

الجواب:

قال: ﴿يَكْسِبُونَ ٱلْإِثْمَ﴾ ولم يكتف بـ ﴿يَكْسِبُونَ﴾ ؛ لأنّ الكسب يعم الخير والشر بخلاف قوله (يقترفون)، وفي آية أخرى، قال: ﴿وَلِيَقْتَرِفُوا۟ مَا هُم مُّقْتَرِفُونَ﴾ فلم يحدد المفعول به بأنْ قال: (وليقترفوا الآثام)؛ لأنّ الاقتراف من (قَرَف) إذا كسب سيئة، وهذا الفعل يؤذِن بأمر ذميم.

وانظر إلى اختيار هذا اللفظ ﴿يَقْتَرِفُونَ﴾ دون غيره مثل: يجترحون أو يكسبون مثلاً، ففيه إيقاع على الأذن وصوت يُشعِر بأمر كريه إلى النفس بخلاف غيره.

السؤال الثاني:

كلمة: ﴿يَقْتَرِفُونَ ﴿١٢٠﴾﴾ من الفعل (اقترف)، ما كلمات منظومة ارتكاب الذنوب في القرآن؟

الجواب:

انظر الجواب في آية النساء ٥٠.

❁❁❁❁

﴿ وَلَا تَأْكُلُوا۟ مِمَّا لَمْ يُذْكَرِ ٱسْمُ ٱللَّهِ عَلَيْهِ وَإِنَّهُۥ لَفِسْقٌ ۗ وَإِنَّ ٱلشَّيَٰطِينَ
لَيُوحُونَ إِلَىٰٓ أَوْلِيَآئِهِمْ لِيُجَٰدِلُوكُمْ ۖ وَإِنْ أَطَعْتُمُوهُمْ إِنَّكُمْ لَمُشْرِكُونَ ﴿١٢١﴾ ﴾

السؤال الأول:

قوله تعالى في هذه الآية الأنعام ١٢١ ﴿وَإِنْ أَطَعْتُمُوهُمْ﴾ وقوله في آية البقرة ١٢٠ ﴿وَلَئِنِ ٱتَّبَعْتَ﴾، ومن المعلوم أن القرآن يستعمل اللام للتوكيد، و﴿وَلَئِنِ﴾ آكد من ﴿إِنَّ﴾ فما سبب الاختلاف في مستوى التأكيد؟

الجواب:

انظر الجواب في آية البقرة ١٢٠.

السؤال الثاني:

قوله تعالى في الآية ﴿وَإِنَّهُۥ لَفِسْقٌ ۗ﴾ ما دلالة كلمة الفسق والفسوق؟

الجواب:

١ـ يقال فسقت الرطبة أي: خرجت عن قشرها، وفسق عن أمر ربه، أي: خرج، وفسق فِسقاً وفسوقاً، وسميت الفأرة فويسقة لخروجها من جحرها، وأصل الفسق الخروج عن الاستقامة والجور؛ ولذلك سمي العاصي فاسقاً.

٢ـ الفسوق: الميل إلى المعصية والخروج من الدين، وهو عام؛ لأنّ في الكلمة زيادة حرف الواو، فزاد المعنى إلى العام.

٣ـ في الاستعمال القرآني استعمل ﴿فِسْقٌ﴾ [المائدة:٣] مع سياق الأطعمة واستعمل ﴿فُسُوقَ﴾ [البقرة:١٩٧] مع العام.

* شواهد قرآنية:

﴿فِسْقٌ﴾ آية المائدة ٥ - الأنعام ١٢١ـ١٤٥.

﴿فُسُوقَ﴾ البقرة ١٩٧ ـ الحجرات ٧ـ١١.

❋❋❋❋

﴿أَوَمَن كَانَ مَيْتًا فَأَحْيَيْنَاهُ وَجَعَلْنَا لَهُ نُورًا يَمْشِي بِهِ فِي النَّاسِ كَمَن مَّثَلُهُ فِي الظُّلُمَاتِ لَيْسَ بِخَارِجٍ مِّنْهَا كَذَٰلِكَ زُيِّنَ لِلْكَافِرِينَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ (١٢٢)﴾

السؤال الأول:

ما دلالة صيغة المبني للمجهول في قوله تعالى في الآية ﴿زُيِّنَ لِلْكَافِرِينَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ (١٢٢)﴾؟

الجواب:

هناك خط عام واضح في القرآن الكريم، وهو أنه في آيات التزيين ينسب الله الخير إلى نفسه، وأمّا تزيين القبيح فيبنيه للمجهول أو ينسبه إلى الشيطان كقوله تعالى: ﴿وَإِذْ زَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَالَهُمْ﴾[الأنفال:٤٨] وقوله:﴿وَزَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَالَهُمْ﴾ [العنكبوت:٣٨].

وقد تجد في القرآن ﴿زَيَّنَّا لَهُمْ أَعْمَـٰلَهُمْ﴾ [النمل:٤] لغرض إقامة العقيدة الصحيحة، ولكن لا تجد مطلقاً (زينا لهم سوء أعمالهم) بذكر السوء، والفرق ظاهر بين الأمرين.

❁❁❁❁

﴿ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَا فِي كُلِّ قَرْيَةٍ أَكَـٰبِرَ مُجْرِمِيهَا لِيَمْكُرُوا۟ فِيهَا ۖ وَمَا يَمْكُرُونَ إِلَّا بِأَنفُسِهِمْ وَمَا يَشْعُرُونَ ﴿١٢٣﴾ ﴾

السؤال الأول:

ما أهم دلالات هذه الآية؟

الجواب:

١ـ قوله تعالى: ﴿ وَكَذَٰلِكَ﴾ يوجب التشبيه.

٢ـ الأكابر جمع الأكبر، وفي الآية تقديم وتأخير بتقدير: جعلنا مجرميها أكابر؛ لأنهم لأجل رياستهم أقدر على الغدر والمكر وترويج الأباطيل على الناس من غيرهم، ولأنّ كثرة المال والجاه تحمل الإنسان على المبالغة في حفظهما، وذلك الحفظ لا يتم إلا بجميع الأخلاق الذميمة .

٣ـ صار تقدير الآية: جعلنا في كل قرية مجرميها أكابر ليمكروا فيها .

٤ـ اللام في ﴿لِيَمْكُرُوا۟﴾ هي لام العاقبة .

السؤال الثاني:

قوله تعالى في الآية ﴿أَكَـٰبِرَ﴾ ما كلمات منظومة الرؤساء والملوك في القرآن؟

الجواب:

هذه هي منظومة ألقاب الرؤساء والملوك، وهي تختلف تماماً عن صفات الله تعالى التي تحمل نفس الاسم؛ لأنه سبحانه ليس كمثله شيء .

الكبير:

كل من هو رأس يسمى كبيراً، سواء كان عادلاً أم ظالماً: الأنعام ١٢٣ .

العظيم:

إذا لم يكن الكبير فوقه أحد أعلى منه يقال له صاحب العظمة، وفي القرآن: ﴿ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿٧٢﴾﴾ [التوبة:٧٢] ﴿عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿٦٨﴾﴾ [الأنفال:٦٨]

والكبير والعظيم ليس فيهما مدح ولا ذم.

السيد:

إذا أردت أن تمدح المدير أو العظيم تقول: السيد، وهو أعظم أوصاف الملوك؛ ولذا وُصف الرسول ﷺ بأنه سيد الخلق، و(السيد) تعني الملك المحبوب من شعبه، وهو قليل في التاريخ.

وصفات السيد:

- يفوق غيره بالعقل والدفاع عن شعبه.
- يشارك شعبه في السراء والضراء.
- هو حليم لا يحكم في ساعة الغضب .
- ورع حليم لا يسارع في العقوبة.

الجليل:

ـ صاحب الجلالة أو (الجليل) تطلق على عظيم القدر المستحق الحمد والمدح، وكل سيد يستحق الحمد والمدح يسمى جليلاً .

صاحب الجلالة:

الجلالة تعني الهيبة إذا بلغت الجلالة غايتها، ولا تطلق إلا على الله تعالى .

الوجيه:

أي: له وجه، وهو أول القوم وعظيمهم وسيدهم (وجيهاً في الدنيا) والملأ والوجهاء هم القوم المبرزون في مجتمعاتهم، ولهم رأي مسموع وشفاعة .

❋❋❋❋

﴿ وَإِذَا جَآءَتْهُمْ ءَايَةٌ قَالُوا۟ لَن نُّؤْمِنَ حَتَّىٰ نُؤْتَىٰ مِثْلَ مَآ أُوتِىَ رُسُلُ ٱللَّهِ ٱللَّهُ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَتَهُۥ سَيُصِيبُ ٱلَّذِينَ أَجْرَمُوا۟ صَغَارٌ عِندَ ٱللَّهِ وَعَذَابٌ شَدِيدٌۢ بِمَا كَانُوا۟ يَمْكُرُونَ ﴿١٢٤﴾ ﴾

السؤال الأول:

ما دلالة تتابع لفظ الجلالة ﴿ٱللَّهِ ٱللَّهُ﴾ في هذه الآية فقط في القرآن؟

الجواب:

اللفظة الأولى لاسم الجلالة﴿ٱللَّهِ﴾ هي من كلامهم ﴿قَالُوا۟ لَن نُّؤْمِنَ حَتَّىٰ نُؤْتَىٰ مِثْلَ مَآ أُوتِىَ رُسُلُ ٱللَّهِ﴾، ثم ردّ الله سبحانه وتعالى عليهم ﴿ٱللَّهُ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَتَهُۥ﴾ .

السؤال الثاني:

قوله تعالى في الآية ﴿ءَايَةٌ﴾ متى تذكر هذه الكلمة؟ ومتى تؤنث؟

الجواب:

١ـ عندما تكون كلمة (آية) بمعنى الدليل والبرهان يأتي الفعل بالتذكير .

٢ـ وأما إذا كانت كلمة (آية) بمعنى الآية القرآنية يأتي الفعل مؤنثا .

أمثلة على التذكير: آية آل عمران ١٣ .

أمثلة على التأنيث: الأنعام ٤ ـ الأنعام ١٢٤ .

❋❋❋❋

﴿فَمَن يُرِدِ ٱللَّهُ أَن يَهْدِيَهُۥ يَشْرَحْ صَدْرَهُۥ لِلْإِسْلَٰمِ ۖ وَمَن يُرِدْ أَن يُضِلَّهُۥ يَجْعَلْ صَدْرَهُۥ ضَيِّقًا حَرَجًا كَأَنَّمَا يَصَّعَّدُ فِى ٱلسَّمَآءِ ۚ كَذَٰلِكَ يَجْعَلُ ٱللَّهُ ٱلرِّجْسَ عَلَى ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿١٢٥﴾﴾

السؤال الأول:

ما معنى قوله تعالى: ﴿فَمَن يُرِدِ ٱللَّهُ أَن يَهْدِيَهُۥ يَشْرَحْ صَدْرَهُۥ لِلْإِسْلَٰمِ ۖ﴾؟ وكيف ينشرح الصدر؟

الجواب:

١ـ شرح الصدر هو نوع من الاستعمال المجازي، وهو ليس شقاً للصدر على الحقيقة؟ لكن شرح الصدر معناه أنه يهيئه لقبول الحق .

وفي قوله تعالى: ﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ أَمْ عَلَىٰ قُلُوبٍ أَقْفَالُهَآ ﴿٢٤﴾﴾ [محمد:٢٤] هذا القفل الذي على القلب الله سبحانه وتعالى يأذن برفعه ويكون الإنسان عندها مستعداً مهيئاً

لقبول شرع الله تعالى، وهذا من فضل الله ﴿فَمَن يُرِدِ ٱللَّهُ أَن يَهْدِيَهُۥ يَشْرَحْ صَدْرَهُۥ لِلْإِسْلَٰمِ ۖ وَمَن يُرِدْ أَن يُضِلَّهُۥ يَجْعَلْ صَدْرَهُۥ ضَيِّقًا حَرَجًا كَأَنَّمَا يَصَّعَّدُ فِى ٱلسَّمَآءِ ۚ﴾ لأن الله تعالى لا يُسأل عما يفعل وهم يُسألون، فأحياناً تجد الإنسان في الحوار معك يكون منشرح الصدر فيقبل كلامك، وأحياناً يكون ضيّق الصدر فلا يكون مستعداً ليقبل منك شيئاً ويرفع شعار: لا أقتنع ولو أقنعتني .

٢ـ ﴿يَجْعَلْ صَدْرَهُۥ ضَيِّقًا حَرَجًا﴾ هذه الصورة كان العربي يفهمها على عمومها بأنّ الإنسان إذا صعد إلى السماء يضيق صدره، إلى أنْ جاء العلم الحديث فتكلم عن الطائرات التي ترتفع مسافات عالية ويخف الضغط الجوي ويضيق الصدر، وهذه من الآيات التي تشير إلى جانب علمي وإلى إعجاز علمي .

٣ـ والإعجاز العلمي في القرآن كثير جداً، لكنْ من الأمور التي يجب مراعاتها أنّ القرآن الكريم في الأصل هو منهج حياة للناس ينظم شؤون حياتهم، وإن كانت ترد فيه من حين لآخر حقائق علمية لبيان عظمة خلق الله وضرب الأمثال، و تتحقق لاحقاً.

٤ـ كيف يكون شرح الصدر؟ شرح الصدر هو فتح الصدر، وأصل الشرح في اللغة هو الفتح أو الشقّ، والمراد هنا ليس شق الصدر ولكنه نوع من أنواع المجاز، فإذا قيل: شرح الله صدره، يكون بمعنى يسّر الله أمره أو أراحه أو جعله يقتنع بهذا الأمر.

٥ـ هناك في اللغة أمور كثيرة لا يراد فيها معاني الألفاظ كما هي على وجه الحصر، وإنما ما يؤدي إليه اللفظ من معنى، وهذا ما سماه علماؤنا معنى المعنى، الشرح معلومٌ والصدر معلوم، لكن لا يُراد به شق الصدر وإنما الاطمئنان، والآن نستعملها بلفظة

(اطمأنّ قلبي إلى ذلك)، ويضيق الصدر بمعنى: لا يطمئن قلبه إلى هذا الأمر ويبقى قلقاً.

السؤال الثاني:

قوله تعالى في الآية: ﴿كَأَنَّمَا يَصَّعَّدُ فِي السَّمَاءِ﴾ ما الفرق بين السماء والسموات؟

الجواب:

السماء في اللغة وفي المدلول القرآني لها معنيان:

١ـ واحدة السموات السبع:

كقوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ زَيَّنَّا السَّمَاءَ الدُّنْيَا بِمَصَابِيحَ﴾ [المُلك:٥].

٢ـ كل ما علا وارتفع عن الأرض:

فسقف البيت في اللغة يسمى سماء، قال تعالى: ﴿فَلْيَمْدُدْ بِسَبَبٍ إِلَى السَّمَاءِ ثُمَّ لْيَقْطَعْ فَلْيَنْظُرْ هَلْ يُذْهِبَنَّ كَيْدُهُ مَا يَغِيظُ ﴿١٥﴾﴾ [الحج:١٥] يقول المفسرون: أي ليمد حبلا إلى سقف بيته ثم ليخنق نفسه.

وقد تكون بمعنى السحاب: ﴿أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَسَالَتْ أَوْدِيَةٌ بِقَدَرِهَا﴾ [الرعد:١٧].

وقد تكون بمعنى المطر: ﴿يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُمْ مِدْرَارًا ﴿١١﴾﴾ [نوح:١١].

وقد تكون بمعنى الفضاء والجو: ﴿أَلَمْ يَرَوْا إِلَى الطَّيْرِ مُسَخَّرَاتٍ فِي جَوِّ السَّمَاءِ مَا يُمْسِكُهُنَّ إِلَّا اللَّهُ﴾ [النحل:٧٩].

و ذكر هذا الارتفاع العالي: ﴿فَمَن يُرِدِ ٱللَّهُ أَن يَهْدِيَهُۥ يَشْرَحْ صَدْرَهُۥ لِلْإِسْلَٰمِ ۖ وَمَن يُرِدْ أَن يُضِلَّهُۥ يَجْعَلْ صَدْرَهُۥ ضَيِّقًا حَرَجًا كَأَنَّمَا يَصَّعَّدُ فِى ٱلسَّمَآءِ ۚ كَذَٰلِكَ يَجْعَلُ ٱللَّهُ ٱلرِّجْسَ عَلَى ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿١٢٥﴾﴾ [الأنعام:١٢٥] .

فالسماء كلمة واسعة جداً قد تكون بمعنى السحاب أو المطر أو الفضاء أو السقف وهي أعم وأشمل من السماوات.

السؤال الثالث:

ما دلالة هذه الآية؟ وما دلالة التعبير ﴿ضَيِّقًا حَرَجًا كَأَنَّمَا يَصَّعَّدُ﴾ ؟

الجواب:

كلما ارتقت البشرية في علومها الكونية تكشف لها من آيات الله الباهرة التي تفحم العقول وتبهرها، والقرآن هو معجزة على مدار الأيام، وكلما تقدم العلم كشف عن جانب من جوانب إعجازه، ومن تلك الكشوفات الآية التي بين أيدينا، فهذه الآية تشبّه حالة المعرضين عن هدي الله بحالة الصاعد في السماء، ووجه الشبه بينهما ضيق الصدر، فالكافر يضيق ذرعاً من النور الذي يكشف ظلمته، والصاعد في السماء يضيق صدراً من نقص الأكسجين، فقد أثبتت الدراسات الحديثة أنّ الإنسان إذا ارتفع فوق سطح البحر ما بين عشرة آلاف قدم وستة عشر ألف قدم فإنه يرتفع ضغطه لتوفر أجهزة الجسم حاجة الجسم من الأكسجين، أمّا إنْ تجاوز الإنسان هذه المسافة فإنّ أجهزة الجسم لا تفي بغرضها في هذا الارتفاع المفاجيء، فما الذي يحصل؟ تظهر أعراض في مقدمتها ضيق الصدر الذي وصفته الآية وحتى يصف الله هذه الحالة قال: ﴿ضَيِّقًا﴾ [الأنعام:١٢٥]

ولم يقل ضائقاً للمبالغة في وصف ضيق الصدر، ولم يكتف السياق بوصفه ﴿ضَيِّقًا﴾ بل أتبعه بـ ﴿حَرَجًا﴾ التي تعني ضاق ضيقاً شديداً؛ ليؤكد لنا معنى الضيق، ففي الحرج معنى شدة الضيق ما لا يفيده لفظ (ضيق)، وحتى نتصور هذه الهيئة وهذا الألم الذي يعانيه المرتقي عبّر لك عنه بقوله: ﴿يَصَّعَّدُ﴾، ولم يقل (يصْعَد)؛ لنلمس هذا التكلف في الصعود، وأنه ليس بالسهل بل فيه كدّ ومشقة، وكذلك قبول تكاليف الإيمان لمن أضله الله فيها كدٌّ ومشقة لا تُحتمل.

السؤال الرابع:

هناك في القرآن صورتان لتصوير حالة الصدر في آية الأنعام ١٢٥، وآية الشرح ١، فما هما؟

الجواب:

هناك في القرآن صورتان لتصوير حالة الصدر:

١ـ الأولى هي الصدر المنشرح، وهي تخص صدر المؤمن المهتدي الذي يعيش في صفاء واطمئنان وسلام وأمان، كما قال تعالى: ﴿أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ ۝١﴾ وشرح الصدر هو نوع من الاستعمال المجازي، وليس شقاً للصدر، أي: بمعنى أن الله تعالى يهيئ القلب لقبول الحق وهو مطمئن فلا يضيق صدره، ومن الناحية اللغوية: أصل الشرح هو الفتح أو الشق، ولكنه هنا انشراح واطمئنان.

٢ـ الثانية هو ضيق الصدر وانقباض النفس، قال تعالى: ﴿يَجۡعَلۡ صَدۡرَهُۥ ضَيِّقًا حَرَجٗا كَأَنَّمَا يَصَّعَّدُ فِي ٱلسَّمَآءِۚ﴾ وكلمة: (يصّعد) بالتشديد تشعر معها كأن الروح تخرج من صدر صاحبها بصعوبة وبطء وعسر.

والعلماء السابقون قالوا: إنّ الكافر من ضيق صدره، كأنه يريد أن يصعد إلى السماء وهو لا يقدر على ذلك، وهذا المعنى ليس بشيء.

أمّا العلماء في العصر الحديث فقد قروروا أنّ نسبة الأوكسجين تقل كلما ارتفع الإنسان إلى أعلى حتى تنعدم، ولذلك يخف الضغط الخارجي، والإنسان على سطح الأرض يتعادل الضغط الداخلي عنده مع الضغط الخارجي، ولذلك تستمر حياته نظراً لتوافر النسبة الكافية من الأوكسجين .

أمّا في أعالي الجو، فإن هذه النسبة تضطرب بفقدان الأوكسجين فينفجر الجسم نتيجة الضغط الداخلي الذي لا يجد ما يعادله في الخارج.

إنها حقيقة علمية عظيمة تكشف عنها أربع كلمات في جزء من آية في القرآن الكريم، فسبحان الله العظيم.

❁❁❁❁

﴿وَهَٰذَا صِرَٰطُ رَبِّكَ مُسۡتَقِيمٗاۗ قَدۡ فَصَّلۡنَا ٱلۡأٓيَٰتِ لِقَوۡمٖ يَذَّكَّرُونَ ١٢٦﴾

السؤال الأول:

قوله تعالى في الآية: ﴿وَهَٰذَا صِرَٰطُ رَبِّكَ مُسۡتَقِيمٗاۗ قَدۡ فَصَّلۡنَا ٱلۡأٓيَٰتِ﴾ فما دلالة التنسيق بين الصراط المستقيم والآيات؟

الجواب:

انظر إلى هذا التناسق في أساليب العرض الذي في القرآن، فصور القرآن وألفاظه تأخذ بيدك لتضعك أمام المشهد وكأنك تشاهد عرضاً، ألا ترى كيف ناسق الله بين عبارتي (الصراط المستقيم) و(الآيات)؟ لاحظ ذلك في الآية ﴿وَهَٰذَا صِرَٰطُ رَبِّكَ مُسْتَقِيمًا ۗ قَدْ فَصَّلْنَا ٱلْءَايَٰتِ لِقَوْمٍ يَذَّكَّرُونَ ﴿١٢٦﴾﴾ فالصراط هو الطريق المستقيم ووصفه بقوله (مستقيماً)؛ ليبين لك أنه خالٍ من العِوَج، والكلمتان مستعارتان للعمل الموصل إلى رضا الله، ثم أتبعها بقوله ﴿ٱلْءَايَٰتِ﴾ أي: آيات القرآن، ولكنّ موقعها مع لفظ الصراط المستقيم فيه رشاقة؛ لأنّ فيه تورية للمعنى اللغوي للآيات، وهو العلامة التي يهتدي بها السائل وترشد الضال في مسلكه وطريقه، فكانت آيات القرآن ترشد الضال والتائه، كما ترشد العلامة الضالّ في الطريق.

❁❁❁❁

﴿وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا يَٰمَعْشَرَ ٱلْجِنِّ قَدِ ٱسْتَكْثَرْتُم مِّنَ ٱلْإِنسِ ۖ وَقَالَ أَوْلِيَآؤُهُم مِّنَ ٱلْإِنسِ رَبَّنَا ٱسْتَمْتَعَ بَعْضُنَا بِبَعْضٍ وَبَلَغْنَآ أَجَلَنَا ٱلَّذِىٓ أَجَّلْتَ لَنَا ۚ قَالَ ٱلنَّارُ مَثْوَىٰكُمْ خَٰلِدِينَ فِيهَآ إِلَّا مَا شَآءَ ٱللَّهُ ۗ إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٌ ﴿١٢٨﴾﴾

السؤال الأول:

قوله تعالى في الآية: ﴿قَالَ ٱلنَّارُ مَثْوَىٰكُمْ﴾ ما المثوى؟ ولماذا جاءت مع أهل النار، ولم تأت مع أهل الجنة؟

الجواب:

انظر الجواب في آية آل عمران ١٥١.

السؤال الثاني:

قوله تعالى: ﴿إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٌ ﴿١٢٨﴾﴾ وفي سورة هود وفي يوسف: ﴿إِنَّ رَبَّكَ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿٦﴾﴾ [يوسف:٦] فما الفرق بينهما؟

الجواب:

١ـ إذا كان السياق في العلم وما يقتضي العلم يقدِّم العلم ويستعمل ﴿إِنَّ رَبَّكَ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾ وإذا كان الأمر في التشريع أو في الجزاء يقدم الحكمة ويقول: ﴿إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٌ﴾.

٢ـ حتى تتضح المسألة ننظر في الآيات التالية في تقديم العلم:

ـ ﴿قَالُوا سُبْحَانَكَ لَا عِلْمَ لَنَا إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَا إِنَّكَ أَنْتَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ ﴿٣٢﴾﴾ [البقرة:٣٢] السياق في العلم؛ فقدّم العلم.

ـ ﴿يُرِيدُ اللَّهُ لِيُبَيِّنَ لَكُمْ وَيَهْدِيَكُمْ سُنَنَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ وَيَتُوبَ عَلَيْكُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿٢٦﴾﴾ [النساء:٢٦] هذا تبيين، ومعناه: هذا علم.

ـ ﴿وَكَذَلِكَ يَجْتَبِيكَ رَبُّكَ وَيُعَلِّمُكَ مِنْ تَأْوِيلِ الْأَحَادِيثِ وَيُتِمُّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكَ وَعَلَى آلِ يَعْقُوبَ كَمَا أَتَمَّهَا عَلَى أَبَوَيْكَ مِنْ قَبْلُ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْحَاقَ إِنَّ رَبَّكَ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿٦﴾﴾ [يوسف:٦] فيها علم؛ فقدّم ﴿عليم﴾.

ـ قال في المنافقين ﴿وَإِنْ يُرِيدُوا خِيَانَتَكَ فَقَدْ خَانُوا اللَّهَ مِنْ قَبْلُ فَأَمْكَنَ مِنْهُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿٧١﴾﴾ [الأنفال:٧١] هذه أمور قلبية؛ فقدّم (عليم).

ـ ﴿ لَا يَزَالُ بُنْيَانُهُمُ ٱلَّذِى بَنَوْاْ رِيبَةً فِى قُلُوبِهِمْ إِلَّآ أَن تَقَطَّعَ قُلُوبُهُمْ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿١١٠﴾ ﴾ [التوبة:١١٠] من الذي يطلع على القلوب؟ الله، فقدم (عليم).

٣ـ نأتي للجزاء: الجزاء حكمة وحكم. من الذي يجازي ويعاقب؟ هو الحاكم، وتقدير الجزاء حكمة، قال تعالى:

ـ ﴿قَالَ ٱلنَّارُ مَثْوَىٰكُمْ خَٰلِدِينَ فِيهَآ إِلَّا مَا شَآءَ ٱللَّهُ ۗ إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٌ ﴿١٢٨﴾ ﴾ [الأنعام:١٢٨] هذا جزاء، هذا حاكم يحكم؛ فقدّم الحكمة، وليس بالضرورة أن يكون العالم حاكماً، وليس كل عالم حاكماً.

ـ ﴿ وَقَالُواْ مَا فِى بُطُونِ هَٰذِهِ ٱلْأَنْعَٰمِ خَالِصَةٌ لِّذُكُورِنَا وَمُحَرَّمٌ عَلَىٰٓ أَزْوَٰجِنَا ۖ وَإِن يَكُن مَّيْتَةً فَهُمْ فِيهِ شُرَكَآءُ ۚ سَيَجْزِيهِمْ وَصْفَهُمْ ۚ إِنَّهُۥ حَكِيمٌ عَلِيمٌ ﴿١٣٩﴾ ﴾ [الأنعام:١٣٩] هذا تشريع والتشريع حاكم، فمن الذي يشرع ويجازي؟ الله تعالى هو الذي يجازي وهو الذي يشرع؛ فقدّم الحكمة.

فعندما يكون السياق في العلم يقدّم العلم، وعندما لا يكون السياق في العلم يقدّم الحكمة.

﴿ يَٰمَعۡشَرَ ٱلۡجِنِّ وَٱلۡإِنسِ أَلَمۡ يَأۡتِكُمۡ رُسُلٞ مِّنكُمۡ يَقُصُّونَ عَلَيۡكُمۡ ءَايَٰتِي وَيُنذِرُونَكُمۡ لِقَآءَ يَوۡمِكُمۡ هَٰذَاۚ قَالُواْ شَهِدۡنَا عَلَىٰٓ أَنفُسِنَاۖ وَغَرَّتۡهُمُ ٱلۡحَيَوٰةُ ٱلدُّنۡيَا وَشَهِدُواْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمۡ أَنَّهُمۡ كَانُواْ كَٰفِرِينَ ١٣٠ ﴾

السؤال الأول:

لماذا قال في آية الأنعام ١٣٠: ﴿يَقُصُّونَ عَلَيۡكُمۡ ءَايَٰتِي﴾ وفي آية الزمر ٧١: ﴿يَتۡلُونَ عَلَيۡكُمۡ ءَايَٰتِ رَبِّكُمۡ﴾؟

الجواب:

١ـ في سورة الأنعام جرى فيها ذكر قصص الماضين في مواضع كثيرة وفيها من التحذير ومواضع العبرة ما يكفي للاتعاظ، انظر الآيات: [٦ـ١٠ـ١١ـ٣٤ـ٤٢ـ٤٥ـ٧٤ـ٨٣] فناسب ذكر القصص التي تستدعي الحذر قوله تعالى: ﴿يَقُصُّونَ عَلَيۡكُمۡ ءَايَٰتِي﴾ .

٢ـ وأما سورة الزمر فلم تأت بها إشارة إلى الأمم السابقة غير موضع واحدعندما وهو الآيتان [٢٥ـ٢٦].

ثم إنه ورد كثيراً في سورة الزمر ذكر الكتاب وما يقتضي من تلاوته كما في الآيات:[١ـ٢ـ ٢٣ـ٢٧ـ٢٨ـ ٤١ـ ٥٥]حتى أنه ذكر الكتاب في مشهد من مشاهد يوم القيامة، فقال: ﴿ وَأَشۡرَقَتِ ٱلۡأَرۡضُ بِنُورِ رَبِّهَا وَوُضِعَ ٱلۡكِتَٰبُ﴾ [الزُّمَر:٦٩] وقيل هو اللوح المحفوظ أو صحائف الأعمال .

فناسب ذلك كله ذكر التلاوة، فقال: ﴿يَتْلُونَ عَلَيْكُمْ ءَايَٰتِ رَبِّكُمْ﴾ [الزُّمَر:٧١] والله أعلم.

السؤال الثاني:

ما الفرق بين قصّ الخبر وتلاوته؟

الجواب:

١ـ قال تعالى في آية الأنعام: ﴿يَٰمَعْشَرَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِّنكُمْ يَقُصُّونَ عَلَيْكُمْ ءَايَٰتِى وَيُنذِرُونَكُمْ لِقَآءَ يَوْمِكُمْ هَٰذَا﴾ وقال في الزمر: ﴿وَسِيقَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ إِلَىٰ جَهَنَّمَ زُمَرًا حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءُوهَا فُتِحَتْ أَبْوَٰبُهَا وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَآ أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِّنكُمْ يَتْلُونَ عَلَيْكُمْ ءَايَٰتِ رَبِّكُمْ وَيُنذِرُونَكُمْ لِقَآءَ يَوْمِكُمْ هَٰذَا﴾

٢ـ هناك تشابه كبير بين قصّ الخبر و تلاوة الخبر. التلاوة تكون لنص يُقرأ سواء عن حفظ أو عن كتاب، فيجب أنْ يكون هناك نص لتكون هناك تلاوة. أمّا القصة فقد تكون مكتوبة نصاً أو يكون من غير نص مشافهة، قال تعالى: ﴿فَلَمَّا جَآءَهُۥ وَقَصَّ عَلَيْهِ ٱلْقَصَصَ﴾ [القصص:٢٥].

٣ـ أيّهما الأعمّ (قصّ) أم (تلا)؟ لا شك أن (قصّ) أعمّ من (تلا)؛ لأنّ (تلا) مقيّد من كتاب، أما (قصّ) فقد يكون من كتاب أو من غير كتاب. إذن (قصّ) أعمّ.

لذلك كلمة ﴿يَقُصُّونَ﴾ تشمل جميع الرسل الذين أرسل إليهم كتب والذين لم ينزل عليهم كتب، فشملت صحف إبراهيم وموسى والتوراة والزبور والقرآن والإنجيل.

أما (تلا) فشملت من أنزل عليهم الكتاب فقط.

٤ـ كيف وضع كل واحدة في مكانها؟

آية الأنعام:

﴿يَٰمَعۡشَرَ ٱلۡجِنِّ وَٱلۡإِنسِ أَلَمۡ يَأۡتِكُمۡ رُسُلٞ مِّنكُمۡ يَقُصُّونَ عَلَيۡكُمۡ ءَايَٰتِي وَيُنذِرُونَكُمۡ لِقَآءَ يَوۡمِكُمۡ هَٰذَاۚ﴾ الخطاب موجه من الله تعالى لكل الجن والإنس، وقبلها قال: ﴿وَيَوۡمَ يَحۡشُرُهُمۡ جَمِيعٗا يَٰمَعۡشَرَ ٱلۡجِنِّ قَدِ ٱسۡتَكۡثَرۡتُم مِّنَ ٱلۡإِنسِۖ وَقَالَ أَوۡلِيَآؤُهُم مِّنَ ٱلۡإِنسِ رَبَّنَا ٱسۡتَمۡتَعَ بَعۡضُنَا بِبَعۡضٖ وَبَلَغۡنَآ أَجَلَنَا ٱلَّذِيٓ أَجَّلۡتَ لَنَاۚ قَالَ ٱلنَّارُ مَثۡوَىٰكُمۡ خَٰلِدِينَ فِيهَآ إِلَّا مَا شَآءَ ٱللَّهُۗ إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٞ ١٢٨﴾ فلم يستثن أحداً وشمل الكل سواء من بلّغ له كتاب ومن ليس له كتاب.

آية الزمر:

﴿وَسِيقَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ إِلَىٰ جَهَنَّمَ زُمَرًاۖ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءُوهَا فُتِحَتۡ أَبۡوَٰبُهَا وَقَالَ لَهُمۡ خَزَنَتُهَآ أَلَمۡ يَأۡتِكُمۡ رُسُلٞ مِّنكُمۡ يَتۡلُونَ عَلَيۡكُمۡ ءَايَٰتِ رَبِّكُمۡ وَيُنذِرُونَكُمۡ لِقَآءَ يَوۡمِكُمۡ هَٰذَاۚ قَالُواْ بَلَىٰ وَلَٰكِنۡ حَقَّتۡ كَلِمَةُ ٱلۡعَذَابِ عَلَى ٱلۡكَٰفِرِينَ ٧١﴾ [الزُّمَر:٧١] هذه زمرة، وهؤلاء قسم قليل من أولئك، أما آية الأنعام فشملت كل الإنس والجن.

فقوله تعالى: ﴿يَتۡلُونَ عَلَيۡكُمۡ ءَايَٰتِ رَبِّكُمۡ﴾ [الزُّمَر:٧١] لمّا خصّص المجموعة خصّص بالتلاوة، ولمّا عمّم الإنس والجن عمّم الرسالة، فقال: ﴿يَقُصُّونَ﴾ والله أعلم.

❋❋❋❋

﴿ذَٰلِكَ أَن لَّمۡ يَكُن رَّبُّكَ مُهۡلِكَ ٱلۡقُرَىٰ بِظُلۡمٖ وَأَهۡلُهَا غَٰفِلُونَ ١٣١﴾

السؤال الأول:

قال في آية الأنعام ١٣١ :﴿مُهۡلِكَ﴾ بالصيغة الاسمية، وفي آية هود ١١٧ ﴿لِيُهۡلِكَ﴾ بالصيغة الفعلية، فما السبب؟

الجواب:

لنستعرض الآيات:

آيات الأنعام ١٢٨ ـ ١٣١:

ـ ﴿وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا يَٰمَعْشَرَ ٱلْجِنِّ قَدِ ٱسْتَكْثَرْتُم مِّنَ ٱلْإِنسِ ۖ وَقَالَ أَوْلِيَآؤُهُم مِّنَ ٱلْإِنسِ رَبَّنَا ٱسْتَمْتَعَ
بَعْضُنَا بِبَعْضٍ وَبَلَغْنَآ أَجَلَنَا ٱلَّذِىٓ أَجَّلْتَ لَنَا ۚ قَالَ ٱلنَّارُ مَثْوَىٰكُمْ خَٰلِدِينَ فِيهَآ إِلَّا مَا شَآءَ ٱللَّهُ ۗ إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٌ
﴿١٢٨﴾ وَكَذَٰلِكَ نُوَلِّى بَعْضَ ٱلظَّٰلِمِينَ بَعْضًۢا بِمَا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ ﴿١٢٩﴾ يَٰمَعْشَرَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِّنكُمْ
يَقُصُّونَ عَلَيْكُمْ ءَايَٰتِى وَيُنذِرُونَكُمْ لِقَآءَ يَوْمِكُمْ هَٰذَا ۚ قَالُوا۟ شَهِدْنَا عَلَىٰٓ أَنفُسِنَا ۖ وَغَرَّتْهُمُ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا وَشَهِدُوا۟
عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ أَنَّهُمْ كَانُوا۟ كَٰفِرِينَ ﴿١٣٠﴾ ذَٰلِكَ أَن لَّمْ يَكُن رَّبُّكَ مُهْلِكَ ٱلْقُرَىٰ بِظُلْمٍ وَأَهْلُهَا غَٰفِلُونَ ﴿١٣١﴾﴾

آيات هود ١١٢ـ١١٧:

ـ ﴿فَٱسْتَقِمْ كَمَآ أُمِرْتَ وَمَن تَابَ مَعَكَ وَلَا تَطْغَوْا۟ ۚ إِنَّهُۥ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿١١٢﴾ وَلَا تَرْكَنُوٓا۟ إِلَى ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟
فَتَمَسَّكُمُ ٱلنَّارُ وَمَا لَكُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ مِنْ أَوْلِيَآءَ ثُمَّ لَا تُنصَرُونَ ﴿١١٣﴾ وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ طَرَفَىِ ٱلنَّهَارِ وَزُلَفًا
مِّنَ ٱلَّيْلِ ۚ إِنَّ ٱلْحَسَنَٰتِ يُذْهِبْنَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ ۚ ذَٰلِكَ ذِكْرَىٰ لِلذَّٰكِرِينَ ﴿١١٤﴾ وَٱصْبِرْ فَإِنَّ ٱللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ ٱلْمُحْسِنِينَ
﴿١١٥﴾ فَلَوْلَا كَانَ مِنَ ٱلْقُرُونِ مِن قَبْلِكُمْ أُو۟لُوا۟ بَقِيَّةٍ يَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْفَسَادِ فِى ٱلْأَرْضِ إِلَّا قَلِيلًا مِّمَّنْ أَنجَيْنَا مِنْهُمْ ۗ
وَٱتَّبَعَ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ مَآ أُتْرِفُوا۟ فِيهِ وَكَانُوا۟ مُجْرِمِينَ ﴿١١٦﴾ وَمَا كَانَ رَبُّكَ لِيُهْلِكَ ٱلْقُرَىٰ بِظُلْمٍ وَأَهْلُهَا
مُصْلِحُونَ ﴿١١٧﴾﴾.

البيان:

قال في الأنعام: ﴿مُهْلِكَ﴾ بالصيغة الاسمية، وفي هود ﴿لِيُهْلِكَ﴾ [هود:١١٧] بالصيغة الفعلية؛ وذلك:

١ـ آيات سورة الأنعام في سياق مشهد من مشاهد يوم القيامة عما كان في الدنيا، فقد ذكر صفة الله وهو أنه لم يهلك قوماً بظلم وهم غافلون، أي: لم يكلفوا ولم يأتهم رسل ينذرونهم؛ لأنّ الذين لم يُنذروا هم غافلون، كما قال تعالى: ﴿لِتُنذِرَ قَوْمًا مَّآ أُنذِرَ ءَابَآؤُهُمْ فَهُمْ غَٰفِلُونَ ۝٦﴾ [يس:٦] فالآية في سياق أمر قد ثبت واستقر وانتهى؛ فجاء بالصيغة الاسمية الدالة على الثبوت.

٢ـ آيات سورة هود على هذه الحياة وشؤونها وذكرُ سنةِ الله في الأمم وبقائها، فجاء بالصيغة الفعلية الدالة على الحدوث والتجدد؛ لأنّ الأمم تحدث وتتجدد وتهلك ويأتي غيرها.

٣ ـ جاء في آية الأنعام١٣١ ﴿لَّمْ يَكُن﴾ الدالة على المضي؛ لأنّ الأمر حصل وتم في الدنيا فهو ماضٍ بالنسبة للآخرة، وجاء في آية هود بلام الجحود ﴿لِيُهْلِكَ﴾ [هود:١١٧] التي تدخل على الفعل المضارع للدلالة على الاستمرار والتجدد.

السؤال الثاني:

ختم آية الأنعام ١٣١ بقوله: ﴿وَأَهْلُهَا غَٰفِلُونَ ۝١٣١﴾ وختم آية ١١٧بقوله: ﴿وَأَهْلُهَا مُصْلِحُونَ ۝١١٧﴾ فلماذا؟

الجواب:

١ـ سياق الكلام في سورة الأنعام في ذكر الرسل والإنذار والتبليغ، قال تعالى: ﴿يَٰمَعْشَرَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِّنكُمْ يَقُصُّونَ عَلَيْكُمْ ءَايَٰتِى وَيُنذِرُونَكُمْ لِقَآءَ يَوْمِكُمْ هَٰذَا ۚ قَالُوا۟

شَهِدْنَا عَلَىٰٓ أَنفُسِنَا ۖ وَغَرَّتْهُمُ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا وَشَهِدُوا۟ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ أَنَّهُمْ كَانُوا۟ كَـٰفِرِينَ ﴿١٣٠﴾ ذَٰلِكَ أَن لَّمْ يَكُن رَّبُّكَ مُهْلِكَ ٱلْقُرَىٰ بِظُلْمٍ وَأَهْلُهَا غَـٰفِلُونَ ﴿١٣١﴾ ﴾ .

فأنت ترى أنّ سياق الكلام في ذكر الرسل والإنذار والتبليغ وتبيان أنّ الله لم يهلك أقواماً غافلين لم يُنذَروا ولم يكلفوا، فإنّ من لم يُنذَر فهو غافل، قال تعالى: ﴿ لِتُنذِرَ قَوْمًا مَّآ أُنذِرَ ءَابَآؤُهُمْ فَهُمْ غَـٰفِلُونَ ﴿٦﴾ ﴾ [يس:٦] وما كان الله ليهلك مثل هؤلاء الأقوام؛ ولذا ختمها بقوله: ﴿ وَأَهْلُهَا غَـٰفِلُونَ ﴿١٣١﴾ ﴾ .

٢ـ وأما آية هود فهي في الكلام عن الإصلاح والنهي عن الفساد في الأرض؛ ولذا ختمها بالإصلاح، قال تعالى: ﴿ فَلَوْلَا كَانَ مِنَ ٱلْقُرُونِ مِن قَبْلِكُمْ أُو۟لُوا۟ بَقِيَّةٍ يَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْفَسَادِ فِى ٱلْأَرْضِ إِلَّا قَلِيلًا مِّمَّنْ أَنجَيْنَا مِنْهُمْ ۗ وَٱتَّبَعَ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ مَآ أُتْرِفُوا۟ فِيهِ وَكَانُوا۟ مُجْرِمِينَ ﴿١١٦﴾ وَمَا كَانَ رَبُّكَ لِيُهْلِكَ ٱلْقُرَىٰ بِظُلْمٍ وَأَهْلُهَا مُصْلِحُونَ ﴿١١٧﴾ ﴾ [هود:١١٦-١١٧] فناسب ختام كل آية السياق الذي فيه .

❁❁❁❁

﴿ وَلِكُلٍّ دَرَجَـٰتٌ مِّمَّا عَمِلُوا۟ ۚ وَمَا رَبُّكَ بِغَـٰفِلٍ عَمَّا يَعْمَلُونَ ﴿١٣٢﴾ ﴾

السؤال الأول:

لِمَ عبّر الله تعالى عن أجر المؤمنين بالدرجات، ولم يقل: ولكلٍّ أجرٌ عظيمٌ؟

الجواب:

انظر إلى هذا التصوير لتفاوت المؤمنين في منازل الآخرة، فقد عبّر عنه بلفظ (درجات)؛ لأنّ المنزل كلما علا ازدادت درجاته، والمؤمن كلما ازداد عمله من الصالحات صعدت مرتبته .

﴿وَرَبُّكَ ٱلْغَنِيُّ ذُو ٱلرَّحْمَةِۚ إِن يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ وَيَسْتَخْلِفْ مِنۢ بَعْدِكُم مَّا يَشَآءُ كَمَآ أَنشَأَكُم مِّن ذُرِّيَّةِ قَوْمٍ ءَاخَرِينَ ﴿١٣٣﴾﴾

السؤال الأول:

من أسمائه سبحانه وتعالى (الغني والرحيم)، فلماذا لم يقل (وربك الغني الرحيم)، وعبر عن رحمته بـ﴿ذُو ٱلرَّحْمَةِۚ﴾، مع أنه ليس من أسمائه سبحانه؟

الجواب:

عدل ربنا عن وصف نفسه بالرحيم إلى وصفه بـ ﴿ذُو ٱلرَّحْمَةِۚ﴾ في الآية؛ لأنّ (الغني) وصف ذاتي لله لا تنتفع الخلائق إلا بلوازم ذلك الوصف، وهي كرم الله وجوده علينا، بخلاف صفة الرحمة فإن تعلقها ينفع الخلائق، وسُبقت هذه الصفة بـ ﴿ذُو﴾ لما فيها من الاستعارة بقوة ما تضاف إليه، فأنت لا تقول: ذو مال لمن عنده مال قليل، وفي موقع هذه العبارة ﴿ذُو ٱلرَّحْمَةِۚ﴾ في الآية تمهيد لمعنى الإمهال في قوله: ﴿إِن يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ﴾ وكأنّ الله يخاطبنا: لا يقولنّ أحد: لماذا لم يُذهب بهؤلاء المكذبين؟ فالجواب أتانا: أمهلتهم إعذاراً لهم لأنني أنا الله ذو الرحمة.

❊❊❊❊

﴿إِنَّ مَا تُوعَدُونَ لَأٓتٍۖ وَمَآ أَنتُم بِمُعْجِزِينَ ﴿١٣٤﴾﴾

السؤال الأول:

ما دلالة فصل ﴿إِنَّمَا﴾ في آية سورة الأنعام ﴿إِنَّ مَا تُوعَدُونَ لَأٓتٍۖ وَمَآ أَنتُم بِمُعْجِزِينَ ﴿١٣٤﴾﴾، بينما جاءت موصولة في آية سورة الذاريات ٥ والمرسلات ٧ والأنفال ٤٠ وطه ٦٩؟

الجواب:

١ـ هذا السؤال عائد إلى خط المصحف (الخط العثماني)، وليس عائداً لأمر نحوي، وحسب القاعدة: خطّان لا يُقاس عليهما: خط المصحف وخط العَروض، وفي كتابتنا الحالية نفصل ﴿إِنَّ﴾ عن ﴿مَا﴾ وحقُّها أن تُفصل.

٢ـ لكن المُلاحظ الغريب في هذه الآيات أننا نحس أنّ للفصل والوصل غرضاً بيانياً.

٣ـ آية الأنعام ١٣٤:

فلو لاحظنا الآيات نجد أنه تعالى لم يذكر في سورة الأنعام شيئاً يتعلّق بالآخرة أو متصلاً بها وإنما تكلم بعد الآية عن الدنيا ﴿قُلْ يَٰقَوْمِ ٱعْمَلُوا۟ عَلَىٰ مَكَانَتِكُمْ إِنِّى عَامِلٌ ۖ فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ مَن تَكُونُ لَهُۥ عَٰقِبَةُ ٱلدَّارِ ۗ إِنَّهُۥ لَا يُفْلِحُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿١٣٥﴾ وَجَعَلُوا۟ لِلَّهِ مِمَّا ذَرَأَ مِنَ ٱلْحَرْثِ وَٱلْأَنْعَٰمِ نَصِيبًا فَقَالُوا۟ هَٰذَا لِلَّهِ بِزَعْمِهِمْ وَهَٰذَا لِشُرَكَآئِنَا ۖ فَمَا كَانَ لِشُرَكَآئِهِمْ فَلَا يَصِلُ إِلَى ٱللَّهِ ۖ وَمَا كَانَ لِلَّهِ فَهُوَ يَصِلُ إِلَىٰ شُرَكَآئِهِمْ ۗ سَآءَ مَا يَحْكُمُونَ ﴿١٣٦﴾﴾ [الأنعام:١٣٥-١٣٦] ففصل (ما يوعدون) عن واقع الآخرة، فقال: ﴿إِنَّ مَا﴾ [الأنعام:١٣٤].

٤ـ آية الذاريات ٥:

في سورة الذاريات وصل الأمر بأحداث الآخرة ﴿وَإِنَّ ٱلدِّينَ لَوَٰقِعٌ ﴿٦﴾﴾ [الذاريات:٦] والكلام في السورة جاء عن أحداث الآخرة فوصل ﴿إِنَّمَا تُوعَدُونَ﴾ [الذاريات:٥] بأحداث الآخرة، فوصل ﴿إِنَّمَا﴾ .

٥ـ آية المرسلات ٧:

وكذلك في سورة المرسلات دخل في أحداث الآخرة.

٦ـ لذلك بشكل عام لمّا فَصَلَ الأحداث في الآخرة عن (ما يوعدون) فَصَلَ ﴿إِنَّ مَا﴾، ولمّا وصل الأحداث مع ما يوعدون وصل ﴿إِنَّمَا﴾ .

٧ـ وكذلك ما جاء في سورة طه في قوله تعالى عن موسى وفرعون: ﴿وَأَلْقِ مَا فِي يَمِينِكَ تَلْقَفْ مَا صَنَعُوٓاْۖ إِنَّمَا صَنَعُواْ كَيْدُ سَٰحِرٖۖ وَلَا يُفْلِحُ ٱلسَّاحِرُ حَيْثُ أَتَىٰ ٦٩﴾ [طه:٦٩] السحرة صنعوا وانتهى الأمر.

٨ـ وكذلك في سورة الأنفال قوله تعالى: ﴿وَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّمَا غَنِمْتُم مِّن شَيْءٖ﴾ [الأنفال:٤١] هم غنموا وانتهى الأمر فوصل وتكلم عن شيء فعلوه، فكأنها ظاهرة غريبة، وكأنّ الكاتب الذي كتب المصحف لاحظ هذا وما في الفصل والوصل من معنى .

٩ـ (ما) الموصولة في آيات السؤال تختلف عن ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ﴾ [الحُجرات:١٠] التي هي كافة ومكفوفة، والتي توصل مع (إنّ).

١٠ـ توصل ﴿إِنَّمَا﴾ في جميع القرآن إلا في آية الأنعام ١٣٤ فهي مفصولة بالاتفاق. والله أعلم.

❁❁❁❁

﴿ قُلْ يَٰقَوْمِ ٱعْمَلُواْ عَلَىٰ مَكَانَتِكُمْ إِنِّي عَامِلٞۖ فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ مَن تَكُونُ لَهُۥ عَٰقِبَةُ ٱلدَّارِۚ إِنَّهُۥ لَا يُفْلِحُ ٱلظَّٰلِمُونَ ١٣٥ ﴾

السؤال الأول:

ما وجه الاختلاف من الناحية البيانية بين قوله: ﴿فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ﴾ في آيةالأنعام ١٣٥ و ﴿سَوْفَ تَعْلَمُونَ﴾ في سورة هود ٩٣؟

الجواب:

قال تعالى في سورة الأنعام: ﴿قُلْ يَٰقَوْمِ ٱعْمَلُوا۟ عَلَىٰ مَكَانَتِكُمْ إِنِّى عَامِلٌ ۖ فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ مَن تَكُونُ لَهُۥ عَٰقِبَةُ ٱلدَّارِ ۗ إِنَّهُۥ لَا يُفْلِحُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿١٣٥﴾﴾ وسورة الزمر ﴿قُلْ يَٰقَوْمِ ٱعْمَلُوا۟ عَلَىٰ مَكَانَتِكُمْ إِنِّى عَٰمِلٌ ۖ فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ ﴿٣٩﴾﴾ وقال في سورة هود: ﴿وَيَٰقَوْمِ ٱعْمَلُوا۟ عَلَىٰ مَكَانَتِكُمْ إِنِّى عَٰمِلٌ ۖ سَوْفَ تَعْلَمُونَ مَن يَأْتِيهِ عَذَابٌ يُخْزِيهِ وَمَنْ هُوَ كَٰذِبٌ ۖ وَٱرْتَقِبُوٓا۟ إِنِّى مَعَكُمْ رَقِيبٌ ﴿٩٣﴾﴾.

وعلينا أنّ نلاحظ القائل في كلتا الآيتين، ففي آية سورة الأنعام الله تعالى هو الذي أمر رسوله بالتبليغ، وقد أمره أنْ يبلغ الناس كلام ربه، وهذا تهديد لهم، فأصلُ التأديب من الله تعالى.

أمّا في آية سورة هود فهي جاءت في شعيب، وليس فيها أمر تبليغ من الله تعالى، فالتهديد إذن أقل في آية سورة هود.

ولهذا فقد جاء بالفاء في ﴿فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ﴾ في الآية التي فيها التهديد من الله للتوكيد، ولمّا كان التهديد من شعيب حذف الفاء: ﴿سَوْفَ تَعْلَمُونَ﴾ [هود:٩٣]؛ لأن التهديد أقل.

السؤال الثاني:

قوله تعالى في الآية: ﴿عَٰقِبَةُ ٱلدَّارِ ۗ﴾ متى تذكر أو تؤنث لفظة (عاقبة)؟

الجواب:

كلمة (العاقبة): لها معنيان: العذاب أو الجنة.

وفي كل القرآن إذا ذُكّر الفعل مع العاقبة تكون بمعنى العذاب، وإنْ أُنّث الفعل مع العاقبة تكون بمعنى الجنة.

* شواهد قرآنية:

١ـ الآيات: [الأنعام ١١ـ يونس ٧٣ ـ الأعراف ٨٤ ـ الصافات ٧٣] المقصود بالعاقبة هنا محل العذاب؛ فجاء الفعل بالتذكير .

٢ـ الآيات:[القصص ٣٧ـ الأنعام ١٣٥] العاقبة بمعنى الجنة؛ فجاء الفعل بالتأنيث.

****

﴿ وَكَذَٰلِكَ زَيَّنَ لِكَثِيرٍ مِّنَ ٱلْمُشْرِكِينَ قَتْلَ أَوْلَٰدِهِمْ شُرَكَآؤُهُمْ لِيُرْدُوهُمْ وَلِيَلْبِسُوا۟ عَلَيْهِمْ دِينَهُمْ ۖ وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَا فَعَلُوهُ ۖ فَذَرْهُمْ وَمَا يَفْتَرُونَ ﴿١٣٧﴾ ﴾

السؤال الأول:

في سورة الأنعام قال في الآية ١١٢: ﴿وَلَوْ شَآءَ رَبُّكَ مَا فَعَلُوهُ ۖ﴾، وقال في الآية ١٣٧: ﴿وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَا فَعَلُوهُ ۖ﴾، فما السبب؟

الجواب:

١ـ لمّا ذكر في الأولى ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا﴾ وهو تسلية له ﷺ ناسب ذلك ﴿وَلَوْ شَآءَ رَبُّكَ﴾ (فهو الحافظ لك) ما فعلوه.

٢ـ وأمّا الثانية فتقدمها في الآية ١٣٦ ﴿وَجَعَلُوا۟ لِلَّهِ مِمَّا ذَرَأَ مِنَ ٱلْحَرْثِ وَٱلْأَنْعَٰمِ نَصِيبًا﴾ ؛ فناسب ذلك ﴿وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ﴾ أي: ولو شاء الله - الذي جعلوا له ذلك- ما فعلوه .

❁❁❁❁

﴿وَقَالُوا۟ هَٰذِهِۦٓ أَنْعَٰمٌ وَحَرْثٌ حِجْرٌ لَّا يَطْعَمُهَآ إِلَّا مَن نَّشَآءُ بِزَعْمِهِمْ وَأَنْعَٰمٌ حُرِّمَتْ ظُهُورُهَا وَأَنْعَٰمٌ لَّا يَذْكُرُونَ ٱسْمَ ٱللَّهِ عَلَيْهَا ٱفْتِرَآءً عَلَيْهِ ۚ سَيَجْزِيهِم بِمَا كَانُوا۟ يَفْتَرُونَ ﴿١٣٨﴾﴾

السؤال الأول:

ما دلالة قوله تعالى في الآية:﴿سَيَجْزِيهِم بِمَا كَانُوا۟ يَفْتَرُونَ ﴿١٣٨﴾﴾ ؟

الجواب:

إذا قلت لعاملك: إذا قصرت في العمل فسوف أخصم من مرتبك مئة درهم، علم العقوبة وسوف تولِّد عنده رادعاً، ولكن إنْ قلت لمن ارتكب خطأً في عمله: إنْ عدت لهذا التصرف مرة أخرى فسوف ترى ما أعمل بك، فأنت لم تحدد نوع العقوبة؛ فهذا النوع أشد هولاً على القلب، وكذلك قوله تعالى هنا: ﴿سَيَجْزِيهِم بِمَا كَانُوا۟ يَفْتَرُونَ ﴿١٣٨﴾﴾ فقد أبهم الله الجزاء تهويلاً وتعظيماً؛ لتذهب النفوس كل مذهب ممكن في أنواع الجزاء على الإثم.

﴿ ۞ وَهُوَ ٱلَّذِىٓ أَنشَأَ جَنَّٰتٍ مَّعْرُوشَٰتٍ وَغَيْرَ مَعْرُوشَٰتٍ وَٱلنَّخْلَ وَٱلزَّرْعَ مُخْتَلِفًا أُكُلُهُۥ وَٱلزَّيْتُونَ وَٱلرُّمَّانَ مُتَشَٰبِهًا وَغَيْرَ مُتَشَٰبِهٍ ۚ كُلُوا۟ مِن ثَمَرِهِۦٓ إِذَآ أَثْمَرَ وَءَاتُوا۟ حَقَّهُۥ يَوْمَ حَصَادِهِۦ ۖ وَلَا تُسْرِفُوٓا۟ ۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلْمُسْرِفِينَ ﴿١٤١﴾ ﴾

السؤال الأول:

لماذا اختلاف الفاصلة في هذه الآية١٤١ والآية ٩٩، وكلاهما في سورة الأنعام؟

الجواب:

قوله تعالى: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِىٓ أَنشَأَ جَنَّٰتٍ مَّعْرُوشَٰتٍ وَغَيْرَ مَعْرُوشَٰتٍ﴾ جاءت هذه الآية في سياق كلام الله للامتنان على الناس بما أنشأ لهم في الأرض مما ينفعهم ولذلك ختمها بقوله: ﴿كُلُوا۟ مِن ثَمَرِهِۦٓ إِذَآ أَثْمَرَ﴾، بينما ختمت الآية المشابهة لها، وهي قوله: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَخْرَجْنَا بِهِۦ نَبَاتَ كُلِّ شَىْءٍ﴾ بقوله: ﴿إِنَّ فِى ذَٰلِكُمْ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿٩٩﴾﴾؛ لأنها سيقت للدلالة على صنع الله وأنه المتفرد بالخلق.

السؤال الثاني:

ما الفرق بين الآيتين (٩٩) و (١٤١) في سورة الأنعام؟

الجواب:

انظر الجواب في آية الأنعام ٩٩.

﴿وَمِنَ ٱلۡإِبِلِ ٱثۡنَيۡنِ وَمِنَ ٱلۡبَقَرِ ٱثۡنَيۡنِۗ قُلۡ ءَآلذَّكَرَيۡنِ حَرَّمَ أَمِ ٱلۡأُنثَيَيۡنِ أَمَّا ٱشۡتَمَلَتۡ عَلَيۡهِ أَرۡحَامُ ٱلۡأُنثَيَيۡنِۖ أَمۡ كُنتُمۡ شُهَدَآءَ إِذۡ وَصَّىٰكُمُ ٱللَّهُ بِهَٰذَاۚ فَمَنۡ أَظۡلَمُ مِمَّنِ ٱفۡتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبٗا لِّيُضِلَّ ٱلنَّاسَ بِغَيۡرِ عِلۡمٍۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهۡدِي ٱلۡقَوۡمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ١٤٤﴾

السؤال الأول:

قوله تعالى: ﴿لِّيُضِلَّ﴾ اللام للتعليل، فلماذا لم يستعمل (كي) مثلاً بدل اللام؟

الجواب:

الفعل ﴿لِّيُضِلَّ﴾ هو تعليل قريب من التعليل المجازي، إذ من المحتمل أنْ لم يكن غرض المفتري إضلال الناس، بدليل قوله تعالى ﴿بِغَيۡرِ عِلۡمٍۚ﴾ كما قال تعالى في آية الأنعام ١١٩: ﴿وَإِنَّ كَثِيرٗا لَّيُضِلُّونَ بِأَهۡوَآئِهِم بِغَيۡرِ عِلۡمٍۚ﴾.

أمّا المفتري على الله الذي يضل الناس يقيناً فلا تشفع له نيته في ذلك أياً كانت، بدليل قوله تعالى في آية الكهف ١٠٣ـ١٠٥: ﴿قُلۡ هَلۡ نُنَبِّئُكُم بِٱلۡأَخۡسَرِينَ أَعۡمَٰلًا ١٠٣ ٱلَّذِينَ ضَلَّ سَعۡيُهُمۡ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا وَهُمۡ يَحۡسَبُونَ أَنَّهُمۡ يُحۡسِنُونَ صُنۡعًا ١٠٤ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِمۡ وَلِقَآئِهِۦ فَحَبِطَتۡ أَعۡمَٰلُهُمۡ فَلَا نُقِيمُ لَهُمۡ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ وَزۡنٗا ١٠٥﴾ فهؤلاء لا يشفع لهم اعتقادهم أنهم يحسنون صنعاً، فاستعمل التعليل باللام، ولم يستعمله بـ (كي)؛ وذلك أنه لو قال: (افترى على الله كذبا كي يضل الناس)، كان المعنى أنه افترى الكذب لهذا الغرض، فلا يصح معه أن يقال: من دون أن يعلم ﴿بِغَيۡرِ عِلۡمٍۚ﴾؟

السؤال الثاني:

أكدّ نفي الهداية بإنّ في آية الأنعام ١٤٤ ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهۡدِى ٱلۡقَوۡمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ١٤٤﴾ ولم يؤكده في آية الصف ٧، فلماذا؟

الجواب:

قال تعالى في آية الصف ٧: ﴿وَمَنۡ أَظۡلَمُ مِمَّنِ ٱفۡتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ ٱلۡكَذِبَ وَهُوَ يُدۡعَىٰٓ إِلَى ٱلۡإِسۡلَٰمِۚ وَٱللَّهُ لَا يَهۡدِى ٱلۡقَوۡمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ٧﴾.

١ـ حيث إنّه زاد في آية الأنعام على آية الصف ﴿لِيُضِلَّ ٱلنَّاسَ بِغَيۡرِ عِلۡمٍۚ﴾ فاقتضى ذلك زيادة تأكيد نفي الهداية لهؤلاء الذين يضلون الناس بغير علم.

٢ـ عرّف ﴿ٱلۡكَذِبَ﴾ في آية الصف، وهو متعلق بصفة النبي ﷺ والتبشير به فعرّفه، بينما نكّره في آية الأنعام؛ لأنهم يفترون على الله كذباً في أمور كثيرة، وليس في أمر معين، فاقتضى ذلك تأكيد نفي الهداية.

❁❁❁❁

﴿قُل لَّآ أَجِدُ فِي مَآ أُوحِيَ إِلَيَّ مُحَرَّمًا عَلَىٰ طَاعِمٖ يَطۡعَمُهُۥٓ إِلَّآ أَن يَكُونَ مَيۡتَةً أَوۡ دَمٗا مَّسۡفُوحًا أَوۡ لَحۡمَ خِنزِيرٖ فَإِنَّهُۥ رِجۡسٌ أَوۡ فِسۡقًا أُهِلَّ لِغَيۡرِ ٱللَّهِ بِهِۦۚ فَمَنِ ٱضۡطُرَّ غَيۡرَ بَاغٖ وَلَا عَادٖ فَإِنَّ رَبَّكَ غَفُورٞ رَّحِيمٞ ١٤٥﴾

السؤال الأول:

تأمل هذا الأسلوب في نفي مزاعم القوم، فقد ابتدأ الله الآية بكلام على لسان رسوله ﷺ ليبين فيه ما حرم الله عليه، فلِمَ لَم يبتدئ بنفي تحريم ما ادعى المشركون تحريمه بلفظ صريح؟

الجواب:

هذا الرد جاء على طريقة الإيماء؛ ليبين لهم أنّ الذي يدّعونه ليس فيما نهي عنه، ومن ثم فليس تحريمه من أوامر الله، وهذه طريقة استدلالية؛ لأنّ فيها نفي الشيء بنفي ملزومه.

السؤال الثاني:

لِمَ قيّد الدم بوصفه ﴿مَّسۡفُوحًا﴾ مع أنّ الدم سائل؟

الجواب:

إنّ تقييد الدم بالمسفوح للتنبيه على العفو عن الدم الذي ينزّ من عروق اللحم عند طبخه، فإنه لا يمكن الاحتراز منه.

السؤال الثالث:

قوله تعالى في الآية: ﴿فِسۡقًا﴾ ما الفسق والفسوق؟

الجواب:

١ـ يقال فسقت الرطبة، أي: خرجت عن قشرها، وفسق: عن أمر ربه، أي: خرج: وفسق فِسقاً وفسوقاً، وسميت الفأرة فويسقة لخروجها من جحرها، وأصل الفسق الخروج عن الاستقامة والجور؛ ولذلك سمي العاصي فاسقاً.

٢ـ الفسوق: الميل إلى المعصية والخروج من الدين، وهو عام؛ لأنّ في الكلمة زيادة حرف (الواو)، فزاد المعنى إلى العام.

٣ـ في الاستعمال القرآني: استعمل (فسق) مع سياق الأطعمة، ويستعمل (فسوق) مع العام.

* شواهد قرآنية:

﴿فِسْقٌ﴾ المائدة ٥ـ الأنعام ١٢١ـ١٤٥.

﴿فُسُوقَ﴾ البقرة ١٩٧ـ الحجرات ٧ـ١١.

السؤال الرابع:

ورد قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٧٣﴾﴾ في آية البقرة ١٧٣ وآية المائدة ٣ وآية النحل ١١٥، بينما ورد قوله تعالى: ﴿فَإِنَّ رَبَّكَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٤٥﴾﴾ في آية الأنعام ١٤٥، فلماذا؟

الجواب:

إنّ آيات البقرة والمائدة والنحل السابقة الذكر هي خطاب من الله تعالى للناس؛ فناسب ﴿فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١١٥﴾﴾ أي: فإن الله هو المرخص لكم في ذلك، بينما آية الأنعام بدأت بلفظة ﴿قُل﴾، وهي خطاب للرسول ﷺ؛ فناسب ختمها بقوله: ﴿فَإِنَّ رَبَّكَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٤٥﴾﴾.

السؤال الخامس:

في آية البقرة ١٧٣ قدّم ﴿بِهِۦ﴾ على ﴿لِغَيْرِ ٱللَّهِ﴾ ومعنى أُهِلّ: رفع الصوت بذبح البهيمة، وفي آيتي المائدة٣ والأنعام ١٤٥ قدّم ﴿لِغَيْرِ ٱللَّهِ﴾ على ﴿بِهِۦ﴾ فما السبب؟

الجواب:

انظر الجواب في آية البقرة ١٧٣.

﴿ وَعَلَى ٱلَّذِينَ هَادُواْ حَرَّمْنَا كُلَّ ذِى ظُفُرٍۖ وَمِنَ ٱلْبَقَرِ وَٱلْغَنَمِ حَرَّمْنَا عَلَيْهِمْ شُحُومَهُمَآ إِلَّا مَا حَمَلَتْ ظُهُورُهُمَآ أَوِ ٱلْحَوَايَآ أَوْ مَا ٱخْتَلَطَ بِعَظْمٍۚ ذَٰلِكَ جَزَيْنَٰهُم بِبَغْيِهِمْۖ وَإِنَّا لَصَٰدِقُونَ ﴿١٤٦﴾ ﴾

السؤال الأول:

الجار والمجرور في الآية ﴿وَعَلَى ٱلَّذِينَ﴾ متعلق بالفعل ﴿حَرَّمْنَا﴾، فلم تقدم عليه وحقه التأخير؟

الجواب:

حيث إنّ الأصل (حرّمنا كل ذي ظفر على الذين هادوا) تقدم الجار والمجرور على الفعل ﴿حَرَّمْنَا﴾ ؛ للدلالة على التخصيص، أي: حرمنا عليهم وحدهم لا على غيرهم من الأمم.

❋❋❋❋

﴿ فَإِن كَذَّبُوكَ فَقُل رَّبُّكُمْ ذُو رَحْمَةٍ وَٰسِعَةٍ وَلَا يُرَدُّ بَأْسُهُۥ عَنِ ٱلْقَوْمِ ٱلْمُجْرِمِينَ ﴿١٤٧﴾ ﴾

السؤال الأول:

قال في آية الأنعام ٣٣ ﴿فَإِنَّهُمْ لَا يُكَذِّبُونَكَ﴾ وقال في الآية ١٤٧ ﴿فَإِن كَذَّبُوكَ﴾، فما دلالة ذلك؟

الجواب:

أي: أنهم لا يكذبونك في الباطن؛ لأنك عندهم معروف بالأمين، وإنما يكذبونك في الظاهر؛ ليصدوا عنك.

❁❁❁❁

﴿سَيَقُولُ ٱلَّذِينَ أَشْرَكُوا۟ لَوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَآ أَشْرَكْنَا وَلَآ ءَابَآؤُنَا وَلَا حَرَّمْنَا مِن شَىْءٍ كَذَٰلِكَ كَذَّبَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ حَتَّىٰ ذَاقُوا۟ بَأْسَنَا قُلْ هَلْ عِندَكُم مِّنْ عِلْمٍ فَتُخْرِجُوهُ لَنَآ إِن تَتَّبِعُونَ إِلَّا ٱلظَّنَّ وَإِنْ أَنتُمْ إِلَّا تَخْرُصُونَ ﴿١٤٨﴾﴾

السؤال الأول:

لِمَ قال تعالى في الأنعام ١٤٨: ﴿مَآ أَشْرَكْنَا﴾ وفي النحل ٣٥: ﴿مَا عَبَدْنَا﴾؟ وما سبب زيادة ﴿نَّحْنُ﴾ في النحل ﴿مَا عَبَدْنَا مِن دُونِهِۦ مِن شَىْءٍ نَّحْنُ وَلَآ ءَابَآؤُنَا﴾ دون الأنعام؟

الجواب:

١ـ في آية الأنعام: لفظ الإشراك مؤذن بالشريك، فلم يقل: (من دونه).

٢ـ في آية النحل: لفظ ﴿عَبَدْنَا﴾ ليس مؤذناً بإشراك غيره؛ فلذلك جاء ﴿مِن دُونِهِۦ﴾.

٣ـ في آية النحل: زاد ﴿نَّحْنُ﴾ لمّا حال فاصلٌ بين الضمير في ﴿عَبَدْنَا﴾ وما عطف عليه، وهذا الفاصل هو ﴿مِن دُونِهِۦ﴾؛ ولذلك أكّده بقوله﴿نَّحْنُ﴾.

أمّا في آية الأنعام فلم يحلْ فاصلٌ بين الضمير والمعطوف عليه؛ فلم يحتج للتأكيد بـ (نحن).

٤ـ في آية الأنعام: لمّا تقدم قوله في الآية ١٤٧: ﴿فَإِن كَذَّبُوكَ فَقُل رَّبُّكُمْ ذُو رَحْمَةٍ وَاسِعَةٍ﴾ ناسب في الآية ١٤٨ ﴿كَذَٰلِكَ كَذَّبَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ﴾.

❁❁❁❁

﴿قُلْ تَعَالَوْا أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ أَلَّا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُم مِّنْ إِمْلَاقٍ نَّحْنُ نَرْزُقُكُمْ وَإِيَّاهُمْ وَلَا تَقْرَبُوا الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَلَا تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ ذَٰلِكُمْ وَصَّاكُم بِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿١٥١﴾﴾

السؤال الأول:

ما دلالة هذا المطلع للآية ﴿قُلْ تَعَالَوْا﴾؟

الجواب:

انظر إلى هذا المطلع ﴿قُلْ تَعَالَوْا﴾، فهو يصور رفعة تعاليم الله وسمو أتباعه؛ ولذلك استهل هذه الآية بـ﴿تَعَالَوْا﴾ دون: هلموا، مثلاً؛ اهتماماً بالغرض المنتقل إليه، وبأنه أجدى عليهم من تلك السفاسف التي اهتموا بها، وليعلموا الفرق بين ما يدعون الناس إليه وما يدعوهم إليه الإسلام من جلائل الأعمال، فالفعل (تعال) يؤمر به من يراد صعوده إلى مكان مرتفع فوق مكانه، إذ الأصل في هذا الفعل أنهم كلهم إذا نادوا إلى أمر مهم ارتقى المنادي على ربوة ليسمع صوته، وأنت أيها المؤمن عندما تستجيب لهذا النداء، إنما ترتفع بإنسانيتك إلى شرف الإسلام ورفعة شأنه.

السؤال الثاني:

﴿قُلْ تَعَالَوْا أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ أَلَّا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا﴾ هذه الآية اشتملت على المنهيات، وقد وردت بصيغة النهي (لا تشركوا، لا تقتلوا، لا تقربوا) إلا الإساءة للوالدين، فقد أتت بصيغة الأمر بالإحسان إليهما، فلِمَ عدل ربنا عن النهي عن الإساءة إلى الأمر بالإحسان في قوله: ﴿وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا﴾؟

الجواب:

١ـ إن في هذه الآية أمراً بالإحسان إليهما، أي: وأحسنوا بالوالدين إحساناً وهذا حتماً يفيد النهي عن ضده وهو الإساءة للوالدين؛ ولذلك كان من جملة المنهيات، وإنما عدل ربنا عن النهي عن الإساءة إلى الأمر بالإحسان اعتناء بالوالدين وإكراماً لهما؛ لأنّ الله تعالى أراد برّهما، والبِرُّ إحسان.

٢ـ لو نهى وقال: لا تسيئوا إليهما، ما وفى هذا بحق الوالدين؛ لأنّ الإساءة لا تنبغي وإنما ينبغي الإحسان، وعدم الإساءة لا يقتضي الإحسان. ومنصوص الآية من حيث الدلالة (وأحسنوا بالوالدين إحساناً)؛ لأنّ الوالدين لا يكفي في حقهما النهي عن الإساءة، وعدم الإساءة إليهما أمر مفروغ منه، والإحسان إليهما واجب.

٣ـ قوله: ﴿وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا﴾ (إحساناً) مفعول مطلق لفعل محذوف بتقدير: وأحسنوا بالوالدين إحساناً.

٤ـ ولذلك كل القرآن لم يأت بصيغة النهي عن الإساءة، وإنما يقول:

﴿لَا تَعْبُدُونَ إِلَّا اللَّهَ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا﴾ [البقرة:٨٣].

﴿وَاعْبُدُوا اللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا﴾ [النساء:٣٦].

﴿وَقَضَى رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا﴾ [الإسراء:٢٣].

﴿أَلَّا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا﴾ [الأنعام:١٥١].

﴿وَوَصَّيْنَا الْإِنْسَانَ بِوَالِدَيْهِ إِحْسَانًا﴾ [الأحقاف:١٥].

ولهذا لم تأت بصيغة النهي مثلا (لا تسيئوا) مطلقاً في القرآن الكريم لعظمة الوالدين وكبير أمرهما عند الله.

السؤال الثالث:

ما دلالة قوله تعالى في الآية ﴿أَلَّا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا﴾ حيث استخدم النهي مع الشرك بالله؟

الجواب:

قوله تعالى: ﴿أَلَّا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا﴾ هذا مطلوب، فبدأ بالتوحيد في صريح العبارة إشارة إلى أنّ التخلي عن الرذائل قبل التحلي بالفضائل، وقرن به البر بالولدين؛ لعظم مرتبتهما من باب شكر المنعم.

السؤال الرابع:

ما الفرق بين الآيتين ﴿وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُمْ مِنْ إِمْلَاقٍ نَحْنُ نَرْزُقُكُمْ وَإِيَّاهُمْ﴾ [الأنعام:١٥١] ﴿وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُمْ خَشْيَةَ إِمْلَاقٍ نَحْنُ نَرْزُقُهُمْ وَإِيَّاكُمْ﴾ [الإسراء:٣١] من الناحية البيانية؟

الجواب:

هاتان الآيتان تكلّم فيهما القدامى كثيراً في أكثر المراجع، وحتى المحدثون ذكروها.

الآية الأولى في سورة الأنعام ﴿وَلَا تَقْتُلُوٓاْ أَوْلَٰدَكُم مِّنْ إِمْلَٰقٍۖ نَّحْنُ نَرْزُقُكُمْ وَإِيَّاهُمْۖ وَلَا تَقْرَبُواْ ٱلْفَوَٰحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَۖ وَلَا تَقْتُلُواْ ٱلنَّفْسَ ٱلَّتِي حَرَّمَ ٱللَّهُ إِلَّا بِٱلْحَقِّۚ ذَٰلِكُمْ وَصَّىٰكُم بِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿١٥١﴾﴾ ﴿مِّنْ إِمْلَٰقٍۖ﴾ أي من الفقر الواقع بهم يقتلونهم وبسبب الفقر الواقع عليهم، فلمّا كانوا مفتقرين فهم محتاجون للرزق ليعيلوا أنفسهم ثم أولادهم؛ لذا بدأ تعالى برزقهم هم أولاً؛ لأنهم محتاجون، ثم رزق أولادهم.

أما الآية الثانية في سورة الإسراء ﴿وَلَا تَقْتُلُوٓاْ أَوْلَٰدَكُمْ خَشْيَةَ إِمْلَٰقٍۖ نَّحْنُ نَرْزُقُهُمْ وَإِيَّاكُمْۚ إِنَّ قَتْلَهُمْ كَانَ خِطْـًٔا كَبِيرًا ﴿٣١﴾﴾ [الإسراء:٣١] ﴿خَشْيَةَ إِمْلَٰقٍۖ﴾ [الإسراء:٣١] هم ليسوا محتاجين الآن، لكنهم يخشون الفقر ويخشون أنْ تكون تكاليف الأولاد ستؤثر عليهم وتودي بهم إلى الفقر، لكنهم ليسوا مفتقرين الآن، فقال تعالى: نحن نرزقهم؛ لماذا تخافون إذن؟ فبدأ برزق الأولاد أولاً حتى يبين لهم أنّ الأولاد لن يشاركوهم في رزقهم، وإنما رزقهم معهم.

السؤال الخامس:

قوله تعالى في الآية: ﴿ذَٰلِكُمْ وَصَّىٰكُم بِهِۦ﴾ كيف استعمل القرآن الفعلين: (وصّى) و (أوصى)؟

الجواب:

استعمل القرآن (وصّى) لما هو أهم وفيه المبالغة؛ لذلك استعمله للأمور المعنوية ولأمور الدين، وهذه أمور هامة، ويُطلب فعلُها بكثرة واستمرار ﴿وَوَصَّيْنَا ٱلْإِنسَٰنَ بِوَٰلِدَيْهِ﴾ [العنكبوت:٨]، وكما في آيات: [البقرة١٣٢ـ العنكبوت ٨ـ الأنعام ١٥١]، في حين استعمل (أوصى) للأمور المادية فقط، كما في آية النساء (١١)، ولم يستعمل (أوصى) في الأمور المعنوية وأمور الدين إلا في مكان واحد في جميع القرآن في قوله تعالى على لسان عيسى عليه السلام : ﴿وَأَوْصَٰنِى بِٱلصَّلَوٰةِ وَٱلزَّكَوٰةِ مَا دُمْتُ حَيًّا ﴿٣١﴾﴾ [مريم:٣١]؛ وذلك لاقتران الصلاة بالزكاة، إضافة إلى أنّ هذا القول على لسان عيسى عليه السلام وهو لا يزال صغيراً في المهد لم يكلف بعد لا بالصلاة ولا بالزكاة فاختار اللفظ الأخف (أوصى).

السؤال السادس:

ما دلالة قوله تعالى في الآية: ﴿ذَٰلِكُمْ وَصَّىٰكُم بِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿١٥١﴾﴾ [الأنعام:١٥١]؟

الجواب:

أولاً: في الآية الكريمة أوصى الله تعالى بخمسة أشياء، وهي:

١ـ ﴿أَلَّا تُشْرِكُوا۟ بِهِۦ شَيْـًٔا﴾ .

٢ـ ﴿وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًا﴾ .

٣ـ ﴿وَلَا تَقْتُلُوٓا۟ أَوْلَٰدَكُم مِّنْ إِمْلَٰقٍ﴾ .

٤ـ ﴿وَلَا تَقْرَبُوا۟ ٱلْفَوَٰحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ﴾ .

٥ـ ﴿وَلَا تَقْتُلُوا۟ ٱلنَّفْسَ ٱلَّتِى حَرَّمَ ٱللَّهُ إِلَّا بِٱلْحَقِّ﴾ .

ثم قال الحق: ﴿ذَٰلِكُمْ وَصَّىٰكُم بِهِۦ﴾ ولم يقل بها: فكأنّ أوامر الله ونواهيه أمر واحد متلازم تتمثل كلها في: التزم ما أمر الله به، واجتنب ما نهى الله عنه .

ثم قال: ﴿لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿١٥١﴾﴾ فكأنّ العقل لو خُلِّي ليبحث هذه الأشياء بحثاً مستقلاً عن منهج السماء لوجد أنّ ضرورة العيش على الأرض تتطلب وجود هذه الأشياء؛ لأنّ هذه التكاليف أمور ظاهرة جلية فوجب تعقلها وتفهمها.

ثانياً: ونلاحظ في الآية أنّ كلها أمور نهي عدا ﴿وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا﴾ ؛ لأنّ الأمر لو كان بطلب عدم الإساءة للوالدين، فإنّ ذلك لا يفي بحق الوالدين؛ لأنّ مضمون أمر الله ليس عدم الإساءة للوالدين فقط ،بل المطلوب الإحسان إليهما، وهذا واجب على كل فرد بحق والديه.

السؤال السابع:

استعمل القرآن في سياق الدعاء والبر للوالدين لفظة (الوالدين) دون لفظة (الأبوين)، فما دلالة ذلك؟ كما استخدم لفظتي (إحساناً وحُسناً) مع الوالدين فلماذا؟

الجواب:

انظر الجواب في آية البقرة ٨٣ .

﴿وَلَا تَقْرَبُوا۟ مَالَ ٱلْيَتِيمِ إِلَّا بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ حَتَّىٰ يَبْلُغَ أَشُدَّهُۥ ۖ وَأَوْفُوا۟
ٱلْكَيْلَ وَٱلْمِيزَانَ بِٱلْقِسْطِ ۖ لَا نُكَلِّفُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا ۖ وَإِذَا قُلْتُمْ
فَٱعْدِلُوا۟ وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَىٰ ۖ وَبِعَهْدِ ٱللَّهِ أَوْفُوا۟ ۚ ذَٰلِكُمْ وَصَّىٰكُم بِهِۦ
لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴿١٥٢﴾ وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِى مُسْتَقِيمًا فَٱتَّبِعُوهُ ۖ وَلَا تَتَّبِعُوا۟
ٱلسُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِۦ ۚ ذَٰلِكُمْ وَصَّىٰكُم بِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ
﴿١٥٣﴾﴾

السؤال الأول:

ما أهم التكاليف المذكورة في هاتين الآيتين؟ وما مناسبة فاصلة كل منهما؟

الجواب:

آ ـ ذكر في الآية (١٥٢) أربعة تكاليف، وهي:

١ ـ التعامل مع مال اليتيم.

٢ ـ إيفاء الكيل والميزان بالقسط .

٣ ـ القول بالعدل ولو كان ذا قربى.

٤ ـ الإيفاء بعهد الله.

وهذه الأمور أمور خفية غامضة لا بد فيها من الاجتهاد والتفكر فيها؛ حتى يقف على موقف الاعتدال؛ ولذلك قال بعدها: ﴿لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴿١٥٢﴾﴾ .

ب ـ وأما الآية (١٥٣)، وهي قوله تعالى: ﴿وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِى مُسْتَقِيمًا فَٱتَّبِعُوهُ ۖ وَلَا تَتَّبِعُوا۟ ٱلسُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِۦ ۚ ذَٰلِكُمْ وَصَّىٰكُم بِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿١٥٣﴾﴾ فقد ختمت بـ (لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿١٥٣﴾) ؛ لأن الحق طلب فيها من الناس أن يتبعوا صراطه المستقيم جملة وتفصيلاً، وإلا وقعوا في الضلالات.

وعن ابن مسعود عن النبي ﷺ أنه خط خطاً ثم قال: **هذا سبيل الرشد**، ثم خط عن يمينه وعن شماله خطوطاً، ثم قال: **هذه سبل على كل سبيل منها شيطان يدعو إليه**، ثم تلا هذه الآية ﴿وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِى مُسْتَقِيمًا فَٱتَّبِعُوهُ﴾.

وعن ابن عباس قال: إن هذه آيات محكمات لم ينسخهن شيء من جميع الكتب، من عمل بهن دخل الجنة ومن تركهن دخل النار، ولذلك ختمت الآية بـ ﴿لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿١٥٣﴾﴾.

السؤال الثاني:

ما الفرق بين السبيل والصراط؟

الجواب:

السبيل: هو الطريق السهل، ويستعمل مفرداً وجمعاً، ﴿سبيل وسبل﴾ للخير والشر.

الصراط: هو أوسع الطرق، ولا يجمع؛ لأنه الأوسع ولا أوسع منه، ولم يرد في القرآن إلا مفرداً، ويأتي موصوفاً ﴿ٱلصِّرَٰطَ ٱلْمُسْتَقِيمَ ﴿٦﴾﴾ [الفاتحة:٦] ويستعمل للخير والشر، كما في آية الصافات ٢٣ ﴿فَٱهْدُوهُمْ إِلَىٰ صِرَٰطِ ٱلْجَحِيمِ ﴿٢٣﴾﴾.

والسراط: لغة في الصراط، وسرط: أي بلع، ولذلك سمي الصراط؛ لزيادة اتساعه، فهو يسرط: يبتلع السابل.

وهو قريب من لفظ الكلمة الإنجليزية (ستريت)شارع و(ستريت)أي: مستقيم، كما في فقه اللغة.

السؤال الثالث:

ما دلالة قوله تعالى في الآية ١٥٢: ﴿وَلَا تَقْرَبُوا۟ مَالَ ٱلْيَتِيمِ إِلَّا بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ﴾؟

الجواب:

انظر إلى هذا السياج المنيع الذي ضربه الله حول اليتيم، فهو ضعيف بفقد النصير من الوالدين، ولكنه محاط بحفرة من نار، والاقتراب منها مؤذن بالهلاك، هذه هي الصورة التي رسمها الله لليتيم، ولذلك عبّر عن صون ماله بقوله: ﴿وَلَا تَقْرَبُوا۟﴾، ولم يقل: لا تأكلوا مال اليتيم، أو: لا تأخذوه؛ لأنّ النهي عن القرب منه أبلغ في التحذير من النهي عن الوقوع فيه، وفي هذا اللفظ ﴿وَلَا تَقْرَبُوا۟﴾ ضمان لماله وصونٌ له أبلغ من النهي عن الأخذ، فمن لم يقترب لم ير ولم يطمع، ومن ثَمَّ الوقوع في المنهي عنه أبعد.

السؤال الرابع:

ما معنى الفاء في كلمة ﴿فَٱتَّبِعُوهُ﴾ في قوله تعالى: ﴿وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِى مُسْتَقِيمًا فَٱتَّبِعُوهُ﴾؟

الجواب:

هذه الفاء تسمى الفصيحة، والفاء الفصيحة تدل على محذوف قبلها هو سبب لما بعدها، وقد سميت فصيحة لإفصاحها عما قبلها، والمعنى: إذا كان هذا صراطي مستقيماً فاتبعوه .

وقيل: سميت هكذا؛ لأنها تدل على فصاحة المتكلم بها فوصفت بالفصاحة على الإسناد المجازي، ولهذا لا تقع إلا في كلام بليغ، فهي تسمية بلاغية وليست نحوية .

والفاء الفصيحة هي حرف مبني على الفتح ولا محل لها من الإعراب، كما أنّ الفاء الفصيحة فيها معنى السببية، ولكنها لا تعرب لافتقارها إلى الشروط اللفظية والصناعية للفاء السببية، فهي فصيحة لأنها تفصح وتبين ما قبلها على وجه الارتباط السببي .

والفاء الفصيحة هي التي يدل السياق من دون اللفظ على علاقتها السببية بما قبلها، نحو قول النبي ﷺ في الحديث « **إن الدنيا حلوة خضرة، وإن الله مستخلفكم فيها فينظر كيف تعملون، فاتقوا الدنيا واتقوا النساء فإن أول فتنة بني إسرائيل كانت في النساء**» الفاء الفصيحة هي التي ربطت آخر الكلام «**فإن أول فتنة**» بما قبله بمعنى سببي .

وإذا كانت الفاء رابطةً لجوابِ الشّرطِ فلا تُدعى فصيحَة، فلا تُسمّى فَصيحةً إلاّ إذا أفصحَتْ عن معنى الشّرطِ قبْلَها من دونِ تركيبِ الشّرطِ .

سؤا ل: هل يمكن اعتبار الفاء الفصيحة رابطة لجواب الشرط؟

جواب: لو كان لفظُ الشّرطِ مذكوراً باللّفظِ لجاز أنْ تكونَ الفاءُ الرّابِطةُ للجوابِ مذكورةً في صدرِ الجوابِ، نحوَ قولِه تعالى: ﴿وَإِن يَعُودُواْ فَقَدْ مَضَتْ سُنَّتُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴾[الأنفال:٣٨].

ومثل ذلك الفاء في الآية ٢١ من سورة الغاشية ﴿فَذَكِّرْ إِنَّمَآ أَنتَ مُذَكِّرٌ ﴿٢١﴾﴾ الفعل (فذكّر): الفاء هي الفصيحة، أي: أفصحت عن وجود شرط محذوف، والتقدير: إن كانوا لا ينظرون إلى هذه الأشياء نظر اعتبار وتدبر وتأمل فذكّرهم.

ومثل ذلك أيضاً في قوله تعالى: ﴿فَلَمْ تَقْتُلُوهُمْ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ قَتَلَهُمْ﴾ [الأنفال:١٧].

(فلمْ) الفاء الفصيحة، و(لمْ) حرف نفي وجزم وقلب، وقد وقعت الفاء في جواب شرط مقدم أي: إذا افتخرتم بقتلهم فلم تقتلوهم.

❁❁❁❁

﴿وَهَٰذَا كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ مُبَارَكٌ فَٱتَّبِعُوهُ وَٱتَّقُوا۟ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴿١٥٥﴾﴾

السؤال الأول:

قال في آية الأنعام ١٥٥ : ﴿وَهَٰذَا كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ مُبَارَكٌ﴾ وقال في آية الأنبياء٥٠ : ﴿وَهَٰذَا ذِكْرٌ مُّبَارَكٌ أَنزَلْنَٰهُ﴾؟

الجواب:

١ـ قدّم الإنزال في الأنعام رداً على قول فنحاص بن عازوراء اليهودي ﴿مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ عَلَىٰ بَشَرٍ مِّن شَىْءٍ﴾ [الأنعام:٩١] فبدأ بالإنزال اهتماماً به؛ لأنّ الكتب سماوية، فناسب البدء بالإنزال.

٢ـ آية الأنبياء في الذكر جاءت على الأصل في تقديم الوصف المفرد في النكرة على الجملة، فقال: ﴿وَهَٰذَا ذِكْرٌ مُّبَارَكٌ أَنزَلْنَٰهُ﴾ [الأنبياء:٥٠] .

﴿أَوْ تَقُولُواْ لَوْ أَنَّآ أُنزِلَ عَلَيْنَا ٱلْكِتَٰبُ لَكُنَّآ أَهْدَىٰ مِنْهُمْۚ فَقَدْ جَآءَكُم بَيِّنَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَهُدًى وَرَحْمَةٌۚ فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن كَذَّبَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَصَدَفَ عَنْهَاۗ سَنَجْزِى ٱلَّذِينَ يَصْدِفُونَ عَنْ ءَايَٰتِنَا سُوٓءَ ٱلْعَذَابِ بِمَا كَانُواْ يَصْدِفُونَ ﴿١٥٧﴾﴾

السؤال الأول:

قوله تعالى: ﴿فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن كَذَّبَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَصَدَفَ عَنْهَاۗ﴾ يقال: صدف عن الحق، أي: أعرض عن الحق، فلِمَ عبّر عن الإعراض بقوله: ﴿وَصَدَفَ عَنْهَاۗ﴾؟

الجواب:

١ـ الفعل (أعرَض) يدل على رفض الإنسان للهدى وحسب، أما الفعل (صدف) فإنه يدل على إعراض الإنسان عن قبول الحق والهدى ،ولكنه لا يقف عند هذا الحد بل يتجاوزه إلى الآخرين فيصد الناس عن الحق، فقوله: ﴿وَصَدَفَ عَنْهَاۗ﴾ تضمن إعراضهم عنها وصرفهم للناس عن لآلئها وهديها.

٢ـ الأصل في الصدف هو الجانب والناحية، و(الصدفان) في آية الكهف هما الجانبان.

وصدف عنه: أي أعرض إعراضاً شديداً.

الصدف: البناء المرتفع، وصدف عن الشيء أي مال.

٣ـ هناك فرق بين: (صدف عنه) و(أعرض عنه)، فالإعراض قد يكون خفيفاً، لكن (صدف عنه) أن تذهب إلى الجانب فتتركه وتعرض عنه وتمشي، فالإعراض قد يكون في القليل، والصدف مخصص لما هو أشد.

أي: أن الصدف هو الإعراض الشديد.

❁❁❁❁

﴿هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّآ أَن تَأْتِيَهُمُ ٱلْمَلَـٰٓئِكَةُ أَوْ يَأْتِىَ رَبُّكَ أَوْ يَأْتِىَ بَعْضُ ءَايَـٰتِ رَبِّكَ ۗ يَوْمَ يَأْتِى بَعْضُ ءَايَـٰتِ رَبِّكَ لَا يَنفَعُ نَفْسًا إِيمَـٰنُهَا لَمْ تَكُنْ ءَامَنَتْ مِن قَبْلُ أَوْ كَسَبَتْ فِىٓ إِيمَـٰنِهَا خَيْرًا ۗ قُلِ ٱنتَظِرُوٓا۟ إِنَّا مُنتَظِرُونَ ﴿١٥٨﴾﴾

السؤال الأول:

قوله تعالى في الآية: ﴿هَلْ يَنظُرُونَ﴾ الإنسان ينتظر ما يعلم أوما يظن وقوعه، والقوم لم يكونوا كذلك؛ لأنهم لم يصدقوا، فكيف يُفهم ذلك؟

الجواب:

لمّا كان واقعاً لا محالة كانوا في الحقيقة كالمنتظرين له في المعنى ؛ ولذلك جاء تهديداً لهم، ومعنى ﴿هَلْ يَنظُرُونَ﴾ أي: ينتظرون.

السؤال الثاني:

ما معنى هذه الآية ﴿يَوْمَ يَأْتِى بَعْضُ ءَايَـٰتِ رَبِّكَ﴾؟ وما دلالتها؟

الجواب:

بدأت الآية باستفهام إنكاري من تريث المشركين بالإيمان، ثُمَّ عرضت لهم ما ينتظرون، ولكن التهديد اقتصر على تحقيق إثبات آيات الله وحدها ﴿يَوْمَ يَأْتِي بَعْضُ ءَايَٰتِ رَبِّكَ﴾، ولم تتعرض الآية لمجيء الملائكة مثلاً، فهل من سبب في تخصيص مجيء الآيات دون غيرها مما ذُكر في الآية؟

نعم، لقد اقتصرت على ما يأتي من آيات الله في اليوم المؤجَّل له، ولم تتعرض لما يكون يوم تأتي الملائكة أو يأتي ربك؛ لأنّ إتيان الملائكة والرب غير محتمل الوقوع، ولم يعهد لهم ذلك حتى يهابوه، أمّا نزول آيات العذاب فقد سمعوا عنها الكثير مما سبق، ومنهم من رأى ذلك عياناً، فهذا التهديد له من الموعظة والتحذير في نفوسهم الشيء الكثير.

السؤال الثالث:

حذف الياء من ﴿يَأْتِ﴾ واجتزأ بالكسرة في آية هود ١٠٥، دون الآيتين الأنعام ١٥٨- والأعراف ٥٣، فما الأسباب؟

الجواب:

١- تردد في سورة هود في عدة مواطن ذكر استعجال العذاب، وتردد الوعد بقرب حلوله، فكان من المناسب الحذف من فعل الإتيان إشعاراً بقرب حلوله، انظر الآيات:[٨-٣٢-٦٤-٦٥-٨١-٨٣].

٢ـ ذُكر في سورة هود أنّ يوم القيامة آتٍ، وأنه سيحل فيه عذاب الكافرين، وإنْ هو إلا أجل معدود فيحلّ، انظر الآيات: (١٠٢-١٠٥)، فحذف الياء من فعل الإتيان للدلالة على سرعة الإتيان، وليس الأمر كذلك في الآيات الأخرى .

٣- تردد ذكر الإتيان باشتقاقاته المختلفة في كل من (الأنعام) و (الأعراف) ٢٤ مرة، وفي (هود) ١٣ مرة، فلما كثُر الفعل في سورتي الأنعام والأعراف كثّر البناء، فقال: ﴿يَأْتِىَ﴾ ولما قلّ تردده في هود قلل من البناء فقال: ﴿يَأْتِ﴾ .

٤ـ لّما منع الكلام في آية هود (إلا بإذنه)، حذف الياء من ﴿يَأْتِ﴾ وحذف التاء من فعل التكلم فقال: ﴿تَكَلَّمُ﴾ ولم يقل: (تتكلم) إشعاراً بقلة الكلام في ذلك الوقت، وهذا مما يدعو إلى العجب .

٥ ـ لو رسمت بالياء في آية هود لما دلت على إعطاء الفرصة للاختلاس وقصر المدة؛ لذلك مع الرسم بالكسرة تشير إلى قرب ذلك اليوم فيختلس الصوت للتقريب، بينما مع إشباع الياء (يأتي) سوف يكون الوقت أبعد .

❁❁❁❁

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ فَرَّقُواْ دِينَهُمْ وَكَانُواْ شِيَعًا لَّسْتَ مِنْهُمْ فِي شَيْءٍۚ إِنَّمَآ أَمْرُهُمْ إِلَى ٱللَّهِ ثُمَّ يُنَبِّئُهُم بِمَا كَانُواْ يَفْعَلُونَ ﴿١٥٩﴾﴾

السؤال الأول:

هل الشِّيَعُ من نفس الملة أو من ملل ثانية؟

الجواب:

يقولون: هذه نزلت في اليهود والنصارى الذين بدّلوا دينهم وجعلوه أقساماً، هذا الأصل، وتنطبق حتى لو كان بين المسلمين من يفعل ذلك فيكون نفس الحكم.

وقوله تعالى: ﴿لَسْتَ مِنْهُمْ فِي شَيْءٍ﴾ أي: أنت بريء منهم ولا تبحث عنهم ولا يعنيك أمرهم، فهي مفارقة تامة.

ومعنى (شِيَعاً): يعني أقساماً يجعلون الدين أقساماً أقساماً يتمسكون ببعض ويتركون بعضاً.

❊❊❊❊

﴿مَن جَآءَ بِٱلْحَسَنَةِ فَلَهُۥ عَشْرُ أَمْثَالِهَا ۖ وَمَن جَآءَ بِٱلسَّيِّئَةِ فَلَا يُجْزَىٰٓ إِلَّا مِثْلَهَا وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴿١٦٠﴾﴾

السؤال الأول:

قال تعالى في سورة الأنعام: ﴿مَن جَآءَ بِٱلْحَسَنَةِ فَلَهُۥ عَشْرُ أَمْثَالِهَا﴾ مع أن العدد من ثلاثة إلى عشرة يخالف المعدود في التذكير والتأنيث، فلماذا؟

الجواب:

قال ﴿عَشْرُ﴾ والعدد من ثلاثة إلى عشرة يخالف المعدود في التذكير والتأنيث.

الأمثال مفرده: مِثل، المثل مذكّر، وهو قال: عشر، والمفروض قياساً أن يقال عشرة، لكن لّما قال: ﴿مَن جَآءَ بِٱلْحَسَنَةِ﴾ المِثل يصير حسنة، فلمّا أفرد الحسنة أفرد المِثل؛ لأنّ المثل

حسنة، وهل عشر أمثالها غير عشر حسنات؟ فإذن هو رجع إلى معنى أنّ الأمثال هنا بمعنى الحسنات وليس معنى العدد في حد ذاته، وهذا في لغة العرب.

السؤال الثاني:

﴿مَن جَآءَ بِٱلۡحَسَنَةِ فَلَهُۥ عَشۡرُ أَمۡثَالِهَاۖ وَمَن جَآءَ بِٱلسَّيِّئَةِ فَلَا يُجۡزَىٰٓ إِلَّا مِثۡلَهَا﴾ لِمَ عدل عن الأسلوب الإخباري إلى أسلوب النفي؟

الجواب:

انظر إلى بيان ما أكرم الله تعالى به هذه الأمة، وانظر كم خفّف عنا من الإصر والمشاق، فقد قال تعالى: ﴿مَن جَآءَ بِٱلۡحَسَنَةِ فَلَهُۥ عَشۡرُ أَمۡثَالِهَاۖ﴾، وهذا السياق يناسبه (ومن جاء بالسيئة فيجزى مثلها) فلِمَ عدل الأسلوب الإخباري إلى أسلوب النفي ﴿وَمَن جَآءَ بِٱلسَّيِّئَةِ فَلَا يُجۡزَىٰٓ إِلَّا مِثۡلَهَا﴾؟ هذا من باب إظهار العدل الإلهي فينا، فالحسنة تضاعف كرماً وجوداً، والسيئة لا تجزى إلا مثلها، والآية في مطلق الحسنات من الأعمال.

❁❁❁❁

﴿قُلۡ إِنَّنِي هَدَىٰنِي رَبِّيٓ إِلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٖ دِينٗا قِيَمٗا مِّلَّةَ إِبۡرَٰهِيمَ حَنِيفٗاۚ وَمَا كَانَ مِنَ ٱلۡمُشۡرِكِينَ ١٦١﴾

السؤال الأول:

قوله تعالى في آية الأنعام ١٦١: ﴿قُلۡ إِنَّنِي هَدَىٰنِي رَبِّيٓ﴾ وفي آية فصلت ١٤ ﴿إِذۡ جَآءَتۡهُمُ ٱلرُّسُلُ مِنۢ بَيۡنِ أَيۡدِيهِمۡ وَمِنۡ خَلۡفِهِمۡ أَلَّا تَعۡبُدُوٓاْ إِلَّا ٱللَّهَۖ قَالُواْ لَوۡ شَآءَ رَبُّنَا لَأَنزَلَ مَلَٰٓئِكَةٗ فَإِنَّا بِمَآ أُرۡسِلۡتُم بِهِۦ

كَٰفِرُونَ ﴿١٤﴾ جاءت كلمة ﴿ٱللَّهَ﴾ في الطلب، وجاءت كلمة ﴿رَبُّنَا﴾ في الجواب، فما دلالة ذلك؟

الجواب:

١ـ الفرق بين الله والرب معروف: الله لفظ الجلالة، وهواسم العلم مشتق من الإله كما يقال، والرب هو المربي والموجه والمرشد.

٢ـ لكنّ سبب الاختيار في آية فصلت ١٤ ﴿لَوْ شَآءَ رَبُّنَا لَأَنزَلَ مَلَٰٓئِكَةً﴾ أنّ الرسل دعوهم إلى عبادة الله ﴿أَلَّا تَعْبُدُوٓاْ إِلَّا ٱللَّهَ﴾ فقالوا: ﴿لَوْ شَآءَ رَبُّنَا لَأَنزَلَ مَلَٰٓئِكَةً﴾ أي: لو شاء هداية الخلق ودعوتهم لأنزل ملائكة، لأنّ الرب هو الهادي والموجه والمرشد؛ لذلك كان الأنسب أن يقولوا: (ربنا)، والمناسب مع الهداية الرب؛ لأنه الهادي والمرشد والمربي.

ولذلك كثيراً ما يقترن الرب بالهداية، نحو قوله تعالى:

﴿قُلْ إِنَّنِي هَدَىٰنِي رَبِّيٓ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾ ﴿قَالَ كَلَّآ ۖ إِنَّ مَعِيَ رَبِّي سَيَهْدِينِ ﴿٦٢﴾﴾ [الشعراء:٦٢].

وكلمة (الرب) تستعمل لغير الله، وهي غير خاصة بالله، فنقول مثلاً: (رب البيت)، حتى في سورة يوسف: ﴿إِنَّهُۥ رَبِّيٓ أَحْسَنَ مَثْوَايَ﴾ [يوسف:٢٣] ﴿ٱذْكُرْنِي عِندَ رَبِّكَ﴾ [يوسف:٤٢]؛ لأنّ الرب هو القيّم والمرشد والموجه، فكان الأنسب استعمال كلمة (الرب) مع إنزال الملائكة وشؤون الخلق وهدايتهم.

٣ـ كذلك كثيراً ما يقترن لفظ الجلالة (الله) بالهداية، والله سبحانه وتعالى كل شيء بيده، كما في قوله تعالى: ﴿إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَهْدِي مَن يَشَآءُ﴾ [القصص:٥٦] والعبادة أقرب شيء لله ﴿أَلَّا تَعْبُدُوٓاْ إِلَّا ٱللَّهَ﴾.

السؤال الثاني:

لماذا نصب ﴿دِينًا﴾ في قوله تعالى: ﴿قُلْ إِنَّنِي هَدَىٰنِي رَبِّيٓ إِلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٖ دِينٗا قِيَمٗا مِّلَّةَ إِبۡرَٰهِيمَ حَنِيفٗاۚ وَمَا كَانَ مِنَ ٱلۡمُشۡرِكِينَ ١٦١﴾؟

الجواب:

النصب؛ لأنه مفعول به لفعل محذوف تقديره: أعني، وهذا يدخل في باب التخصيص بالمدح.

❊❊❊❊

﴿قُلۡ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحۡيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ١٦٢﴾

السؤال الأول:

(ياء المتكلم) متى تكون الياء مفتوحة؟ ومتى تكون ساكنة مثل: وجهيَ ووجهي؟

الجواب:

١ـ بعد الألف المقصورة: الياء يجب أنْ تكون مفتوحة، مثل ﴿قُلۡ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحۡيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ١٦٢﴾ ﴿فَمَنِ ٱتَّبَعَ هُدَايَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشۡقَىٰ ١٢٣﴾ [طه:١٢٣] لابدّ أنْ تفتح الياء.

٢ـ بعد المنقوص: لا بد من فتح الياء: معطي، معطيَّ، أنت معطيَّ كتاباً، هل أنت منجيَّ من عذاب الله؟ الياء لا بد أن تُفتح بعد المنقوص.

٣ـ بعد المثنى: ﴿رَّبِّ ٱغۡفِرۡ لِي وَلِوَٰلِدَيَّ﴾ [نوح:٢٨].

٤ـ بعد جمع المذكر السالم : ﴿وَمَآ أَنتُم بِمُصۡرِخِيَّ﴾ [إبراهيم:٢٢]، وكما في الحديث «أومخرجيَّ هم؟».

ما عدا هذا يجوز الفتح والكسر، وهذا هو الفتح الواجب، والباقي يجوز كما في [وجهي وجهيَ].

السؤال الثاني:

ما دلالة هذه الآية؟

الجواب:

يذكر الله تعالى في الآية أمرين هامين للإنسان، وهما:

١ـ الصلاة: وهي عماد الدين وهي الركن الثاني، والركن الأول هو الشهادتان ويكفي أن تقولها بالعمر مرة، وباقي الأركان قد تسقط إن كنت لا تستطيع كالزكاة والصوم والحج، أمّا الصلاة فلا تسقط عن العبد أبداً، وكل تكليف من التكاليف جاء بواسطة الوحي إلا الصلاة، فإنها جاءت بالمباشرة تلقاها الرسول ﷺ من ربه دون واسطة؛ ولذلك تعتبر الصلاة عمدة الأركان وتشتمل في مضمونها على كل الأركان.

٢ـ النسك: ويُراد به كل عبادة، وتُطلق بالأخص على الذبيحة وعلى أفعال الحج مثل نسك الطواف والسعي، والوقوف بعرفة ونسك الرمي، والكلمة مأخوذة من مادة (النسيكة)، وهي السبيكة من الفضة التي تصهر صهراً يُخرج منها كل المعادن المختلطة بها حتى تصير في غاية النقاء، فسميت العبادة نسكاً؛ لأنها يجب أن تُصفى لله وحده كما

تصفى سبيكة الفضة من كل المعادن التي تخالطها، وقيل للمتعبد: ناسك؛ لأنه خلّص نفسه من دنس الآثام.

٣ـ وهذان الأمران اختياريان، أي: الصلاة والمناسك، كلاهما داخلٌ في قانون الاختيار في الحياة الدنيا، لكنْ هناك أمران آخران، وهما المحيا والمات، لا يدخل أي منهما في قانون الاختيار، بل هما في يد الله وحده.

والصلاة والنسك داخلان في ظاهر الأمر في دائرة الاختيار للعبد؛ لأنّ هذا الاختيار نابع من إيجاد الله لنا مختارين، والله هو الذي وضع المنهج وطلب منا أنْ نصلي وطلب منا الإخلاص في كل النسك الأخرى، فإنْ كانت لغيره فقد اخترت أيها العبد الخيبة والخسران في الصفقة.

أمّا العبد المؤمن الفطن فيجمع بين الأمور الاختيارية فيجعلها لله وحده ويضمها لهبة الحياة فيجعل حياته لله لا للشهوات ومماته لله لا لورثته، فيكون بذلك قد أفلح مع ربه في الأمور الاختيارية وغير الاختيارية، والله أعلم .

❀❀❀❀

﴿لَا شَرِيكَ لَهُۥ وَبِذَٰلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا۠ أَوَّلُ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴿١٦٣﴾﴾

السؤال الأول:

ما دلالة قوله تعالى في الآية: ﴿وَأَنَا۠ أَوَّلُ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴿١٦٣﴾﴾ ؟

الجواب:

المعنى العام أنّ الإسلام هو دين الله من أول الأنبياء إلى يوم الدين، وقد سبق في القرآن ذكر نوح وإبراهيم ولوط ومن اتبعهم بأنهم من المسلمين، لكن دين الإسلام كإسلام أُطلق على ديننا وسيدنا محمد ﷺ هو أول من أسلم، وللعلم فإن:

١ـ آية الأنعام ١٦٣: المراد بها أول المسلمين من أهل مكة.

٢ـ آية الأعراف ١٤٣: هو قول موسى عليه السلام: إنه أول المصدّقين بامتناع الرؤية في الدنيا، ولم يرد الإيمان الذي هو: الدين.

٣ـ آية الشعراء ٥١: يريد أولهم من قوم فرعون وآله.

❁❁❁❁

﴿قُلْ أَغَيْرَ ٱللَّهِ أَبْغِى رَبًّا وَهُوَ رَبُّ كُلِّ شَىْءٍ ۚ وَلَا تَكْسِبُ كُلُّ نَفْسٍ إِلَّا عَلَيْهَا ۚ وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ ۚ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُم مَّرْجِعُكُمْ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ ﴿١٦٤﴾﴾

السؤال الأول:

ما دلالة قوله تعالى: ﴿ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُم مَّرْجِعُكُمْ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ ﴿١٦٤﴾﴾؟

الجواب:

١ـ المعنى: أنه بعد طول الإمهال لكم لطفاً من الله بكم ﴿إِلَىٰ رَبِّكُم﴾ الذي أحسن إليكم بنعمه لا إلى غيره ﴿مَّرْجِعُكُمْ﴾ أي بالحشر، وإنْ عمرتم طويلاً أو بقيتم طويلاً ﴿فَيُنَبِّئُكُم﴾؛ أي يخبركم إخباراً مستوفى.

ولمّا كان قد تقدم أنهم فرقوا دينهم، قال: ﴿بِمَا كُنتُمْ﴾، وقدّم الجار ليفيد الاهتمام به لقوة داعيتهم إليه من غير إكراه، فقال: ﴿تَخْتَلِفُونَ﴾ أي مع رسول وغيره، ويدينكم على جميع ذلك بما تستحقونه بأن يعظّم عقوبتكم؛ لأنكم كفرتم نعمه سبحانه .

٢ـ لم يرد في القرآن الكريم (الحكم أو الفصل مع العمل)، ولم يقل مثلاً:

(يحكم فيما كنتم تعملون)، بينما ورد (التنبيء والحكم والفصل) مع موضوع الاختلاف﴿تَخْتَلِفُونَ﴾، كما في الآيات:

﴿فَاللَّهُ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فِيمَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ﴿١١٣﴾﴾[البقرة:١١٣].

﴿وَإِنَّ رَبَّكَ لَيَحْكُمُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فِيمَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ﴿١٢٤﴾﴾[النحل:١٢٤].

﴿ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُم مَّرْجِعُكُمْ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ ﴿١٦٤﴾﴾[الأنعام:١٦٤].

﴿إِنَّ رَبَّكَ هُوَ يَفْصِلُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فِيمَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ﴿٢٥﴾﴾ [السجدة: ٢٥].

التنبيء هوالحكم، وهو القضاء، والفصل أشد؛ لأنه يكون بينهما فاصل أو حاجز. وعندما يقول في القرآن: (يفصل بينهم) تكون المسافة أبعد، كأن يذهب أحدهم إلى الجنة والآخر إلى النار .أما الحكم فلا فصل، وقد يكون الاثنان في ملة واحدة.

* شواهد قرآنية:

ـ ﴿وَقَالَتِ الْيَهُودُ لَيْسَتِ النَّصَارَىٰ عَلَىٰ شَيْءٍ وَقَالَتِ النَّصَارَىٰ لَيْسَتِ الْيَهُودُ عَلَىٰ شَيْءٍ وَهُمْ يَتْلُونَ الْكِتَابَ ۗ كَذَٰلِكَ قَالَ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ مِثْلَ قَوْلِهِمْ ۚ فَاللَّهُ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فِيمَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ﴿١١٣﴾﴾[البقرة:١١٣] هؤلاء يذهبون معاً إلى جهة واحدة اليهود والنصارى، وليس أحدهما إلى الجنة والآخر إلى النار، فليس فيه فصل. فقال تعالى: ﴿يَخْتَلِفُونَ﴾.

- ﴿إِنَّمَا جُعِلَ ٱلسَّبْتُ عَلَى ٱلَّذِينَ ٱخْتَلَفُوا۟ فِيهِ ۚ وَإِنَّ رَبَّكَ لَيَحْكُمُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ فِيمَا كَانُوا۟ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ﴿١٢٤﴾﴾ [النحل:١٢٤] اختلاف في ملة واحدة وهم اليهود، وكلهم يذهبون معاً إلى جهة واحدة مع بعض. فقال: ﴿يَخْتَلِفُونَ﴾.

- ﴿وَٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُوا۟ مِن دُونِهِۦٓ أَوْلِيَآءَ مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَآ إِلَى ٱللَّهِ زُلْفَىٰٓ إِنَّ ٱللَّهَ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ فِى مَا هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى مَنْ هُوَ كَـٰذِبٌ كَفَّارٌ ﴿٣﴾﴾ [الزُّمَر:٣] كلهم يذهبون إلى جهة واحدة. فقال: ﴿يَخْتَلِفُونَ﴾.

- ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَٱلَّذِينَ هَادُوا۟ وَٱلصَّـٰبِـِٔينَ وَٱلنَّصَـٰرَىٰ وَٱلْمَجُوسَ وَٱلَّذِينَ أَشْرَكُوٓا۟ إِنَّ ٱللَّهَ يَفْصِلُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ شَهِيدٌ ﴿١٧﴾﴾ [الحج:١٧] هؤلاء لا يذهبون إلى جهة واحدة، فهم فئات مختلفة؛ إذن: ﴿يفصل﴾، فالفصل يتضمن الحكم والفصل فيكون أشد.

ولذلك قال المفسرون في قوله تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا۟ وَكَانُوا۟ بِـَٔايَـٰتِنَا يُوقِنُونَ ﴿٢٤﴾ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ يَفْصِلُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ فِيمَا كَانُوا۟ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ﴿٢٥﴾﴾ [السجدة:٢٤-٢٥] قالوا الفصل بين الأنبياء وأممهم وبين المؤمنين والمشركين.

فإذن الفصل حكم لكنْ فيه بَوْنٌ، وكل جهة تذهب إلى مكان .

وقوله تعالى في سورة ص: ﴿خَصْمَانِ بَغَىٰ بَعْضُنَا عَلَىٰ بَعْضٍ فَٱحْكُم بَيْنَنَا بِٱلْحَقِّ وَلَا تُشْطِطْ﴾ [ص:٢٢] هذا حكم قضاء.

السؤال الثاني:

قوله تعالى: ﴿أَبْغِى رَبًّا﴾ ما كلمات منظومة الحب من الجانب العقلاني؟

الجواب:

هذه هي كلمات منظومة الحب من الجانب العقلاني الذي يختلف عن الجانب القلبي الذي يصف العاطفة الجياشة التي تسبب لصاحبها السهر والتعب .

والحب العقلاني يتعدى بـ (أنْ) فتقول: أريد أنْ أنجح، أحب أنْ أصلي.

أحب: (الحب)

هو ميل العقل إلى فعل ما يرى الإنسان فيه خيراً، فتقول: لو فعلت كذا لكان خيراً، وهذا الحب هو مجرد إدراك:[التوبة ١٠٨ـ النور ١٩ ـ ٢٢].

أشاء (المشيئة):

إذا انعقد العزم على فعل الأمر فهي المشيئة، وهذه تتغير و(أشاء)بمعنى عقدت العزم.

انظر آيات: [التكوير ٢٨ـ الأنعام ٣٥ـ المؤمنون ٢٤ـ المدثر ٣٧ـ البقرة ٢٢٠ـ٢٥٣ـ النساء ٩٠].

أرغب (الرغبة):

إذا اشتد الحرص بقوة يسمى رغبة، وهذه الرغبة تدفعك إلى أنْ تباشر أول الخطوات المؤدية إلى الفعل:[التوبة ٥٩ـ القلم ٣٢ـ البقرة ١٣٠].

أريد (الإرادة):

إذا باشرت الأسباب المؤدية إلى الفعل تسمى الإرادة، أي: اتخذت الأسباب، فالإرادة هي مباشرة الفعل واقعاً: انظر آيات: [النساء ٣٥ـ ٦٠ـ ٩١ـ المائدة ٣٧ـ التوبة ٣٢ـ الكهف ٢٨ـ القصص ٨٣ـ الروم ٣٨].

أبغي:

(أبغي) تعني أني سرت خطوات في العمل:[الأنعام ١٦٤ـ الحجرات ٩].

أبتغي (الابتغاء):

وهي قمة هذه المجموعة، إذا سرت بالأمر إلى آخر مدى وأصبح الأمر على وشك الإنجاز يسمى ابتغاء، أي: بعد الجد والطلب.

انظر آيات: [الإسراء ١٢ ـ ٦٦ـ النور ٣٣ـ التوبة ٤٨ـ البقرة ١٨٧ـ الليل ٢٠].

❁❁❁❁

﴿وَهُوَ ٱلَّذِى جَعَلَكُمْ خَلَٰٓئِفَ ٱلْأَرْضِ وَرَفَعَ بَعْضَكُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَٰتٍ لِّيَبْلُوَكُمْ فِى مَآ ءَاتَىٰكُمْ ۗ إِنَّ رَبَّكَ سَرِيعُ ٱلْعِقَابِ وَإِنَّهُۥ لَغَفُورٌ رَّحِيمٌۢ ﴿١٦٥﴾﴾

السؤال الأول:

ما اللمسة البيانية في حذف (في) في آية ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى جَعَلَكُمْ خَلَٰٓئِفَ ٱلْأَرْضِ﴾ [الأنعام:١٦٥] وذكرها في الآية ﴿هُوَ ٱلَّذِى جَعَلَكُمْ خَلَٰٓئِفَ فِى ٱلْأَرْضِ ۚ﴾ [فاطر:٣٩] و ﴿ثُمَّ جَعَلْنَٰكُمْ خَلَٰٓئِفَ فِى ٱلْأَرْضِ مِنۢ بَعْدِهِمْ لِنَنظُرَ كَيْفَ تَعْمَلُونَ ﴿١٤﴾﴾ [يونس:١٤]؟

الجواب:

١ـ من استعراض الآيات نجد أنّ القرآن ذكر (في) في آية يونس ١٤ـ وفاطر(٣٩) ولم يذكر (في) في آية الأنعام ١٦٥.

٢ـ خلائف الأرض: مع حذف (في) هي أوسع وأشمل من حيث اللغة، أما: (خلائف في الأرض) فهي ظرفية ومحددة.

٣ـ نلاحظ أنّ سياق سورة فاطر هو في الكافرين ابتداءً وانتهاءً، وكذلك في سورة يونس السياق فيمن أهلكهم الله تعالى من الكافرين.

أمّا في سورة الأنعام فالسياق في مخاطبة المؤمنين إلى النهاية، فكانوا أعمّ وأشمل، وفيها ورد قوله تعالى: ﴿وَإِنَّهُۥ لَغَفُورٌ رَّحِيمٌۢ ﴿١٦٥﴾﴾، فالمؤمنون خلائفهم أطول وأكثر من الكافرين، فجاء بالمعنى الأعمّ والأشمل في سورة الأنعام بحذف (في).وناسب الخطاب لهم بصيغة التعريف الدال على أنهم خلفاؤها المالكون لها.

٤ـ عندما نقول: (هو مَلِك مصر) أو (مَلِكٌ في مصر) أيهما أوسع؟ مَلِك مصر أوسع. وكذلك (خلائف الأرض) قالوا هذه في الأمة المسلمة التي سترث الأرض، ولن يأتي أمة من بعدها تحمل رسالة ﴿وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِى ٱلزَّبُورِ مِنۢ بَعْدِ ٱلذِّكْرِ أَنَّ ٱلْأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِىَ ٱلصَّٰلِحُونَ ﴿١٠٥﴾﴾ [الأنبياء:١٠٥]، فقالوا: هذه الأمة المسلمة التي سترث الأرض.

٥ـ خلائف في الأرض للأفراد، وكل واحد هو خليفة في الأرض يفعل ما يشاء، إذن خلائف الأرض عامة للأمة المسلمة على العموم، أمّا تلك ففيها احتمالات، قالوا: انتفاع بما في الأرض،خلفاء من قبلكم، خلائف من خليفة ذرية يخلف بعضهم بعضاً.

السؤال الثاني:

ما الفرق بين استعمال كلمتي (عقاب وعذاب) في القرآن الكريم؟

الجواب:

١ـ كلمة العقاب ومشتقاتها وردت في القرآن في ٦٤ موضعاً.

٢ـ كلمة العذاب ومشتقاتها وردت في القرآن في ٣٧٠ موضعاً.

٣ـ الفعل الثلاثي لكل من الكلمتين (عذب) و (عقب)، والحرفان الأول والثالث مشتركان، بينما الخلاف في الحرف الثاني.

وحرف الذال: من أحرف الرخاوة وفيه امتداد، بينما حرف القاف من أحرف الشدة وفيه سرعة، ويسمى في الدراسات الحديثة حرفاً انفجارياً، بينما امتداد الذال يكون للدنيا والآخرة.

لذلك نستنتج أنّ كلمة (العقاب) تكون للشيء السريع، والشيء السريع يكون في الدنيا، ومن هنا نجد أنّ الآيات التي تحدثت عن عقوبات الأمم السابقة في الدنيا جاء معها كلمة العقوبة .

٤ـ أي أنّ العقاب فيه شدة وسرعة، واستعملها القرآن في الدنيا، بينما استعمل العذاب في الدنيا والآخرة .

٥ـ ليس في القرآن (سريع العذاب)، وإنما (سريع العقاب).

*** شواهد قرآنية على العقاب:**

ـ ﴿إِنَّ رَبَّكَ سَرِيعُ ٱلْعِقَابِ﴾ [الأنعام:١٦٥] .

ـ ﴿ ۞ ذَٰلِكَ وَمَنْ عَاقَبَ بِمِثْلِ مَا عُوقِبَ بِهِۦ ثُمَّ بُغِىَ عَلَيْهِ﴾ [الحج:٦٠].

ـ ﴿قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِكُمْ سُنَنٌ فَسِيرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ فَٱنظُرُوا۟ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلْمُكَذِّبِينَ ﴿١٣٧﴾﴾. [آل عمران:١٣٧] .

*** شواهد قرآنية على العذاب:**

- ﴿لَهُمْ فِي الدُّنْيَا خِزْيٌ وَلَهُمْ فِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿١١٤﴾﴾ [البقرة:١١٤] عذاب في الدنيا والآخرة.

﴿وَلَوْلَا أَن كَتَبَ اللَّهُ عَلَيْهِمُ الْجَلَاءَ لَعَذَّبَهُمْ فِي الدُّنْيَا وَلَهُمْ فِي الْآخِرَةِ عَذَابُ النَّارِ ﴿٣﴾﴾ [الحشر:٣]

والله أعلم.

السؤال الثالث:

قوله تعالى في آية الأنعام ١٦٥: ﴿إِنَّ رَبَّكَ سَرِيعُ الْعِقَابِ﴾ وقوله في آية الأعراف ١٦٧: ﴿إِنَّ رَبَّكَ لَسَرِيعُ الْعِقَابِ﴾ بزيادة (لام التوكيد)، فلماذا؟

الجواب:

يستعمل القرآن الكريم تخفيف التوكيد أو زيادته حسب مقتضى الحال فيستعمل (اللام) مع زيادة التوكيد فيقول: ﴿إِنَّ رَبَّكَ لَسَرِيعُ الْعِقَابِ وَإِنَّهُ لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٦٧﴾﴾ [الأعراف:١٦٧].

البيان:

في الأنعام: ١٦٥: أكّد سرعة العقوبة بإنّ وحدها، وأكّد المغفرة والرحمة بإنّ واللام.

في الأعراف ١٦٧: أكّد سرعة العقوبة بإنّ واللام، وكذلك المغفرة والرحمة بإنّ واللام.

١ـ آية الأعراف ذُكرت في سياق العقوبات العاجلة في الدنيا، وأمّا آية الأنعام فذُكرت في سياق العقوبات الآجلة في الآخرة، فقد قال في الأعراف: ﴿فَلَمَّا نَسُوا۟ مَا ذُكِّرُوا۟ بِهِۦٓ أَنجَيْنَا ٱلَّذِينَ يَنْهَوْنَ عَنِ ٱلسُّوٓءِ وَأَخَذْنَا ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ بِعَذَابٍۭ بَـِٔيسٍۭ بِمَا كَانُوا۟ يَفْسُقُونَ ﴿١٦٥﴾ فَلَمَّا عَتَوْا۟ عَن مَّا نُهُوا۟ عَنْهُ قُلْنَا لَهُمْ كُونُوا۟ قِرَدَةً خَـٰسِـِٔينَ ﴿١٦٦﴾ وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكَ لَيَبْعَثَنَّ عَلَيْهِمْ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَـٰمَةِ مَن يَسُومُهُمْ سُوٓءَ ٱلْعَذَابِ ۗ إِنَّ رَبَّكَ لَسَرِيعُ ٱلْعِقَابِ ۖ وَإِنَّهُۥ لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ [الأعراف:١٦٥-١٦٦-١٦٧].

بينما قال في الأنعام: ﴿وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ ۚ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُم مَّرْجِعُكُمْ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ ﴿١٦٤﴾﴾.

واللام تفيد التوكيد فأفادت هنا توكيد سرعة العقاب؛ لأنّ العقاب المذكور هنا عقاب عاجل، وهو عقاب بني إسرائيل بالذل والنقمة وأداء الجزية بعد المسخ في سياق قوله تعالى: ﴿وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكَ لَيَبْعَثَنَّ عَلَيْهِمْ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَـٰمَةِ مَن يَسُومُهُمْ سُوٓءَ ٱلْعَذَابِ﴾ بخلاف العقاب المذكور في سورة الأنعام فإنه آجل، بدليل قوله تعالى: ﴿ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُم مَّرْجِعُكُمْ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ ﴿١٦٤﴾﴾ فلمّا اختصت آية الأعراف بزيادة العذاب عاجلاً اختصت بزيادة التأكيد لفظاً بإنّ واللام.

٢ـ في الأعراف تقدّم ما يؤذن بغضب الله وعذابه من اتخاذهم العجل وحل يوم السبت؛ فناسب توكيد جانب العذاب بدخول اللام.

لذلك لمّا كان الموطن في الأعراف هوتعجيل العقوبات في الدنيا أكّد سرعة العقاب، ولمّا لم يكن الأمر كذلك في الأنعام لم يؤكد سرعته. والله أعلم.

رابعاً ـ تناسب فاتحة الأنعام مع خاتمتها:

بدأت السورة بقوله تعالى:

﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَجَعَلَ ٱلظُّلُمَٰتِ وَٱلنُّورَ ثُمَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِرَبِّهِمْ يَعْدِلُونَ ۝١﴾ [الأنعام:١] .

وقال في خواتيمها: ﴿قُلْ أَغَيْرَ ٱللَّهِ أَبْغِى رَبًّا وَهُوَ رَبُّ كُلِّ شَىْءٍ﴾ [الأنعام:١٦٤] .

١ ـ فقد ذكر في بدايتها أنّ الذين كفروا بربهم يعدلون، وأمّا الرسول عليه السلام فلا يعدل بربه شيئًا﴿قُلْ أَغَيْرَ ٱللَّهِ أَبْغِى رَبًّا وَهُوَ رَبُّ كُلِّ شَىْءٍ﴾ [الأنعام:١٦٤] .

فناسب بين البدء والختام.

٢ ـ وقال في البدء:

﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَجَعَلَ ٱلظُّلُمَٰتِ وَٱلنُّورَ﴾ [الأنعام:١] .

وقال في خواتيمها: ﴿وَهُوَ رَبُّ كُلِّ شَىْءٍ﴾ [الأنعام:١٦٤]، أليس الذي خلق السماوات والأرض وجعل الظلمات والنور هو رب كل شيء؟! والله أعلم.

فهرس المحتويات